الملاحم والفتن وعلامات الظهور

عند الإمام علي "ع"

تأليف وشرح
العلامة المحقق الحاج الشيخ
محمد تقي التستري



دار المحجة البيضاء

الملاحم والفتن وعلامات الظهور
عند الإمام علي (ع)

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
ISBN : 978-614-426-162-0



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

الملاحم والفتن وعلامات الظهور
عند الإمام علي «ع»

تأليف وشرح

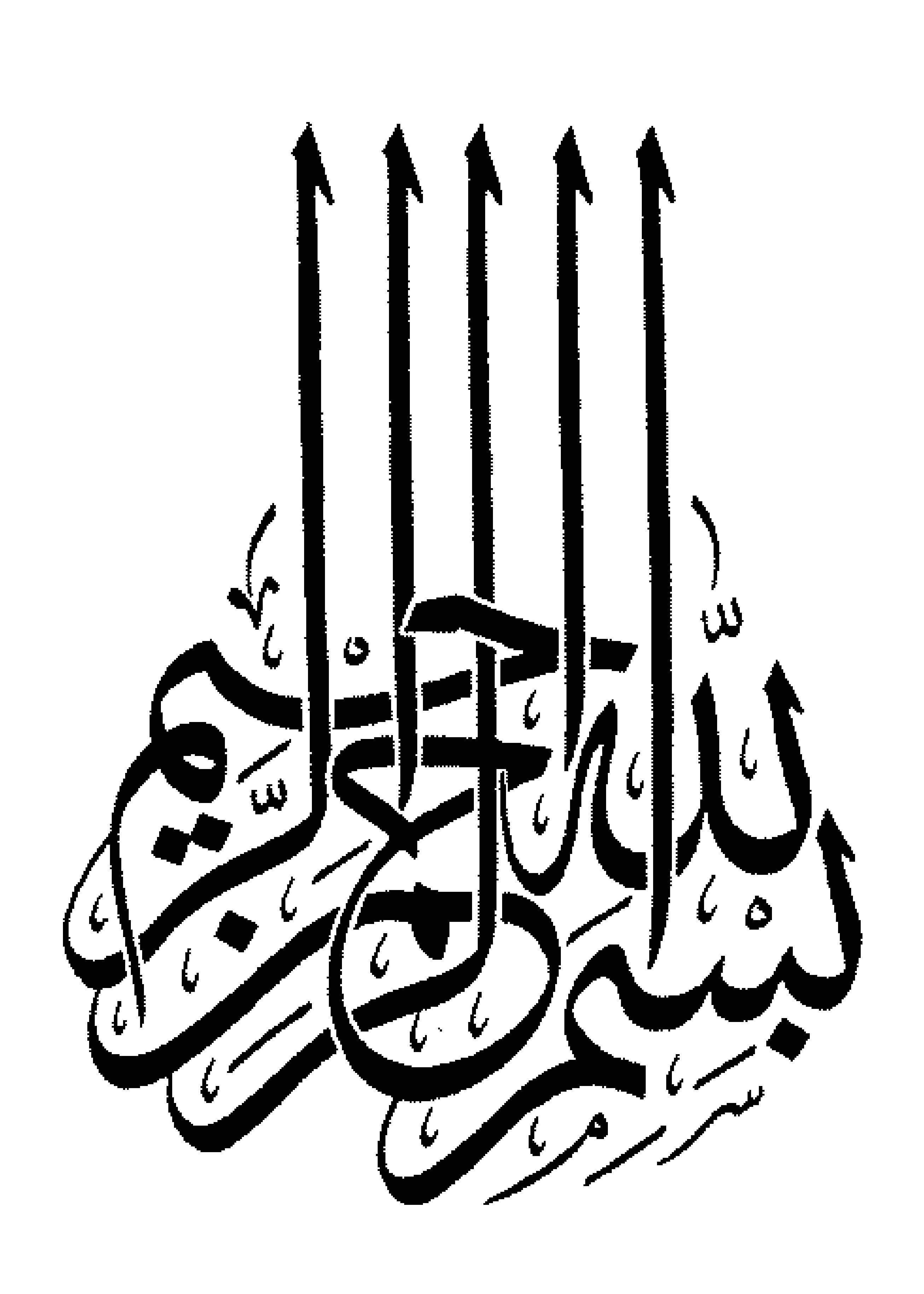
العلامة المحقق الحاج الشيخ

محمد تقي التستري

حققة واعتنى بة

محسن عقيل

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا من حارت في كبرياء هويّته دقائق لطائف الأوهام، وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام، يا من عنت الوجوه لهيبته، وخضعت الرقاب لعظمته، ووجلت القلوب من خيفته، ربّ أنت في الدارين رجائي، جلّ قدسك عن ثنائي، سبحانك لا أبلغ حمدك، ولا أُحصي ثناءك، أنت كما أثنيت على نفسك، وفوق ما يقول القائلون. أحمدك على تظافر نعمائك، وتكاثر آلائك وأُصلي وأُسلم على خاتم أنبيائك، وأفضل أصفيائك محمّد وآله المعصومين حججك وأُمنائك؛ ولا سيّما المدّخر للإنتقام من أعدائك، الّذي يفرجه فرج أوليائك، واللّعنة الدائمة المضاعفة على أعدائهم أعدائك.

من لهذا العالم المليء بالفساد والفواصل والفوارق والمظالم؟

من لدفع هذه الأساليب الحديثة الإلحاديّة التي أهوت بالإنسانيّة في أسفل دركات الحيوانيّة؟

من لدحض هذه الشبهات الّتي أشغلت أفكار شبابنا وشيبتنا وفتياننا وفتياتنا؟

من لإزالة هذا الخوف والإضطراب والعناء الذي استولى على جميع البريّة؟

من للشرائع الإلٰهية التي عطّلت وأُلغيت رسمياً و. . . ؟

من ذا الّذي يقوم بإذن الله بإزالة هذه الخلاعة والدعارة التي شملت البلاد؟

من الّذي يرفع الله به المستضعفين، ويؤمن به الخائفين، وينجي به الصالحين ويضع به المستكبرين، ويهلك به الجبارين، ويجتثّ به أُصول الظالمين؟

من هو المصلح الّذي بشّر الله به الأُمم بلسان أنبيائه وما أوحى إليهم في كتبه وصحفه؟

من الموعود الذي يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً؟

فمتى يقوم بأمر الله القائم الذي لمّا قرأ دعبل قصيدته التائيّة المشهورة على الرضا عليه السلام فذكره بقوله:

خروج إمام لا محالة لازم يقوم على اسم الله والبركات

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وتواضع قائماً ودعا له بالفرج، فقال:

«اللهم عجّل فرجه وسهّل مخرجه»؟

إلى متى يبقى في حجاب الغيبة؟ فقد ظهر كثير من علائم ظهوره وعضّنا البلاء فها هو الجور قد عمّ البلاد، والفتن قد شملت الآفاق، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وخرجت النساء كاشفات عاريات متبرّجات، خارجات من الدين داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مستحلّات للمحرّمات، لم يبق من القرآن إلّا قراءته في الإذاعات والمسجّلات، ومن الإسلام إلّا الإسم، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب.

وها هي الصلاة قد أُميتت، والأمانة قد ضيّعت، والخمر يباع ويشرب علانية وأهل الباطل قد استعلوا على أهل الحقّ، والأموال الكثيرة تصرف في معصية الله، وتنفق في سخطه، والولاة يقرّبون أهل الكفر، ويبعّدون أهل الخير والحدود قد عطّلت والسلطان يذلّ المؤمن للكافر، والرجل يتكلّم بشيء من الحقّ ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيقوم إليه من ينصحه في نفسه، ويقول هذا عنك موضوع، وظهر الإستخفاف بالوالدين، والنساء قد دخلن فيما لا ينبغي لهنّ دخوله، والقضاة يقضون بغير ما أنزل الله واستحلّ الربا لا يرى به بأسٌ والرجال تشبّهوا بالنساء، والنساء تشبّهن بالرجال، وكثر الطلاق، وكثر أولاد الزنا، وظهر القينات والمعازف، وتداعى علينا الأُمم كما تداعى الأكلة على القصاع لكراهيّتنا الموت وحبّنا للدنيا، وركبت ذوات الفروج السروج وتغنّوا بالقرآن، وتعلّموه لغير الله واتّخذوه مزامير، وهدر فتيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور، يمسي الرجل مؤمناً، ويصبح كافراً، تحزن ذوات الأولاد وتفرح العواقر[1].

فمتى تطلع شمس الإقبال والسعادة من مشرق بيت الوحي والرسالة والولاية؟ سبحان الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، ما أطول هذا العناء، وأبعد هذا الرجاء، فالله أكبر الذي جعل لكلّ عسر يسراً، ولكلّ ضيق رخاءً، ولكل فتنة مخرجاً، ولكلّ شدّة فرجاً.

فلا تيأسوا يا إخواني من روح الله، إنّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون، ولا تحسبوا قوّة الظالمين وسلطة الكافرين شيئاً، فإنّهم على شفا حفرة الهلاك والدمار، وعن قريب يزول ملكهم، ويبور سعيهم.

---

(١) راجع إلى منتخب الأثر: ٤٢٤ الباب الثاني، فيه روايات تدلّ على الفتن والبدع الّذي تظهر قبل خروجه عليه السلام.

وإن أمعنت النظر يا أخي في الكلمات المرويّة عن إمام المتقين علي عليه السلام المتعلقة بالملاحم والفتن والفساد وعلامات الظهور، ومسؤوليّتك أمام هذه الظواهر، زاد رجاؤك بالمستقبل الزاهر، وبعدُ عنك اليأس والكسل، وليبعثك النشاط والأمل إلى السعي والعمل، ولأدّيت واجبك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعرفت مسؤوليّاتك وما أنت مسؤول عنه قبال دينك وكتاب دينك وأحكامه، ولعرفت أنّ الّذي خلق العباد لا يهملهم سدىً، ولا يتركهم في تيّار هذه الخسائر والمهالك، وأنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً.

وتعرف أنّ البشريّة ليست محكوماً عليها بالبؤس والشقاء والظلم وأنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين.

فالله لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين حيث يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾[١].

وقال تعالى جدّه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٢].

وقال عزّ اسمه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤﴾[٤].

وقال رسول الله الصادق المصدّق: لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وعدواناً[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يظهر الإسلام، ولا يخلف وعده، وهو على وعده قدير[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) سورة المؤمن، الآية: ٥١.
(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٤.
(٥) المستدرك على الصحيحين: ج٤ ص٥٥٧، منتخب الأثر: ١٤٨ ح١٩.
(٦) منتخب الأثر: ١٤٩ ح٢٣، ١٥٠ ح٢٦، ١٦٩ ح٨٠.

من أُمّتي، يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً(١).

وقال صلى الله عليه وآله: أبشروا بالمهديّ - قالها ثلاثاً - يخرج على حين اختلاف من الناس وزلزال شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملأ قلوب عباده عبادة ويسعهم عدله(٢).

وقال صلى الله عليه وآله: الأئمّة من بعدي إثنا عشر، أوّلهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزَّ وجلَّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها(٣).

وقال صلى الله عليه وآله في حديث أبي سعيد الخدريّ: الأئمّة بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين، والتاسع قائمهم، فطوبى لمن أحبّهم(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: إنّ عليّاً إمام أُمّتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر.

فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري، فقال: يا رسول الله لولدك القائم غيبة؟

قال: إي وربّي ليمحّصنّ الّذين آمنوا ويمحق الكافرين.

يا جابر، إنّ هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، مطويّ من عباد الله وإيّاك والشكّ فيه فإنّ الشكّ في أمر الله عزّ وجلّ كفر(٥).

وقال صلى الله عليه وآله: والّتي نفسي بيده إنّ مهديّ هذه الأُمّة الّذي يصلّي عيسى خلفه منّا ثمّ ضرب يده على منكب الحسين عليه السلام، وقال: مِن هذا، مِن هذا(٦).

وقال أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله: تنقضّ الفتن حتى لا يقول أحد: (لا إله إلا الله) وقال بعضهم: لا يقال (الله الله) ثمّ ضرب يعسوب الدين بذنبه ثمّ يبعث الله قوماً كقزع الخريف، وإنّي لأعرف اسم أميرهم، ومناخ ركابهم(٧).

وقال عليه السلام: إنّ ابني هذا - يعني الحسين - السيّد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيّكم، يخرج على حين غفلة من الناس، وإماتة الحقّ، وإظهار

(١ - ٢) منتخب الأثر: ١٤٩ ح٢٣، ١٥٠ ح٢٦، ١٦٩ ح٨٠.
(٣) منتخب الأثر: ٥٨ ح٢. (٤) منتخب الأثر: ٨٢ ح٤.
(٥) منتخب الأثر: ١٨٨ ح١. (٦) منتخب الأثر: ١٩٩ ح٣.
(٧) فتن نعيم: ١٧٨ ح٢٤٩، عنه منتخب الأثر: ١٦٢ ح٦٢.

الجور، ويفرح لخروجه أهل السماء وسكّانها - إلى أن قال - يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقال في خطبة من خطبه: وليكوننّ من يخلفني في أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله، قويّ، يحكم بحكم الله، وذلك بعد زمان مكلح مفصح يشتدّ فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء، ويقبل فيه الرشاء - الخطبة[1].

وقال في خطبة أُخرى: فنحن أنوار السماوات والأرض، وسفن النجاة، وفينا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهديّنا تقطع الحجج، فهو خاتم الأئمّة ومنقذ الأُمّة[2].

وقال الإمام السبط الأكبر الحسن المجتبى محدّثاً عن أبيه عليّ بن أبي طالب أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أُمّتي رجل من ولد الحسين يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً[3].

وقال سيّدنا أبو الشهداء وسيّد أهل الإباء أبو عبدالله الحسين عليه السلام:

منّا اثنا عشر أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدين كلّه، ولو كره المشركون، له غيبة يرتدّ فيها قوم، ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون، ويقال لهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

أما إنّ الصابرين في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ[5].

وقال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام في حديث رواه عنه أبو خالد:

تمتّ الغيبة بولّي الله عزَّ وجلَّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمّة بعده يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان، لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف،

(١) منتخب كنز العمال ص٣٤ ج٦، عنه منتخب الأثر: ١٦٢ ح٦٣.
(٢) تذكرة الخواصّ: ١٢٨، عنه منتخب الأثر: ١٤٧ ح١٥.
(٣) دلائل الإمامة: ٢٤٠، عنه منتخب الأثر: ١٩٨ ح٢.
(٤) سورة يونس، الآية: ٤٨.
(٥) كفاية الأثر: ٢٣١، عنه منتخب الأثر: ٢٠٥ ح٤.

أُولئك هم المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزَّ وجلَّ سرّاً وجهراً، وقال: انتظار الفرج من أفضل العمل[١].

وقال الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام **- في حديث -** : إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام لأنّ الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر الثاني هو القائم[٢].

وقال الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحقّ بقيّة الله في الأرض صاحب الزمان، الحديث[٣].

وفي حديث آخر، قال: هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الإماء يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثمّ يظهره الله عزَّ وجلَّ فيفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه فتشرق الأرض بنور ربّها، ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عزَّ وجلَّ إلّا عُبد الله عزَّ وجلَّ فيها، ويكون الدين كلّه لله، ولو كره المشركون[٤].

وقال الإمام أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام **- في حديث -**: القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً، هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون.

ثمّ قال عليه السلام : طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا، والبراءة من أعدائنا، أُولئك منّا ونحن منهم، الحديث.

وقال الإمام أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام **- في حديث -**: الإمام بعدي ابني محمّد، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[٥].

وقال الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام : إنّ القائم منّا هو المهديّ الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والّذي بعث محمّداً بالنبوّة، وخصّنا بالإمامة، إنّه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى

---

(١) كمال الدين: ٣١٩ ح٢، عنه منتخب الأثر: ٢٤٤ ح١.
(٢) كفاية الأثر: ٢٤٨، عنه منتخب الأثر: ١٢٣ ح٣٤.
(٣) كمال الدين: ٣٤٢ ح٢٣، عنه منتخب الأثر: ٢٥٦ ح٥.
(٤) كمال الدين: ٣٤٥ ح٣١، عنه منتخب الأثر: ٢٣٩ ح٤.
(٥) ينابيع المودّة: ٤٥٤، عنه منتخب الأثر: ٢٢١ ح٣.

يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً - إلى أن قال -: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج[١].

وقال الإمام أبو الحسن عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام: الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[٢].

وقال الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام: أما إنّ لولدي غيبةً يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله.

وقال في حديث آخر: أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة[٣].

وممّا وجد بخطّه عليه السلام: أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب، والنبيّ، وساقي الكوثر في مواطن الحساب، ولظى والطامّة الكبرى، ونعيم يوم المآب.

فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوّة والإمامة والكرم، ونحن منار الهدى، والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يغترفون من أنوارنا، ويقتفون آثارنا، وسيظهر الله مهديّنا على الخلق، والسيف المسلول لإظهار الحقّ.

وهذا بخطّ الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأخيراً إن الملاحم والفتن وعلائم الظهور، وأشراط الساعة، وأخبار المهدي، من المواضيع التي اهتم بها علماء الإسلام لأنَّ دراسة الملاحم والفتن والاطلاع عليها، فيها عبرة وعظة كبيرة لجيلنا الحاضر.

فكان هذا الكتاب من علم الإمام علي عليه السلام، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما عرفك يا عليّ حقّ معرفتك إلّا الله وأنا».

فقد قال عليه السلام: «أنا الذي عُلمت علم المنايا والبلايا والقضايا، وفصل الخطاب والانتساب».

وقال عليه السلام: «إنّ في صدري هذا لعلماً جماً، علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، لو أجد له

---

(١) كفاية الأثر: ٢٧٦، عنه منتخب الأثر: ٢٢٣ ح١.
(٢) كفاية الأثر: ٢٨٨، عنه منتخب الأثر: ٢٢٥ ح١.
(٣) منتخب الأثر: ٢٢٦ ح٢ و٣.

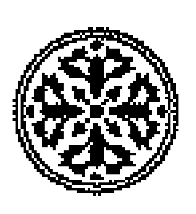
حفظة يرعونه حقّ رعايته ويروونه كما يسمعونه منّي إذاً لأودعتهم بعضه، فعلم به كثيراً من العلم، إنّ العلم مفتاح كلّ باب، وكلّ باب يفتح ألف باب».

ولا شك ولا ريب أنّ الاهتمام بالكتب التي تشدنا وتقربنا من إمامنا صاحب العصر والزمان، والتي تحدثنا عن الملاحم والفتن وما سيحصل، تجسيد عملي لقول نبينا صلى الله عليه وآله: «أفضل أعمال أُمتي انتظار الفرج».

وكانت أهمية هذا الكتاب بما قام به مؤلفه الجليل العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري بشرحه لأحاديث إمامنا العظيم علياً عليه السلام، شرحاً دقيقاً معتمداً على أحاديث أهل البيت عليهم السلام ومستنداً على الشواهد التاريخية والأساليب اللغوية.

هذا غيض من فيض، وقطرة من بحر، وقليل من كثير، ومن سير كتب الأحاديث والجوامع المعتمدة يعرف أن النبيّ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بشّروا الناس بظهور المهديّ عليه السلام في البشائر المؤكّدة الصريحة المتواترة، وأنّ ذلك كان عقيدة السلف من عصر النبيّ والصحابة وقام اتّفاق المسلمين عليه، ولا اعتناء بمناقشة البعض في بعض الخصوصيّات والصفات، لقلّة مصادره أو لبعض الأغراض والدعايات بعد ما ورد فيه من الأحاديث المعيّنة لشخصه وصفاته ونسبه.

محسن عقيل



في أخباره عليه السلام
عن القرآن والإسلام والمساجد

وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ رَسْمُهُ، وَمِنَ الإِسْلامِ إِلاَّ اسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا. يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ. باب الحكم (الحكمة) (٣٦٩)

ماذا يبقى من القرآن ومن الإسلام؟!

«يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه» أي: خطه وكتابته وتلاوته دون العمل.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا والله! لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلى بني أمية أبداً، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك أنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام[1].

وفي (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: من قرأ القرآن ليأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه[2].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده، وأقامه إقامة القدح فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام في مساجده، وتجافى به

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٦٠٠ ح ٨.

(٢) عقاب الأعمال للصدوق: ٣٢٩ ح ١. عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام.

عن فراشه. فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله تعالى من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله تعالى الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر[١].

«**ومن الإسلام إلا اسمه**» في (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله أن الله تعالى خلق الإسلام. فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً. فأما عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا - إلى أن قال - فلو أنّ الرجل من أمّتي عبد الله تعالى عمره أيام الدنيا ثمّ لقي الله تعالى مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلا عن النفاق.

كيف تصبح المساجد؟!

و(فيه) عنه صلى الله عليه وآله: **الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت**[٢].

«**ومساجدهم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (مساجدهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] لأنّ المقام مقام الفصل لا الوصل.

«**يومئذ غامرة**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عامرة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] وبقرينه ما بعده.

«**من البناء خراب من الهدى**» عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يأتي في آخر الزمان ناس من أمّتي يأتون المساجد، فيقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحبّ الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة.

وعنه صلى الله عليه وآله: **لَلْبَغْيُ في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش**[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: **لا تزخرفوا مساجدكم كما زخرفت اليهود والنصارى بيعهم**[٦].

وفي الخبر: إذا قام القائم جعل المساجد جمّاً لا شرف لها كما كانت على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله[٧].

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٦٢٧ ح ١. (٢) الكافي للكليني: ٢: ٤٦ ح ٢ و ٣.
(٣) توجد الواو في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٣.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٣.
(٥) جامع الأخبار للشعيري: ٧٠.
(٦) لب اللباب للراوندي، عنه المستدرك ١: ٢٢٨ باب ١٢ ح ١.
(٧) الغيبة للطوسي: ٢٨٣، والنقل بالمعنى.

وفي الأثر إذا خرج القائم عليه السلام أمر بهدم المنار والمقاصير التي في المساجد[١].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: **إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء - إلى أن قال - وارتفعت الأصوات في المساجد**[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: **لا تقوم الساعة حتى يتبايع الناس في المساجد**[٣].

«**سكانها وعمّارها شر أهل الأرض. منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة**» رووا أنّ المأمون أمر بإشخاص سليمان بن محمّد الخطابي من البصرة وكان إمام مسجدها وكان رأى على سارية منه «رحم الله عليًا إنه كان تقيّاً» فأمر بإزالته، فلمّا مثل بين يديه قال له: أنت القائل «العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، ومسجدي عين المربد، وأنا عين مسجدي» وأنت أعور؟ فإذن عين الدنيا عوراء. قال: لم أقل ذلك، ولا أظنّ أنك أحضرتني لذلك. قال: بلغني أنّك أصبحت فوجدت على سارية من سواري مسجدك «رحم الله عليّاً إنّه كان تقيّاً» فأمرت بمحوه. قال كان «لقد كان نبيّاً» فأمرت بإزالته. فقال له المأمون: كذبت! كانت القاف أصح من عينك الصحيحة. ووالله لولا أن أقيم لك سوقاً عند العامة لأحسنت تأديبك.

«**يردّون من شذّ**» من باب مدّ وفرّ.

«**عنها فيها**» أي: يردّون من تفرّق عن الفتنة فيها كما يردّ الراعي شاة تفرّقت عن الأغنام فيها.

«**ويسوقون من تأخر عنها إليها**» كما يسوق السائق حماراً أو بقراً تأخّر عنهما إليهما، وردّهم كذلك، وسوقهم كذلك لجدّيتهم في رواج الفتنة وصيرورتها معمولاً بها.

وفي (عقاب الأعمال) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمّتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه يسمّون به وهم أبعد الناس منه. مساجدهم عامرة (من البناء) وهي خراب من الهدى. فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظلّ السماء منهم خرجت الفتنة، وإليهم تعود[٤].

---

(١) كشفة الغمة للأربلي، عنه المستدرك ١: ٢٣٠ ح ١، وإثبات الوصية للمسعودي: ٢١٥.
(٢) الخصال للصدوق ٢: ٥٠٠ ح ١.
(٣) لب اللباب للراوندي: عنه المستدرك ١: ٢٣٠ ح ٧.
(٤) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح ٤.

«يقول الله تعالى: فبي حلفت لأبعثنّ إلى أولئك فتنةً أترك الحليم» هكذا في (النسخ)، والصواب: (الحكيم) وقد نسبه ابن ميثم إلى رواية[١].

«فيها حيران» لا يرى وجه خلاص له كلما فكر.

في (عقاب الأعمال) عن الباقر عليه السلام: أن الله تعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من الأنبياء وفيه أن يكون خلقٌ من خلقي يختتلون الدنيا بالدين. يلبسون مسوك الضان على قلوب كقلوب الذئاب. أشدّ مرارة من الصبر، وألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف. فبي يغترّون؟ أم إياي يخادعون؟ أم عليّ يجترئون؟ فبعزّتي حلفت؛ لأبعثنّ عليهم فتنة تطأ في خطامها حتى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحكيم منها حيران فيها، رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم ألبسهم شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض أنتقم من أعدائي بأعدائي فلا أبالي.

النجاة في ألا تخادعوا الله فيخدعكم

وعنه عليه السلام قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله فيم النجاة غداً؟ قال: إنما النجاة في ألا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه وينزع منكم الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر. قيل له: فكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمر الله ثم يريد به غيره فاتقوا الله في الرياء فإنه شرك بالله إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له.

وعن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمّتي زمان تخبث به سرائرهم، وتحسن علانيتهم طمعاً في الدنيا. لا يريدون به ما عند الله عزّ وجلّ يكون أمرهم رياء لا يخالطه خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم.

في جهنم رحىً... ما طحنها؟! وفي النار مدينة... من سكانها؟!

وعنه عليه السلام قال عليّ عليه السلام: إن في جهنّم رحىً تطحن أفلا تسألوني ما طحنها؟ فقيل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟ فقال: العلماء الفجرة، والقرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإنّ في النار لمدينة يُقال لها: الحصينة. أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل له: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ قال: فيها أيدي الناكثين[٢].

---

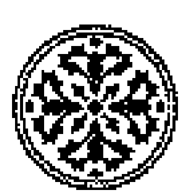
(١) كذا في نهج البلاغة ٤: ٨٨، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٨ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٤.
(٢) عقاب الأعمال: ٣٠١ - ٣٠٤.

وعنهم عليهم السلام يقول عزّ وجلّ: «إذا عصاني من خلقي من يعرفني؛ سلّطت عليه من لا يعرفني»[(١)].

«**وقد فعل**» هكذا في (النسخ)[(٢)]، وكأنه مصحّف «وكذلك يفعل» لأن مقوله تعالى إلى قوله «حيران»، وأمّا هذا فكلامه عليه السلام تصديقاً لقوله تعالى، نظير تصديق الله تعالى لقول ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[(٣)].

«**ونحن نستقيل الله**» أي نطلب تجاوزه.

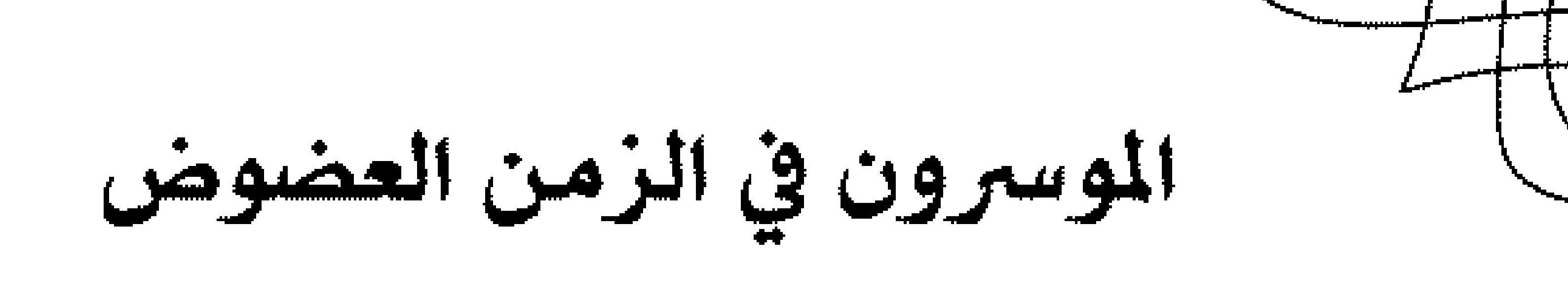
«**عثرة الغفلة**» عنه تعالى حتى لا يجعلنا مثل أولئك.



(١) أخرجه الصدوق في أماليه: ١٩٠ ح ١٢، المجلس ٤٠. عن السجاد عليه السلام والكليني في الكافي ٢: ٢٧٦ ح ٣٠ عن الصادق عليه السلام.

(٢) كذا في نهج البلاغة ٤: ٨٨، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٩ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٤.



الموسرون في الزمن العضوض

وقال عليه السلام: **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ». تَنْهَدُ فِيهِ الأَشْرَارُ، وَتُسْتَذَلُّ الأَخْيَارُ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ.** الحكمة (٤٦٨)

حالة الناس في الزمن العضوض.. وكيفية العمل فيه؟!

أقول: الأصل فيه رواية عيون ابن بابويه عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

وسيأتي زمان يقدّم فيه الأشرار، وينسئ فيه الأخيار، ويبايع المضطر، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطر، وعن بيع الغرر، فاتّقوا الله يا أيّها الناس، وأصلحوا ذات بينكم واحفظوني في أهلي(٢).

ورواه (سنن أبي داود) عن شيخ من بني تميم قال: خطبنا عليّ عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ الموسر على ما في يديه ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ويبايع المضطرون وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن بيع المضطر، وبيع الغرر، وبيع الثمرة قبل أن تدرك(٣).

«**يأتي على الناس زمان عضوض**» أي: زمان يعضّ الناس ككلب كلب. قال ابن أحمر: **[البحر الطويل]**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
(٢) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٤٥ ح ١٦٨ ومسند الرضا عليه السلام فيه: ٤٩٠.
(٣) سنن أبي داود ٣: ٢٥٥ ح ٣٣٨٢.

نـأت عـن سـبـيـل الـخـيـر إلا أقـلّـه وعـضّـت من الشر القراح بِمُعْظَمِ[(١)]

«يعضّ الموسر فيه على ما في يديه» فلا يدع أن يخرج منه خير إلى غيره.

«ولم يؤمر بذلك» (بل بضدّه) قال الله سحبانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[(٢)].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ الشمس لتطلع، ومعها أربعة أملاك. ملك ينادي: يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي: يا صاحب الشرّ انزع وأقصر، وملك ينادي: أعط منفقاً خلفا، وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وعن الصادق عليه السلام: من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة؟ أنفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً.

وعن الرضا عليه السلام قال لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال لا فقال فمن أين يخلف الله علينا. أنفق ولو درهماً واحداً.

وعنه عليه السلام كتب إلى ابنه الجواد عليه السلام بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير. فإنّما ذلك من بخل منهم لئلّا ينال منك أحد خيراً، وأسألك بحقّي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير. فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضّة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين ديناراً، والكثير إليك، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك. إني إنما أريد بذلك أن يرفعك الله فأنفق، ولا تخش من ذي العرش إقتاراً[(٣)].

ذمّ الشُّح

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: ما محق الإسلام محق الشحّ شيء. إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل، وشعباً كشعب الشرك - وفي نسخة - (الشوك)[(٤)].

وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنّي شيخ كثير العيال قليل المال فنظر صلى الله عليه وآله إلى أصحابه وقال: قد أسمعنا. فقام رجل وقال: كنت بالأمس مثلك. فذهب به إلى منزله فأعطاه مروداً من تبر، وكانوا يتبايعون بالذهب والفضة. فقال: هذا

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٣٠٥، مادة (عضّ).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
(٣) الكافي للكليني ٤: ٤٢ - ٤٤ ح ١، ٥، ٩، ١٠.
(٤) الكافي للكليني ٤: ٤٥ ح ٥.

كلّه؟ قال: نعم. قال: خذ تبرك. إنّي لست بإنسي ولا جنّي ولكنّي رسول من الله لأبلوك. فوجدتك شاكراً جزاك الله خيراً(١).

«تنهد» أي: تنهض وتقوم.

«**فيه الأشرار وتستذل الأخيار**» في (العقد الفريد): دفع الحجاج إلى محمد بن المنتشر الهمداني رجلاً ذمّياً، وأمره بالتشديد عليه، والاستخراج منه. قال: فقال لي: إنّ لك لشرفاً وديناً وإنّي لا أعطي على القسر شيئاً فارفق بي. ففعلت. فأدّى إليّ في أسبوع خمسماءة ألف. فبلغ ذلك الحجاج. فأغضبه فانتزعه من يدي، ودفعه إلى الذي كان يتولى له العذاب. فدقّ يديه ورجليه. فلم يعطه شيئاً، وإني لسائر يوماً في السوق إذ صاح بي صائح. فالتفتّ فإذا أنابه معترضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين.

فقال لي: إنّك وليت منّي ما ولي هؤلاء. فرفقت بي، وإنهم صنعوا بي ما ترى ولي خمسماءة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت إليّ. فقلت: ما كنت لآخذ منك شيئاً.

قال: فأمّا إذا أبيت فاسمع مني حديثاً أُحدّثك به حدّثنيه بعض أهل دينك عن نبيّك أنه قال: إذا رضي الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته، وجعل المال في سمحائهم، واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته، وجعل الماس في بخلائهم، واستعمل عليهم شرارهم. فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأتيته فألفيته جالساً على فراشه، والسيف مصلت بيده.

فقال لي: ادنُ. فدنوت شيئاً ثم قال لي الثانية: ادن لا أباً لك. فقلت: ما بي إلى الدنوّ من حاجة، وفي يد الأمير ما أرى فضحك وأغمد سيفه. وقال: اجلس! ما كان من حديث الخبيث. فقلت له: أيّها الأمير! والله ما خنتك منذ ائتمنتني. ثم حدّثته فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال أعرض عنّي بوجهه، وأومأ إليّ أن لا تسمّه: ثم قال: إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث(٢).

نهي عن بيع المضطرين

«**ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله** عن بيع المضطرين» عقد الشيخ في (الاستبصار) باباً لكراهية مبايعة المضطر، ثم روى خبراً عن الصادق عليه السلام قال: «يأتي على الناس زمان عضوض يعضّ كل امرىء على ما في يديه، وينسى الفضل، وقد قال

(١) الكافي للكليني ٤: ٤٨ ح ١١، والنقل بتصرف يسير.
(٢) العقد الفريد ٥: ٢٦٦، والنقل بتصرف يسير.

تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[١] ثم ينبري في ذلك الزمان أقوام يبايعون المضطرين أولئك هم شرار الناس».

وروى خبراً آخر أنه قيل للصادق: إن الناس يزعمون أنّ الربح على المضطر حرام، وهو من الربا. فقال: وهل رأيت أحداً اشترى غنياً أو فقيراً إلا من ضرورة قد أحلّ الله البيع، وحرّم الربا بع واربح ولا ترب....

ثم قال: لا تنافي بينهما. فالمضطر الذي في الخبر الأول محمول على المضطر الذي يضطرّه غيره إلى البيع بالجبر والإكراه، وفي الخبر الثاني محمول على الذي تضطره حاجته لا غيره[٢].

قلت: بل المضطر في الخبر الأول محمول بقرينة صدره على عدم تفضل الموسرين على المعسرين حتى يضطر المعسرون إلى بيع نفائسهم بأقل ثمن، ومثله كلامه عليه السلام فإنّ الأصل فيهما واحد.

وكلام آخرهم عليهم السلام ككلام أوّلهم لا ما قاله من أنّه في ما أجبره جبار، والخبر الثاني مورده أنّ كلّ من يشتري شيئاً لا بد أنه كان محتاجاً إلى ذاك الشيء. فلا بأس أن يأخذ البائع ربحاً بدون ربا لا كما يتوهمه بعض القاصرين من المتصوّفين من حرمة أخذ الربح من كلّ مشتر.

ويوضح كون المراد من الخبر الأول ما قلناه. ما رواه (الكافي): أنّ رجلاً قال لأبي عبد الله عليه السلام: إني رأيت في منامي كأنّي خارج من الكوفة في موضع أعرفه، وكأنّ شبحاً من خشب - أو رجلاً منحوتاً من خشب - على فرس من خشب يلوّح بسيفه، وأنا أشاهده فزعاً مرعوباً. فقال له عليه السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته. فاتّق الله الذي خلقك ثم يميتك.

فقال الرجل: أشهد أنّك أُوتيت علماً. إنّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليّ ضيعته فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنه ليس لها طالب غيري.

فقال له عليه السلام: وصاحبك يتولّانا ويتبرّأ من أعدائنا؟

فقال: نعم. رجل جيّد البصيرة، مستحكم الدين، وأنا تائب إلى الله تعالى وإليك مما هممت به. فأخبرني لو كان ناصباً أيحلّ لي اغتياله.

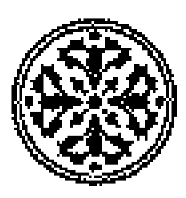
---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٢) كذا قال في الاستبصار ٣: ٧١ و ٧٢ والنقل بتصرف يسير.

فقال: أدّ الأمانة إلى من ائتمنك وأراد منك النصيحة، ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام [١].

هذا، وروى زيادات (حج التهذيب) عن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يأتي على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهة، وحجّ الأغنياء تجارة، وحجّ المساكين مسألة[٢].



(١) الكافي للكليني ٨: ٢٩٣ ح ٤٤٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) التهذيب للطوسي ٥: ٤٦٢ ح ٢٥٩.

عليّ عليه السلام على منبر الكوفة يقول: سلوني.. ويخبر عن المستقبل

ومن خطبة له عليه السلام: أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، والثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا. فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤولِينَ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيْقاً، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ. الخطبة (٩١)

سلوني قبل أن تفقدوني

أقول: قال ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهي متداولة منقول مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي(١)....

وفي (إرشاد المفيد) أبو بكر محمد بن المظفر البزاز، عن أبي مالك كثير بن يحيى، عن محمّد بن أبي السري، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكناني، عن الأصبغ قال: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتمّاً بعمامة الرسول صلى الله عليه وآله لابساً بردته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكّناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرّته.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٧٨.

ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني. سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم - إلى أن قال - .

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو سألتموني عن أية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامها، ومحكمها من متشابهها ومكّيّها من مدنيّها، والله ما من فئة تضلّ أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها، وسائقها، وناعقها إلى يوم القيامة(١).

وروى في (أماليه) مسنداً عن الأعمش، عن عباية بن ربعي قال: كان علي عليه السلام كثيراً ما يقول: سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مئة أو تهدي مئة إلا وأنا أعلم قائدها، وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»(٢).

وروى الصفار في (بصائره) عن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على هذا المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، والله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مئة أو تهدي مئة إلا وقد عرفت قائدها وسائقها وقد أخبرت بهذا رجلاً من أهل بيتي يخبرها كبيرهم لصغيرهم إلى أن تقوم الساعة(٣).

النبي صلى الله عليه وآله يخبر علياً عليه السلام عمّا يجري عليه وعلى ذريته من بعده

وروى ابن عقدة - كما في (غيبة النعماني) - عن أحمد بن محمد الدينوري، عن علي بن الحسن الكوفي، عن عميرة بنت دوس، عن جدّها الخضر بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جدّه عمر بن سعيد قال: قال عليّ عليه السلام يوماً لحذيفة: لا تحدّث الناس بما لا يعرفون فيكفروا. إن من العلم صعباً شديداً محمله لو حملته الجبال عجزت عن حمله - إلى أن قال - يا بن اليمان! إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تفل في فمي، وأمرّ يده على صدري، وقال: اللهمّ أعط خليفتي، ووصيّي، وقاضي ديني ومنجز وعدي وأمانتي ووليّي في حوضي، وناصري على عدوّك وعدوّي، ومفرّج الكرب عن وجهي؛ ما أعطيت آدم من العلم، ونوحاً من الحلم، وإبراهيم من العترة الطيبة والسماحة، وأيوب من الصبر عند البلاء، وداود من الشدّة عند منازلة الأقران، وسليمان من الفهم. اللهمّ لا تُخفِ على عليّ شيئاً من الدنيا

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٣.
(٢) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ١ : ٥٨، جزء ٢، عن طريق المفيد لكن لم يجيء في أمالي المفيد.
(٣) البصائر: ٣١٩ ح ١٣.

حتى تجعلها كلّها بين عينيه، مثل المائدة الصغيرة بين يديه. اللهمّ أعطه حلاوة موسى، واجعله في نسله شبيه عيسى. اللهمّ إنك خلقتني عليه، وعلى عترته، وذرّيته الطيبة المطهرة التي أذهبت عنها الرجس والنجس، وصرفت عنها ملامسة الشيطان. اللهمّ إن بغت قريش عليه، وقدّمت غيره عليه؛ فاجعله بمنزلة هارون من موسى إذا غاب عنه موسى.

ثم قال: يا عليّ! كم في ولدك من ولد فاضل يقتل والناس قيام ينظرون لا يغيّرون. إنّ القاتل والآمر والشاهد الذي لا يغيّر؛ كلهم في الإثم واللعان مشتركون.

يا بن اليمان! إن قريش لا تشرح صدورها، ولا ترضى قلوبها، ولا تجري ألسنتها ببيعة عليّ وموالاته إلا على الكره والعمى.

يا بن اليمان! ستبايع قريش علياً ثم تنكث عليه وتحاربه وتناضله وترميه بالعظائم، وبعد عليّ يلي الحسن، وسينكث عليه. ثم يلي الحسين فتقتله فلعنت أُمّة تقتل ابن بنت نبيّها، ولا تعزّ من أمّة، ولعن القائد لها، والمرتّب لفاسقها.

والذي نفس عليّ بيده لا تزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلالة وظلمة وجور، واختلاف في الدين، وتبديل لما أنزل الله تعالى في كتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، وترك محكمات حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى. ما لكم يا بني أمية؟ لا هديتم يا بني أمية! وما لكم يا بني فلان؟ لكم الإتعاس. فما في بني فلان إلا ظالم معتد متمرّد على الله بالمعاصي، قتّال لولدك، هتّاك لستر حرمتي. فلا تزال هذه الأُمة جبّارين يتكالبون على حرام الدنيا منغمس في بحار الهلكات، وفي أودية الدماء؛ حتى إذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس، وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته؛ أطلعت الفتنة، ونزلت البلية، والتحمت العصبية، وغلا الناس في دينهم، وأجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة والإمامة باطلة، وتحجّ حجيج الناس في تلك السنة من شيعة عليٍّ وتواصيهم التمكن والتجسس عن خلف الخلفاء؛ فلا يرى له أثر. فعند ذلك سُبّت شيعة علي. سبّها أعداؤها، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها، حتى إذا بقيت الأُمة، وتدلّهت وأكثرت في قولها إنّ الحجّة هالكة، والإمامة باطلة. فوربّ علي إن حجّتها عليها قائمة ماشية في طرقاتها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق الأرض وغربها، تسمع الكلام وتسلّم على الجماعة، تَرى ولا تُرى إلى الوقت والوعد، ونداء المنادي من السماء(١).

---

(١) الغيبة للنعماني: ٩٣، والنقل بتصرف يسير.

خطبته عليه السلام في النهروان وإخباره بأنه مقتول

وفي أول (غارات الثقفي) عن إسماعيل بن أبان، عن عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد، عن المنصور بن عمرو، عن زرّ بن حبيش، وعن أحمد بن عمران الأنصاري عن أبيه، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو عن زرّ قال: خطب عليّ عليه السلام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس! أمّا بعد؛ فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن أحد ليجترئ عليها غيري.

وفي حديث ابن أبي ليلى: «لم يكن ليفقأها أحد غيري».

- إلى أن قال - سلوني قبل أن تفقدوني، إنّي ميت أو مقتول بل قتلاً ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم - وضرب بيده إلى لحيته - والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تضلّ مئة، أو تهدي مئة إلا نبّأتكم بناعقها وسائقها.

فقام إليه رجل. فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء. قال عليه السلام: إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سئل مسؤول فليتثبّت. ألا وإنّ من ورائكم أموراً أتتكم جللاً مزوجاً، وبلاءً مكلحاً مبلحاً. والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة أن لو فقدتموني، ونزلت كرائه الأمور، وحقائق البلاء. لقد أطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق، وكانت الدنيا بلاء عليكم، على أهل بيتي حتى يفتح الله لبقية الأبرار - الخبر(١).

«**أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة**» في (القاموس): فقأ عين والبثرة ونحوهما كمنع: كسرها أو قلعها أو بخقها كفقئها(٢).

والمراد فقؤه عليه السلام عين فتنة: الجمل، وصفين، والنهروان.

هذا، وكانت العرب إذا بلغت إبلهم ألفاً فقؤوا عين الفحل فإن زادت فقأُوا الأخرى. فذلك المقفّى والمعمّى، وكانوا يفتخرون بذلك قال: **[البحر الطويل]**

فقأت لها عين الفحيل تعيُّفا وفيهن رعلاء المسامع وَالْحَامِ

أيضاً: **[مجزوء البحر الرجز]**

وهب لنا وأنت ذو امتنان يُفقأُ فيها أعين البعران

---

(١) الغارات للثقفي ١: ٢.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ١: ٢٣، مادة (فقأ).

كيف فقأ علي عليه السلام عين الفتنة؟!

قالوا: كان عامر بن الطفيل يوم فيف الريح (اسم مكان كان به الوقعة) يتعهد الناس فيقول: يا فلان! ما رأيتك فعلت شيئاً. فمن أبلى فليُرني سيفه أو رمحه، فكان كلّ من أبلى بلاءً حسناً أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه. فأتاه رجل من العدوّ. فقال: انظر ما صنعت بالقوم! انظر إلى رمحي. فلما أقبل عليه لينظر وجاه بالرمح في وجنته ففلقها وفقأ عينه، وترك رمحه وعاد إلى قومه. دعاه إلى ذلك ما رآه يفعل بقومه. فقال: هذا والله مبير قومي. وفقأ رجل عين آخر بحديدة محماة. فسمّي بنوه بني سمّال.

وفي (العقد) من نوكي الأشراف عجل بن لجيم؛ أرسل ابنه فرساً في حلبة فجاء سابقاً. فقال له: يا أبه! ما ترى أسمّيه؟ قال: افقأ إحدى عينيه، وسمّه الأعور. قال الشاعر: **(البحر الطويل)**

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... أيّ عباد الله أنوك من عِجْلِ
أليس أبوهم عارَ عين جواده ... أضحت به الأمثال تضرب في الْجَهْلِ[1]

«**ولم تكن ليجرؤ**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ليجترئ) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)، وكما مرّ عن الثقفي[2].

«**عليها أحدٌ غيري**» لعدم علمهم بقتال أهل القبلة. قال الصادق عليه السلام: لو لم يقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام لم يدر أحد بعده كيف يسير فيهم[3].

وفي (المناقب): إنّ لمحمد بن الحسن الفقيه كتاباً يشتمل على ثلاثماءة مسألة في قتال أهل البغي بناءً على فعل عليّ عليه السلام [4].

وقتل عليه السلام في صفين المقبل والمدبر، وأجهز على الجريح لكون قائدهم معاوية باقياً وقال عليه السلام يوم الجمل بعد قتل طلحة والزبير: لا تتبعوا مولّياً، ولا تجهزوا على جريح[5].

---

(١) العقد الفريد ٧: ١٤٩، والنقل بتصرف يسير.
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٧٣، والغارات ١: ٦. لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٧ مثل المصرية.
(٣) التهذيب للطوسي ٦: ١٤٥ ح ٥.
(٤) مناقب السروي ٢: ٤٤.
(٥) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٥١٨ و ٥٤٥، لسنة ٣٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٢٦٢، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٧٧ وغيرهم.

بهتان ابن أبي الحديد في علي عليه السلام والحسن عليه السلام

ثم مراده عليه السلام بقوله «ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري» من باقي الناس، لا أهل بيته. فأهل بيته عليهم السلام مثله.

ومما ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد: لولا أنّه عليه السلام اجترأ على سلّ السيف فيها ما أقدم أحد عليه! حتى الحسن عليه السلام ابنه أشار عليه ألّا يبرح عرصة المدينة، ونهاه عن المسير إلى البصرة حتى قال له منكراً عليه إنكاره، ولا تزال تحنّ حنين الأمة، وقد روى ابن هلال أنه كلّم أباه في قتال أهل البصرة بكلام أغضبه. فرماه ببيضة حديد عقرت ساقه فعولج منها شهرين...[1]؛ غلط، وخبراه من الروايات المجعولة من العامة. وكيف يعقل اعتراض من شهد القرآن بعصمته في صغره في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، ومن باهل به النبيّ صلى الله عليه وآله في صباه في قوله جلّ وعلا: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ...﴾[3] في كبره على أمير المؤمنين عليه السلام.

ولو أغمضنا عن ذلك كيف يمكن أن يخفى على الحسن عليه السلام وجه الحكمة في وجوب قتال الناكثين لبيعة أبيه والمفسدين في الأرض؟ أما كان سمع قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[4] وكان تركهم خلاف الشريعة والسياسة؟

ثم كيف يفعل مثل أمير المؤمنين عليه السلام ما نسبه إليه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال ابن أبي الحديد من الخطبة مما لم ينقله الرضي قوله عليه السلام: «ولم لم أك فيكم لما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان» ولم يذكر عليه السلام صفين. قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الالتباس، لأنّ طلحة والزبير موعودان بالجنة، وعائشة موعودة أن تكون زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الآخرة كما هي زوجته في الدنيا، وحال طلحة والزبير في السبق والجهاد والهجرة معلومة وحال عائشة في محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لها وثناؤه عليها، ونزول القرآن فيها معلوم.

وأما أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا وإقبال على أمور الآخرة، وهم كانوا قرّاء أهل العراق وزهّادها.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

أهل الجمل وصفين والنهروان في الانحراف سواء

وأما معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص، ومن اتّبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم (كأهل الجمل والنهروان)(١).

قلت: كلامه كلّه خبط في خبط. ففيه أولاً: من أين أنّه عليه السلام اقتصر على ما قال. فقد نقل (البحار) عن (غارات الثقفي) أنه قال: لو لم أكن فيكم ما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفين، ولا أهل النهروان(٢).

وكذلك رواه ابن ميثم فقال: قال عليه السلام: «أما بعد؛ فأنا فقأت عين الفتنة شرقيّها وغربيّها، ومنافقها ومارقها، لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم أكن لما قوتل أصحاب الجمل ولا صفين ولا أصحاب النهروان(٣).

وثانياً: إن جمعاً من الأجلّاء عندهم كابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص - وهو عندهم من العشرة وهو من الستة - استشكلوا في قتال أهل صفين وكانوا من القاعدين.

وثالثاً: إنّ زهادهم وقرّاءهم، وفي رأسهم ربيع بن خثيم استشكلوا في قتال معاوية. فروى (صفين نصر بن مزاحم): أنه عليه السلام لما ندب الناس إلى حرب معاوية أتاه جمع من أصحاب عبد الله ابن مسعود منهم ربيع بن خثيم، وهم يومئذ أربعمائة رجل. فقالوا: إنّا قد شككنا في هذا القتال، ولا غنىً بك ولا بنا ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدوّ من الكفّار، فولّنا بعض الثغور. فوجّه الربيع على ثغر الري(٤).

وروى أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال): أنّ جلّ الناس أجاب عليّاً عليه السلام إلى المسير إلى الشام إلا أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني وربيع بن خثيم في نحو من أربعماءَة رجل من القرّاء. فقالوا: يا أمير المؤمنين! قد شككنا في هذا القتال، فولّنا بعض هذه الثغور. فولّاهم ثغر قزوين والري، وولّى عليهم الربيع، وعقد له لواءً وكان أول لواء عقد بالكوفة(٥).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.
(٢) الغارات للثقفي ١: ٧ و ١٦. وعنه فتن البحار للمجلسي: ٦٧١.
(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٩.
(٤) وقعة صفين: ١١٥، والنقل بتصرف يسير.
(٥) رواه الدينوري في الأخبار الطوال: ١٧٦. وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٥، النقل بتلخيص.

وكيف لا يستشكون في قتال معاوية، وقد سمّو قيامه عليه السلام فتنة. فروى (استيعاب أبي عمرو) هو من كتبهم المعتبرة في أسامة أنّ عليّ بن حشرم قال: قلت لوكيع: من سلم من الفتنة؟ قال: أمّا المعروفون من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فأربعة: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد واحتلط سائرهم قال: ولم يشهد أمرهم من التابعين أربعة: الرفيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو عبد الرحمن السلمي(١).

وروى نصر بن مزاحم أنه عليه السلام لما حرّض الناس لقتال أهل الشام، وقال: «سيروا إلى أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار» فقام رجل من بني فزارة يُقال له: أربد. فقال: أتريد أن تسيّرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة(٢). . . .

وروى المفيد عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن علي عليه السلام فقال له ابن عباس: إنّ عليّاً عليه السلام صلّى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلم، ولا قدح. ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حملة سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة. فقتل بها أربعين ألفاً ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب. فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثمّ أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

وفي آخره: قال له ابن عباس: وعِلْمُ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله كلهم في علم عليّ عليه السلام كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر(٣).

عجباً لقوم يكبرون سبَّ معاوية ويسكتون عند سبّ علي عليه السلام

وقال المسعودي في (مروجه): نادى منادي المأمون في سنة (٢١٢) أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر. فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامّة فأشير عليه بترك ذلك فأعرض عمّا كان همّ به(٤).

(١) الاستيعاب ١: ٥٩.
(٢) وقعة صفين: ٩٤.
(٣) رواه المفيد في أماليه: ٢٣٥ ح ٦، المجلس ٢٧.
(٤) مروج الذهب ٣: ٤٥٤ و ٤٥٥.

قلت: لم يكبر أولئك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بنص القرآن[١] ثمانين سنة، وأكبروا سبّ معاوية وهو عدوّ الله وعدوّ رسوله ساعة.

وروى الآبي عن العلاء بن صاعد قال: لما حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله. فلما صار بباب الطاق صاح قوم: «رحم الله معاوية» وزاد حتى علت أصوات العامة. فتغيّر وجه المعتضد، وقال: ما أعجب هذا، وما الذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت. والله لقد بلغ أبي إلى الموت، وما أفلتّ أنا إلا بعد مشارفة الموت، ولقينا كلّ بلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنّا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العباس، وعبد الله بن العباس، ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحّم على عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين[٢]. . . .

وكيف جعل ابن أبي الحديد أمر معاوية عندهم ميتاً وقد أخذوا دينهم عنه، وكان عندهم ستر أبي بكر وعمر، ومن طعن فيه طعن فيهما كما صرّح بذلك الخطيب[٣].

مع أن معاوية وإن كان فاسقاً مشهوراً إلا أن طلحة والزبير بايعا أمير المؤمنين عليه السلام ثم نكثا بيعته ومعاوية لم يبايع حتى ينكث، وعائشة وطلحة والزبير خرجوا للطلب بدم عثمان وهم قتلوه وحرّضوا الناس على قتله، وقد قتل مروان طلحة مع كونه في عسكره أخذاً منه بثأر عثمان، ومعاوية لم يكن ذلك، ولو فرض براءتهم من دم عثمان مع أنّ كونهم من الدخيلين في دمه كان أمراً واضحاً لا يستطيعون إنكاره، فلم يكونوا من عشيرة عثمان، ولا من أوصيائه حتى يطالبوا بدمه.

وأما معاوية فكان ابن عثمان، ويجتمعان في أميّة، وقد جعل عثمان إليه الطلب بدمه، وكان عندهم خليفة وإمامهم الثالث، وكان معاوية والياً من قبله، وقَبْله من قِبَلِ عمر، وكانوا ينفذون أحكام عمر حتى في قبال حكم النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمر (ص) بقتل معاوية إذا رأوه على منبره[٤]، فأراد رجل سمع ذلك قتله. فقالوا له: هو خليفة عمر. فقال: سمعاً وطاعة لعمر.

---

(١) استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].
(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٤٠، شرح الخطبة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.
(٣) تاريخ بغداد ١: ٢٠٩.
(٤) هذا الحديث أخرجه جمع منهم ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٦ و ٢٢١ وابن أبي شيبة في مسنده (عنه المطالب العالية ٤: ٣١٣ح ٤٤٩٩) والطبري في تاريخه ٨: ١٨٦، لسنة ٢٨٤) وعباد العصفري في اصله: ١٩.

وحتى كانوا ينفذون أمر عمر في قتل أمير المؤمنين الذي هو بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن لو خالف أمره. فقال أبو طلحة الأنصاري يوم الشورى له عليه السلام «إن لم تقبل حكمية ابن عمر لنقتلنّك كما أمر عمر»(١).

فكان أمر طلحة والزبير وعائشة - وإن كانوا في نفوسهم أجلّ من معاوية - أوضح بطلاناً حيث كانوا هم القاتلين، وطلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه كان أبرأ منهم، وإنما كان عليه السلام قد آوى قتلته وكانوا شيعته، وهذا دليل على رضاه عليه السلام بقتله وهو غير دخالته.

وأما ما ذكره من أنّ الزبير وطلحة كانا موعودين بالجنة فعجب! فمن أراد أن يتفلسف لم يتمسك إلا بأمور معلومة، ولو فرض صحّة هذه الرواية كان دليلاً على بطلان الإسلام حيث لم تجوّز العقول أن يكون الرسول من الله يخبر - من يصدر منه الخروج على الإمام، ويفسد في الأرض ويسفك دماء آلاف من المسلمين بغير حقّ - بأنّه من أهل الجنة.

والعجب من إخواننا يسقطون اسم مالك بن نويرة من الصحابة، ومن المسلمين لكونه قال لخالد بن الوليد، صاحبك فعل كذا.

فقتله خالد بذلك مؤمناً ظلماً وغدراً كما اعترف به فاروقهم ويجعلون الرجلين مع إحداثهما تلك وإرادتهما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وهو بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله والحسنين عليهما السلام وهما سيّدا شباب أهل الجنة، وإن لم يتمكّنا من ذلك؛ من أهل الجنة.

وماذا عن عائشة!

وما ذكره من كون عائشة موعودة بكونها زوجة النبي في الآخرة مضحك فإنهم وضعوا ذلك في قبال ما روت الإمامية أن النبيّ صلى الله عليه وآله فوّض إلى أمير المؤمنين عليه السلام طلاقها في الدنيا منه صلى الله عليه وآله إن عصته عليه السلام ورواه ابن أعثم الكوفي منهم(٢).

وكيف تكون زوجته في الآخرة وقد أوصت ألا تدفن عند النبيّ صلى الله عليه وآله لاستحيائها منه لإحداثها.

وأعجب منه قوله «من كون نزول القرآن فيها معلوماً» ففرعون والشيطان نزول القرآن

(١) تهديد أبي طلحة رواه جمع منهم: البلاذري في أنساب الأشرف ٥: ٢١، والجوهري في السقيفة: ٨٤، لكن المضمون المشهور غير هذا.
(٢) الفتوح لابن أعثم ٢: ٣٤٠.

فيهما أيضاً معلوم وليته استحيا ولم يذكر ذلك، ولم يذكّر من غفل عن ذلك. فإن القرآن الذي نزل فيها آيات منها ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾(١) ومنها ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾(٢) يقول الله تعالى: من أتت من أزواج نبيّه ﷺ بفاحشة مبيّنة كالخروج على خليفة الرسول ﷺ وقتل المؤمنين تعمّداً يضاعف لها العذاب بالنسبة إلى باقي الناس لو فعلوا ما فعلت، ويقول إخواننا: إنها تصير بذلك قرينة نبيّه في الجنة، ويقول تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٣) ويكون هذا من فعله تعالى على إخواننا عظيماً، ويأتي باقي آياتها.

وأما قول ابن أبي الحديد: «وحال عائشة في محبّة الرسول ﷺ لها وثناؤه عليها معلومة» فكيف لا يستحي من التفوّه بذلك، وقد قال تعالى مخاطباً لها ولصاحبتها بنت فاروقهم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾(٤).

فأيُّ عدوّ للنبيّ ﷺ أعدى منهما حتى يكون الله تعالى وجبرائل وصالح المؤمنين - أي أمير المؤمنين عليه السلام - مولاه والملائكة بعد ذلك ظهير لنبيّه ﷺ في قبالهما.

لكنّ الأصل في قوله محبّة النبيّ ﷺ لها فاروقهم لما أراد أن يعطيها من بيت المال وحقوق المسلمين أكثر من حقها خلافاً على الله ورسوله، وشكراً لها على مساعدتها له وصاحبه صدّيقهم في مرض موت النبيّ ﷺ، فإنه لولاها لما تمّ أمرهما من صلاة أبي بكر بالناس فيجعله عمر دليلاً على استخلافه. فاعتذر عمر لعمله بأنّ النبيّ كان يحبّها.

وقد ضرب الله تعالى لهما المثل بالكفار فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾(٥) إلا أن ذلك من فساد المبنى. فالمساكين لا يدرون ما يقولون.

كفر القوم وربّ الكعبة

وعن الأصبغ قال: كنت واقفاً مع عليّ عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه. فقال: كبّر القوم، وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم وصلّينا فعلام نقاتلهم؟

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٠.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٤.
(٥) سورة التحريم، الآية: ١٠.

فقال عليّ عليه السلام على ما أنزل الله تعالى في كتابه. فقال: الرجل ليس كل ما أنزل الله أعلمه فعلمنيه.

فقال عليّ عليه السلام: ما أنزل في سورة البقرة. فقال الرجل: ليس كلّ ما أنزل في تلك السورة أعلمه. فقال عليه السلام ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ - إلى - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾(١) فنحن الذين آمنّا، وهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قتل(٢).

«**بعد أن ماج غيهبها**» قال ابن دريد في (الجمهرة): «غيهب ثقيل وخم وكساء غيهب: كثير الصوف» و«الغيهب: سواد الليل»(٣).

والمراد هنا الأخير.

«**واشتد كلبها**» بولاية عثمان، وتصدّي بني أمية للأمور.

«**فاسألوني قبل أن تفقدوني**» قال لبيد: **[البحر الرمل]**

فـي مـقـام ضـيّـق فـرّجـتـه ... بـبـيـان ولـسـان وَجَـدَلْ
لـو يـقـوم الـفـيـل أو فـيّـالـه ... زلّ عـن مـثـل مـقـامـي وَزَحَـلْ

في (صاحبي ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية):

قال عليّ - صلوات الله عليه - والمهاجرون والأنصار متوافرون: سلوني فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟ وحتى قال - صلوات الله عليه - وأشار إلى ابنيه - يا قوم استنبطوا منّي ومن هذين علم ما مضى وما يكون(٤).

هذا، وفي (تاريخ بغداد): قال مقاتل يوماً: سلوني عمّا دون العرش. فقام قيس القيّاس فقال: من حلق رأس آدم في حجّته. فبقي لا يدري ما يقول(٥).

وكثر المدّعون لكلمة سلوني منهم قتادة

وفي (الكشاف): دخل قتادة الكوفة. فقال: اسألوني عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو إذن غلام حدث فقال: اسألوه عن نملة سليمان أكان ذكراً أم أنثى؟ فسألوه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٣٢٢، والنقل بتصرف يسير والواقعة في حرف صفين لا الجمل.
(٣) جمهرة اللغة ٣: ٣٥٧ و ١: ٣١٩.
(٤) الصاحبي: ٧٩.
(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ١٦٦، والنقل بتصرف يسير.

فلم يجب. فقال أبو حنيفة: كانت أنثى. فقيل له: بم عرفت؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾[١] ولو كان ذكراً لقال قال نملة فلفظ النملة تقع على الذكر والأنثى كلفظ الحمامة والشاة وإنما يميّز بينهما بعلامة التأنيث[٢].

قلت: من أين أنّه ليس تاء الوحدة وفي (حيوان الدميري): كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب. فمضى يوماً ليسمع المغازي وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أياماً. فلمّا آتاه قال له يا أبا يوسف! من كان صاحب راية جالوت. فقال له أبو يوسف: إنك إمام، وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس الناس أيّما كان أول وقعة بدر أو أُحد؟ فإنك لا تدري ذلك، وهي أهون مسائل التاريخ. فأمسك عنه[٣].

وإبراهيم بن هشام يقول في مِنى... سلوني؟!!

وفي (تاريخ الطبري): خطب إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام - وهو وال على الحجاز من قبله - في سنة (. .) بمنى. فقال: سلوني فأنا ابن الوحيد لا تسألون أحداً أعلم منّي. فقام إليه رجل من أهل العراق. فسأله عن الأضحية أواجبة هي أم لا؟ فما درى أيّ شيء يقول له. فنزل[٤].

ومقاتل بن سليمان يتطاول ويقول سلوني؟!!

وفي (العقد): قال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبّهة العلم سلوني عمّا تحت العرش إلى أسفل من الثرى. فقام إليه رجل. فقال: ما نسألك عمّا تحت العرش ولا أسفل الثرى، ولكن نسألك عمّا كان في الأرض، وذكره الله في كتابه؛ أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه. فأفحمه[٥].

وابن الجوزي يقولها أيضاً؟!!

وقالوا: قال ابن الجوزي يوماً على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فسألته امرأة عما روي أن عليّاً عليه السلام سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه ورجع. فقال: روى ذلك. قالت: فعثمان طرح ثلاثة أيام على المزابل منبوذاً وعليّ حاضر؟ قال: نعم. قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما. فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله،

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.
(٢) الكشاف ٣: ٣٥٦، والنقل بتصرف يسير.
(٣) لم أجده في حياة الحيوان.
(٤) تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧، لسنة ١٠٩.
(٥) العقد الفريد ٢: ٧٣.

وإلا فعليه. فقالت المرأة: خرجت عائشة إلى حرب عليّ عليه السلام بإذن النبيّ صلى الله عليه وآله أم لا. فانقطع ولم يحر جواباً.

ما روي عن غلاظة عمر وجهله بتفسير القرآن

وشتّان بينه عليه السلام يقول: سلوني عمّا أردتم من الدين والدنيا، والأرض والسماء، وبين أئمّتهم الذين حظروا الناس عن سؤال تفسير قرآنهم. فرووا أنه قيل لعمر: إنّ ضبيعاً التميمي يسأل الناس عن تفسير حروف من القرآن. فقال: اللهمّ أمكنّي منه. فبينما كان عمر يوماً جالساً يغدّي الناس إذ جاءه الضبيع، وعليه ثياب وعمامة. فتقدّم فأكل فلمّا فرغ قال لعمر: ما معنى قوله تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۞﴾[1] قال: ويحك! أنت هو؟ فقام إليه فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته. فإذا له ضفيرتان. فقال له: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثم أمر به فجعل في بيت ثمّ يخرجه كلّ يوم فيضربه مئة فإذا برأ أخرجه فضربه مئة أخرى ثم حمله على قتيب وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى أن يحرّم على الناس مجالسته، ويقوم في الناس خطيباً ثمّ يقول «إن ضبيعاً قد ابتغى العلم وأخطأه» فلم يزل وضيعاً في قومه - وكان قبل سيّدهم - حتى مات[2].

قلت: وصدق عمر في أنّ ضبيعاً ابتغى العلم فأخطأه. فإنه كان ترك باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وابتغى العلم عند من كان كل الناس أفقه منه حتى المخدّرات ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3].

وكانوا لا يعلمون شيئاً من أمور أنفسهم حتى يخبرهم اليهود والنصارى. ففي (كامل الجزري) في فتح البيت المقدس - بعد ذكر فتح عمرو بن العاص مرج عيون - فلمّا تمّ له ذلك أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلم بالرومية وقال له: اسمع ما يقول، وكتب معه كتاباً. فلمّا وصل قال أرطبون لوزرائه: لا يفتح عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين. فقالوا: من أين علمت؟ قال: صاحبها رجل صفته كذا وكذا - وذكر صفة عمر - فرجع الرسول إلى عمرو، وأخبره فكتب عمرو إلى عمر «إنّي أعالج بلاداً قد ادُّخِرت لك» فعلم عمر أنّ عمراً لم يقل ذلك إلا لشيء سمعه. فسار عمر - إلى أن قال:

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١، ٢.
(٢) أخرجه البزار والدارقطني وابن مردويه وابن عساكر (عنهم الدر المنثور ٦: ١١١) وغيرهم والنقل بتصرف في اللفظ.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.

فلما قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود: إنك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك - إلى أن ذكر طلبهم الأمان، ومصالحة عمر لهم على الجزية - فشهد ذلك اليهودي الصلح. فسأله عمر عن الدجّال - وكان كثير السؤال عنه - فقال له اليهودي: وما مسألتك عنه؟ أنتم والله تقتلونه دون باب لدّ ببضع عشر ذراعاً(١).

ما رواه العلماء في علم علي عليه السلام وأنه الإمام المبين

وروى ابن بابويه، وابن قولويه بإسنادهما عن الأصبغ قال: بينا عليّ عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلا أنبأتكم به» فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟

فقال له: «أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك تسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من عشرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني» وعمر يومئذ يدرج بين يديه(٢).

وفي (الإرشاد): روى زكريا بن يحيى القطان، عن فضل بن الزبير، عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب علي عليه السلام فقال في خطبته: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة وتهدي مئة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة» فقام إليه رجل. فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟

فقال عليه السلام: والله لقد حدّثني خليلي بما سألت عنه، وأنّ على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزّك، وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما أخبرتك به، ولولا أنّ الذي سألتني عنه يعسر برهانه لأخبرتك به - وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً يحبو - فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولى قتله، وكان الأمر كما قال عليه السلام (٣).

«**فَوَ الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة**» صدّر عليه السلام كلامه بالتأكيد القسمي حيث إن ما قاله عليه السلام من إنبائهم عن كلّ ما سألوه في ما بينهم وبين القيامة أمر عظيم ينكره كثير من الناس. فإنّ عيسى عليه السلام وهو أحد المرسلين، ومن أولي

(١) الكامل ٢: ٤٩٩ - ٥٠١، لسنة ١٥، والنقل بتلخيص.
(٢) رواه الصدوق في أماليه: ١١٥ ح ١، المجلس ٢٨، وابن قولويه في كامل الزيارات: ٧٤ ح ١٢.
(٣) الإرشاد: ١٧٤.

العزم من النبيين إنما قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(١) من إنبائهم بأمور معيّنة مشخّصة، وأما الإنباء بما يحدث إلى يوم القيامة. فأمور غير متناهية لا يحصل ذلك إلا لمن له اتصال تام بالمبدأ الأعلى.

وهذا يصدق ما عليه جمهور الإمامية من كون الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء حتى أولي العزم من الرسل. فإن بالأعلمية تحصل الأفضلية بحكم البداهة فكما أن العالم أفضل من الجاهل كذلك الأكثر علماً أفضل من الأقلّ علماً.

قال الجاحظ في رسالة له في فضل أهل البيت عليهم السلام - وقد نقلها الشيخ سليمان الحنفي بتمامها في كتابه (ينابيع المودّة) - فقد علم الناس كيف كان كلام عليّ كرّم الله وجهه قاعداً وقائماً، وفي الجماعات ومنفرداً الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وأخبار الأكوان، وتأويلات القرآن، وإنباء الحوادث بما كان وما يكون، بالتعلم من النبيّ صلى الله عليه وآله أو بالكشف الجليّ، أو بالجفر والميراث، أو بالوهب اللدني(٢).

وروي عن عمار قال: كنت مع عليّ في بعض غزواته. فمررنا بواد مملوّ نملاً. فقلت: يا أمير المؤمنين يكون أحد من خلق الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار. أعرف رجلاً يعلم كم عدده، وكم فيه ذكر، وكم فيه أنثى. فقلت: من ذلك يا مولاي الرجل؟ فقال يا عمار: أوما قرأت في سورة يس ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٣)؟ فقلت: بلى يا مولاي قال: أنا ذلك الإمام المبين(٤).

وفي (فواتح الميبدي) عن (تفسير الثعلبي): «كان ابن عباس يتلو ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾(٥) ويقول: كان علي عليه السلام يعلم الفتن بهذين اللفظين(٦).

وفي (أنساب البلاذري) في عنوان «عبيد الله بن زياد» روى مسنداً عن مجاهد قال: قال عليّ عليه السلام وهو بالكوفة «كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيّكم يحمل قويّهم ضعيفهم» فقال: «نفعل ونفعل» فحرّك رأسه ثم قال: «توردون ثم تعرّدون ثم تطلبون البراءة ولا براءة لكم».

وروى عن يوسف بن موسى مثله، وزاد وتعينون عليه شرّ أهل زمانه في نسبه وسيرته(٧).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٥٥.
(٣) سورة يس، الآية: ١٢.
(٤) أخرجه البحراني في البرهان ٤: ٧ ح ١٠.
(٥) سورة الشورى، الآيتان: ١، ٢.
(٦) أنساب الأشراف للبلاذري ٤ ق ٢: ٨٢.
(٧) أنساب الأشراف ٤ ق ٢: ٨٢.

«ولا عن فئة تهدي مئة ولا تضل مئة إلا أنبأتكم بناعقها» الأصل في النعق صياح الراعي بالغنم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً﴾[1] أي: الغنم تسمع صوت الراعي ولا تدري ما يُقال لها وقال الأخطل: [البحر الكامل]

انعق بضأنك يا جرير فإنما منّتك نفسك في الخلاء ضلالا[2]

ثم استعير لمن يأمر ويزجر جمعاً تحت أمره، وقالوا: الناعقان، كوكبان من كواكب الجوزاء.

راكبة الجمل

«وقائدها وسائقها» روى أبو مخنف - ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر - أنه عليه السلام قال في عائشة وفئتها: «وقد علمت والله أنها الراكبة الجمل لا تحلّ عقدة، ولا تسير عقبة، ولا تنزل منزلاً إلا إلى معصية الله حتى تورد نفسها، ومن معها مورداً يقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم».

إخبار عن موت خالد بن عرفطة وحبيب بن عمار

وفي (مقاتل أبي الفرج) - بعد ذكر صلح الحسن عليه السلام مع معاوية ودخول معاوية الكوفة - مسنداً عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: بينما علي عليه السلام على المنبر إذ دخل رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة. فقال عليه السلام: لا والله ما مات. إذ دخل رجل آخر. فقال: يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة. فقال عليه السلام: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد - يعني باب الفيل - براية ضلالة يحملها حبيب بن عمار. فوثب رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! أنا حبيب بن عمار، وأنا لك شيعة. قال عليه السلام: فإنه كما يقول.

قال: فقدم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن عمّار. قال مالك: حدّثنا الأعمش بهذا الحديث. فقال: حدّثني صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار السائب أبي عطا - أنه سمع عليه السلام يقول هذه المقالة[3].

في كتاب علي عليه السلام بنو الحسن عليه السلام لا يملكون

وروى أواخر (روضة الكافي) عن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.
(٢) أورده لسان العرب ١٠: ٣٥٦، مادة (نعق).
(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٦.

إذ أقبل محمد بن عبدالله. فسلّم ثم ذهب. فرقّ له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عيناه. فقلت له: لقد رأيتك صنعت ما لم تكن تصنع. فقال: رققت له لأنّه ينسب إلى أمر ليس له. لم أجده في كتاب علي عليه السلام من خلفاء الأمّة ولا ملوكها(١).

علي عليه السلام يحذر عمر بن سعد من مستقبله

وفي (تذكرة سبط بن الجوزي) - بعد ذكر تخيير عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بين ردّه عهد الري وتصدّيه لقتال الحسين عليه السلام وقتله، واختياره التصدّي - قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامة عليّ عليه السلام في هذا، فإنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب. فقال له: «ويحك يابن سعد! كيف بك إذا أقمت يوماً مقاماً تخيّر فيه بين الجنة والنار فتختار النار؟»(٢).

«**ومناخ ركابها**» أي: إضجاع آبالها على ركباتها.

«**ومحطّ رحالها**» أي: إنزال أمتعتها من ظهورها.

علي عليه السلام يخبر عن كربلاء

روى نصر بن مزاحم في (صفينه)، عن الحسن بن كثير، عن أبيه أن عليّاً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها، فقيل يا أمير المؤمنين هذه كربلاء. فقال: ذات كرب وبلاء ثم أومى بيده إلى مكان فقال هاهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم وأومى إلى موضع آخر فقال هاهنا مهراق دمائهم(٣).

قلت: والموضع الأول الذي أشار عليه السلام إليه يُقال له: «خيمكاه» والموضع الثاني يُقال له: «قتلكاه».

وروى (أسد الغابة) عن غرفة الأزدي - بالغين المعجمة - قال: دخلني شكّ من شأن عليّ عليه السلام فخرجت معه على شاطئ الفرات. فعدل عن الطريق، ووقف ووقفنا حوله. فقال بيده: «هذا موضع رواحلهم ومناخ ركابهم، ومهراق دمائهم بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله» فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت حتى أتيت المكان الذي قتلوا فيه. فإذا هو كما قال، ما أخطأ شيئاً فاستغفرت الله مما كان مني من الشك، وعلمت أنّ عليّاً لم يقدم فيه إلا بما عهد إليه(٤).

---

(١) الكافي ٨: ٣٩٥ ح ٥٩٤.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٤٧.
(٣) وقعة صفين: ١٤٢.
(٤) أسد الغابة ٤: ١٦٩.

«**ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت منهم موتاً**» روى الكشي أن رشيد الهجري كان من أصحاب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام وكان عليه السلام علّمه من يقتل من شيعته بقتله، ومن يموت منهم بميتته، وكان يسمّيه رشيد البلايا[١].

إخباره عليه السلام بالحوادث الجارية

قال ابن أبي الحديد: وهذه الدعوى، أي: قوله عليه السلام: «فاسألوني قبل أن تفقدوني - إلى - ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً» - ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبيّة، ولا ادّعاء النبوة، ولكنه كان يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، ولقد امتحنّا أخباره. فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة التي يضرب بها في رأسه فتخضب لحيته.

وكإخباره عن قتل الحسين ابنه عليه السلام وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها.

وكإخباره بملك معاوية الأمر بعده.

وكإخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان، وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، صلب من يصلب منهم.

وكإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وكإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها.

وكإخباره عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه «خبّ ضبّ يروم أمراً ولا يدركه ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش».

وكإخباره عن هلاك البصرة تارة بالغرق، وأخرى بالزنج - وهو الذي صحّفه قوم. فقالوا: بالريح.

وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله عليه السلام: «وإنّ لآل محمد صلى الله عليه وآله بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاه حتى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله».

وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله فيه: «يقتل عند أحجار الزيت»، وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا «يقتل بعد أن يظهر ويُقهر بعد أن يَقهر، يأتيه سهم غرب يكون فيه منيّته. فيا بؤساً للرامي، شلّت يده، ووهن عضده».

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٧٥ ح ١٣١.

وكإخباره عن قتلى فخّ وقوله فيهم: «وهم خير – أو من خير – أهل الأرض».

وكإخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتّابه وهم الذين نصروا أبا عبد الله المعلّم، وكقوله عليه السلام – مشيراً إلى عبيد الله المهدي وهو أوّلهم – «ثم يظهر صاحب القيروان الغضّ البضّ ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذي البداء المسجّى بالرداء» وكان عبيد الله المهدي مترفاً مشرباً حمرة رخص البدن تارّ الأطراف وذو البداء: إسماعيل بن جعفر بن محمد وهو المسجّى بالرداء لأن أباه عبد الله جعفراً سجّاه بردائه لما مات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته، وتزول عنهم الشبهة في أمره.

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم «ويخرج من ديلمان بنو الصيّاد» إشارة إليهم، وكان أبوهم صياد السمك يصيد منهم بيده ما يقوت هو وعياله بثمنه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيّتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله عليه السلام فيهم: «ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء» فقال له قائل: فكم مدّتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «مئة أو تزيد قليلاً» وكقوله عليه السلام فيهم «والمترف ابن الأجذم يقتله ابن عمه على دجلة» وهو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسين – وكان معزّ الدولة أقطع اليد قطعت يده في الحرب – وكان ابنه بختيار مترفاً صاحب لهو وشراب، وقتله عضد الدولة فنّا خسرو ابن عمه بقصر الجصّ على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه – فأما خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي، ورتّب عوضه المطيع، وإنّ بهاء الدولة أبا نصر ابن عضد الدولة خلع الطائع، ورتّب عوضه القادر وكانت مدّة ملكهم كما أخبر به عليه السلام.

وكإخباره عبد الله بن العباس بانتقال الأمر إلى أولاده فإنّ علياً بن عبد الله لما ولد أخرجه أبوه عبد الله بن عباس إلى عليّ عليه السلام فأخذه وتفل في فيه، وحنّكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه، وقال له: خذ إليك أبا الأملاك هكذا الرواية الصحيحة، وهي التي ذكرها أبو العباس المبرّد في كتاب (الكامل)، وليست الرواية التي يذكر فيها العدد بصحيحة، ولا منقولة من كتاب معتمد عليه، وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى، مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحه[1].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد قال: إنّ هذا الادّعاء منه لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة إلى آخر ما مرّ ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبية، ولا ادّعاء النبوة. كون ذلك عدم ادّعاء منه عليه السلام للربوبيّة ولا للنبوة مسلّم لكن لِمَ لم يذكر أنّ ذلك ادّعاءٌ منه للإمامة؟

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، والنقل بتصرف يسير.

إن أراد بذلك إلا المغالطة فإنه عليه السلام إنما كان مدّعياً للإمامة وأقام على دعواه هذه البيّنة، كما أنّ الأنبياء أقاموها على دعواهم الرسالة فيقول عيسى عليه السلام ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(١).

قال محمد بن محمد بن النعمان في (إرشاده): ومن آيات الله الباهرة في أمير المؤمنين عليه السلام والخواص التي أفرده بها، ودلّ بالمعجز منها على إمامته، ووجوب طاعته، وثبوت حجّته؛ ما هو من جملة الخواص التي أبان الله تعالى بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وجعلها إعلاماً لهم على صدقهم. فمن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من إخباره عن الغائبات والكائن قبل كونه. فلا يخرم من ذلك شيئاً، ويوافق المخبر منه خبره حتى يتحقق الصدق فيه، وهذا من أبهر معجزات الأنبياء عليهم السلام ألا ترى إلى قوله تعالى في ما أبان به المسيح عليه السلام من المعجز الباهر والآية العجيبة الدالة على نبوّته: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؟ وجعل تعالى مثل ذلك من عجيب آيات النبيّ صلى الله عليه وآله فقال عند غلبة فارس على الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۝٤﴾(٢) فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى، وقال تعالى في أهل بدر قبل الوقعة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾(٣) فكان الأمر كما قال تعالى من غير اختلاف في ذلك، وقال عزّ وجلّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾(٤) فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾(٥) فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى، وقال سبحانه مخبراً عن ضمائر قوم من أهل النفاق: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾(٦) فخبّر عن ضمائرهم وما أخفوه من سرائرهم، وقال تعالى في قصّة اليهود: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٧﴾(٧) فكان الأمر كما قال تعالى، ولم يجسر أحد منهم أن يتمنّاه فحقّق ذلك خبره وأبان به عن صدقه ودلّ به على نبوّته(٨).

وقول ابن أبي الحديد: «ولكنّه عليه السلام كان يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبره بذلك» لا يدلّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الروم، الآيات: ١ - ٤.
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٥) سورة النصر، الآيتان: ١، ٢.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٨.
(٧) سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧.
(٨) الإرشاد: ١٦٥.

على عدم إمامته بل على عدم نبوّته. فإنّ الإمام علومه من النبيّ، والنبيّ من الله تعالى، وإذا كانت أخباره الغيبية من الكثرة بمثابة تكون مظنّة لزعم الإلّهية فيه عليه السلام كما وقع من جمع فقال شاعرهم فيه عليه السلام : [البحر الطويل]

ومن قال على المنبر يوماً سلوني فحاروا في معانيه

لِمَ لم يقل بإمامته عليه السلام .

لكن إخواننا أنكروا في مورده عليه السلام البديهيات والمتواترات والفطريات وجعلوا أقوال الله تعالى، وأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام من اللغويات. ألم يقل الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؟! ولم يقل: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2]؟ ألم يقل رسوله صلى الله عليه وآله في غدير خم بالتواتر: «ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. فقال: فمن كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليٌّ مولاه، وأولى به من نفسه»[3]؟ إلى غير ذلك من يوم دعوته أوّلاً عشيرته الأقربين إلى يوم وفاته.

وأما قوله ابن أبي الحديد في ما مرّ: «وأمّا الرواية التي يذكر فيها العدد (أي من بني العباس) فليست بصحيحة ولا منقولة من كتاب معتمد عليه» فلعلّه أشار إلى ما في تاريخ الطبري: ذكر عن عليّ بن يحيى المنجم أنّه قال: كنت أقرأ على المتوكّل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم. فوقفت على موضع من الكتاب فيه «إنّ الخليفة العاشر يقتل في مجلسه» فتوقفت عن قراءته وقطعته، فقال لي: ما لكَ قد وقفت، قلت: خير. قال: لا بدّ والله من أن تقرأه فقرأته، وحُدت عن ذكر الخلفاء. فقال المتوكل: ليت شعري من هذا الشقي المقتول[4].

وفي (تاريخ الطبري) أيضاً قال أبو البديل: بعث الربيع والحسن الحاجب إليّ في الليل. فجئت وعندهما رجل. فقال: هذا غلام الغمر بن يزيد وقد أصبنا معه كتاب الدولة. ففتحت الكتاب فنظرت فيه إلى سني المهدي، فإذا هي عشر سنين - إلى أن قال - فأتى بعنبسة الورّاق الأعرابي مولى آل بديل. فقلت له: «خطّ مثل هذا الخطّ، وورقة مثل هذا الورقة، وصيّر مكان عشر سنين أربعين سنة وصيّرها في الكتاب. ففعل فوالله لولا أنّي

(١) سورة الزمر، الآية: ٩. (٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٣) ينظر حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ - ٢٩٠ ح ٥٠٣ - ٥٩٣.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٦، لسنة ٢٤٧.

رأيت العشر في تلك والأربعين في هذه ما شككت أنّ الخطّ ذلك الخط وأنّ الورقة تلك الورقة»[١].

خلفاء بني العباس كان لديهم وريقات من علم علي عليه السلام

وفي (تاريخ الطبري) أيضاً عن أبي حشيشة قال: كان المأمون يقول: «إنّ الخليفة بعدي في اسمه عين» فكان يظنّ أنّه العباس ابنه، فكان المعتصم، وكان يقول: «وبعده (من اسمه) هاء» فيظنّ أنّه هارون فكان الواثق، وكان يقول «وبعده أصفر الساقين» فكان يظنّ أنه أبو الجنائز العباس. فكان المتوكل ذلك فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف عن ساقيه فكانا أصفرين كأنّما صبغا بزعفران (واسم الواثق هارون)[٢].

وكتاب الدولة وإن لم يذكر فيه أنّه عمّق إلا أنّ الأصل فيه هو عليه السلام فقال الطبري في (ذيله): أوصى أبو هاشم بن محمد بن الحنيفة إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، ودفع إليه كتبه، وقال له «إنّ هذا الأمر إنما هو في ولدك. فكانت الشيعة الذين كانوا يأتون أبا هاشم، ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمّد بن عليّ[٣]. . . .

ومعلوم أنّ كتب أبي هاشم من أبيه محمّد بن الحنفية وأنّ كتب ابن الحنفية من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي (تاريخ الطبري) – بعد ذكر أسر سبكرى من فارس سنة (٢٩٨) وإدخاله على فيل، وعليه برنس، وبين يديه ثلاثة عشر أسيراً عليهم البرانس – قال الصولي: شهدت هذا اليوم فتذكّرت فيه حديثاً كان حدّثناه صافي الحرم يوم بويع فيه المقتدر. قال: رأيت المقتدر، وهو صبي في حجر المعتضد أبيه والمعتضد ينظر في دفتر كان كثيراً ما ينظر فيه وهو يضرب على كتف المقتدر، ويقول له «كأنّي بملوك فارس قد أُدخلوا عليك على الفيلة والجمال عليهم البرانس» كان صافي يوم بيعة المقتدر يحدّث بهذا ويدعو أن يحقّق الله هذا القول[٤].

وقد أخبر عليه السلام ابنه محمّد بن الحنفية بإرادة ابن الزبير إهلاكه وخلاصه منه بخيل المختار.

ثقة ابن الحنفية في مغيّبات أبيه عليه السلام

ففي (مروج المسعودي): قال الديال بن حرملة: كنت في من استفزّه أبو عبد الله

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٧٥، لسنة ١٦٣.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٩، لسنة ٢٤٧.
(٣) منتخب ذيل المذيل: ١٣٢.
(٤) رواه القرطبي في صلة الطبري: ٢٥ والنقل بتصرف يسير.

الجدلي من قبل المختار. فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس. فقال الجدلي: هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فيأتي عليهم. فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثماني مئة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه - إلى أن قال - وخطب ابن الزبير. فقال: قد بايعني الناس، ولم يتخلّف إلا هذا الغلام - يعني ابن الحنفية - والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس. ثمّ أضرم داره عليه ناراً. فدخل ابن العباس عليه وقال: إنّي لا آمنه عليك فبايعه. فقال له ابن الحنفية «سيمنعه عنّي حجاب قويّ» فجعل ابن عباس ينظر إلى الشمس ويفكّر في كلام ابن الحنفية، وقد كادت الشمس أن تغرب. فوافاهم الجدلي في الخيل[١].

ابن الزبير مصلوب قريش

وقد نقل ابن أبي الحديد في ما مرّ إخباره عليه السلام بعدم نيل ابن الزبير خلافة تامة وكونه مصلوب قريش، ولم يذكر إخباره عليه السلام بقتله في مكّة وخراب الكعبة بواسطته. ففي (تاريخ الطبري) قال ابن سليم وابن المشمعل الأسديان: خرجنا حاجّين من الكوفة حتى قدمنا مكّة: فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين عليه السلام وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى في ما بين الحجر والباب. فتقرّبنا منهما. فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين عليه السلام: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك. فقال له الحسين عليه السلام: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحل حرمتها. فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش[٢].

ومن إخبار علي عليه السلام

ولم يذكر ابن أبي الحديد أيضاً في ما أخبر عليه السلام به من حال أهل بيته زيد الشهيد فروى أبو الفرج في (مقاتله) مسنداً عنه عليه السلام قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يُقال له زيد في أُبّهة[٣]. . . .

ولم يذكر في ما أخبر عليه السلام به من حال الرجال أبا مسلم مبيد بني أمية ومؤسس الدولة العباسية، فروى الأعمش كما في (مناقب السروي) أنّ أهل الشام لما هزموا ميمنة عليّ عليه السلام قال - ثلاث مرات -: «يا أبا مسلم خذهم» فقال الأشتر، أوليس أبو مسلم

(١) مروج الذهب ٣: ٧٦و ٧٧ والنقل بتصرف يسير.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨، لسنة ٦٠.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٨٨.

معهم. فقال عليه السلام: لستُ أريد الخولاني، وإنما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أمية ملكهم[١].

ولم يذكر إخباره عليه السلام ببناء بغداد كما رواه الخطيب وغيره[٢]، وببناء المعتصم سامرا واتخاذه جنده من الترك، وتركه العرب كما في خطبته المعروفة بالزهراء[٣]، لكن عرفت أنّ ابن أبي الحديد أراد الإجمال حيث قال: وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس.

وقد أخبر عليه السلام ببناء الحلّة وببانيه سيف الدولة، وبعلماء الشيعة علي بن طاوس وغيره. نقل المجلسي عن خط الجباعي عن الشهيد عن خط العلامة عن خط والده قال: وجدت رقعة عليها مكتوب بخط عتيق ما صورته «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجل أبو المكارم حمزة بن عليّ بن زهرة الحسيني الحلبي إملاءً من لفظه عند نزوله بالحلّة السيفية - وقد وردها حاجّاً سنة (٥٧٤) ورأيته يلتفت يمنة ويسرة، فسألته عن سبب ذلك قال: إنّي لأعلم أن لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً.

قلت: وما هو؟

قال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جعفر بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن إبراهيم القمي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة الثمالي، عن الأصبغ بن نباتة. قال: صحبت أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفين، وقد وقف على تلّ ثم أومأ إلى أجمة ما بين بابل وتل عرير وقال «مدينة وأيّ مدينة».

فقلت له: يا مولاي! أراك تذكر مدينة، أكان هاهنا مدينة وانمحت آثارها؟ فقال: «لا ولكن ستكون مدينة يقال لها: الحلّة السيفية يمدّنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبرّ قسمه»[٤].

وقد أخبر عليه السلام بهدم الكعبة. فعن (غريب الحديث والفائق): قال علي عليه السلام:

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦٢.
(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١: ٣٨ و ٣٩، والسروي في مناقبه ٢: ٢٦٤ لكن رواه الخطيب عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.
(٣) ليس هذا في الخطبة الزهراء التي رواها ابن عبد ربه في العقد ٤: ١٤٢ وغيره بل روى السروي في مناقبه ٢: ٢٧٤ قطعة من الخطبة الزهراء ثم روى بعده هذا الكلام.
(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٢٢٢ ح ٥٥.

أكثروا الطواف بهذا البيت. فكأنّي برجل من الحبشة أصلع أصمع جالس عليه وهو يهدم[١].

وقد أخبر عليه السلام بسفيان الثوري. فروى الكشّي في عنوان سفيان الثوري دخول جمع من أهل حديث البصرة على الصادق عليه السلام وتحديث رجل منهم، عن سفيان عن جعفر - يعني الصادق عليه السلام - بمفتريات. فقال الصادق عليه السلام له: إنّ علياً عليه السلام لما أراد الخروج من البصرة لعنها، وقال: فيك الداء الدويّ كلام القدر الذي فيه الفرية على الله، واستحلالهم الكذب علينا[٢].

وقد أخبر عليه السلام بتزلزل أمر بني أمية تارة بكونه بعد هشام. ففي (نسب قريش للزبير بن بكار) في عنوان عاصم بن المنذر، روى عاصم عن ابن الزبير أنّه سمع علياً بن أبي طالب يقول: هلاك بني أمية على رجل أحول منهم، وهشام كان أحول[٣].

وأخرى بكونه بعد سنة مئة بقيام دعاة العباسيّين. فروى المنهال عن نعيم بن دجاجة قال: قال أبو مسعود لعليّ عليه السلام: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يأتي على الناس سنة مئة وعلى الأرض عين تطرف. فقال عليه السلام له: غلطت في أول ظنّك وهل الرخاء إلا بعد المئة[٤].

وفي أخباره عليه السلام المنامية ما في (نشوار المحاضرة للتنوخي): حدّثني أبو الحسين المنجّم الصوفي في عضد الدولة ثم حدّثني عضد الدولة وأبو الحسين حاضر - وقد مضت سنون على حديث أبي الحسين، ولم أكن حدّثته ولا غيره - وكان تحويل سنتي تلك في النجوم رديّاً نحساً موحشاً - ثمّ زادت العلّة عليّ. فأمرت أن يحجب الناس كلهم، ولا يدخل عليّ أحد إلا حاجب النوبة، وحتى منعت الطبيب. فأقمت كذلك أياماً ثلاثة أو أربعة وأنا أبكي في خلوتي على نفسي إذ جاء حاجب النوبة فقال: أبو الحسين الصوفي يطلب الوصول، وقد اجتهدنا به في الانصراف. فما فعل وقال عندي بشارة.

فقلت: بصوت ضعيف يريف أن يقول لي: بلغ الكوكب الفرني، ويمخرق عليّ من هذا القبيل ما يزيد به ألمي فلينصرف. فخرج الحاجب، ورجع وقال: إمّا أن يكون أبو الحسين جنّ أو معه أمر عظيم. فإنه قال: قل له لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت، ووالله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة.

---

(١) رواه عنهما السروي في مناقبه ٢: ٢٥٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٩٧ والنقل بتلخيص.

(٣) لم أجده في النسخة المطبوعة من نسب قريش.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٢، شرح الخطبة ٥٧، والنقل بتلخيص.

فقلت: ادخله فلما دخل قال: أنت والله في عافية واليوم تبرأ رأيت في منامي أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام والناس يهرعون إليه يسألونه المسائل فتقدمت أنا وقلت: أنا رجل غريب، وتعلّقت بحبّ هذا الأمير الذي أنا معه، وقد بلغ إلى اليأس من العلة التي أصابته فادعُ الله له بالعافية.

فقال: تعني فنا خسرو بن الحسين بن بويه؟ فقلت: نعم.

فقال: قل له: أنسيت ما أخبرتك به أمّك في المنام الذي رأته - وهي حامل بك - ألستُ قد أخبرتها بمدة عمرك وأنّك ستعتلّ إذا بلغت كذا وكذا سنة علّة تيأس منها الأطباء ثم تبرأ منها، وأنت تصلح من هذه العلة غدا ويتزايد صلاحك إلى أن تركب وتعاود عاداتك كلها في يوم كذا، وكذا يوماً ولا قطع عليك قبل الأجل الذي أخبرتك به أمّك عني.

قال: وقد كنت نسيت أنّ أمّي قالت لي إنها رأت في المنام أنّي إذا بلغت هذه السنة اعتللت هذه العلة. فحين سمعت الكلام من أبي الحسين ذكرت وحدثت لي في نفسي قوة لم تكن قبل - إلى أن قال -:

وعادت عاداتي في اليوم الذي قال أبو الحسين. ثم قال: ما فاتني في نفسي من هذا المنام إلا شيء كنت أشتهي أن يكون فيه، وشيء كنت أشتهي ألا يكون فيه: أما الذي أشتهي ألا يكون فهو عليه السلام وقف على أني أملك حلب، ولو كان عنده أنّي أملك شيئاً مما يجاوز حلباً لقاله. فأخاف أن يكون هذا غاية حدّي من تلك الناحية حتى لما جاءني الخبر بأن سيف الدولة قد أخذ لي الدعوة بحلب ذكرت المنام فتنغّص عليّ لأجل هذا الاعتقاد، وأمّا الذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أن أعلم من هذا الذي يملك من ولدي.

قال التنوخي: وبقي عضد الدولة بعد هذا سنين وما تجاوزت دعوته حلب[1].

حلم المعتضد

وفي (مروج المسعودي): رأى المعتضد في النوم - وهو في سجن أبيه - كأنّ شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثمّ يردّه من يده. فتعود دجلة كما كانت. قال: فسألت عنه. فقيل له: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: فقمت وسلّمت عليه. فقال لي: يا أحمد! إنّ هذا الأمر صائر إليك. فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم. فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام.

(١) رواه عنه ابن طاوس في خرج الهموم: ١٩٨ - ٢٠١، والنقل بتصرف يسير.

قال المسعودي: لما ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرّق في آل أبي طالب سرّاً، وغمز بذلك إلى المعتضد؛ أحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم. فأنكر عليه إخفاء ذلك، وأمره بإظهاره، وقرّب آل أبي طالب(١).

حلم القادر

وفي (كامل الجزري) بعد ذكر القبض على الطائع وإعادة القادر - وكان في البطيحة من قبل بهاء الدولة - حكى هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة صاحب البطيحة أني كنت أحضر القادر كل أسبوع مرّتين. فيكرمني فدخلت عليه يوماً. فلم أر منه ما ألفته من إكرامه، ورأيته تأهّب تأهّباً لم تجر به عادته. فسألته عن السبب فقال: رأيت البارحة في منامي كأنّ نهركم هذا قد اتّسع فصار مثل دجلة دفعات. على حافّته متعجّباً منه، ورأيت قنطرة عظيمة إذ رأيت شخصاً قد تأمّلني من ذلك الجانب. فقال: أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدّ يده حتى وصلت إليّ فأخذني وعبّرني، فهالني فعله. فقلت: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب، وهذا الأمر صائر إليك، ويطول عمرك فيه. فأحسن إلى ولدي وشيعتي.

قال هبة الله. فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صياح الملّاحين الواردين لإصعاده ليتولّى الخلافة، فخاطبته بالإمرة، وكان في عزله سنتين وأحد عشر شهراً(٢).

«**ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور**» ومن الأمثال «معضلة ولا أبا حسن»(٣).

وروى (الأمالي) عن زرّ بن حبيش قال: مرّ عليّ عليه السلام على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلمان في ملأ فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه؟ فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يخبركم بسرّ نبيّكم أحد غيره وإنه لعالم الأرض، وزرها، وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم وأنكرتم الناس(٤).

«**وحوازب الخطوب**» أي: شدائد الأمور.

«**لأطرق**» أي أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ولم يتكلم.

(١) مروج الذهب ٤ : ١٨١.
(٢) الكامل لابن الأثير ٩ : ٨١، سنة ٣٨١، والنقل بتصرف يسير.
(٣) هذا كلام معاوية أورده ابن الأثير في النهاية ٣ : ٢٥٤، مادة (عضل) وغيره وروى مضمونه عن عمر أيضاً.
(٤) أمالي المفيد: ١٣٨ ح ٢، المجلس ١٧.

«كثيرٌ من السائلين» لتحيّره من يسأل.

«وفشل» أي: جبن.

«كثير من المسؤولين» إنما قال عليه السلام كثير من المسؤولين لأن المراد باقي الناس غير أهل بيته، وأما أهل بيته فهم مثله.

الإمام الصادق عليه السلام يُخبر بقيام الدولة العباسيّة

روى أبو الفرج الإصبهاني في (مقاتله) بأسانيد متعددة عن فضل بن عبدالرحمن الهاشمي وابن داجة، وعبد الأعلى بن أعين، ومحمد بن أبي الكرام الجعفري، وعبد الله بن يحيى، وعبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ - قال: وقد دخل حديث بعضهم في بعض - أنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء - وفيهم إبراهيم الإمام، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن، وابناه محمّد، وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان -.

فقال صالح بن عليّ: قد علمتم أنكم الذين يمدّ الناس إليهم أعينهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع. فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم. وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فقال عبد الله بن الحسن: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلمّوا فلنبايعه.

وقال أبو جعفر المنصور: والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً ولا أسرع إجابة إلى هذا الفتى يعني محمداً بن عبدالله.

فقالوا: والله صدقت إن هذا لهو الذي نعلم. فبايعوا محمّداً جميعاً، ومسحوا على يده - إلى أن قال -:

وجاء جعفر بن محمّد عليه السلام فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، وتكلّم عبد الله بمثل كلامه.

فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، وإن كنت ترى يا عبد الله أن ابنك هذا هو المهدي. فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرج غضباً لله ولتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك في هذا الأمر. فغضب عبدالله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، والله ما أطلعك الله على غيبه ولكنه يحملك على هذا، الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا - وضرب بيده على ظهر السفاح - وإخوته

وأبناؤهم، دونكم - وضرب بيده على كتف عبد الله - وقال: إنها والله ما هي إليك، ولا إلى ابنيك، ولكنها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان ثمّ نهض وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري. فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر المنصور - والله يقتل محمّداً. قال عبدالعزيز. قلت أيقتل محمداً؟ فقال: نعم. فقلت: في نفسي حسده وربّ الكعبة، ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته.

قال: فلما قال جعفر ذلك نهض القوم وافترقوا، وتبعه عبد الصمد والمنصور فقالا له: أتقول هذا. قال: نعم أقوله والله وأعلمه(١).

وروى مسنداً عن عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم أن عيسى بن موسى العباسي - وهو الذي قتل محمّداً وإبراهيم من قبل المنصور، وكان ولّي العهد بعده من السفاح فجعله المنصور بعد ابنه المهدي وخلعه رأساً - لما قدم قال جعفر بن محمّد عليه السلام: أهو هو؟ قيل: من تعني يا أبا عبدالله؟ قال: المتلعّب بدمائنا، والله لا يخلأ منها بشيء؟

وعن الرومي قال: أرسلني جعفر بن محمد أنظر ما يصنعون، فجئته فأخبرته أنّ محمداً قتل، وأنّ عيسى بن موسى قبض على عين أبي زياد. فأبلس طويلاً. ثم قال: ما يدعو عيسى إلى أن يسيء بنا، ويقطع أرحامنا. فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً أبداً(٢).

الرشيد يعلم بفتنة ولديه من الإمام الكاظم عليه السلام

وفي (الأخبار الطوال للدينوري) قال الأصمعي: دخلت على الرشيد - وكنت غبت عنه حولين بالبصرة - فأومأ إليّ بالجلوس قريباً منه فجلست في خفّ الناس ثم قال: أتحبّ أن ترى محمّداً وعبد الله - إلى أن قال -:

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء، ويودّ كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى، فقلت للرشيد: هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: بل شي أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر عليه السلام فلذلك قال ما قال(٣).

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٧١ - ١٧٣، والنقل بتصرف يسير.
(٢) رواهما أبو الفرج في المقاتل: ١٨٤.
(٣) الأخبار الطوال: ٣٨٤، والنقل بتصرف يسير.

أين تذهب الروح عند النوم؟!

وروى النعماني أنّ علياً عليه السلام دخل المسجد الحرام يوماً ومعه الحسن عليه السلام إذ جاء رجل حسن الهيئة. فسلم عليه عليه السلام وقال: أسألك عن ثلاث قال: سل عمّا بدا لك:

فقال: أخبرني عن الإنسان إذا نام أين يذهب روحه، وعن الرجل كيف يذكر وينسى، وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال. فالتفت عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وقال: أجبه يا أبا محمد.

فقال له: أمّا ما سألت عن الروح. فإن الروح معلّقة بالريح، والريح معلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة فإن أذن الله تعالى بردّ تلك الروح على ذلك البدن جذبت تلك الروح الريح، وجذبت الريح الهواء فاستكنت في بدن صاحبها، وإلا جذب الهواء الريح، وجذبت الريح الروح. فلا تردّ على صاحبها إلى وقت بعثه[1].

«**وذلك إذا قلّصت**» أي: ارتفعت.

«**حربكم وشمّرت عن ساق**» أي: خفّت في (خلفاء ابن قتيبة): لما أخبر عليّ عليه السلام الناس بغلبة أهل الشام عليهم قالوا: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال: لا تكرهون إمرة معاوية فإن إمرته سلم وعافية. فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنها الحنظل وعداً كان مفعولاً[2].

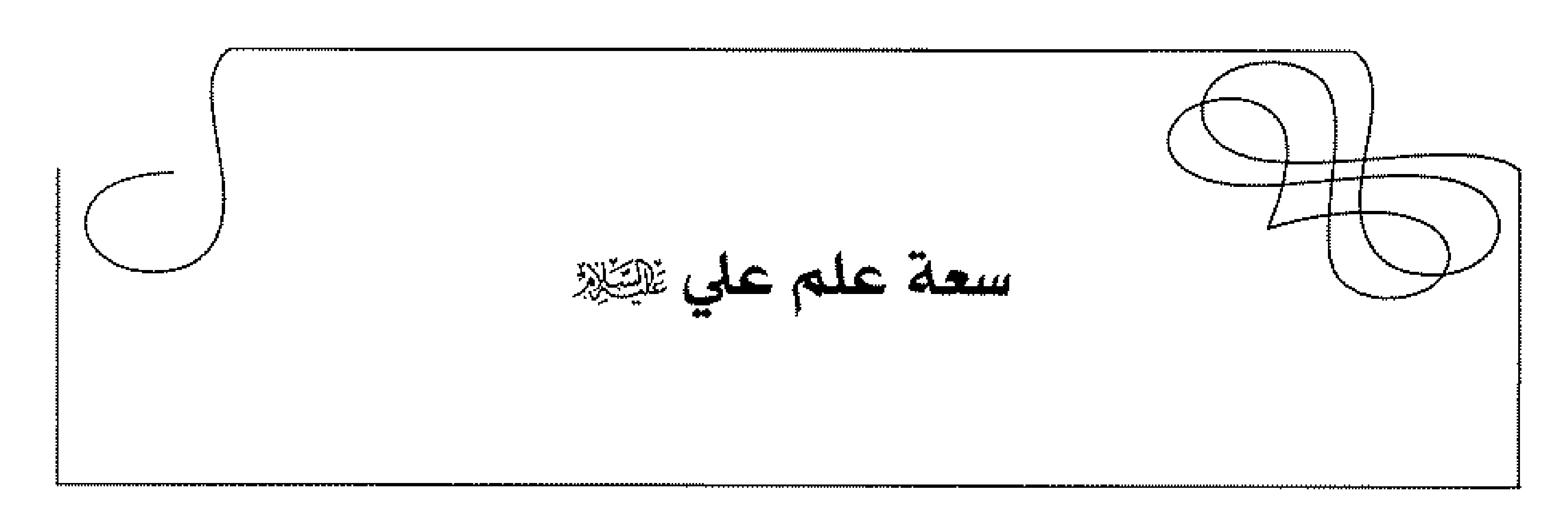
«**وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه**» هكذا في (المصرية) وكلمة «معه» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«**أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم**» روى (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن ين عليّ عليه السلام حين بايع معاوية - إلى أن قال -.

قال الحسن عليه السلام: أبشر يا سفيان. فإني سمعت عليّاً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبهم كهاتين، - يعني السبّابتين - أو كهاتين - يعني السبابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى. أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله [3].

---

(١) أخرجه النعماني في الغيبة ٣٩ والكليني في الكافي ١: ٥٢٥ ح ١، والبرقي في المحاسن: ٣٣٢ ح٩٩، وغيرهم والنقل بتصرف يسير.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٤.



سعة علم علي عليه السلام

قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلامِ قَوْمِهَا.

من الخطبة (١٨٧)

أقول: الظاهر أنّ الأصل في العنوان ما رواه المدائني قال: خطب عليّ عليه السلام فذكر الملاحم فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني أما والله لتشعرن الفتنة الصماء برجلها، وتطأ في خطامها. يا لها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل، من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا استدار الفلك وقلتم مات أو هلك، بأيّ واد سلك» فقال قوم تحت منبره «لله أبوه ما أفصحه كاذباً»[(١)].

الواعظ الجاهل

«أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني» قال ابن أبي الحديد: حدّثني من أثق به من أهل العلم حديثاً - وإن كان فيه بعض الكلمات العامية إلّا أنّه يتضمن ظرفاً ولطفاً، ويتضمّن أيضاً أدباً - قال: كان ببغداد في أيام الناصر لدين الله أحمد بن المستضي بالله واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد وفضلائها، وكان مشتهراً بذمّ أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة على قاعدة الحشوية، ومبغضي أرباب العلوم العقلية. وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة يُرضي العامّة بالميل عليهم. فاتّفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يسأله من تحت منبره، ويخجله فسألوا عمّن ينتدب لهذا. فأشير بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبدالعزيز الكزي ويشتغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، ويتشيّع وقد شدّ طرفاً من الأدب - وقد رأيته أنا في آخر عمره، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا - فأحضروه وطلبوا إليه أن

(١) رواه عن صفين المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

يعتمد ذلك فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ يوماً، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، وتكلّم على عادته. فأطال فلما مرّ في ذكر صفات الباري تعالى في أثناء الوعظ قام إليه الكزّي. فسأله أسئلة عقليّة على منهاج معتزلي المتكلّمين. فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري. وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وقال في آخر كلامه.

أعيُنُ المعتزلة حوَّل، وأصواتي في مسامعهم طبول، وكلامي في أفئدتهم نصول. يا من بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول حول من لا تدركه العقول. كم أقول كم أقول، خلّوا هذا الفضول. فارتجّ المجلس، وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، وكرّرها. فقام إليه الكزي.

فقال: يا سيّدي! ما سمعنا أنّه قال هذه الكلمة إلا عليّ بن أبي طالب وتمام الخبر معلوم.

وأشار الكزي بقوله وتمام الخبر معلوم. إلى قول عليّ عليه السلام: لا يقولها بعدي إلّا مدّع. فقال الواعظ: وهو في نشوة طربه، وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة: من عليّ بن أبي طالب عليه السلام أهو عليّ بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟ أم عليّ بن أبي طالب بن إسحاق المروزي؟ أم عليّ بن أبي طالب بن عثمان القيرواني؟ أم عليّ بن أبي طالب بن سليمان الرازي؟ وعدّ سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم يقال له عليّ بن أبي طالب.

فقام الكزي: وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس: ثالث وانتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنّوها على القتل.

فقال الكزي: يا سيّدي صاحب هذا القول هو عليّ بن أبي طالب زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه، وأسجل على نفسه على أنّه نظيره، ومماثله. فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء. أو ثبت تحت حبّكم من هذا شيء؟

فأراد الواعظ أن يكلّمه. فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن وقال: يا سيّدي محمد بن عبد الله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له ربّ العزة ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1] وكذلك عليّ بن أبي طالب كثير

(١) سورة النجم، الآيات: ٢ - ٤.

في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.

فالتفت إليه الواعظ ليكلّمه. فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر وقال: إن كنت لا تعرف علياً عليه السلام فأنت معذور: [البحر الكامل]

وإذا خفيت على الفتيّ فعاذر ألا تراني مقلة عمياءُ

واضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وافتتن الناس، وتواثب بعضهم على بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الثياب، ونزل الواعظ واحتمل حتى أدخل داراً أُغلقت عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكّنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى منازلهم، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر ذاك اليوم. فأخذ الكزي والرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياماً ليطفئ النائرة. ثم أطلقهم(١).

أعمى سأل عن عمياء

وفي (نجوم ابن طاوس) عن كتاب ابن جمهور القمي بأسانيده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما صعد المنبر وقال: سلوني قبل أن تفقدوني؛ قام إليه رجل فسأله عن السواد الذي في القمر. فقال: أعمى سأل عن عمياء. أما سمعت أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾(٢).

فالمحو السواد الذي تراه في القمر. إن الله تعالى خلق من نور عرشه شمسين، وأمر جبرائيل. فأمرّ جناحه بالذي سبق من علمه لما أراد أن يكون من اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر(٣)....

وروى (الخصال): أنّه عليه السلام كان بالكوفة بالجامع، إذ قام إليه رجل من أهل الشام. فسأله مسائل، وكان في ما سأله أن قال: أخبرني عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان. قال عليه السلام: هم يوشع بن نون وهو ذو الكفيل، ويعقوب وهو إسرائيل والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمّد وهو أحمد صلوات الله عليهم أجمعين(٤).

وفي (تذكرة سبط بن الجوزي): قال ابن عباس - في ما روى العوفي عنه -: شهدت يوماً علياً عليه السلام وسئل عن الفاتحة. فقال: نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي وسادة

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ٣: ٢١٧، والنقل بتصرف يسير. (٢) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٣) خرج المهموم: ٩٧. (٤) الخصال ١: ٣٢٢ ح ٧.

لذكرت في فضلها حمل بعير ذكر، وليس في القرآن آية إلا وأنا أعلم متى نزلت، وفي أيّ شيء نزلت - ثم أنشد: **[البحر المتقارب]**

إذا المشكلات تصدّين لي ... كشفت حقائقها بالنَّظَرْ
وإن برقت في خلال الصواب ... عمياء لا يعتريني فِكَرْ
مقنّعة بغيوب الأمور ... وضعت عليها نفيس الدُّرَرْ
لساناً كشقشقة الرجال ... أو كالحسام إذا ما سَطَرْ
ولست بإمّعة في الرجال ... أُسائل هذا وذا مَا الْخَبَرْ
ولكنّني مدرة الأصغرين ... وجلّاب خير ودفّاع شَرْ[1]

علي عليه السلام يعلم طرق السماء

«**فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض**» قال ابن أبي الحديد: المراد ما اختص عليه السلام به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيّما في الملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّر لا مرّة، ولا مئة مرة حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم لا على سبيل الاتفاق، وقيل: المراد أنا بالأحكام الإلّهية أعلم منّي بالأمور الدنيوية، والأوّل أظهر[2].

قلت: وأيّاً كان المراد دليل على اتّصاله بالمبدأ الأعلى، وكونه حجّة الله على الخلق كالرسول صلى الله عليه وآله فطرق الأرض وجغرافيتها يمكن أن يعلمها جميع الناس، وطرق السماء لا يمكن علمها إلا لحجج الله تعالى كما أنّ العلم بالأحكام الإلهية على ما هي عليه لا يمكن إلا لهم، وقد قال عليه السلام في خطبة: «لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجّة في الأرض»[3].

«**قبل أن تشغر**» أي: ترفع.

«**برجلها فتنه تطأ**» أي: تضع قدمها.

«**في خطامها**» أي: زمامها.

«**وتذهب بأحلام**» أي: عقول.

«**قومها**» ومراده عليه السلام بفتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها، فتنة بني أمية

---

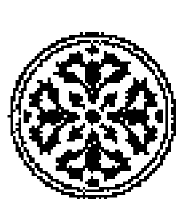
(١) تذكرة الخواص: ١٦٨. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧، والنقل بتقطيع.
(٣) رواه الرضي في نهج البلاغة ١: ١٢٩، ضمن الخطبة ١٨٧.

وبني العباس بعده عليه السلام، وقوله عليه السلام وقبل أن تشغر... ظرف لقوله عليه السلام أوّلاً «سلوني قبل أن تفقدوني» وقوله عليه السلام بينهما «فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض» معترضة لبيان وجوب سؤاله، والرجوع إليه.

روى (مسند أحمد بن حنبل) عنه عليه السلام خبر ارتقائه على كتف النبيّ صلى الله عليه وآله - إلى أن قال - قال عليّ عليه السلام: فنهض بي النبيّ صلى الله عليه وآله وإنه ليخيّل إليّ أني لو شئت أن أنال أُفق السماء لنلته - إلى أن قال -:

قال سعيد بن المسيّب: فلهذا كان عليّ عليه السلام يقول: «سلوني عن طرق السماوات. فإني أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يقولها إلا عليّ عليه السلام [1].



(١) هذا سياق السبط في التذكرة: ٢٧، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١: ٨٤، والحاكم في المستدرك ٢: ٣٦٦.

خاف عليّ عليه السلام كفر الناس فلم يَبُحْ بكثير من المغيبات

وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَلا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا الأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلاّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللّهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا. الخطبة (١٧٣)

إن عندي من ذلك علماً جماً

أقول: رواه منذر مع زيادات – وقد نقله ابن ميثم عند قوله عليه السلام: «فتن كقطع الليل» – ففيه «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة ومتى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة، وإن عندي من ذلك علماً جمّاً، وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا أخطئ منه علماً ولا وافياً. ولقد استودعت علم القرون الأولى وما هو كائن إلى يوم القيامة[١].

علي عليه السلام مع الجاثليق النصراني

«**والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه**» روي أنّ جاثليقاً جاء في نفر من النصارى إلى أبي بكر، وسأله مسائل عجز عنها أبو بكر. فقال له: كفّ أيّها النصراني، وإلا أبحنا دمك. فقال الجاثليق: أهذا عدل على ما جاء مسترشداً طالباً؟!

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١٦، شرح الخطبة ١٠٠.

دُلُّوني على من أسأله عمّا أحتاج إليه. فجاء علي عليه السلام - إلى أن قال - فقال له الجاثليق: بم بنت أيّها العالم عن الرعية الناقصة؟ قال عليه السلام: بما أخبرتك به عن علمي بما كان وما يكون. قال: فهلمّ شيئاً من ذلك أتحقّق به دعواك. فقال عليه السلام: خرجت أيها النصراني من مستقرّك مستنكراً لمن قصدت بسؤالك له مضمراً خلاف ما أظهرت من الطلب والاسترشاد. فأُرِيت في منامك مقامي، وأُمرتَ فيه باتّباعي. قال: صدقت والله، وأنا أشهد ألّا إلّه إلا الله، وأنّ محمّداً رسوله، وأنّك وصيّه، وأحق الناس بمقامه. وأسلم الذين معه أيضاً فقال عمر له: الحمد لله الذي هداك غير أنّه يجب أن تعلم أنّ علم النبوة في أهل بيت صاحبها، والأمر بعده لمن رضي به العامة(١)...

ثمانية نفر من هذه الأمة إمامهم ضب

وفي (مناقب السروي) عن الأصبغ قال: أمرنا عليّ عليه السلام بالمسير من الكوفة إلى المدائن. فسرنا يوم الأحد، وتخلّف عنّا عمرو بن حريث، والأشعث، وجرير البجلي مع خمسة نفر. فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له الخورنق، والسدير، وقالوا: إذا كان يوم الجمعة لحقنا عليّاً قبل أن يجمع الناس. فصلّينا معه، فبينا هم جلوس، وهم يتغدّون إذ خرج عليهم ضبّ فاصطادوه فأخذه عمرو بن حريث فبسط كفّه. فقال: بايعوا. هذا أمير المؤمنين. فبايعه الثمانية ثم أفلتوه، وارتحلوا وقالوا: إنّ عليّاً يزعم أنه يعلم الغيب فقد خلعناه، وبايعنا مكانه ضباً - إلى أن قال بعد ذكر لحوقهم به عليه السلام وهو على المنبر - فقال: «إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(٢) وأنا أُقسم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر من هذه الأمة إمامهم ضبّ، ولو شئت أن أسمّيهم لفعلت» فتغيّرت ألوانهم(٣) -...

«وجميع شأنه لفعلت» قال ابن أبي الحديد: أقسم عليه السلام أنه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم أين خرج، وكيفية خروجه من منزله وأين يلج، وكيفية ولوجه، وجميع شأنه من مطعمه، ومشربه، وما عزم عليه من أفعاله، وما أكله، وما ادّخره في بيته، وغير ذلك من شؤونه وأحواله لفعل، وهذا كقول المسيح عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(٤).

(١) رواه أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٢٢ جزء ٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١. (٣) مناقب السروي ٢: ٢٦٢.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٧، والآية ٤٩ من آل عمران.

علي عليه السلام يُخبر ربيعة بن أبي شداد بمقتله

وفي (تاريخ الطبري): لما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليّاً عليه السلام أصحابه وشيعته. فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنة النبيّ صلى الله عليه وآله فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي - وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم - فقال له عليّ عليه السلام: بايع على كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. قال له عليّ عليه السلام: ويلك لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحقّ فبايعه. فنظر إليه عليّ عليه السلام وقال: «أما والله لكأني بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنّي بك وطئتك الخيل بحوافرها». فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة[1].

ورواه (خلفاء ابن قتيبة) وزاد: قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه، ومثّلت به. فذكرت قول عليّ عليه السلام، وقلت: لله درّ أبي الحسن ما حرّك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك[2].

ويروي أبو الجهم العدوي عن علي عليه السلام

ورووا عن أبي الجهم العدوي - وكان معادياً لعليّ عليه السلام - قال: خرجت بكتاب عثمان، والمصريون قد نزلوا بذي خشب إلى معاوية، وقد طويته طيّاً لطيفاً وجعلته في قراب سيفي، وقد تنكّبت عن الطريق وتوخّيت سواد الليل حتى كنت بجانب الجرف إذا رجل على حمار مستقبلي، ومعه رجلان يمشيان أمامه فإذا هو عليّ بن أبي طالب قد أتى من ناحية البدو، فأثبتني ولم أثبته حتى سمعت كلامه. فقال: أين تريد يا صخر؟ قلت: البدو فادع الصحابة. قال: فما هذا الذي في قراب سيفك؟ قلت: لا تدع مزاحك أبداً ثم جزته[3].

عاش في الإسلام قليلاً، وينعم في جوار الله كثيراً

ورووا أنه ذُكِر لأُسقف بدير الديلم من أرض فارس - وقد أتت عليه عشرون ومئة سنة - أنّ رجلاً - يعنونه عليه السلام - قد فسّر الناقوس. فقال: سيروا بي إليه. فإني أجده أنزع بطيناً. فلما وافاه عليه السلام قال: قد عرفت صفته في الإنجيل وأنا أشهد أنّه وصيّ ابن عمه.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦ سنة ٣٧.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٤٦.
(٣) رواه السروي في مناقبه ٢: ٢٥٩.

فقال عليه السلام له: جئت لتؤمن أأزيدك رغبة في إيمانك؟ قال: نعم. قال عليه السلام: انزع مدرعتك. فأرِ أصحابك الشامة التي بين كتفيك. فقال: أشهد ألّا إلّه إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وشهق شهقة. فمات.

فقال عليه السلام: «عاش في الإسلام قليلاً، وينعم في جوار الله كثيراً»(١).

أنت متمرّد

وروى أبو مخنف أنّ عَمْراً بن اليثربي الذي قتل يوم الجمل في أصحاب عائشة زيد بن صوحان، وعلباء، وهند الجملي من أصحابه عليه السلام: أسره عمّار بن ياسر، وجاء به إليه قال له عليه السلام: أدنني منك أُسارّك. فقال عليه السلام له: أنت متمرّد، وقد أخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله بالمتمرّدين، وذكرك فيهم. فقال له أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك منك. فأمر به عليّ عليه السلام فضربت عنقه(٢).

رجل شديد العداوة لعلي عليه السلام يحمل كتاباً من عائشة

ومثله وقع لابنه الحسن عليه السلام مع ابن ملجم(٣). وروى محمد بن يعقوب أنّ عائشة أنفذت رجلاً شديد العداوة له بكتاب لها إليه. فمضى فاستقبله راكباً فناوله الكتاب. ففضّ خاتمه ثم قرأه ثم قال له: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا، ونكتب جواب كتابك. قال: هذا والله لا يكون. فثنى عليه السلام رجله فنزل وأحدق به ثم قال للرجل: أسألك؟ قال: نعم. قال: وتجيبني؟ قال: نعم.

قال: ناشدتك الله أقالت عائشة: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل فأُتي بك. فقالت: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل. فقلت كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي، وأنّي ضربته ضربة بالسيف يسبق السيف الدم؟ فقال: اللهمّ نعم.

قال: فأنشدك الله أقالت: فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً أما إنّك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً بغلة النبيّ متنكّباً قوساً، معلقاً كنانته بقربوس سرجه، أصحابه خلفه كأنّهم طير صوافّ؟ قال: اللهمّ نعم.

(١) رواه السروي في مناقبه ٢: ٢٦٨.
(٢) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٨٦، شرح الخطبة ١٣.
(٣) روى ما وقع بين الحسن عليه السلام وبينه الطبري في تاريخه: ٤/ ١١٢ سنة ٣٨، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١/ ١٦٠، وأبو الفرج في المقاتل: ٢٢... وغيرهم.

قال: فأنشدك الله هل قالت لك؟: إن عرض عليك طعامه أو شرابه فلا تنالنَّ منه شيئاً. فإنّ فيه السحر؟ قال: اللهمّ نعم.

قال فمبلغٌ عني؟ قال: اللهمّ نعم. فإني أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحبّ إليّ منك. فمُرني بما شئت.

فقال: ادفع كتابي هذا إليها، وقل لها: ما أطعت الله ورسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك(١). . . .

الإمرأة السَّلَقْلَقَةُ الجَلِعَة

وروى محمّد بن جبلة الخيّاط عن عكرمة عن زيد الأحمسي أنّ علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف. فوقفت فقالت لعليّ عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال عليّ عليه السلام: «وإنّها لهي السَّلَقْلَقَة الجَلِعَة المَجِعة، وإنها لهي. هذه شبيهة الرجال والنساء التي ما رأت دماً قط». فولّت هاربة منكسة رأسها. فتبعها عمرو بن حريث. فلما صارت بالرحبة قال لها: والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل. فادخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك. فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها، وكشفها، ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها. فبكت وسألته أن لا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب النساء وانثيان كانثيي الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها ثم جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره.

فقال: إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمرّدين عليّ من الرجال والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة. ونقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام فقمت بالأمر(٢).

حكمت عليك بالحق الذي علمته

وروى (البصائر) عن الحرث الأعور قال: كنت ذات يوم مع أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس إذ أقبلت امرأة مستعدية على زوجها. فتكلمت بحجّتها وتكلم الزوج بحجّته. فوجب القضاء عليها. فغضبت غضباً شديداً ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين لقد حكمت

---

(١) أخرجه الصفار في البصائر: ٢٦٣ ح ٤، والسروي في مناقبه ٢: ٢٦٠، والراوندي في الخرائج عنه فتن البحار: ٣٨٨، لكن لم يوجد في الكافي والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٨، شرح الخطبة ٣٧.

عليّ بالجور وما بهذا أمرك الله تعالى. فقال لها: يا سلفع، يا مهيع، يا قردع، بل حكمت عليك بالحقّ الذي علمته. فلما سمعت منه هذا الكلام ولّت هاربة - إلى أن قال - قالت: أما قوله لي: يا سلفع فوالله ما كذب على أنّي لا أحيض من حيث تحيض النساء(١).

قوله عليه السلام في القرامطة

وقال ابن أبي الحديد: ومن عجيب ما وقفت عليه من إخباره عليه السلام عن الغيوب قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم - وهو يشير إلى القرامطة ينتحلون لنا الحبّ والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم ورّاثنا. وهجرهم أحداثنا.

وصحّ ما أخبر به لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقاً كثيراً وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني.

ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالغريّ، وبالحائر فلم يعرّج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف(٢).

الإمام علي عليه السلام يخبر عن هولاكو ودور ابن طاووس في دولته

قلت: ومن غريب ما وقفت عليه ما رواه النعماني في (غيبته) بإسناده عن أبي صادق أنه عليه السلام قال: ملك بني العباس عُسْرٌ لا يسر فيه، دولتهم لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لم يزيلوه، ولا يزالون يتمرغون ويتنعمون في غضارة من ملكهم حتى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم، ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدئ ملكهم لا يمرّ بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلّا هدّها، ولا نعمة إلا أزالها. الويل لمن ناواه. فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به(٣).

فقوله عليه السلام «حتى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم» إشارة إلى خروج الأتراك الذين كانوا أمراء جيوش العباسيّين من زمان المعتصم عليهم وعزلهم خليفة، ونصبهم آخر، وسملهم لهم.

وقوله عليه السلام: «ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدئ ملكهم لا يمرّ بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا هدّها، ولا نعمة إلا أزالها الويل لمن ناواه» إشارة إلى

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٧٩ ح ١٨، وجمع غيره. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.
(٣) غيبة النعماني: ١٦٧.

هولاكو خان، وفتحه لبلاد الإسلام إلى بغداد، واستئصاله دولة العباسيّين، وقتله للمستعصم آخرهم.

وقوله: «ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به» إشارة إلى تفويضه الأمر إلى عليّ بن طاوس الذي كان تالي العصمة صاحب كرامات فإنه كان وجيهاً في دولة المغول، ومقرّباً عند هولاكو.

ونظيره روي عن الصادق عليه السلام وقد وقف ابن طاوس على ذاك، وأعتقد أنّه المراد ولكن لم يتفطّن لهذا. فقال في إقباله: عزم على الإفطار في (١٣) ربيع الأول من سنة (٦٦٢) فصامه لوجدانه حديثاً في ملاحم البطائني عن أبي بصير أنّ الصادق عليه السلام قال له: «إنّ الله أجلّ من أن يترك الأرض بلا إمام عادل، وليس ترى أمّة محمد صلى الله عليه وآله فرجاً أبداً ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم. فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأُمّة محمد برجل منّا أهل البيت يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا، إني لأعرفه باسمه واسم أبيه».

قال ابن طاوس: ومن حيث انقرض ملك بني العباس لم أجد ولم أسمع برجل من أهل البيت يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا كما قد تفضّل الله علينا ظاهراً وباطناً، وغلب على ظنّي أن ذلك إشارة إلينا، وإنعام علينا. فقلت: اللهمّ إن كنت أنا الرجل المشار إليه فلا تمنعني عن صومه على عادتك عندي. فوجدت إذناً، وأمراً بصومه فصمته وقد تضاحى نهاره، وقلت: إن كنت أنا المشار إليه. فلا تمنعني من صلاة الشكر وأدعيتها. فقمت ولم أمنع بل وجدتني مأموراً. فصلّيتها، ودعوت بأدعيتها، وقد رجوت أن يكون تعالى شرّفني بذكر في الكتب السالفة على لسان الصادق عليه السلام فإننا قبل الولاية على العلويين كنّا في تلك الصفات مجتهدين، وبعد الولاية على العلويين زدنا في الاجتهاد في هذه الصفات والسيرة فيهم بالتقوى، والعمل معهم بالهدى، وترك الرشا قديماً وحديثاً، ولا يخفى ذلك على من عرفنا، ولم يتمكن أحد في هذه الدولة القاهرة من العترة كما تمكّنا نحن من صدقاتها المتواترة، واستجلاب الفرامين المتضمنة لعدلها ورحمتها المتظاهرة[1]....

والنعماني ألّف كتابه في سنه (٣٤٠) فقال فيه مشيراً إلى القائم عليه السلام «وله الآن نيف وثمانون سنة»[2] وهولاكو كان بعد (٦٦٠) هذا. واختلف تعبيره مع تعبير الصادق عليه السلام

(١) الإقبال: ٥٩٩ و ٦٠٠ والنقل بتصرف يسير.
(٢) غيبة النعماني: ١٠٣.

عن ابن طاوس فقال عليه السلام: «من عترتي» وقال: الصادق عليه السلام «منّا أهل البيت» لأنّ ابن طاوس كان حسنياً.

وقال ابن أبي الحديد: وقال عليه السلام في هذه الخطبة - وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة -: «كأني بالحجر الأسود منصوباً هاهنا برهة، ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه وأسه، يمكث هاهنا برهة ثم هاهنا، وأشار إلى البحرين ثم يعود إلى مأواه وأمّ مثواه» - ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام (١).

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، هذه المواضع التي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة بل من كلام له عليه السلام وجدته متفرّقاً في كتب مختلفة.

جوابه عليه السلام لتميم بن أُسامة

ومن ذلك أنّ تميم بن أُسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخطب على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة، وتهدي مئة إلا نبّأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه، ومدخله وجميع شأنه».

فقال له فكم في رأسي طاقة شعر. فقال له: «أما والله إني لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به، ولقد أُخبرت بقيامك، ومقالك، وقيل لي: إنّ على كلّ شعرة [في] رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزّك، وآية ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله، ويحض على قتله».

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين بالصاد المهملة يومئذ طفلاً رضيعاً. ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد فأخرجه إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده إن أرجأ ذلك فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته(٢).

أيقتل الحسين عليه السلام يا براء وأنت حي لا تنصره!

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً: «يا براء!

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨، والنقل بتصرف يسير.

أيقتل الحسين عليه السلام وأنت حيّ فلا تنصره» فقال: لا كان ذلك. يا أمير المؤمنين فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأُقتل دونه(١).

علي عليه السلام يُخبر عما يجري في كربلاء

قلت: وروى (صفين نصر) مسنداً عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ عليه السلام غزوة صفين. فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة. فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: «واهاً لك أيّها التربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب».

فلما رجع إلى امرأته وهي جرداء بنت سمير - وكانت شيعة لعليّ عليه السلام فقال لها زوجها هرثمة؛ ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمّها وقال: «واهاً لك يا تربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. وما علمه بالغيب؟» فقالت: دعنا منك أيها الرجل. فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقّاً.

فلما بعث عبيد الله البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام وأصحابه قال كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل بنا عليّ عليه السلام فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله. فكرهت مسيري. فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلّمت عليه وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال: معنا أنت أو علينا؟

فقلت: يا بن رسول الله لا معك، ولا عليك، تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام: فولّ هربا حتى لا ترى لنا مقتلاً، فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلا أدخله الله النار. فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي عليّ مقتله.

وروي عن ابن جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع. فقال: حديث حدثتنيه عن عليّ عليه السلام قال: نعم. بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام فأتيته بكربلاء. فوجدته يشير بيده ويقول: هاهنا، هاهنا. فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: ثقلٌ لآل محمّد صلى الله عليه وآله ينزل هاهنا، فويلٌ لهم منكم، وويل لكم منهم.

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٩.

قال: «ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم إلى النار»[١].

ومر في العنوان السابق إخباره عليه السلام بكون خالد بن عرفطة صاحب جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن عمّار يدخل بها من باب الفيل. فكان خالد على مقدمة عمر بن سعد، وصاحب رايته حبيب أدخلها المسجد من باب الفيل.

وروى (عيون ابن بابويه) مسنداً عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام قال: كأنّي بالقصور قد شيّدت، حول قبر الحسين، وكأنّي بالمحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين ولا تذهب الليالي والأيام حتى يسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان[٢].

وعن النعمان بن سعد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمِّ ظلماً اسمه اسمي، واسم أبيه اسم ابن عمران؛ موسى ألا فمن زاره في غربته غفر الله تعالى ذنوبه[٣]. . . .

وروى (مروج المسعودي): أنه لما بلغه عليه السلام تثبيط أبي موسى الأشعري، أهل الكوفة عن اللحوق به، ويقول لهم: إنما هي فتنة، كتب عليه السلام إليه: «اعتزل عملنا يا بن الحائك مذموماً مدحوراً. فما هذا أوّل يومنا منك، وإنّ لك فيها لهنات وهنيّات[٤] - وقوله «وإنّ لك» إشارة إلى صيرورته حكماً وحكمه عليه عليه السلام.

«**ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله** صلى الله عليه وآله» قال ابن أبي الحديد: أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على النبيّ صلى الله عليه وآله بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلٰهية كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام لما أخبرهم بالأمور الغائبة[٥].

ومع أنّه عليه السلام قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه بالنبي صلى الله عليه وآله فقد كفر كثير منهم، وادّعوا فيه النبوة وادّعوا فيه أنّه شريك الرسول في الرسالة، وادّعوا فيه أنه هو كان الرسول، ولكن الملك غلط فيه، وادّعوا أنّه الذي بعث محمّداً إلى الناس، وادّعوا فيه الاتّحاد، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلا قالوه، واعتقدوه، وقال شاعرهم فيه:

---

(١) وقعة صفين: ١٤٠ - ١٤١.
(٢) رواه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٤٨ ح ١٩٠، وصاحب مسند الرضا عليه السلام فيه: ٤٧٠.
(٣) رواه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٢٦٢ ح ١٧، وفي الفقيه ٢: ٣٤٩ ح ٣٠، وفي أماليه: ١٠٤ ح٥، المجلس ٢٥.
(٤) مروج الذهب ٢: ٣٥٩.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

[البحر الهزج]

ومـن أهـلـك عـاداً وثـمـوداً بـدواهـيـهِ   مـن كـلّـم مـوسـى فـوق طـور إذ يـنـاديـهِ
ومن قال على المنبر يوماً وهو راقيهِ   سلوني أيها الناس فحاروا في معانيهِ

وأيضاً : [البحر الخفيف]

إنـمـا خـالـق الـخـلائـق مـن زعـزع   أركـان حـصـن خـيـبـر جَـذْبَـا
قـد رضـيـنـا بـه إمـامـاً ومـولـى   وسـجـدنـا لـه إلَـهـاً وَرَبَّـا

وقال الشهرستاني في (ملله): السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنت أنت» يعني أنت الإلّه فنفاه إلى المدائن وزعموا أنّه كان يهوديّاً فأسلم. وكان في اليهودية يقول في يوشع وصيّ موسى مثل ما قال في عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول من أظهر القول بالفرض بإمامة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنه انشعبت أصناف الغلاة، وزعموا أنّ عليّاً حيّ لم يقتل، وفيه الجزء الإلّهي، ولا يجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجي في السحاب والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[١].

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ واجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة، وقالت بتناسخ الجزء الإلّهي في الأئمة بعد عليّ، وهذا المعنى كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف مراده. هذا عمر - رضي الله عنه - كان يقول فيه حين فقأ عين واحد في الحرم، ورفعت القصة إليه «ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله» فأطلق عمر اسم الآلهة عليه لما عرف منه ذلك[٢].

«**ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمَنُ ذلك منه**» وممّن أفضى عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه وأظهر له مآل أمره من خواص شيعته؛ ميثم التمار، وكميل بن زياد، وقنبر ورشيد الهجري، ومزرع بن عبيدالله، وجويرية بن مسهر، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وجمع آخر.

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخبر ميثم التمار عن أصله ومصرعه

فروى محمد بن محمّد بن النعمان أنّ ميثماً كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه عَلَيْهِ السَّلَامُ منها فأعتقه. فقال له: ما اسمك؟ قال: سالم. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخبرني النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ اسمك الذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم. قال: صدق الله ورسوله،

(١) قد أثبت العلّامة السيد مرتضى العسكري في بطلان أُسطورة السبائية هذا في كتابه: «عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى» فراجعه.
(٢) الملل والنحل ١: ١٥٥، والنقل بتصرف يسير.

وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنّه لاسمي. قال: فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودع سالماً. فرجع إلى ميثم، واكتنى بأبي سالم، وقال عليه السلام له ذات يوم: «إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربه فإذا كان يوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، وامض حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها» فأراه إياها.

وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: «بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت، ولم يزل يتعاهدها حتى قطعت، وكان يلقى عمرو بن حريث. فيقول له: إني مجاورك. فأحسن جواري. فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم - وهو لا يعلم ما يريد -.

وحجّ في السنة التي قتل فيها. فدخل على أمّ سلمة. فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم. قالت: والله لربما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك، ويوصي بك عليّاً عليه السلام في جوف الليل. فسألها عن الحسين عليه السلام؟ فقالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أنّني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين، فدعت أمّ سلمة بطيب، وطيّبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستخضب بدم.

عبيد الله بن زياد يصلب ميثماً كما قال علي عليه السلام

فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأُدخل عليه. فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند عليّ. قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ قيل له: نعم. قال له عبيدالله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت أحد الظلمة، قال إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد، ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟ قال: أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة. قال: لنخالفنّه قال: كيف تخالفه فوالله ما أخبرني إلا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الله تعالى فكيف تخالف هؤلاء، ولقد عرفت الموضع الذي أُصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله أُلجم في الإسلام».

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد. فقال له ميثم: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام. فتقتل هذا الذي يقتلنا. فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلّاه.

وأمر بميثم أن يصلب. فأُخرج فقال له رجل لقيه: ما أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسّم وقال - وهو يومئ إلى النخلة - «لها خلقتُ ولي غذيت» فلما رفع على الخشبة اجتمع

الناس حوله على باب عمرو بن حريث وقال عمرو: قد كان والله يقول: «إني مجاورك» فأمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره. فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم. فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد. فقال: ألجموه وكان أول خلق الله أُلجم في الإسلام وكان قتله قبل قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام.

فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة. فكبّر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً - قال المفيد: والرواية به بين العلماء مستفيضة(١).

الحجّاج يقتل كميل بن زياد

وفي (الإرشاد) أيضاً: روى جرير عن المغيرة قال: لما وليَ الحجّاج طلب كميل بن زياد. فهرب منهم فحرم قومه عطاءهم. فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري، ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم. فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج. فلما رآه قال له: لقد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلاً. فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنيابك، ولا تهدّم عليّ فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار. فاقض ما أنت قاض. فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي.

فقال له الحجّاج: الحجّة عليك إذن. فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك قال: بلى قد كنت في من قتل عثمان. اضربوا عنقه. فضربت عنقه(٢).

الحجاج يذبح قنبراً

وفيه أيضاً: روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجاج قال ذات يوم: أُحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب. فأتقرّب إلى الله بدمه. فقيل له: ما نعلم أحداً كان له أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه. فبعث في طلبه. فأُتي به. فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم قال: أبو همدان؟ قال: نعم. قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأمير المؤمنين وليّ نعمتي. قال: إبرأ من دينه. قال: فإذا برئت من دينه تدلّني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إني قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك قال: قد صيّرت ذلك إليك قال: ولم قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أن منيّتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق قال فأمر به فذبح(٣).

---

(١) الإرشاد: ١٧٠، والنقل بتصرف يسير. (٢) الإرشاد: ١٧٢.

(٣) الإرشاد: ١٧٣.

زياد بن أبيه يقتل رشيداً الهجري

وفيه روى ابن عباس عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجري. فقال له زياد: ما قال لك صاحبك - يعني عليّاً عليه السلام - إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطّعون يدي ورجلي، وتصلبونني.

فقال زياد: أمَ والله لأكذّبنّ حديثه. خلّوا سبيله. فلما أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شرّاً مما قال له صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه. فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام. فقال زياد: اقطعوا لسانه. فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عمّن ثقاتهم عمّن سميناه واشتهر أمره عند علماء الجميع.

علي عليه السلام يُخبر عن مقتل مزرع بن عبدالله وصلبه

وفيه روى عبدالعزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبد الله قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: أما والله ليقبلنّ جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت له إنك لتحدّثني بالغيب؟ قال: احفظ ما أقول لك، والله ليكوننّ ما أخبرني به عليه السلام وليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد. قلت: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزرع فقُتل وصُلب بين الشرفتين، وقال: قد كان حدّثني بثالثة. فنسيتها.

علي عليه السلام يحدّث جويرية بقتله

وفيه روى العلماء أن جويرية بن مسهّر وقف على باب القصر. فقال: أين أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقيل له: نائم. فنادى: أيّها النائم استيقظ فوالذي نفسي بيده لتضربنّ ضربة على رأسك تخضب منها لحيتك كما أخبرتنا بذلك من قبل فسمعه عليه السلام فنادى أقبل يا جويرية حتى أُحدثّك بحديثك. فأقبل فقال: وأنت - والذي نفسي بيده - لتعتلنّ إلى العُتُلّ الزنيم، وليقطعنّ يدك ورجلك ثمّ لتصلبنّ تحت جذع كافر. فمضى على ذلك الدهر حتى ولي زياد في أيام معاوية فقطع يده ورجله ثم صلبه على جذع ابن مكعبر - وكان جذعاً طويلاً - فكان تحته[1].

(١) الإرشاد: ١٧٠ - ١٧١.

إخباره عن حجر بن عدي الكندي وأصحابه وعن عمرو بن الحمق الخزاعي

وروى النسوي أنّ علياً عليه السلام قال: «يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود» - فقتل حجر وأصحابه (بمرج عذراء)(١).

وروى الكشّي في خبر أن علياً عليه السلام لما نزل الكوفة أتاه عمرو بن الحمق فأقام معه ثم قال عليه السلام له يوماً: ألك دار؟ قال: نعم قال: بعها واجعلها في الأزد. فإني غداً لو غبتُ لطلبت. فمنعك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجّهاً إلى حصن الموصل - إلى أن قال:

«**فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا وكذا رهقتك الخيل. فانزل عن فرسك ومرّ إلى الغار فإنه يشترك في دمك فسقة من الجنّ والإنس**» - إلى أن قال -:

فنزل عن فرسه ودخل الغار وعار فرسه. فلما دخل الغار ضربه أسود سالح فيه، وجاءت الخيل. فلما رأوا فرسه عائراً. قالوا: هذا فرسه وهو قريب. فطلبوه فأصابوه في الغار فكلما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللّحم. فأخذوا رأسه. فأتوا به معاوية فنصبه على رمح، وهو أول رأس نصب في الإسلام(٢).

وفي (أُسد الغابة): كان ممّن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار، وصار بعد ذلك من شيعة عليّ عليه السلام وأعان؛ حجر بن عدي، وكان من أصحابه فخاف زياداً فهرب من العراق إلى الموصل، واختفى في غار بالقرب منها. فأرسل إلى معاوية العامل بالموصل ليحمل عمراً إليه. فأرسل العامل عبدالرحمن بن أم الحكم ابن أُخت معاوية - ليأخذه من الغار. فوجده ميّتاً قد نهشته حيّة. فأخذوا رأسه. قال عمّار الذهبي: أوّل رأس حمل في الإسلام رأس عمرو(٣).

تفسير كلامه عليه السلام والأقوال فيه

«**والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق. ما أنطق إلا صادقاً**» روى الثقفي في (غاراته) عن الأعمش عن رجاله قال: خطب عليّ عليه السلام فقال: والله لو أمرتكم فجمعتم

(١) رواه عن تاريخ النسوي السروي في مناقبه: ٢٧٢.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ٤٦ ح ٩٦، والنقل بتصرف يسير.
(٣) أُسد الغابة ٤: ١٠٠.

من خياركم مئة ثم لو شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلا حقاً ثم لتخرجنّ فلتزعمنّ أنّي أكذَبُ الناس، وأفجرهم[١].

«**وقد**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولقد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«**عهد إلي ذلك كله**» ومن كلامه عليه السلام المتواتر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لي: «إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي»[٣].

«**وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو**» قال ابن أبي الحديد: أي من الصحابة وغيرهم[٤].

«**وما آل هذا الأمر**» وفي ابن ميثم: «ومآل هذا الأمر» وهو الصحيح. قال ابن أبي الحديد: أي: أمر الإسلام، وأمر الخلافة والدولة[٥].

قال ابن أبي الحديد: اعلم أنه غير مستحيل أن يكون بعض الأنفس مختصّة بخاصية تدرك بها المغيبات، وقد تقدّم من الكلام في ذلك ما فيه الكفاية، ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كل المغيبات، لأنّ القوّة المتناهية لا تحيط بأمور غير متناهية، وكلّ قوة في نفس حادثة، فهي متناهية. فوجب أن يحمل كلامه عليه السلام لا على أن يريد به عموم العالمية بل يعلم أموراً محدودة من المغيبات مما اقتضت حكمة الباري سبحانه أن يؤهّله لعلمه، وكذلك القول في النبيّ صلى الله عليه وآله إنه إنما كان يعلم أموراً معدودة لا أموراً غير متناهية[٦].

قلت: العلم الفعلي كما ذكر لا يمكن حصوله عموماً لبشر من نبيّ أو وصيّ وإنما هو مختصّ بالله تعالى الذي علمه ذاتي ولدنيّ، وأما العلم القُوّيّ فلا مانع من حصول ملكة عمومه على قدر الطاقة البشرية.

وروى ابن المغازلي عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما علّمني (ربّي) شيئاً إلا

(١) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧، شرح الخطبة ٦٩، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٧، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٤٦، مثل المصرية.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، والبخاري في تاريخه ١ ق ٢: ١٧٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٢١٦، والجوهري في السقيفة: ٦٩، وغيرهم.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.
(٥) شرح ابن أبي ميثم ٣: ٣٤٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٨.

علمه عليّاً فهو باب مدينة علمي» - ثم دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إليه فقال له: «يا عليّ سلمك سلمي، وحربك حربي وأنت العلم في ما بيني وبين أمّتي من بعدي»(١).

وعن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في دعوة إبراهيم ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(٢) لما قال تعالى له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قط. فاتّخذني الله نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً»(٤).

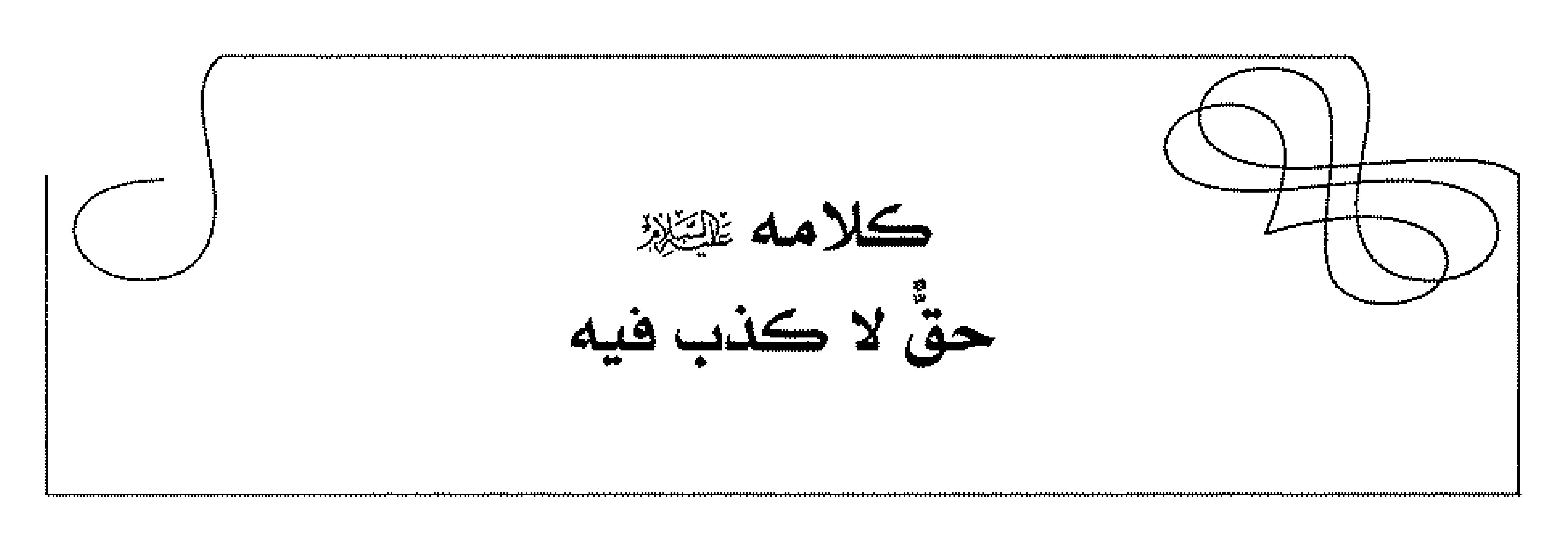
«**وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلا أفرغه في أذني**» جمعه عليه السلام بين المرّ على الرأس، والإفراغ في الأُذن في غاية الفصاحة، كما أنّ كلّاً من المرّ على الرأس والإفراغ في الأُذن كناية حسنة في نفسها كقوله عليه السلام.

«**وأفضى به إليّ**» أي: أصحره لي، أي: في أيام الثلاثة وغدرهم به وعدم رعايتهم لقول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه يوم الغدير، وفي أيام قيامه، ونكث الناكثين، وقسط القاسطين، ومروق المارقين، وتخاذل الناس عنه إلى شهادته، ومثله أهل بيته المعصومون كانوا يعلمون ما يجري عليهم من أعدائهم أيام حياتهم، ولذا كانوا يقولون: شيعتنا أصبر منّا، لأنّا نصبر على ما نعلم، وهم يصبرون على ما لا يعلمون.

«**أيها الناس إني والله ما أحثّكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها**» كونه عليه السلام كما قال أمر واضح يصدّقه كلّ مؤالف ومخالف، ولا ينكره إلا مكابر، وأما قول عروة بن الزبير - وكان من بغضه له عليه السلام أنه كان يأخذه الرمع عند ذكره عليه السلام فيسبّه ويضرب بيده على الأخرى - «يغنى أنه لم يخالف إلى ما نهى عنه، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق»(٥) فيقال له: إنما أراق عليه السلام دماء المنافقين بشهادة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(٦) فجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله الكفّار بشخصه وجاهد المنافقين بنفسه أي: بأمير المؤمنين عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾(٧) ولولاه يلزم أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله ما امتثل أمره تعالى.

---

(١) المناقب لابن المعازلي: ٥٠ ح ٧٣.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٤) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٦ ح ٣٢٢.
(٥) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٠، شرح خطبة ٥٧.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٦١.



كلامه عليه السلام
حقٌّ لا كذب فيه

قال عليه السلام: **مَا كَذَّبْتُ وَلا كُذِبْتُ، وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بِي.** الحكمة (١٨٥)

أقول: قال ابن أبي الحديد: قالها مراراً إحداهنّ في واقعة النهروان(١).

قلت: إنما روى من قوله عليه السلام الفقرة الأولى في تلك الواقعة كما سترى، وقد رويت في تلك مرتين: إحداهما في ذي الثدية، والأخرى في عبور الخوارج الجسر، وروي جميع العنوان مع إضافة في الجمل، ورويت الفقرة الأولى في إخباره عن تسلّط بني أمية بعده أيضاً.

والله ما مات معاوية

ففي (المروج): دسّ معاوية أُناساً إلى الكوفة يشيعون موته. فأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليّاً عليه السلام فقال في مجلسه: قد أكثرتم من نعي معاوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي، وإنما أراد ابن آكلة الأكباد أن يعلم ذلك منّي. فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ما عندي فيه. ومرّ عليه السلام في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب؛ فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق. فقام رجل وقال: لقد وصفت أموراً عظيمة. إن ذلك كائن؟ قال عليه السلام: «والله إنّ ذلك كائن، ما كذبت ولا كُذبت». فقال آخر: متى ذلك؟ فقال: إذا خضبت هذه من هذه - ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه - فقال عليه السلام: لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلاً(٢).

ذو الثدية

«ما كذبت ولا كُذبت» في (تاريخ الطبري) عن أبي مخنف أنّ عليّاً عليه السلام خرج في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٨، والنقل بتصرف يسير.

طلب ذي الثُدَيَّة. فوجده الريّان بن صبرة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً. فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة. فلما استخرج قال عليّ عليه السلام: «الله أكبر! ما كذبت ولا كذبت. أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم مستبصراً في قتالهم عارفاً بالحق الذي نحن عليه»(١).

أبو قتادة يخبر عائشة عن معركة النهروان وعائشة تشهد بالحق

وروى الخطيب في أبي قتادة أنّ عليّاً عليه السلام لما فرغ من قتال أهل النهروان قفل أبو قتادة ومعه ستّون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشة فقالت له: ما وراءك؟ فقال لها لما تفرقت المحكّمة من عسكر أمير المؤمنين لحقناهم فقتلناهم. فقالت: ما كان معك من الوفد؟ قال: بلى ستّون أو سبعون قالت: أفكلّهم يقول مثل الذي تقول؟ قال: نعم. قالت: فقصّ عليّ القصة - إلى أن قال -.

قال لها أبو قتادة: فأقمنا ندور على القتلى حتى وقفت على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى راكبها. فقال: اقلبوا القتلى وهم في نهر. فقلبناهم حتى خرج في آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمة الثدي. فقال عليّ عليه السلام: «الله أكبر، والله ما كذبت ولا كذبت كنت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وقد قسّم فيئاً. فجاء هذا فقال: اعدل يا محمد فوالله ما عدلت منذ اليوم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ثكلتك أمّك! ومن يعدل إذا لم أعدل. فقال عمر: ألا أقتله؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله له: دعه فإنّ له من يقتله».

فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحقّ. سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «تفترق أمّتي على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلّقون رؤوسهم، محفّون شواربهم، أُزرهم إلى إنصاف سوقهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقتلهم أحبّهم إليّ، وأحبّهم إلى الله تعالى».

قال أبو قتادة: فقلت: يا أمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا فَلِمَ كان الذي منك؟

قالت: يا أبا قتادة! كان أمر الله قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب. . . .

قلت: الذي كان من أبي جهل مع النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً كان قدراً وله أسباب(٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٥، سنة ٣٧، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٥٩، والنقل بتصرف يسير.

التمسوا المخدّج

وروى الخطيب أيضاً في ابن عباس عنه قال: خرج عليّ عليه السلام وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه - يعني المخدّج - فالتمسوه فجاؤوا فقالوا: لم نجده. فعرف ذلك في وجهه. فقال: ويلكم! ضعوا عليهم القصب فجاؤوا به. فلمّا رآه خرّ ساجداً(١).

وروى في أبي جحيفة عنه قال: قال عليّ عليه السلام إنّ في الحرورية رجلاً مخدجاً - إلى أن قال - فالتمسوه فلم يوجد - وأنا في من يلتمس - فما رأيت عليّاً عليه السلام جزع جزعاً قط أشدّ من جزعه يومئذ. فقالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين. قال: ويلكم! ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: صدق الله ورسوله وكذبتم إنه لفيهم فالتمسوه فالتمسناه فوجدناه في ساقية(٢)....

وروى في عبد الله بن خباب أنه عليه السلام قال: اطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة. فطلبوا ثم رجعوا إليه فقالوا: ما وجدنا. فقال: «والله ما كذبت ولا كُذبت وإنه لفي القوم» - ثلاث مرات - يجيئونه فيقول لهم هذا القول(٣).

عودة لذي الثدية ومقتله

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم قال: قال علي عليه السلام: يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية. فلما طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة. فلم أزل كذلك، وأنا بين يديه وهو راكب خلفي والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذاً هو يقول: «ما كذبت ولا كُذبت» فإذا خرير ماء عند موضع فقال: فتّش هذا ففتّشته فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان. فنزل عن البغلة مسرعاً فجذب الرجل الأخرى، وجرّرناه حتى صار على التراب. فإذا هو المخدّج. فكبّر علي عليه السلام بأعلى صوته ثمّ سجد فكبّر الناس كلهم(٤).

والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ

وفي (كامل المبرد): قيل لعليّ عليه السلام إنهم يريدون الجسر. فقال لن يبلغوا النطفة،

---

(١) تاريخ بغداد ١: ١٧٤.
(٢) تاريخ بغداد ١: ١٩٩.
(٣) تاريخ بغداد ١: ٢٠٦.
(٤) لم أجده في تاريخ بغداد.

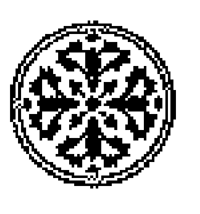
وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكّون ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين. فقال: «والله ما كذبت ولا كُذبت»[١]. . . .

وعن أبي مخنف قام في الجمل رجل إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أيّ فتنة أعظم من هذه. إنّ البدريّة ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف. فقال علي عليه السلام: «ويحك! أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقّ وكرّم وجهه ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت، ولا ضلّ بي، ولا زللت ولا زلّ بي، وإني لعلى بيّنة من ربي بيّنها الله لرسوله، وبيّنها رسوله لي، وسأُدعى يوم القيامة، ولا ذنب لي، ولو كان لي ذنب لكفّر عنّي ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم»[٢].

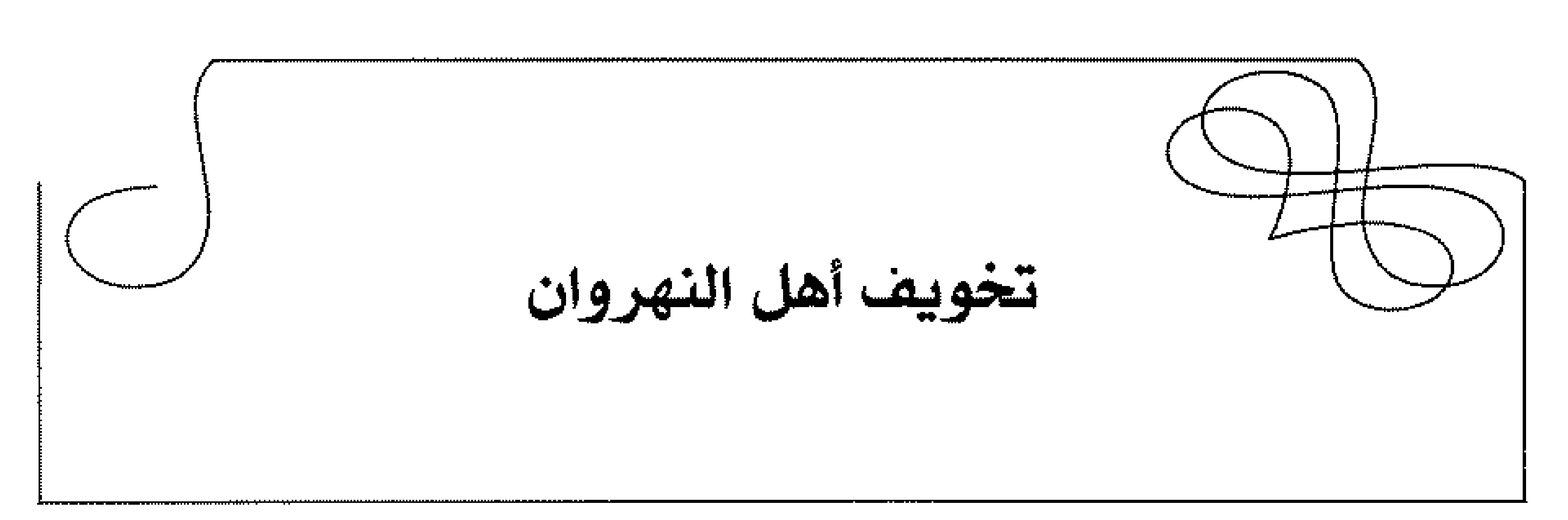
هذا وروى المدائني في (صفينه): أنّ عليّاً عليه السلام خطب بعد النهروان فذكر طرفاً من الملاحم - إلى أن قال - قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل (عليّ عليه السلام) عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل إلى نزله في شق محمل فمات من ليلته[٣].

«**ولا ضللت ولا ضلّ بي**» روى القمي في تفسير قوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[٤].

عن أبي جعفر عليه السلام يعني ما ضلّ النبيّ صلى الله عليه وآله في عليّ، وما ينطق فيه بالهوى، وما كان قال فيه إلا بالوحي الذي أوحي إليه[٥].



(١) الكامل في التاريخ للمبرد ٧: ١٠٧.
(٢) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٨٩، شرح الخطبة ١٣.
(٣) رواه صفين المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٩ و ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.
(٤) سورة النجم، الآيات: ٢ - ٤.
(٥) رواه القمي في تفسيره ٢: ٣٣٤، والنقل بتصرف يسير.



تخويف أهل النهروان

ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان: فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ؛ وَلَمْ آتِ - لا أَبَا لَكُمْ - بُجْراً، وَلاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً. الخطبة (٣٦)

يطلبون منه التوبة بعد الكفر

ومن كلام له عليه السلام كلّم به الخوارج:

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الأَعْقَابِ. أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاًّ شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً. الخطبة (٥٨)

قوله عليه السلام لأهل النهروان: أصابكم حاصبٌ ولا بقي منكم آبر

(قوله عليه السلام): «ولا بقي منكم آبر»، يروى بالباء والراء من قولهم: رجل آبر للذي يأبر النخل أي: يصلحه. ويروى: آثرٌ، وهو الذي يأثر الحديثن أي: يرويه ويحكيه، وهو أصحّ الوجوه عندي. كأنّه عليه السلام قال: (لا بقي منكم مخبّر. ويُروى: آبز بالزاي المعجمة وهو الواثب. والهالك أيضاً يقال له آبز).

أقول: جمعنا بينهما لأنّ الطبري رواهما كلاماً واحداً مع اختلاف ما؛ فروى عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام أتى أهل النهر. فوقف عليهم.

«فقال أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس، والخطب العظيم. إني نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان بيّن. ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم. عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم. فعصيتموني حتى إذا أقررت بأن حكّمت. فلما فعلت شرطت واستوثقت. فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن. فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة. فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول. فما الذي [جاء] بكم ومن أين أتيتم»؟ قالوا: إنّا حكّمنا فلمّا حكّمنا أثمنا وكنّا بذلك كافرين، وقد تبنا، فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا. فإنّا منابذوك على سواء. إنّ الله لا يحبّ الخائنين. فقال علي عليه السلام: «أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آثر وممكن وابر أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر. لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين»[1].

ورواه الزبير بن بكار في (موفقياته) أيضاً عن عليّ بن صالح قال: لما استوى الصفّان بالنهروان تقدّم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بين الصفّين ثم قال: أمّا بعد أيّتها العصابة التي أخرجتها عادة المراء والضلالة، وصدف بها عن الحقّ إلى الهوى والزيغ - إلى -:

فقال: خطيبهم: أما بعد يا عليّ فإنّا حين حكّمنا كان ذلك كفراً منّا، فإن تبت كما تبنا فنحن معك ومنك، وإن أبيت فنحن منابذوك على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين. فقال عليّ عليه السلام: «أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر. أبعد إيماني بالله وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله تعالى أقرّ بالكفر؟ لقد ضللت إذن، وما أنا من المهتدين، ولكن منيتُ بمعشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام، والله المستعان. ثم حمل عليهم فهزمهم[2].

وروى الطبري أيضاً عن أبي مخنف عن أبي سلمة الزهري ابن بنت أنس بن مالك، أن عليّاً عليه السلام قال لأهل النهر: يا هؤلاء! إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم أبدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكموها مكيدة ودهناً، فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٢، سنة ٣٧.
(٢) الموفقيات: ٣٢٥ ح ١٨١.

رأيكم وأنتم والله معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام. فلم آت - لا أباً لكم - حراماً، والله ما خبلتكم عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الشراء وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً. فأجمع رأي ملأكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصد للحقّ بسوء رأيهما، وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف. فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج من جماعتنا أن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم. إنّ هذا لهو الخسران المبين، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام[1].

هذا، وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان الأول: روى محمد بن حبيب قال: خطب عليّ عليه السلام الخوارج يوم النهر. فقال لهم: نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة. نحن أفق الحجاز بنا يلحق البطي، وإلينا يرجع التائب. أيّها القوم! إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الوادي[2]. . . .

قول المصنف: «في تخويف أهل النهروان» في (بلدان الحموي): النهروان ثلاث نهروانات: الأعلى والأوسط، والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد، وواسط من الجانب الشرقي، حدّها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة منها إسكاف، وجرجرايا، والصافية، ودير قُنّى.

وقال حمزة الأصبهاني: ويقبل من نواحي آذربيجان إلى جانب العراق وادجرار. فيسقي قرى كثيرة ثم ينصبّ ما بقي منه في دجلة أسفل المدائن، ولهذا النهر اسمان أحدهما فارسي والآخر سرياني فالفارسي (جوروان) والسرياني تامّرا فعرب الاسم الفارسي. فقيل: نهروان.

وفي (بلدان ابن الكلبي): تامر ونهروان ابنا جوخي حفرا النهرين فنسبا إليهما[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٣، سنة ٣٧.
(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٧، شرح الخطبة ٣٦.
(٣) معجم البلدان ٥: ٣٢٤ - ٣٢٥.

بيعة الخوارج لعبد الله بن وهب

وفي (تاريخ الطبري): لما بعث عليّ عليه السلام أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي. فقال لهم: فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذا البدع المضلّة، فقال له حرقوص بن زهير: المتاع بهذه الدنيا قليل، وقال حمزة بن سنان الأسدي: ولّوا أمركم رجلاً منكم فإنه لا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها وترجعون إليها. فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي، فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال: هاتوها فبايعوه. فقال بشر: نخرج إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها. فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين أتبعتم. اخرجوا وجداناً مستخفين حتى تنزلوا جسر نهروان. فأما المدائن فبها من يمنعكم. واجتمع خوارج البصرة أيضاً في خمسماءة رجل، وجعلوا عليهم مسعراً بن فدكي التميمي، وأقبل يعترض الناس، وعلى مقدّمته الأشرس بن العوف الشيباني، وسار حتى لحق بعبد الله بالنهر[1].

قوله عليه السلام «فأنا نذيركم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فأنا نذير لكم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«**إن تصبحوا صرعى**» أي: هلكى.

«**بأثناء هذا النهر**» في (الصحاح): الثني واحد أثناء الشيء: أي: تضاعيفه تقول: أنفذت كذا ثني كتابي، أي: في طيه[3].

«**وبأهضام**» جمع هِضم بالكسر: المطمئن من الأرض. يقال في التحذير «الليل وأهضام الوادي» أي: لعل هناك من لا يؤمن اغتياله.

«**هذا الغائط**» الأصل في الغائط: المطمئن من الأرض الواسع، ولما كان من أراد قضاء الحاجة أتى الغائط صار «أتى الغائط» كناية عن قضاء الحاجة و«الغائط» عن العذرة.

«**على غير بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين معكم**» فتكونوا خسرتم الدنيا والآخرة.

«**قد طوّحت بكم الدار**» أي: توّهت بكم وذهبت بكم هاهنا وهاهنا وفيه رمز إلى عدم

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٤ - ٥٦، سنة ٣٧، والنقل بتلخيص.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠١، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٨٩، مثل المصرية أيضاً.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٢٩٤، مادة (ثني).

إمكان الاستقرار للخوارج بأرض، فإنّهم كل يوم كانوا بموضع وهو إخبار بالغيب منه عليه السلام فيهم غير إخباره عليه السلام بهلاكتهم.

«**واحتبلكم المقدار**» أي: جعلكم القدر والقضاء في حبالته واصطادكم بها.

قاتل ذي الثدية خير الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله

قال ابن أبي الحديد في (مسند أحمد بن حنبل) عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ. فهل عندك علم من المخدّج. فقلت: نعم. قتله عليّ على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان بين الخافيق وطرفاء. قالت: إبغني على ذلك بيّنة. فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك. فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنّهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة»[1].

وفي (صفين المدائني): لما عرفت عائشة أنّ علياً عليه السلام قتل ذا الثُديَّة قالت لمسروق: لعن الله عَمْراً بن العاص فإنه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندرية، ألا إنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «يقتله خير أمّتي من بعدي»[2].

تفسير كلام الخطبة

«**وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة**» التي طلبها معاوية بتدبير عمرو بن العاص له، وقال عليه السلام - كما عرفت من رواية الطبري - «وأخبرتكم أن طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة، لكم نبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم عرفتهم أطفالاً ورجالاً أهل المكر والغدر»[3].

«**فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين**» إنما قال عليه السلام: «المخالفين المنابذين» لأنّهم لم يقنعوا بمجرد المخالفة بل قالوا له عليه السلام: لو لم تقبل الحكومة لقتلناك أو نأخذك ونعطيك بيد معاوية فنابذوا إليه عليه السلام طاعته. يقال نابذه الحرب أي كاشفه.

«**حتى صرفت رأيي إلى هواكم**» دفعاً لغائلتكم.

«**وأنتم معاشر أخفّاء**» جمع خفيف.

---

(١) رواه عن مسند أحمد ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٢، لكن لم أجده في مسند أحمد.

(٢) رواه عن صفين المدائني: ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٢، شرح الخطبة ٣٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٢، سنة ٣٧.

«**الهام**» أي: الرؤوس، وخفة الرأس دليل قلة العقل.

«**سُفهاء الأحلام**» والسفيه مقابل الحليم. فإضافة السفهاء إلى الأحلام تفيد أنّ حلمهم سفه.

«**ولم آت لا أباً لكم بجراً**» بالضم أي: شراً.

«**ولا أردت بكم ضرّاً**» بل نفعاً وخيراً.

«**أصابكم حاصب**» قال الجزري أي: عذاب من الله وأصله رميتم بالحصباء من السماء، وفي (الجمهرة): «ريح حاصب: تقشر الحصى عن وجه الأرض»(١).

«**ولا بقي منكم آبِر**» قد عرفت أنّ الطبري رواه «وابر»(٢). وهو الصحيح. فإنه الأنسب. قال الجوهري: وما بها وابر: أي أحد. قال الشاعر: **[البحر الكامل]**

فأبت إلى الحي الذين وراءهم   جريضاً ولم يفلت من الجيش وابر

وفي (الجمهرة): ولا يستعمل وابر إلا في النفي(٣).

هذا وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يزداد في تفسيرات الرضي بأن يقال المراد بقوله «آبر» أي: نمّام يفسد ذات البين، والآبر أيضاً من يبغي القوم من أبرت الكلب إذا أطعمته الأبرة في الخبز(٤).

قلت: هما إن صحا مفهوماً لم يصحّا مراداً. فإنه لا معنى لأن يقال لا بقي منهم نمّام أو آبر كلب. فليس كلما يصحّ مفهوماً يصحّ مراداً، ولذا فرّق الرضي بين معنيي «الآبز» بالزاي. ففسره بالأول، واقتصر في الثاني على أنّه مجرّد مفهوم.

علي عليه السلام يشدّ على الخوارج بعد إتمام الحجة عليهم

وكيف كان فقد استجيب دعاؤه عليه السلام عليهم كما وقع إخباره عليه السلام فيهم. قال ابن أبي الحديد: روى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل عبد الله بن خباب فأقرّوا به. فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة. فتكتّبوا كتائب وأقرّت كل كتيبة بمثل ما أقرّت به الأخرى من قتل ابن خباب وقالوا: ولنقتلنّك كما قتلناه. فقال

(١) النهاية ١: ٣٩٤، مادة (حصب)، وجمهرة اللغة ١: ٢٢٣.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٣.
(٣) صحاح اللغة ٢: ٨٤٢، مادة (وبر)، وجمهرة اللغة ٣: ٢٠٣.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، والنقل بتصرف في اللفظ.

علي عليه السلام: «والله لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا، وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم» ثمّ التفت إلى أصحابه. فقال لهم: «شدوا عليهم فأنا أول من يشد عليهم»، وحمل بذي الفقار حملة منكره ثلاث مرات كل حملة يضرب به حتى يعوج متنه ثم يخرج فيسوّيه بركبته ثم يحمل به حتى أفناهم(١).

أردتكم على ذلك فعصيتموني

وروى الطبري: أنه ما لبثوا عبد الله بن وهب وألفين وثماني مئة معه أن أناموهم، وروى عن حكيم بن سعد قال: ما هو إلّا أن لقينا أهل البصرة. فما لبثناهم فكأنّما قيل لهم موتوا فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم(٢).

وروى عن عون بن أبي جحيفة أنّ علياً عليه السلام لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج؛ زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا فقالا له: لا حكم إلا لله. فقال عليّ عليه السلام: لا حكم إلا لله.

فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيّتك، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال لهم علي عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣).

فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال عليّ عليه السلام: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل، وقد تقدّمت إليكم في ما كان منه، ونهيتكم عنه.

فقال له زرعة: أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله؛ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال له عليّ عليه السلام: بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح.

قال: وددت أن قد كان ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٤، سنة ٣٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

فقال له عليّ عليه السلام: «لو كنت محقاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا إن الشيطان قد استهواكم...»[١].

«**أبعد إيماني بالله**» أول من آمن به.

«**وجهادي مع رسول الله**» في جميع غزواته وليس عليه السلام في (المصرية) مع أنه في الثلاثة.

«**أشهدُ على نفسي بالكفر لقد ضللتُ إذن وما أنا من المهتدين**» قال ابن أبي الحديد: قال المبرد في (كامله): ومن شعر عليّ عليه السلام الذي لا اختلاف فيه أنه قاله وأنه كان يردده أنهم (أي: الخوراج) لما ساموه أن يقرّ لهم بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام. فقال «أبَعْدَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله والتفقّه في الدين أرجع كافراً»؟! ثم قال:

[مجزوء البحر الرجز]

يا شاهد الله عليّ فاشهدِ   أني على دين النبيّ أحْمَدِ
من شك في الله فإنّي مُهْتَدِي

خروج القوم عليه عليه السلام

وفي (كامل المبرد) أيضاً: أنّ علياً عليه السلام في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي - وقد كان وجّهه وزياد بن النضر مع ابن عباس إليهم - فقال له: بأيّ القوم رأيتهم أشدّ إطافة. قال: يزيد بن قيس الأرحبي. فركب عليه السلام إلى حروراء. فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مضرب يزيد. فصلّى فيه ركعتين ثم خرج فاتّكأ على قوسه، وأقبل على الناس. فقال: هذا مقامٌ من فلج فيه يوم القيامة، ثمّ كلمهم وناشدهم. فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا بعد ذلك. فقال عليّ عليه السلام أنا أستغفر الله من كلّ ذنب. فرجعوا معه وهم ستّة آلاف. فلما استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ علياً عليه السلام رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً وقالوا: إنما ينتظر أن يسمن الكراع، ويجبي الأموال ثم ينهض بنا إلى الشام. فأتى الأشعث علياً عليه السلام فقال: إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً. فقام عليّ عليه السلام فخطب فقال: «من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ» فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٢، سنة ٣٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٦، وكامل المبرد ٧: ١٠٩ و ١٣٨.

العجب من الخوارج وتناقضاتهم

قلت: العجب من الخوارج يجعلون نصب من يحكم من القرآن - لا من نفسه - كفراً ولا يجعلون نصب إمام يحكم لهم من نفسه على خلاف حكم الله كفراً! والأغرب منه أنّهم جعلوا تحكيمه عليه السلام على وفق القرآن ضلالاً، ولم يجعلوا تحكيم عمر في ستّة الشورى ضلالاً!

ولما خرج حوثرة الأسدي على معاوية في عام الجماعة بعث معاوية إليه جيشاً من أهل الكوفة. فلما نظر حوثرة إليهم قال لهم: «يا أعداء الله! أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه، وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه». فيقال له: لازم قولكم بصحة إمامة أبي بكر وعمر أن يكون الأمر كذلك، فهل سبب إمامتهما إلا بيعة جمع كرهاً وطوعاً يوم السقيفة؟ ومعاوية في عام الجماعة صار كذلك، وقد كان كتب إلى الحسن عليه السلام أنه في ذاك اليوم بمنزلة أبي بكر بعينه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولعمري لقد صدق. فإن كان أهل الكوفة أعداء الله فهم أيضاً أعداء الله.

وكذلك القول في عبدالملك قبل فتحه الكوفة وبعده. فسأل الخوارج جند العراق عن عبدالملك - وقد كان فتح الكوفة، ولم يعلموا به - فقالوا: عدوّ الله، وأُخبروا غداً بفتحه؛ فسألهم الخوارج عنه. فقالوا: وليّ الله: فقالوا لهم: يا أعداء الله! كيف صار عدوّ الله بالأمس وليّ الله اليوم؟ فيقال لهم: هو لازم قولكم أيضاً بإمامة الرجلين، وإنما أنتم جئتم بالتضادّ والتفرقة بين الملزوم واللازم.

وسأل عبيدة بن هلال اليشكري أبا حزابة التميمي من جند المهلّب عن سيرة أئمتّهم صدقاً وحقّاً. فقال: يبيحون الدم الحرام، ويجبون المال من غير حلّه، وينفقونه في غير وجهه، ويظلمون اليتيم ماله، وينيكون أمّه، فقال له عبيدة: أمثل هؤلاء يتّبع؟ فيقال له: أنت تقول بإمامة عمر وهو نصب عثمان الذي كان نصبه نصب السفيانية والمروانية مع علمه بصدور جميع ذلك مع مناكر أكبر، وكبائر أكثر منه ومنهم.

هذا، ولما غلب الحجاج في دير الجماجم على أهل العراق أخذ يبايع الناس، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له: اشهد أنّك كفرت. فإن قال نعم بايعه، وغلا قتله. فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً. فسأله عن حاله. فأخبره باعتزاله. فقال له: أنت متربّص. اشهد أنك كافر. قال بئس الرجل إذن أنا أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر؟! قال: إذن أقتلك. قال: وإن قتلتني. فقتله فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلا رحمه.

شرح مقاطع الخطبة

«**فأُوبوا شرّ مآب**» أي: ارجعوا شرّ مرجع، وهو الكفر بعد الإيمان.

«**وارجعوا على أثر الأعقاب**» ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾(١).

بين الخوارج وزياد بن أبيه

«**أما إنكم ستلقون بعدي ذُلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً**» في (كامل المبرد): قال زياد: ألا ينهى كل قوم سفهاءهم. لولا أنّكم أطفأتم هذه النار لقلت إنّكم ارتئموها. فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجية فيهم شدّتهم، وأتت بهم زياداً فكان هذا أحد ما يذكر من تدبير زياد، وله تدبير آخر أخرجوا معهم امرأة فظفر زياد بها فقتلها ثم عرّاها. فلم تخرج النساء بعدُ على زياد، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا. وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لإحداهما كحيلة، والأخرى قطام، فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم ويصيحون بهم: يا أصحاب كحيلة وقطام! يعرّضون لهم بالفجور.

وبعث عبيد الله بن زياد إلى البلجاء - وكانت من مجتهداتهم - فأُتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق(٢).

بين الخوارج وابن زياد

«**وأثرةً يتخذها الظالمون فيكم سنّة**» في (الكامل): لما رأى أبو هلال مرداس - وكان من قعدي الخوارج - جدّ ابن زياد في طلب الخوارج عزم على الخروج. فقال لأصحابه: والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، يجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل، مفارقين للفصل، والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإنّ تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكنّا ننتبذ عنهم، ولا نجرّد سيفاً، ولا نقاتل إلا من قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً منهم حريث بن حجل، وكهمس بن طلق الصريمي. فلما مضى بأصحابه؛ لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري - وكان له صديقاً - فقال له: أين تريد؟ قال: أن أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة. فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال: لا. قال: فارجع. قال: أو تخاف عليّ مكروهاً؟ قال: نعم وأن يؤتى بك. قال: فلا تخف فإنّي لا أجرّد سيفاً ولا أخيف أحداً، ولا أقاتل إلا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك - بين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) كامل المبرد ٧: ١٨٨، والنقل بتلخيص.

رامهرمز وارّجان - فمرّ به مال يحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين فحطّ ذلك المال. فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه، وردّ الباقي على الرجل وقال قولوا لصاحبكم: إنّما قبضنا أعطياتنا. وروي أنّ رجلاً من أصحاب ابن زياد قال: خرجنا في جيش نريد خراسان. فمررنا بآسك فإذا نحن بهم ستّة وثلاثين رجلاً فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا. فقلنا: إنما نريد خراسان. فقال: أبلغوا من لقيكم أنّا لم نخرج لنفسد في الأرض، ولا نروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا، ولا نأخذ من الفي إلا أُعطياتنا. ثم قال: أنُدِبَ إلينا أحد؟ قلنا: نعم. أسلم بن زرعة الكلابي. قال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا يوم كذا وكذا. فقال: حسبنا الله - وكان ابن زياد وجّه أسلم في ألفين، وقد تتامّ أصحاب مرداس - فلما صار إليهم أسلم؛ صاح به أبو بلال: ما الذي تريد؟ قال: أن أردّكم إلى ابن زياد. قال: إذن يقتلنا. قال: وإن. قال: تشركه في دمائنا. قال: إنّي أدين أنّه محقّ وأنّكم مبطلون. فصاح به حريث بن حجل، أهو محقّ وهو يطيع الفجرة، ويقتل بالظنّة، ويخصّ بالفيء، ويجوز بالحكم؟ أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برئاء وأنا أحد قتلته، ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه؟ ثم حملوا عليه حملة رجل واحد. فانهزم هو وأصحابه من غير قتال. فلما ورد على ابن زياد غضب غضباً شديداً، وقال له: ويلك! أتمضي في ألفين. فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول: لئن يذمّني ابن زياد وأنا حيّ أحبّ إليّ من أن يمدحني ميّتاً وكان إذا خرج إلى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به: «أبو بلال وراءك» وربّما صاحوا به: يا معبد خذه. حتى شكا ذلك إلى ابن زياد. فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه. فقال أحد الخوارج في هزيمته: **[البحر الوافر]**

أألفا مؤمن في ما زعمتم ويهزمهم بآسك أرْبَعُونَا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مُؤْمِنُونَا

ثم ندب لهم ابن زياد عباد بن أخضر فالتقوا في يوم جمعة - وذكر قتل عباد لهم في الصلاة بعد إعطائهم الأمان - وكتب ابن زياد من الكوفة إلى عبيد الله بن أبي بكرة خليفته على البصرة بالجدّ في طلب الخوارج. فكان يأخذهم ويحبسهم فإذا شفع في أحد كفّله إلى أن يقدم ابن زياد. فلما قدم أخذ من في السجن فقتلهم وطلب الكفلاء. فمن لم يأت بمن كفل له قتله، وكان ابن ابي بكرة أتى بعروة بن أدية في من أتى به منهم فأطلقه، وقال أنا كفيلك. فقال له: إيت بعروة. قال لا أقدر عليه. قال: إذن أقتلك. فطلبه ابن أبي بكرة حتى دلّ عليه في سرب العلاء المنقري. فقرأ عليه الكاتب في شرب العلاء، فقال للكاتب: صحّفت، وددت أنه كان ممّن يشرب. فأُتي به فأمر ابن زياد بقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره - إلى أن قال -.

وكان زياد ولّى شيبان الأشعري طلب الخوارج فجدّ في طلبهم وأخافهم فأتاه ليلة - وهو متّكئ بباب داره - رجلان منهم فضرباه بأسيافهم وقتلاه ثم أتى زياد برجل من الخوارج. فقال: اقتلوه متّكئاً كما قتل شيبان متّكئاً فصاح الخارجي يا عدلاه! - يهزأ به[١] -.

قوله المصنّف قال الشريف: هكذا في (المصرية)، وهو زائد لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«(قوله عليه السلام) ولا بقي منكم آبر يروى بالباء والراء» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يروى بالراء) كما في (ابن ميثم والخطية) ولكن في (ابن أبي الحديد): (يروى على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون كما ذكرناه آبر بالراء)[٣].

«**من قولهم للذي...**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (من قولهم رجل آبر للذي) كما في (ابن ميثم والخطية)، ولكن في (ابن أبي الحديد): (من قوله رجل آبر للذي)[٤].

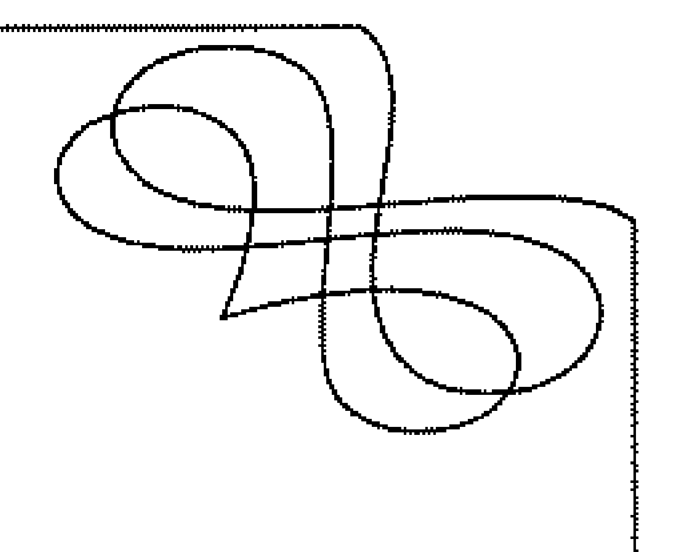
قوله: «ويروى: آثر وهو الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أي: يحكيه ويرويه) كما في (ابن ميثم والخطية)، وكذا (ابن أبي الحديد) ولكن قبله: (ويروى آثر بالثاء بثلاث نقط يراد به الذي يأثر الحديث)[٥].

قوله: «لا بقي منكم مخبّر» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية) ولكن في (ابن ميثم): (لا بقي منكم من يروى حديثاً)[٦].

هذا، وفي السير لما جيء بكتاب زياد إلى معاوية في ألّا يردّ حجراً وأصحابه. قال ابن أمّ الحكم لمعاوية: «جذاذها جذاذها» فقال معاوية: «لأتعَنّ آبرا» فلم يفهم أهل الشام معنى كلامهما. فأتوا النعمان بن بشير. فقال لهم: قتل القوم.

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٨٩ - ٢٠٤، والنقل بتلخيص.
(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، «قال الرضي» وفي شرح ابن ميثم ٢: ١٥١، «قال الشريف».
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ١٥١، مثل المصرية أيضاً.
(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٩، ولفظ ابن ميثم ٢: ١٥١، لكن فيهما «يرويه ويحكيه».
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥١، لكن فيهما «يرويه ويحكيه».
(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥١، مثل المصرية.



لا يفلت منهم عشرة
ولا يهلك منكم عشرة

وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وقيل له إنّهم قد عبروا جسر النهروان:

«مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ. (يعني بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً)». الخطبة (٥٩)

أقول: رواه المبرد في (كامله)، والخطيب في (تاريخ بغداده)، والمسعودي في (مروجه)، والمفيد في (إرشاده)، وابن طاوس في (نجومه) وابن ميثم في (شرحه).

لن يبلغوا النّطفة

ففي الأوّل: وقيل لعليّ عليه السلام. إنهم يريدون الجسر. فقال: «لن يبلغوا النطفة» وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكّون. ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين. فقال: «والله ما كذبت ولا كذبت» ثم خرج إليهم في أصحابه، وقال: «إنّه والله ما يقتل منكم عشرة، ولا يفلتُ منهم عشرة» فقتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية - وكان مقدار من أصاب عليّ عليه السلام منهم بالنهروان ألفين وثماني مئة على أصح الأقاويل - وكان عددهم ستّة آلاف، وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يستر أمره، ولم يشهد الحرب، وإنّ رجلاً منهم قتل ثلاثة من أصحابه عليه السلام وقال: **[مجزوء البحر الرجز]**

أقـتـلـهـم ولا أرى عـلـيّـاً ولـو بـدا أوجـرتـه الـخَـطِـيَّـا

فخرج إليه عليّ عليه السلام فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار؟ فقال رجل من سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شك. فانخذل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري - وكان على ميمنة عليّ عليه السلام - وجعل الناس يستلّون[1].

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٠٦ - ١٠٨، والنقل بتصرف.

لا يقتل رجل من وراء النهر

وفي الثاني: - في عنوان عبداللّه بن خباب - قال أبو الأحوص كنّا مع عليّ عليه السلام يوم النهروان. فجاءت الحرورية فكانت من وراء النهر قال: «والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر» ثم نزلوا: فقالوا لعليّ عليه السلام قد نزلوا قال «والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر» فأعادوا عليه هذه المقالة ثلاثاً كل ذلك يقول لهم على مثل قوله الأول. فقالت الحرورية بعضهم لبعض يرى عليٌّ أنّا نخافه. فأجازوا. فقال علي عليه السلام لأصحابه: «لا تحرّكوهم حتى يحدثوا حدثاً» فذهبوا إلى منزل عبد الله بن خباب - وكان منزله على شاطئ النهر - فأخرجوه وقدّموه إلى الماء. فذبحوه كما تذبح الشاة. فسال دمه مثل الشراك ما امذقّر (ما اختلط بالماء) وأخرجوا أمّ ولده فتشقّوا عما في بطنها. فأُخبر عليّ عليه السلام بما صنعوا.

فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر! نادوهم أخرجوا لنا قاتل عبدالله. قالوا: كلنا قتله فناداهم ثلاثاً، كل ذلك يقولون هذا القول. فقال عليّ عليه السلام: دونكم القوم فما لبثوا أن قتلوهم. فقال عليّ عليه السلام: اطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة[1]....

علي عليه السلام يُخبر عن مكان مقتل الخوارج

وفي الثالث: بعث الخوارج إلى عليّ عليه السلام كلّنا قتلة أصحابك، وكلّنا مستحلّ لدمائهم وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أن القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت - وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان -.

فقال عليّ عليه السلام: «والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه» ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف أنّهم لم يعبروه وأنّ مصارعهم دونه، ثم قال: «سيروا إلى القوم فوالله لا يفلت منهم إلا عشرة، ولا يقتل منكم عشرة» ثم سار عليه السلام فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على مال لأصحابه. فلما أشرف عليهم قال: الله أكبر! صدق رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى أن قال -.

فأمر عليه السلام بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه. فقام عليه السلام وعليه أثر الحزن لفقد

---

(١) تاريخ بغداد ١: ٢٠٥، والنقل بتصرف يسير.

المخدج. فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض. فقال: أفرجوا ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه. فقال عليه السلام: الله أكبر ما كذبت على محمّد صلى الله عليه وآله وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة.

ثم قال: إئتوني به، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدّت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه. فثنى رجله ونزل وخرّ لله ساجداً(١).

كلّا ما عبر القوم

وفي الرابع: روى أصحاب السيرة في حديثهم عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل وصفين لا أشكّ في قتال من قاتله، حتى نزلت النهروان. فدخلني شكّ في قتال القوم وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم، إن هذا الأمر عظيم؟! فخرجت غدوة أمشي، ومعي إداوة ماء حتى برزت من الصفوف. فركزت رمحي ووضعت ترسي عليه، واستترت من الشمس. فإني لجالس حتى ورد عليّ أمير المؤمنين عليه السلام. فقال لي: يا أخا الأزد أمعك طهور؟

قلت: نعم فناولته الإداوة. فمضى حتى لم أره ثم أقبل، وقد تطهّر فجلس في ظلّ الترس، وإذا فارس يسأل عنه. فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك. قال: فأشر إليه. فأشرت إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم، وقد قطعوا النهر فقال: كلّا ما عبروا.

فقال: بلى والله لقد فعلوا، وإنه لكذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين! قد عبر القوم. قال: كلّا ما عبروا. قال: والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال. قال: والله ما فعلوا وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم ثم نهض ونهضت معه.

فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل، وعرّفني أمره هذا أحد رجلين إما رجل كذاب جريّ أو على بيّنة من ربّه، وعهد من نبيّه، اللهمّ إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله، وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كان القوم لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي. فأخذ بقفائي ودفعني ثم قال: يا أخا الأزد! أتبيّن لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين. فقال: شأنك بعدوّك. فقتلت رجلاً من القوم ثم قتلت آخر ثم

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٥ و ٤٠٦، والنقل بتصرف.

اختلفت أنا ورجل أضربه ويضربني. فوقعنا جميعاً فاحتملني أصحابي وأفقت حين أفقت وقد فرغ من القوم. وهذا حديث مشهور شائع بين نقلة الآثار(١).

قلت: وفي الخبر زيادة دلالة إخباره عليه السلام بشكّ الرجل.

رواية أخرى عن إخباره بعدم عبور الخوارج

وفي الخامس: روينا بإسناد متّصل إلى الأصبغ قال: لما رحل عليّ عليه السلام من نهر براثا إلى النهروان، وقد قطع جسرها، وسمّرت سفنها. فنزل وقد سرّح الجيش إلى جسر بوران، ومعه رجل من أصحابه قد شكّ في قتال الخوارج. فإذا رجل يركض - إلى أن قال -: لما بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر براثا ولّوا هاربين. فقال له عليّ عليه السلام: «أنت رأيتهم حين ولّوا» قال: نعم. قال: «كذبت. لا والله ما عبروا النهروان، ولا يجاوزوا الأثيلات ولا النخيلات حتى يقتلهم الله عزّ وجلّ على يدي، عهد معهود وقدر مقدور. لا ينجو منهم عشرة ولا يقتل منّا عشرة(٢). . . .

شكُّ بعض أصحابه في أقواله

وفي السادس: في الخبر لما خرج عليه السلام إلى أصحاب النهر جاءه رجل من أصحابه. فقال: البشرى يا أمير المؤمنين! إنّ القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم. فقال: الله أنت رأيتهم قد عبروا. فقال: نعم. فقال عليه السلام: «والله ما عبروه ولن يعبروه وإن مصارعهم دون النطفة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لم يبلغوا الأثلاث، ولا قصر توران حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى» قال ثم جاءه جماعة من أصحابه، واحداً بعد آخر كلهم يخبره بما أخبره الأول. فركب عليه السلام وسار حتى انتهى إلى النهر. فوجد القوم بأسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم، وجثوا على الركب وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

وروي أنّ شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من أمرهم وسار إلى النهر لبيان صدق حكمه: والله لأكوننّ قريباً منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحي في عينه. أيدّعي علم الغيب! فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بما روّى في نفسه وطلب منه أن يغفر له. فقال عليه السلام له: «إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره».

---

(١) الإرشاد: ١٦٧.   (٢) خرج المهموم: ١٠٥.

وفيه أيضاً روي أنّه عليه السلام قال لأبي أيوب الأنصاري - وكان على ميمنته - لما بدأت الخوارج بالقتال: احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة. فلما قتلهم وجد المفلت منهم تسعة، والمقتول من أصحابه ثمانية[١].

قول النبي صلى الله عليه وآله: يهلك في علي عليه السلام محبّ غالٍ ومبغض قالٍ

قال ابن أبي الحديد: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره. ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب. فالأخبار المفصّلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فإنه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعيّن في أصحابه، وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة النبيّ صلى الله عليه وآله، وعرفه النبيّ صلى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه، والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره، وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا حتى نسب إلى أنّ الجوهر الإلّهي حلّ في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام.

وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فقال له: «يهلك فيك محبّ غال ومبغض قال» وقال له تارة أخرى: «والذي نفسي بيده لولا أني أشفق أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

بحثٌ حول الإخبار عن الغيوب وطُرُقه

قال: ولمعترض أن يقول قد يقع الإخبار عن الغيوب من طريق النجوم. فإنّ المنجّمين قد اتّفقوا على أنّ شكلاً من أشكال الطالع إذا وقع لمولود اقتضى أن يكون صاحبه متمكّناً من الإخبار عن الغيوب، وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زجر الطير والبهائم كما يحكى عن بني لهب في الجاهلية. وقد يقع الأخبار عن الغيوب للقيافة كما يحكى عن بني مدلج. أو قد يخبر به أرباب التسخيرات، وأرباب السحر والطلسمات. وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية التي تتصل مادتها الروحانية على ما تقوله الفلاسفة. وقد وقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة على ما رآه أكثر الناس، وقد وردت الشريعة نصّاً به.

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.

قال: وقد يقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعي يشبه الطبيعي كما رأيناه عن أبي البيان وابنه، وقد يقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك إنساناً آخر، لنفسه بنفس ذلك المخبر اتحاداً أو كالاتحاد، وذلك كما يحكي أبو البركات بن ملكا الطبيب في كتاب المعتبر، قال: والمرأة العمياء التي رأيناها ببغداد وتكررت مشاهدتنا لها مدة مديدة قدرها ما يقارب ثلاثين سنة وهي على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا. فتدلّ عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها غريبها ومألوفها، دقيقها وجليلها، تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشيءمن الأشياء إلا أنها كانت تلتمس أن يرى الذي يسأل عنه أبوها أو تسمعه في بعض الأوقات دون بعض، وعند قوم دون قوم. فيتصور في أمرها أنّ الذي تقوله بإشارة من أبيها، وكان الذي تقوله يبلغ من الكثرة إلى ما يزيد على عشرين كلمة إذا قيل بصريح الكلام الذي هو الطريق الأخضر وإنما كان أبوها يقول إنَّ ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الأنواع والأشكال في مدة واحدة كلمة واحدة وأقصاه كلمتان، وهي التي يكرّرها في كلّ قول، ومع كل ما يسمع ويرى «سلها وسلها تخبرك» أو «قولي له» أو «قولي يا صغيرة».

قال أبو البركات: ولقد عاندته يوماً وحاققته في أن لا يتكلم وأريته عدة أشياء. فقال: لفظة واحدة فقلت له: «الشرط أملك» فاغتاظ واحتدّ طيشه عن أن يملك نفسه. فباح بخبيئته. قال: ومثلك يظنّ أشرت إلى هذا كله بهذه اللفظة فاسمع الآن ثم التفت إليها وأخذ يشير بإصبعه إلى شيء وهو يقول تلك الكلمة وهي تقول: «هذا كذا وهذا كذا» على الاتّصال من غير توقف وهو يقول تلك الكلمة لا زيادة عليها، وهي لفظة واحدة بلحن واحد، وهيئة واحدة حتى ضجرنا، واشتدّ تعجّبنا، ورأينا أن هذه الإشارة لو كانت تتضمّن هذه الأشياء لكانت أعجب من كل ما تقول العمياء.

ومن عجيب ما شاهدناه من أمرها أنّ أباها كان يغلط في شيء يعتقده على خلاف ما هو به. فتخبر هي عنه على معتقد أبيها كأنّ نفسها نفسه، ورأيناها تقول ما لم يعلم أبوها من خبيئة في الخبيئة التي اطّلع عليها أبوها، فكانت تطّلع على ما قد علمه أبوها، وعلى ما لا يعلمه أبوها، وهذا أعجب، وحكاياتها أكثر من أن تعدّ، وعند كلّ أحد من حديثها ما ليس عند الآخر، لأنها كانت تقول من ذلك على الاتّصال لشخص شخص جواباً بحسب السؤال، وما زلت أقول: إن من يأتي بعدنا لا يصدّق ما رأيناه منها. فقلت لي: أريد أن تفيدني العلة في معرفة هذه. فقلت لك: العلة التي تصلح في جواب لِمَ في نسبة المحمول إلى الموضوع يكون الحدّ الأوسط في القياس، وهذه فالعلّة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هي نفسها بقوّتها وخاصتها. فما الذي أقوله في هذا؟ وهل لي أن أجعل ما ليس بعلّة علّة؟

قال ابن أبي الحديد: واعلم أننا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، ولكن كلّ ذلك مستند إلى الباري سبحانه بإقداره، وتمكينه، وتهيئة أسبابه. فإن كان المخبر عن الغيوب من يدّعي النبوة لم يجز أن يكون إلا بإذن الله، وأن يريد به استدلال المكلّفين على صدق مدّعي النبوّة لأنّه لو كان كاذباً لكان تمكين الله تعالى ذلك إضلالاً للمكلّفين، وكذلك لا يجوز أن يمكّن الله سبحانه الكاذب في ادّعاء النبوة من الإخبار عن الغيب بطريق السحر وتسخير الكواكب والطلسمات، ولا بالزجر والقيافة، ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة، لما فيه من استفساد البشر وإغوائهم، وأما إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدّعياً للنبوة، نُظِرَ في حاله فإن كان من الصالحين؛ نسب ذلك إلى أنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده إبانة له وتمييزاً من غيره كما في حق عليّ عليه السلام ، وإن لم يكن كذلك؛ أمكن أن يكون ساحراً أو كاهناً[1].

قلت: ما ذكره أخيراً مغالطة. فكما كان إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عن الغيوب تصديق نبوّته؛ كذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيوب تصديق إمامته من الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله . لأنه كان مدّعياً ذلك بالتواتر، وكونه تصديقاً له من فطريات العقول وضرورياتها.

قوله المصنّف: «وقيل له إنّهم قد عبروا جسر النهروان» قد عرفت من رواية المسعودي أنه يقال لجسر النهروان قنطرة طبرستان.

قوله عليه السلام «مصارعهم»: أي هلاكتهم.

«**دون النّطفة**» قد عرفت من رواية المسعودي أنه عليه السلام قال نقتلهم بالرميلة دونه.

«**والله لا يفلت**» أي: ينجو.

«**منهم عشرة**» قد عرفت أن المبرد وابن ميثم وابن طاوس رووه كالمصنّف، ولكن المسعودي رواه «منهم إلا عشرة» والظاهر وهمه.

«**ولا يهلك منكم عشرة**» قد عرفت من رواية ابن ميثم أنّ المخاطب له بذلك أبو أيوب الأنصاري الذي كان على ميمنته عليه السلام ، ثم قد عرفت من رواية المبرّد أنّ المفلت من الخوارج ثمانية، والمقتول من أصحابه عليه السلام تسعة وابن ميثم قال بالعكس.

وروى الطبري عن أبي مخنف أن المقتول من أصحابه عليه السلام سبعة، وبه قال سبط بن الجوزي والجزري، وزاد الأخير وكان في من قتل من أصحابه عليه السلام يزيد بن نويرة

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٥، والنقل بتصرف يسير.

الأنصاري وله صحبة وسابقة، وشهد له النبيّ ﷺ بالجنة وكان أول من قتل[١].

وفي (تاريخ الطبري): كان أحد الثمانية الذين هربوا من الخوارج يوم النهر عليّ بن أبي شمر التيمي، وكان من فرسان العرب ونسّاكهم[٢].

وروى الخطيب في أبي برزة كون المقتولين من أصحابه عليه السلام تسعة[٣]، وللتشابه الخطي بين سبعة وتسعة حصل الاختلاف، والأصل واحد، وأما قول ابن ميثم بالثمانية[٤] فساقط.

وأما في آخر (صفين نصر): «وأصيب من أصحاب عليّ يوم النهروان ألف وثلاثماءَة - قال: وذكر جار عن الشعبي، وأبي الطفيل ذكروا في عدة قتلى صفين والنهروان والنخيلة نحواً مما ذكر تميم الناجي»[٥] فخبر شاذ مع أنه لم يعلم كونه من نصر، فقبل أول خبره «من هنا عند عبد الله بن عقبة» مع أن خبره مختلط، فعدّ زيد بن صوحان العبدي في عداد أصحاب طلحة والزبير مع أنّه لا ريب في كونه من أصحابه عليه السلام، وبالجملة لا عبرة بما هو كذلك.

قوله المصنف: «يعني بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح كناية» هكذا في (المصرية)، وسقط منها كلمة «عن الماء» كما في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[٦].

«**وإن كان كثيراً جمّاً**» يعني أنّ النطفة تكون كناية عن الماء وإن لم يكن قليلاً كما يوهمه كون أصل النطفة ماءً قليلاً.

هذا، وزاد ابن أبي الحديد في كلام الرضي: «وقد أشرنا إلى ذلك في ما تقدّم عند مضيّ ما أشبهه» إلا أنه ليس في (ابن ميثم) الذي نسخته بخط المصنّف، ولا في (الخطية) المصححة نسبة كما ليس في (المصرية)، ولعلّه كان حاشية خلّط بالمتن في نسخة ابن أبي الحديد، وكيف كان فمرّ في الخطبة (٤٨) قوله عليه السلام: «وقد أردت أن أقطع هذه النطفة»، وقول المصنّف ثمة «ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها»[٧].

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٦٧، سنة ٣٧، والسبط في التذكرة: ١٠٥، والجزري في الكامل ٣: ٣٤٨، سنة ٣٧.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٣٩، سنة ٤٣.
(٣) تاريخ بغداد ١: ١٨٢.
(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.
(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥٩.
(٦) توجد كلمة «عن الماء» في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٤، لكن ليست في شرح ابن ميثم ٢: ١٥٣.
(٧) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٤، وشرح ابن ميثم ٢: ١٥٣، ونهج البلاغة ١: ٩٧.

للإضلال مصدران
١ - الشيطان ٢ - النفس الأمارة بالسوء

وقال عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان:

بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ. فقيل له: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ. الحكمة (٣٢٣)

مآل الخوارج بعد النهروان

وقال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم:

كَلاَّ وَاللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ.

وقال عليه السلام فيهم: **لاَ تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يعني معاوية وأصحابه)».** من الخطبة (٥٩)

لقد ضرّكم من غرّكم

أقول: نقلنا الأول هنا لأن الثاني مربوط به قال المسعودي في (مروجه) مرّ عليّ عليه السلام بالخوارج وهم صرعى فقال: «لقد صرعكم من غرّكم» قيل ومن غرّهم؟ قال: «الشيطان وأنفس السوء» فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر. فقال عليه السلام: «كلا والذي نفسي بيده، وإنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منّا أهل البيت فيقتله ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة»[1].

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٧.

وروى الأول فقط الطبري. فقال «مرّ عليٌّ عليه السلام على الخوارج وهم صرعى فقال: «بؤساً لكم! لقد ضرّكم من غرّكم» فقالوا: من غرّهم؟ قال عليه السلام: «الشيطان وأنفس بالسوء أمارة، غرّتهم بالأماني، وزيّنت لهم المعاصي، ونبّأتهم أنهم ظاهرون»[1].

وروى الثاني فقط الخطيب في حبّة العرني فقال: قال حبّة: لما فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً. فقال علي عليه السلام مه لا تقل هذا. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً[2].

قول المصنف: «وقال عليه السلام: وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يوم النهر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

وفي (تاريخ الطبري): وطلب عليّ عليه السلام في القتلى من به رمق. فوجدهم أربعمائة رجل فأمر بهم. فدفعوا إلى عشائرهم، وقال: احملوهم معكم. فداووهم فإذا برؤوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء، وأما السلاح والدوابّ وما شهدوا به عليه الحرب. فقسّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم ردّه على أهله، ودفن رجال من الناس قتلاهم. فقال عليه السلام حين بلغه ذلك «ارتحلوا! أتقتلونهم ثم تدفنونهم» فارتحل الناس[4]....

تفسير قوله عليه السلام

قلت: وهو دالّ على كفر جميع الخارجين عليه.

قوله عليه السلام: «بؤساً لكم» دعاء عليهم لاستحقاقهم ذلك بفعلهم.

«**لقد ضرّكم من غرّكم**» حسب استناد فعل المسبب إلى فعل السبب. فالضار لهم في الحقيقة هو الغارّ لهم.

«**فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المُضلّ**» ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٦، سنة ٣٧.   (٢) تاريخ بغداد ٨: ٢٧٥.
(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣، مثل المصرية أيضاً.
(٤) تاريخ الطبري ٤: ٦٦، سنة ٣٧، والنقل بتصرف يسير.
(٥) سورة الحديد، الآية: ١٤.

«**والأنفس الأمّارة بالسّوء**» وفي ابن أبي الحديد(١): «والنفس الأمارة بالسوء» وقد عرفت أن الطبري نقله: «وأنفس بالسوء أمارة» وهو أحسن. فالتنكير أنسب في المقام.

«**غرّتهم**» أي: الشيطان، وأنفسهم الأمارة.

«**بالأماني**» جمع الأمنية بمعنى التمني. قال تعالى حكاية عن المؤمنين للمنافقين يوم القيامة: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(٢) وأما الأماني في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾(٣) فقيل: بمعنى قراءات من «تمنيت الكتاب» قرأته.

«**وفسحت لهم**» أي: وسعت لهم.

«**بالمعاصي**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (في المعاصي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)(٤).

«**ووعدتهم الأظهار**» هو نظير حكايته تعالى عن الشيطان مع كفّار بدر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾(٥).

«**فاقتحمت بهم النار**» أي: أدخلتهم النار، والاقتحام الدخول في مهلك وفي أمر شديد.

«**ولما قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم قال عليه السلام**» هكذا في (المصرية) ومثلها (ابن أبي الحديد) إلا أنه قال: «وقال لما» - الخ - وفي (ابن ميثم): «وقال عليه السلام لما قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم» وهو الصحيح(٦).

«**كلّا والله إنهم نُطَف في أصلاب الرجال**» ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(٧).

«**وقرارات النساء**» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾(٨).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢. (٢) سورة الحديد، الآية: ١٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٨.
(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٩٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣، مثل المصرية أيضاً.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٢٧، ولفظ ابن ميثم ٢: ١٥٣، «لما قتل الخوارج قيل له».
(٧) سورة الطارق، الآية: ٧. (٨) سورة المؤمنون، الآية: ١٣.

الخوارج في زمن بني أمية

وفي (العقد): قال الحجاج لامرأة من الخوارج: لأحصدنّكم حصيداً. فقالت أنت تحصد، والله يزرع. فأين قدرتك من قدرة الله؟(١)

«**كلما نجم**» أي: ظهر.

«**منهم قرن**» أي: كبير.

«**قطع**» في زمان بني أمية وبني العباس.

وفي (المروج): ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان من خبر الخوارج شأن مرداس التميمي وعطية الحنفي، وأبي فديك، وسودة الشيباني، ووقعة ابن الماحوز مع المهلّب، ومقتله، وخبر عبد ربه، وأخبار خوارج اليمن كأبي حمزة الأزدي وبيهس الهيصمي، وذكرنا في كتابنا (المقالات) فرقهم من الأباضية - وهم سراة عمان من الأزد - والحمرية والصفرية وغيرهم، وذكرنا بلدانهم مثل بلاد سنجار وتلّ أعفر من بلاد ديار ربيعة، والسن، والبواريج والحديقة مما يلي بلاد الموصل، ثم من سكن بلاد آذربيجان، ومن سكن منهم بلاد سجستان، وجبال هراة وهشتانة، وبوشنج من بلاد خراسان، ومن بلاد مكران(٢)....

وفي (التنبيه والإشراف): غلب الضحاك الشيباني في أيام مروان الحمار على العراق، ولم يغلب قبله، ولا بعده أحد من الخوارج على العراق، وسار للقاء مروان في جيوش عظيمة، ومعه سليمان بن هشام بن عبدالملك في جميع مواليه ورجاله مؤتمّاً بالضحاك تابعاً، وفي ذلك قال بعض شعراء الخوارج مفتخراً: **[البحر الطويل]**

ألم تَرَ أنّ الله أنزل نصره　　وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفر توثا، وأقاموا يقتتلون أياماً إلى أن قتل الضحاك وخليفته الخيبري، وسارت الأباضية من اليمن من قبل عبد الله بن يحيى الكندي الملقب طالب الحق، عليهم أبو حمزة الأزدي، وبلج بن عقبة. فنزلوا مكة يوم عرفة في سنة (١٢٩)(٣) ووادعهم عبدالملك بن سليمان بن عبدالملك عامل مكة إلى انقضاء الحج ثم هرب إلى المدينة. فجهز عبد الواحد للقائهم جيشاً أمّر عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان

(١) رواه الجاحظ في البيان ٢: ٣٥٦، والبغدادي في بلاغات النساء: ١٩٨، لكن لم أجده في العقد.
(٢) مروج الذهب ٣: ١٣٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٨٢ - ٢٨٣، والنقل بتصرف يسير.

فالتقوا بقديد في سنة (١٣٠) فقتل عبدالعزيز في جمع كثير أكثرهم من قريش، فقالت نائحتهم : [مجزوء البحر الكامل]

ما للزمان وماليه أفنت قديد رِجَالِيَهْ
فلأبكين سريرة ولأبكين عَلانِيَهْ

ودخلت الخوارج المدينة. فغلبوا عليها ثلاثة أشهر، فوجّه مروان إليهم عبدالملك السعدي. فالتقوا بوادي القرى. فقتل بلج، وأكثر الخوارج، ونجا أبو حمزة إلى مكة. فلحقه بها فقتله، وسار إلى اليمن. فلقيه عبد الله بن يحيى بنواحي صنعاء. فقتل عبدالله، وأكثر من معه، ولحق بقيّتهم بعد قتل طالب الحق أيام مروان إلى حضرموت. فأكثرها أباضية إلى هذا الوقت سنة (٣٣٢)(١).

وفي (المروج)، وقد أتى الهيثم بن عدي، والمدائني، وأبو البختري القاضي وغيرهم على إخبار الخوارج وأصنافهم في ما أفردوه من كتبهم، وذكرنا في كتابنا المقالات من خرج منهم من وقت التحكيم في عصر عصر إلى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان في سنة (٣١٨) الرجل المعروف بعرون خرج ببلاد كفرتوثي، وورد إلى نصيبين. فكانت له مع أهلها حرب أسر فيها، وقتل منهم خلق عظيم. والمعروف بأبي شعيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة، وقد كان أدخل على المقتدر، وكان للأباضية بعد (٣٢٠) ببلاد عمان حروب وتحكيم وإمام نصبوه، وقتل من كان معه(٢).

الحجاج وشبيب الخارجي وزوجته غزالة

وفيه: وفي سنة (٧٧) كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولّى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب. فدخل الكوفة، وتحصّن في دار الأمارة، ودخل شبيب وأمّه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فأتوا الجامع في سبعين رجلاً فصلوا بعد الغداة، وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها. فقال الناس بالكوفة في تلك السنة: [مجزوء البحر الكامل]

وفت الغزالة نذرها يا ربّ لا تغفر لَهَا

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم، وكذلك أمّ شبيب ولمّا بلغ

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٨٢ - ٢٨٣، والنقل بتصرف يسير.
(٢) مروج الذهب ٣: ١٣٨، والنقل بتلخيص.

عبدالملك تحصين الحجاج في دار الأمارة من شبيب بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شبيب. فخرجوا إلى شبيب فانهزم وقتلت الغزالة وأمه ومضى شبيب في فوارس واتّبعه سفيان فلحقه بالأهواز فولّى. فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر. فألقاه في الماء. فقال له بعض أصحابه: أغرقاً؟ قال: ذلك تقدير العزيز العليم. فألقاه دجيل ميتاً بشاطئه. فحمل على البريد إلى الحجاج فأمر بشق بطنه. فاستخرج قلبه فإذا هو كالحجر إذا ضربت بها نبا عنها، فشق فإذا في داخله قلب صغير كالكرة فشقّ فأصيب علقة الدم في داخله(١).

«حتى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين» قال ابن أبي الحديد: ممن انتهى أمره إلى ذلك؛ الوليد ابن طريف الشيباني في أيام هارون، وعمرو الخثعمي في أيام المتوكل، وخرج بعدهما جمع بكرمان، وجمع بعمان ممن قصده الفساد ذكرهم أبو إسحاق الصابي في كتابه(٢).

قلت: لم أقف على مستند الرضي في هذه العبارة، وقد عرفت، أن الخطيب والمسعودي رويا العنوان بدون الفقرة، ونقلا بدلها: «حتى يخرج إليهم رجل من ولدي. فيقتلهم فلا يعودون أبداً»، والظاهر أصحية هذا، وأنّ مراده عليه السلام القائم عليه السلام وهم إلى زماننا باقون، ولا بدّ من انقراضهم على يد المهدي.

قول المصنّف «وقال عليه السلام فيهم لا تقتلوا الخوارج بعدي؛ فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه - يعني معاوية وأصحابه» لم أقف أيضاً على مستنده، ويبعد أن يكون كلامه عليه السلام حيث إنه عليه السلام لو كان قال ذلك لما تصدّى شيعته لقتالهم مع أنّهم كانوا مجدّين في ذلك، وفي رأسهم صعصعة بن صوحان ثم معقل بن قيس، وعدي بن حاتم، وشريك بن الأعور ثم شيعة الكوفة والبصرة.

لماذا قاتل الشيعةُ الخوارج بعد أمير المؤمنين عليه السلام ؟

ففي (تاريخ الطبري): أن المستورد الخارجي لما أراد الخروج في سنة (٤٣) أو سنة (٤٢) في أمارة المغيرة على الكوفة قام المغيرة خطيباً. فقال: أيم الله! لا يخرجون في حيّ من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالاً لمن بعدهم - إلى أن قال - فبعث المغيرة إلى الرؤساء فقال لهم: ليكفِني كل امرىء منهم قومه - إلى أن قال - فقام

(١) مروج الذهب ٣: ١٣٩، والنقل بتصرف يسير.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٤٥ - ٤٤٦، والنقل بتلخيص.

صعصعة وذكر خطبته لقومه عبد القيس - إلى أن قال في ما قال لهم - حتى أهلك الله بكم، وبمن كان على مثل هديكم ورأيكم؛ الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر، وسكت عن ذكر أهل الشام لأنّه كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيّكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا إمامنا، واستحلّوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر. فإياكم أن تؤوهم في دوركم فإنّه ليس ينبغي لحيّ من أحياء العرب أن يكونوا أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أنّ بعضهم في جانب من الحيّ، وأنا باحث عن ذلك. فإن كان حقّاً تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال. يا معشر عبد القيس! إنّ ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم - يعني تشيّعهم - فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً. فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم - إلى أن قال - فقال المغيرة للرؤساء: من ترون أبعث إليهم؟ فقام إليه عدي بن حاتم. فقال: كلنا لهم عدو، ولرأيهم مسفّه، فأيّنا شئت سار إليهم.

فقام معقل بن قيس، وقال له: لا أرى أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم ولا أشدّ عليهم منّي، فابعثني إليهم. فإني أكفيكهم بإذن الله تعالى. فقال: أُخرج على اسم الله، وجهّز معه ثلاثة آلاف رجل، وقال المغيرة لقبيصة بن الدمون: إلصق لي بشيعة عليّ. فأخرجهم من معقل فإنه كان من رؤساء أصحابه. فإذا بعث بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً استأنس بعضهم ببعض، وتناصحوا، وهم أشدّ استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة - إلى أن قال - ولم يلبث قبيصة أن أخرج الجيش معه ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم - إلى أن قال - قال المستورد لأصحابه إن هذا الخرف معقل بن قيس قد وجّه إليكم وهو من السبائية المفترين الكاذبين - إلى أن قال - سأل عبد الله بن عامر أمير البصرة عن المغيرة كيف صنع فقيل له: إنه نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع عليّ، وكان من أصحابه فبعثه وبعث معه شيعة عليّ لعداوتهم لهم. فقال: أصاب الرأي.

فبعث عبد الله بن عامر إلى شريك بن الأعور الحارثي - وكان يرى رأي عليّ عليه السلام - فقال له: أُخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس ثم اتبعهم حتى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتله، وقال له بينه وبينه: أُخرج إلى أعداء الله بمن يستحلّ قتالهم من أهل البصرة - فظنّ شريك به أنه يعني شيعة عليّ عليه السلام ولكنه يكره أن يسمّيهم - فانتخب شريك الناس وألحّ على فرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة، وتجيبه العظماء منهم. ثم إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد - إلى أن قال - فأخبر من قدم على

المغيرة بالفتح أنّ معقلاً والمستورد مشى كل واحد منهما إلى صاحبه، وبيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف. فالتقيا فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره. فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أمّ الدماغ فخرّا ميّتين(١).

قتال معاوية أولى من قتال الخوارج

وأما استشهاد ابن أبي الحديد للعنوان بأنّ المبرّد في (كامله) قال: خرج حوثرة الأسدي، وحابس الطائي على معاوية فصار إلى موضع أصحاب النخيلة وكان معاوية بالكوفة، وقد كان الحسن بن عليّ عليه السلام خرج يريد المدينة، فوجّه إليه معاوية - وقد تجاوز طريقه - يسأله أن يكون المتولّي لمحاربة الخوارج. فكان جواب الحسن عليه السلام: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم»(٢)؟ فأعمّ، حيث إن حوثرة وحابساً لم يكونا ممن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وإنما اعتزلاه، وشكّا في أمره، وأرادا بعدُ قتال معاوية لوضوح بطلانه.

ففي (تاريخ الطبري): رفع عليّ عليه السلام يوم النهروان راية أمان مع أبي أيوب - إلى أن قال - فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أيّ شيء نقاتل عليّاً؟! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه، وانصرف في خمسماءَة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة(٣).

وفيه: خرجت الخوارج الذين اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور في سنة (٤١) على معاوية. قال عوانة: قدم معاوية الكوفة قبل أن يبرح الحسن حتى نزل النخيلة. فقالت الخمسماءَة من الحرورية التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شكّ فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام. فكشفوهم، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفّوا بوائقكم. فخرجوا إليهم فقاتلوهم. فقالت الخوارج لهم: ويلكم ما تبغون منّا؟ أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم؟ دعونا حتى نقاتله وإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوّكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا. قالوا: لا والله حتى نقاتلكم(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٤٠ - ٨٥٨، سنة ٤٣، والنقل بتلخيص.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥٣، وكامل المبرد ٧: ١٧٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٤، سنة ٣٧.
(٤) تاريخ الطبري ٤: ١٢٦، سنة ٤١، والنقل بتصرف يسير.

لماذا وصّى علي عليه السلام بعدم قتال الخوارج بعده؟!

وبالجملة نهيه عليه السلام عن قتال الخوارج بعده عليه السلام بعد إصرار خواص شيعته على قتالهم غير معلوم؛ اللهمّ إلا أن يقال: إنه بعد صلح إمامهم مع معاوية كان قتاله لهم جائزاً، ووجه كلامه عليه السلام مع العامة، والكلام في نفسه صحيح بكون معاوية أولى بالمقاتلة من الخوارج، لكون الخوارج طلبوا الحق فأخطأوه لكونهم أخفّاء الهام سفهاء الأحلام، ومعاوية وأتباعه طلبوا الباطل. فأدركوه.

وقد روى (التهذيب) في باب قتال أهل البغي بإسناده، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان قال: لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه.

وعنه عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت الحرورية عند علي عليه السلام قال: إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإنّ لهم في ذلك مقالاً[١].

وفي (تاريخ الطبري) - بعد ذكر قصة المستورد المتقدّم، وندب المغيرة بن شعبة إلى الكوفة من قبل معاوية الناس إليهم، وقيام معقل بن قيس من رؤساء الشيعة للتصدي لحربهم - ثم قام صعصعة بن صوحان وقال: ابعثني إليهم أيّها الأمير فأنا والله لدمائهم مستحلّ، وبحملها مستقلّ.

فقال له المغيرة: اجلس فإنما أنت خطيب - فأحفظه لك - وإنما قال: ذلك لأنّه بلغه أنّه يعيب عثمان، ويكثر ذكر عليّ عليه السلام ويفضّله - وقد كان دعاه فقال: إياك أن يبلغني أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني أنّك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانية. فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس. فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد بدّاً منه ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية. فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرّاً، وأما علانية في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا فيه. فكان يقول له نعم. أفعل. ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه[٢].

---

(١) التهذيب ٦: ١٤٤ و١٤٥ ح ٤ و ٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٤٤، سنة ٤٣، والنقل بتصرف يسير.

استطلاع أحوال الملتحقين بالخوارج

ومن كلام له عليه السلام: وقد أرسل رجلاً من أصحابه، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة، قد هموا باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: «أأمِنُوافَقَطَنُوا، أم جبنوا فَظَعَنُوا؟» فقال الرجل: بل ظَعَنُوا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

«بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ»! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ. خطبة (١٧٩)

أحوال مصقلة بن هبيرة الشيباني

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وقد كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ. الخطبة (٤٤)

شرح الكلام

أقول: إنما نقلنا الثاني هنا مع عدم تضمنه إخباراً منه عليه السلام عن المستقبل لكونه مربوطاً بالأول مع أنه عليه السلام أخبر بعدم رجوع مصقلة كما سترى، وإن لم يذكر في العنوان.

والعنوان الأول جمعٌ من المصنّف بين كلامه عليه السلام مع الرجل الذي قال وكتابه عليه السلام إلى زياد بن خصفة كما ستعرف، والأول إلى قوله عليه السلام «مخلّ عنهم» وإنما جمع لكون كل من الكلامين في أولئك القوم، وزاد في كتابه الإخبار عنهم بأنّ جمعاً منهم يقتلون وجمعاً يؤسرون كما ترى، وهو من آيات إمامته عليه السلام أيضاً. روى العنوان الأول الطبري والثاني هو والمسعودي[(١)].

قول المصنف «وقد أرسل رجلاً من أصحابه» الرجل هو فقيم بن عبد الله الأزدي.

«**يعلم له علم أحوال قوم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يعلم له علم قوم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[(٢)].

«**من جند الكوفة**» هم ثلاثمائة رجل من بني ناجية، ورأسهم الخرّيت بن راشد، وأصلهم من البصرة.

«**وقد همّوا**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (الخطية وابن ميثم): «هموّا»[(٣)].

«**باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه** عليه السلام**، فلما عاد إليه الرجل**» ليس في نسخة (ابن ميثم) «إليه الرجل»[(٤)].

«**قال له: أمنوا**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (الخطية وابن): «أأمنوا»[(٥)].

ظعنوا يا أمير المؤمنين

«**فقطنوا**» أي: أقاموا.

«**أم جبنوا فظعنوا**» أي: ارتحلوا.

«**فقال الرجل**» وليس في (ابن ميثم): «الرجل»[(٦)].

«**بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال** عليه السلام: **بُعداً لهم كما بعدت ثمود**» قال تعالى:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٨٨ و ٩٣ و ١٠٠، سنة ٣٨، مروج الذهب ٢: ٤٠٨.
(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية أيضاً.
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.
(٤) في نسختنا من شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.
(٥) بل في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، «أأمنوا» وفي شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.
(٦) في نسختنا من شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾[١] ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٢].

«**أما لو أُشرعت الأسنّة إليهم**» في (الصحاح): «أشرعت الرمح قبله أي: سددته، وقال: **(البحر المتقارب)**

وليست بتاركة محرماً ولو حف بالأسل الشُرَّعُ[٣]

«**وصبّت السيوف**» كناية عن تواترها، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٤].

«**على هاماتهم**» جمع الهامة بتخفيف الميم أي: الرأس.

«**لقد ندموا على ما كان منهم**» من فراقه، والخروج عليه.

«**إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم**» في (الصحاح): فللت الجيش هزمته، والفلّ بالكسر الأرض التي لم تمطر، يقال أفللنا أي: صرنا في فلّ من الأرض[٥]... ولا مناسبة لواحد منهما وإن اختار ابن أبي الحديد الثاني وابن ميثم الأول[٦]. ويحتمل أن يكون مصحّف استفالهم. يقال رجل فال أي: ضعيف الرأي مخطئ الفراسة، وبدّلته رواية الطبري بقوله: «قد استهواهم وأضلّهم» وقال ابن أبي الحديد ويروى «من استفزّهم» أي: استخفّهم[٧].

«**وهو غداً متبرئ منهم**» ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[٨] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾[٩].

«**ومتخلٌ عنهم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ومخلّ عنهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١٠].

قصة الملتحقين بالخوارج بعد التحكيم

وفي (تاريخ الطبري): قال عبد الله بن فقيم: كان الخرّيت بن راشد مع ثلاثماءة رجل

(١) سورة هود، الآية: ٦٥. (٢) سورة هود، الآية: ٩٥.
(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٤٦، مادة (شرع). (٤) سورة الفجر، الآية: ١٣.
(٥) صحاح اللغة ٥: ١٧٩٣، مادة (خلل).
(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩.
(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨. (٨) سورة الحشر، الآية: ١٦.
(٩) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(١٠) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٩، مثل المصرية أيضاً.

من بني ناجية مقيمين مع عليّ عليه السلام بالكوفة قدموا معه من البصرة - وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفّين والنهروان - فجاء في ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم إلى عليّ عليه السلام حتى قام بين يديه فقال له: والله لا أطيع أمرك ولا أُصلي خلفك، وإني غداً لمفارقك - وذلك بعد تحكيم الحكمين - فقال له عليّ عليه السلام: ثكلتك أمّك! إذن تعصي ربك، وتنكث عهدك ولا تضرّ إلا نفسك. خبّرني لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكّمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك زار وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مبائن. فقال له عليّ عليه السلام: «هلم أُدارسك الكتاب وأُناظرك في السنن، وأُفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك. فعلّك تعرف ما أنت له منكر الآن، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل» قال: فإنّي عائد إليك قال: «لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهل، ووالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد» فخرج من عنده - إلى أن قال - قال عليه السلام لي: «دعه فإن عرف الحقّ وأقبل إليه عرفنا ذلك، وقبلنا منه، وإن أبى طلبناه». فقلت ولم لا تأخذه الآن وتستوثق منه وتحبسه. فقال: إنّا لو فعلنا ذلك بكلّ من نتّهمه من الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أرى الحبس والعقوبة حتى يظهروا لنا الخلاف - إلى أن قال - مسرّا اذهب إلى منزل الرجل. فأعلمني ما فعل فإنّه كل يوم لم يكن يأتيني فيه إلا قبل هذه الساعة. فأتيت إلى منزله فإذا ليس منهم ديّار، فدعوت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذا ليس فيها داع، ولا مجيب. فرجعت. فقال لي حين رآني: «وطنوا فأمنوا أم جبنوا فظعنوا» فقلت: بل ظعنوا وأعلنوا. فقال: «قد فعلوها! بعداً لهم كما بعدت ثمود. أما لو أُشرعت لهم الأسنّة، وصُبّت على هامهم السيوف لقد ندموا. إنّ الشيطان اليوم قد استهواهم وأضلهم، وهو غداً متبرئ منهم، ومخلّ عنهم» فقام إليه زياد بن خصفة. فقال: إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيّانا لم يعظم فقدهم. فنأسى، فإنهم قلّما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا، ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليه من أهل طاعتك، فأْذَنْ في اتّباعهم حتى أردّهم إليك - إلى أن قال - قال عليه السلام: وسأكتب إلى عمّالي فيهم. فكتب نسخة واحدة. فأخرجها إلى العمّال: «أما بعد! فإن رجالاً خرجوا هرّاباً ونظنّهم وجّهوا نحو بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم».

قتل الخوارج المسلم أمّنو الكافر

وعن عبد الله بن وال التيمي قال: والله إنّي لعند أمير المؤمنين عليه السلام إذ جاءه فيج بيده

كتاب من قبل قرظة بن كعب الأنصاري أنّ خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة متوجّهة نحو نُفَّر، وأنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات يقال له زاذان فروخ أقبل من قبل أخواله. فعرضوا له فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل مسلم. قالوا: فما قولك في عليّ؟ قال: أمير المؤمنين، وسيّد البشر. فقالوا له: كفرت. ثم حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة. فقالوا: ما أنت؟ قال: من أهل الذمّة. قالوا: أما هذا فلا سبيل عليه. فكتب عليه السلام إليه «أمّا بعد. فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرّت بك فقتلت البرّ المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر. إنّ أولئك قوم استهواهم الشيطان. فضلّوا وكانوا كالذين حسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا فأسمِع وأبصِر يوم يختبر أعمالهم»[١].

«**فحسبهم بخروجهم من الهدى، وارتكاسهم في الضلال والعمى**» في (الصحاح): «والله أركسهم بما كسبوا أي: ردّهم إلى كفرهم. وارتكس فلان في أمر أي: قد نجا منه»[٢].

«**وصدّهم عن الحقّ وجماحهم**» أي: إسراعهم من قوله تعالى: ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[٣].

«**في التيه**» في (الصحاح): تاه في الأرض أي: ذهب متحيّراً، والتيه المفازة يتاه فيها[٤].

كتاب علي عليه السلام إلى زياد بن حفصة

في (تاريخ الطبري): عن أبي سعيد العقيلي قال: كتب عليّ عليه السلام إلى زياد بن خصفة: أمّا بعد! فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت من الناجي وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر. فأمّا أنت وأصحابك فلله سعيكم، وعلى الله تعالى جزاؤكم. فأبشر بثواب من الله خير من الدنيا التي يقتل الجهّال أنفسهم عليها. فإنّ ما عندكم ينفد، وما عند الله باق ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥]، وأما عدوّكم الذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال وارتكاسهم فيه،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٨٦ – ٨٩، سنة ٣٨، والنقل بتلخيص.
(٢) صحاح اللغة ٢: ٩٣٣، مادة (ركس).
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٧.
(٤) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢٩، مادة (تيه).
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

وردّهم الحقّ، ولجاجهم في الفتنة، فذرهم وما يفترون، ودعهم في طغيانهم يعمهون. فتسمع وتبصر كأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل(١).

وفيه: لما بلغ عليّاً عليه السلام مصاب بني ناجية، وقتل صاحبهم قال: «هوت أمُّه! ما كان أنقص عقله، وأجرأه على ربّه فإنّه جاءني مرّة. فقال لي: في أصحابك رجال قد حسبت أن يفارقوك فما ترى فيهم؟ فقلت له: إنّي لا آخذ على التهمة، ولا أُعاقب على الظنّ، ولا أُقاتل إلا من قاتلني وناصبني وأظهر لي العداوة، ولست مقاتله حتى أدعوه واعذر إليه. فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه وهو أخونا، وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا؛ استعنّا عليه الله وناجزناه. فكفّ عني ما شاء الله ثم جاءني مرّة أخرى. فقال لي: قد حسبت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب الراسبي، وزيد ابن حصين. إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما حتى تقتلهما أو توثقهما. فلا يفارقاك من حيِّك أبداً، فقلت: إني مستشيرك فيهما فماذا تأمرني. قال: آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما. فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل(٢).

كتابه عليه السلام إلى معقل بن قيس

وفيه: كتب عليّ عليه السلام إلى معقل بن قيس - بعد ذكر قتله سبعين من ناجية، وثلاثمائة من العلوج من أصحاب الخرّيت في جبال رامهرمز، وفرار الخرّيت إلى أسياف البحر:

أمّا بعد! فالحمد لله على تأييد أوليائه، وخذلان أعدائه جزاك الله والمسلمين خيراً. فقد أحسنتم البلاء، وقضيتم ما عليكم، وسل عن أخي بني ناجية. فإن بلغك أنه قد استقرّ ببلد من البلدان فسر إليه حتى تقتله أو تنفيه، فإنه لن يزال للمسلمين عدوّاً وللقاسطين وليّاً ما بقي(٣).

وفيه: قرأ معقل كتاباً من عليّ عليه السلام عليهم «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من يُقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين، والمسلمين، والنصارى والمرتدين. سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وكتابه والبعث بعد الموت، وأوفى بعهد الله، ولم يكن من الخائنين.

أمّا بعد! فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنّة نبيّه، والعمل بالحق، وبما أمر الله في

(١) تاريخ الطبري ٤: ٩٣، سنة ٣٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠١، سنة ٣٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) تاريخ الطبري ٤: ٩٦، سنة ٣٨.

الكتاب. فمن رجع إلى أهله منكم، وكفّ يده واعتزل هذا الهالك المحارب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين، وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا، والخروج من طاعتنا استعنّا بالله عليه، وجعلنا الله بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً».

قال: وأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال: من أتاها من الناس فهو آمن إلا الخرّيت وأصحابه الذين حاربونا وبدأونا أول مرة. فتفرّق عن الخرّيت جلّ من كان معه من غير قومه، وعبّى معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبي. ثم زحف بهم نحو الخرّيت وحضر معه قومه، مسلموهم ونصاراهم، ومانع الصدقة منهم، وبعث معقل إلى الميمنة والميسرة: إذا حملت فاحملوا بأجمعكم. فحرّك رايته وهزّها، ثم حمل أصحابه، وبصر النعمان ين صهبان الراسبي بالخرّيت. فحمل عليه فطعنه فصرعه عن دابته. ثم نزل وقد جرحه فأثخنه فاختلفا ضربتين فقتله النعمان، وقتل معه في المعركة سبعون، وما بقي ذهبوا يميناً وشمالاً، وبعث معقل الخيل إلى رجالهم. فسبى من أدرك منهم. فسبى رجالاً كثيراً ونساءً وصبياناً. فمن كان منهم مسلماً خلّاه وأخذ بيعته وترك له عياله، ومن ارتدّ عرض عليه الإسلام فرجع؛ خلّى سبيله وسبيل عياله[1].

قوله عليه السلام في كتابه إلى زياد بن خصفة بعد ما مرّ من المصنف: «كأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل» قد عرفت أنه من إخباره عن المستقبل الذي لا يعلم بالحدس والتخمين، بل من تعليم ربّ العالمين.

هذا، ومن أحسن ما أُنشئ في قتل العدو وأسره، قول إبراهيم بن العبّاس: وقسم الله عدوّه أقساماً ثلاثة، روحاً معجّلة إلى عذاب الله، ورأساً منقولة إلى دار خلافة الله، استنزلوه من معقل إلى عقال، وبدّلوه آجالاً، وقديماً غذت العصبية أبناءها فحلبت عليهم درّها مرضعة، وركبت بهم مخاطرها موضعة، حتى إذا وثقوا فأمنوا، وركبوا فاطمأنّوا، وامتدّ رضاع، وآن فطام. فجرت مكان لبنها دماً، وأعقبتهم من حلو غذائها مرّا، ونقلتهم من عزٍّ إلى ذلّ، ومن فرحة إلى ترحة، ومن مسرّة إلى حسرة، قتلاً وأسراً، وغلبة وقسراً، وقلّ من أوضع في الفتنة مرهجاً، واقتحم لهبها مؤجّجاً. إلا استلحمته آخذة بمخنقه، وموهنة بالحق كيده، حتى جعلته لعاجله جزراً، ولآجله حطباً، وللحق موعظة، وعن الباطل مزجرة، أولئك لهم خزيٌ في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وما الله بظلّام للعبيد.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٩٧ و ٩٨، سنة ٣٨، والنقل بتلخيص.

«**قول المصنّف: ومن كلام له** عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية» وكما أخبر عليه السلام بأن بني ناجية الذين خرجوا مع الخرّيت يؤول أمرهم إلى قتل وأسر، وصار كما قال عليه السلام.

قوم مصقلة يكتبون إليه ليعود من صفوف معاوية إلى صفوف علي عليه السلام

استأذنه عليه السلام قوم مصقلة الكتاب إليه برجوعه. فأذن لهم وأخبرهم أنه لا يرجع حتى يموت. فصار كما قال عليه السلام.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنه قام إلى عليّ عليه السلام وجوه بكر بن وائل فقالوا: إنّ نعيماً أخا مصقلة يستحي منك بما صنع مصقلة، وقد أتانا اليقين أنّه لا يمنع مصقلة من الرجوع إليك إلا الحياء، ولم يبسط منذ فارقنا لسانه، ولا يده. فلو كتبنا إليه كتاباً، وبعثنا من قبلنا. فإنّا نستحي أن يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق إلى معاوية. فقال عليّ عليه السلام: اكتبوا. فكتبوا: أما بعد! فقد علمنا أنّك لم تلحق بمعاوية رضاً بدينه، ولا رغبة في دنياه، ولم يعطفك عن عليّ عليه السلام طعن فيه، ولا رغبة عنه، ولكن توسطت أمراً. فقويت فيه الظن، وأضعفت فيه الرجاء. فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال، وألحق بمعاوية، ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق، ولا السكاسك بربيعة، ولا معاوية بعليّ عليه السلام، ولا أصبت دنيا تهنأ بها، ولا حظّاً تحسد عليه، وإنّ أقرب ما يكون مع الله أبعد ما يكون مع معاوية. فارجع إلى مصرك. فقد اغتفر لك أمير المؤمنين عليه السلام الذنب، واحتمل الثقل.

جواب مصقلة على خطاب قومه

واعلم أنّ رجعتك اليوم خير منها غداً، وكانت أمس خيراً منها اليوم، وإن كان عليك حياء من الرجوع إلى الحقّ. فما أنت فيه أعظم. فقبّح الله أمراً ليس فيه دنياً ولا آخرة.

فكتب مصقلة إليهم: جاءني كتابكم وإني أخبركم أن من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير، وقد علمتم الأمر الذي قطعني من عليّ. وأضافني إلى معاوية وقد علمت أني لو رجعت إلى عليّ وإليكم لكان ذنبي مغفوراً، ولكنّي أذنبت إلى معاوية. فلو رجعت إلى عليّ أحدثت عيباً وأحييت عاراً، وكنت بين لائمين أولهما خيانة، وآخرهما غدر، ولكني أقيم بالشام. فإن غلب معاوية فداري العراق، وإن غلب عليّ فداري أرض الروم. فأمّا الهوى فإليكم طائر، وكانت فرقتي عليّاً على بعض العذر أحبّ إليّ من فرقتي معاوية ولا

عذر لي. فرجع الرسول بالكتاب. فأقرأه عليّاً. فقال: كفّوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت(١).

معاوية يولّي مصقلة طبرستان

وفي (بلدان البلاذري): ولّى معاوية مصقلة طبرستان وجميع أهلها حرب وضمّ إليه عشرة آلاف - ويقال عشرين ألفاً - فكاده العدو وأروه الهيبة له حتى توغّل بمن معه في البلاد. فلمّا جاوزوا المضائق؛ أخذها العدوّ عليهم، وهدّوا الصخور من الجبال على رؤوسهم. فهلك ذلك الجيش أجمع، وهلك مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا «حتى يرجع مصقلة من طبرستان»(٢).

قصة بني ناجية

«**وكان قد ابتاع سبي بني ناجية**» في (الأغاني) وناجية أمّهم بنت جرم بن أبان وهو علاف، وهو أول من اتّخذ الرحال العلافية. فنسبت إليه، واسمها ليلى سمّيت ناجية لأنها سارت في مفازة معه. فعطشت فاستسقته. فقال لها: الماء بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء. فشربت وسمّيت ناجية(٣).

وفي عليّ بن الجهم الناجي: يدّعون أنهم من سامة بن لؤي بن غالب، وتدفعهم قريش في ذلك، وتسمّيهم بني ناجية - ينسبون إلى أُمّهم ناجية امرأة سامة بن لوى - وكان سامة في ما يقال خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مماظّة كانت بينهما. فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب. فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكّته به. فدبّ الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله، وكانت معه امرأته ناجية. فتزوجت رجلاً من أهل البحرين. فولدت منه الحرث، ومات أبوه، وهو صغير. فلما ترعرع طمعت أمّه في أن تلحقه بقريش. فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل من البحرين إلى كعب بن لؤي، وأخبره أنه ابن أخيه سامة بن لؤي. فعرف كعب أمّه، وظنّه صادقاً في دعواه، ومكث عنده مدّة حتى قدم مكّة ركب من أهل البحرين فرأوا الحرث. فسلّموا عليه، وحادثوه ساعة فقال لهم كعب: من أين تعرفونه؟ قالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان - وشرحوا له خبره - فنفاه كعب ونفى أمّه. فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، وتزوّج الحرث وأعقب، وعن النبيّ ﷺ عمّي سامة لم يعقب.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٨٧ - ٨٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ٣٣٠.

(٣) الأغاني ١٠: ٢٠٥، والنقل بتصرف يسير.

ثم نقل عن ابن الكلبي كون الحرث بن سامة، وأنّ ناجية لم تكن أمّه بل أمّ أخيه غالب، وأنّ الحرث خلف عليها بعد أبيه سامة، وهلك ولم يعقب. قال ومثله الهيثم بن عدي: وإنما بنو ناجية انتموا إلى الحرث بن سامة باطلاً(١).

وفي (أنساب البلاذري) عن هشام بن محمّد الكلبي عن أبيه عن عدّة عن عليّ عليه السلام قال: سامة حق، أما العقب فليس له، وقال قوم: كان لناجية ولد من غير سامة، وكان سامة متبنّياً له. فنسب إليه. فالعقب لذلك الولد(٢).

وقال ابن أبي الحديد: وفي (الأغاني) في مروان بن أبي حفصة: عليّ بن الجهم خطب امرأة من قريش. فلم يزوّجوه، وبلغ المتوكّل ذلك. فسأل عن السبب فحدّث بقصّة بني سامة بن لؤي، وأنّ أبا بكر وعمر لم يدخلاهم في قريش، وأنّ عثمان أدخلهم فيها، وأنّ عليّاً عليه السلام أخرجهم منها. فارتدّوا، وأنّه قتل من ارتدّ منهم، وسبى بقيتهم. فباعهم من مصقلة بن هبيرة. فضحك المتوكّل، وبعث إلى عليّ بن الجهم. فأحضره، وأخبره بما قال القوم، وكان فيهم مروان بن أبي حفصة - وكان المتوكل يغريه بعليٍّ بن الجهم وهجائه - فقال: [البحر المديد]

إنّ جهماً حين تنسبه ... ليس من عجم ولا عَرَبِ
لجّ في شتمي بلا سبب ... سارق للشعر وَالنَّسَبِ
من أناس يدّعون أباً ... ما له في الناس من عَقِبِ

فغضب عليّ بن الجهم، ولم يجبه لأنه كان يستحقره فأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال: [البحر الوافر]

أأنتم يا بن جهم من قريش ... وقد باعوكم ممّن يَزِيْدُ
أترجو أن تكاثرنا جهاراً ... بأصلكم وقد بيع الْجُدُوْدُ؟!

ولما أخذ بنو ناجية يوم الجمل بخطام جمل عائشة قالت لهم: صبراً فإني أعرف فيكم شمائل قريش(٣).

وفي (مروج المسعودي) أبى كثير من الناس كون بني ناجية من ولد سامة وقالوا: إنّ سامة ما أعقب. قال عليّ بن محمّد بن جعفر العلوي في من انتمى إلى سامة بن لؤي: [البحر المتقارب]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٠: ٢٠٣ - ٢٠٥، والنقل بتلخيص.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٦ - ٤٧. (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٣ - ٢٦٤.

وسامة منّا فأمّا بنوه ... فأمرهم عندنا مُظْلِمُ
أناس أتونا بأنسابهم ... خرافة مضطجع يَحْلُمُ
وقلنا لهم مثل قول الوصي ... وكلّ أقاويله مُحْكَمُ
إذا ما سئلت فلم تدر ما ... تقول؛ فقل: ربّنا أعلَمُ

ولست ترى أحداً منهم إلا منحرفاً عن عليّ عليه السلام، وبلغ من انحراف عليّ بن الجهم الناجي أنّه كان يلعن أباه. فسئل عن ذلك. فقال بتسميته إيّاي علياً[١].

وفي (الأغاني): سمع أبو العيناء علياً بن الجهم يوماً يطعن على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أنا أدري لم تطعن عليه. فقال له: أتعني قصّة بيعة أهلي من مصقلة؟ قال: لا أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنّه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت أسفلهما.
وفيه يقول البحتري: **[البحر الوافر]**

إذا ما حصّلت عَليا قريش ... فلا في العير أنت ولا النَّفيْرِ
ولو أعطاك ربّك ما تمنّى ... لزاد الخلقَ في عِظَمِ الأُيُورِ
علام هجوت مجتهداً علياً ... بما لفّقت من كذب وَزُوْرِ؟
أما لك في أستك الوجعاء شغلٌ ... يكفّك عن أذى أهل القُبُوْرِ؟

وأدخلهم الزبير بن بكار في قريش لمخالفة فعل أمير المؤمنين عليه السلام لإجماعهم على بغضه حسب المشهور من مذهب الزبير[٢]. . . .

قلت: وسبقه في ذلك عمّه مصعب الزبيري، ولا بدّ أنّهما قلّدا خالة جدّهما عائشة باشتراك بغضهم له عليه السلام مثل بني ناجية. قال مصعب في (نسب قريشه): عبد البيت بن الحارث بن سامة، هم الذين قتلهم عليّ، وكان رئيسهم الخرّيت[٣].

هذا وفي (البيان) مرّ ابن أبي علقمة الموسوس بمجلس بني ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه. قال: ما يضحككم؟ رأى وجوه قريش فسجد[٤].

«**من عامل أمير المؤمنين** عليه السلام» يعني أمير جنده معقل بن قيس وإلّا فمصقلة كان عامله عليه السلام على أردشيرخُرّه.

ففي (تاريخ الطبري): أقبل معقل ببني ناجية حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٧ - ٧٠٨، والنقل بتصرف.
(٢) الأغاني ١: ٢٠٥ - ٢٠٦، والنقل بتصرف يسير.
(٣) نسب قريش: ٤٤٠.
(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ٣٣٣.

الشيباني - وهو عامل عليّ عليه السلام على أردشيرخُرَّه - وهم خمسماءَة إنسان. فبكى النساء والصبيان، وصاح الرجال: يا أبا الفضل! يا حامي الرجال وفكّاك العناة! أُمنن علينا فاشترنا. فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقنّ عليهم إنّ الله يجزي المتصدّقين. فبلغها عنه معقل. فقال: والله لو أعلم أنه قاله توجُّعاً لهم وإزراءً عليكم لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر بن وائل.

أعظم الخيانة خيانة الأمة

ثم إنّ مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل. فقال له: بعني بني ناجية. فقال: نعم أبيعهم بألف ألف. ودفعهم إليه وقال له: عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أنا باعث الآن بصدر، ثم أبعث بصدر آخر كذلك، حتى لا يبقى منه شيء، وأقبل معقل إلى عليّ عليه السلام وأخبره بما كان منه في ذلك. فقال له: أحسنت، وأصبت، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال، وبلغ عليّاً عليه السلام أنّ مصقلة خلّى سبيل الأُسارى، ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء. فقال عليه السلام: «ما أظن مصقلة إلا قد تحمّل حمالة إلا أراكم سترونه عن قريب ملبّداً».

ثم إنه عليه السلام كتب إليه: «أما بعد! فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الإمام، وعندك من حقّ المسلمين خمسماءَة ألف. فابعث بها إليّ ساعة يأتيك رسولي، وإلّا فأقبل حين تنظر في كتابي فإني قد تقدّمت إلى رسولي إليك لا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال» - وكان الرسول أبا جرّة الحنفي -.

فقال له أبو جرة: ابعث بالمال الساعة، وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة - إلى أن قال - ثم أقبل حتى أتى عليّاً عليه السلام فأقرّه أياماً ثم سأله المال. فأدّى إليه مئتي ألف ثم إنه عجز فلم يقدر عليه.

وقال ذهل بن الحارث: دعاني مصقلة إلى رحله. فقدّم عشاؤه. فطعمنا منه ثم قال: والله إنّ أمير المؤمنين يسألني، ولا أقدر عليه. فقلت له: والله شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال. فقال: والله ما كنت لأحمّلها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد ثم قال: أما والله لو أنّ ابن هند هو طالبي بها أو ابن عفّان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج آذربيجان ماءَة ألف في كلّ سنة.

فقلت له: إنّ هذا لا يرى هذا الرأي لا والله ما هو بباذل شيئاً كنت أخذته فما مكث

إلا ليلة حتى لحق بمعاوية، وبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فقال: «ما له برّحه الله! فعل فعل السيّد، وفرّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر. أما والله إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه. فإن وجدنا له شيئاً أخذناه؛ وإن لم يقدر على مال تركناه» ثم سار إلى داره فنقضها وهدمها، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعياً مناصحاً لعليّ عليه السلام وكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له حلوان: إني كلمت معاوية فيك فوعدك الإمارة، ومنّاك الكرامة، فأقبل إليّ ساعة يلقاك رسولي. فأخذه مالك بن كعب الأرحبي. فسرّح به على عليّ عليه السلام فأخذ كتابه. فقرأه. فقطع يد النصراني فمات فكتب نعيم إلى مصقلة:

[البحر البسيط التام]

لا ترمينّ - هداك الله - معترضاً ... بالظن منك فما بالي وَحَلْوانَا
ذاك الحريص على ما نال من طمع ... وهو البعيد فلا يحزنك إذ خَانَا
ماذا أردت إلى إرساله سفهاً ... ترجو سقاط امرئ لم يلق وَسْنَانَا
عرّضته لعليّ إنه أسد ... يمشي العرنضي من آساد خَفَّانَا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع ... تحمي العراق وتدعى خير شِيْبَانَا
حتى تقحّمت أمراً كنت تكرهه ... للراكبين له سرّاً وَإِعْلَانَا
لو كنت أدّيت ما للقوم مصطبراً ... للحقّ أحييت أحيانا وَمَوْتَانَا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً ... فضل ابن هند وذاك الرأي أَشْجَانَا
فاليوم تقرع سنّ الغرم من ندم ... ماذا تقول وقد كان الذي كَانَا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبةً ... لم يرفع الله بالبغضاء إِنْسَانَا

تفسير كلامه عليه السلام

ورواه (غارات الثقفي)، وزاد على نقل ابن أبي الحديد وقيل لعليّ عليه السلام حين هرب مصقلة: أُردد الذين سُبوا ولم تستوف أثمانهم، في الرق. فقال: ليس ذلك في القضاء بحق. قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي ديناً على الذي اشتراهم[1].

«**واعتقه**» هكذا في (المصرية)، والصواب (وأعتقهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٩٩ - ١٠١، سنة ٣٨، والثقفي في الغارات ١: ٣٦٢ - ٣٧٠، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٧١، شرح الخطبة ٤٤.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦١، وشرح ابن ميثم ٢: ١١٥، مثل المصرية أيضاً.

«**فلما طالبه بالمال خاس به**» أي: غدر به.

«**وهرب إلى الشام**» وفي (أمثال الكرماني): وقال مصقلة لما هرب منه عليه السلام ولحق بمعاوية. [البحر الطويل]

وفارقت خير الناس بعد محمّد لمال قليل لا محالة ذَاهِبُ

قوله عليه السلام: «قبّح الله مصقلة» في (الصحاح): قبّحه الله أي: نحّاه عن الخير[1].

«**فَعل فِعل السادات**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (السادة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] ثم فعله فعل السادة بشرائه السبي وعتقهم.

«**وفرّ فرار العبيد**» لئلا يؤدي الثمن.

«**فما أنطق مادحه**» في شراء السبي وعتقهم، وقال الأخطل في ذلك: [البحر البسيط التام]

وَسَلْ بمصقلة البكري ما فعلا بملتف ومفيد لا يمنّ ولا
تهلكه النفس في ما فاته عَذَلَا

إلى أن قال:

وقد فككت عن الأسرى وثاقهم وليس يرجون تلجاءً ولا دَخَلَا
وقد تنفذتهم من قعر مظلمة إذا الجبان رأى أمثالها زَحَلَا
فهم فداؤك إذ يبكون كلهم ولا يرون لهم جاهاً ولا نَفَلَا
ما في معدّ فتى يغني رباعته إذا يهمّ بأمر صالح عَمَلَا

- إلخ - كما في ديوانه[3]، وقال آخر: [البحر الوافر]

ومصقلة الذي قد باع بيعاً ربيحاً يوم ناجية بن سَالِمْ

«**حتى أسكته**» بفراره. قال عمرو بن معديكرب كما في بيان الجاحظ وغيره: [البحر الطويل]

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكنّ الرماح أُجرَّتِ

قال الجاحظ: أي لم يطعن قومي بالرماح. فأُثني عليهم، ولكنّهم فرّوا فأمسكت

(١) صحاح اللغة ١: ٣٩٣، مادة (قبح).
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦١، ولفظ شرح ابن ميثم ٢: ١١٥، مثل المصرية.
(٣) ديوان الأخطل: ١٤٣ - ١٤٥.

كالمجرّ الذي في فمه جرار - أي عود يعرض في فم الفصيل لئلّا يرتضع[١]-.

«**ولا صدّق واصفه حتى بكّته**» أي: عنّفه. قال بشار في بعضهم: **[البحر البسيط التام]**

أثني عليك ولي حال تكذبني ... في ما أقول فاستحي من النَّاسِ
قد قلت إن أبا حفص لأكرم من ... يمشي فخاصمني في ذلك إفْلَاسِي

هذا، وقال القطامي في يزيد بن المهلّب: **[مجزوء البحر الرجز]**

لعل عيني أن ترى يزيداً ... قود جيشاً جحفلا شَدِيْدَا
تسمع للأرض به وَئِيْدَا

ثم إنه سار بعد ذلك إلى العقر حتى شهد مع مسلمة بن عبدالملك قتال يزيد. فقال يزيد: ما أبعد شعر القطامي من فعله.

هذا، ومدح شاعر الحسن بن سهل - وظن الحسن أنّ همّته قصيرة - فقال له: احتكم. فقال: ألف ناقة. فوجم الحلسن ولم يمكنه، وكره أن يفتضح، وقال: يا هذا إنّ بلادنا ليست بلاد إبل، ولكن ما قال امرؤ القيس: **[البحر الوافر]**

إذا ما لم يكن إبل فمعزى ... كأن قرون جلّتها الْعِصِيُّ

ثم أمر يحيى بن خاقان أن يعطيه بكل شاة ديناراً. هذا، ولبعضهم: **[البحر الخفيف]**

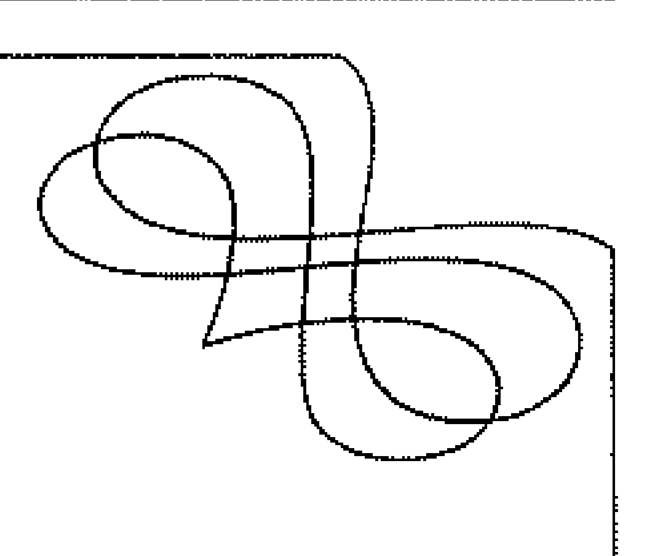
مدح الفضل نفسه بالفعال ... فعلا عن مديحنا بِالْمَقَالِ
أمروني بمدحه قلت كلا ... كبر الفضل عن مديح الرِّجَالِ

«**ولو أقام لأخذنا ميسوره**» من ثلاثماءة ألف بقيت عليه على رواية الطبري، ومن ماءة ألف على رواية المسعودي[٢].

«**وانتظرنا بماله وُفورَهُ**» مصدر وفر الشيء أي: كثر. وفي (الصحاح) قولهم: «توفر وتحمد» يضرب هذا المثل للرجل تعطيه الشيء فيردّه عليك من غير تسخط[٣].

---

(١) رواه الجاحظ في البيان ١: ٣٣٧، وابن منظور في لسان العرب ٤: ١٢٦، مادة (جرّ).
(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠٠، سنة ٣٨، ومروج الذهب ٢: ٤٠٨.
(٣) صحاح اللغة ٢: ٨٤٧، مادة (وفر).



البصرة...
أهلها ومناخها ومستقبلها

ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أهل البصرة: كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ؛ رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

وفي رواية: وَأَيْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ. أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية أُخْرَى: بِلاَدُكُمْ أَنْتَنُ بِلادِ اللهِ تُرْبَةً: أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ. الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ، حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلاَّ شُرَفُ الْمَسْجِدِ، كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ! البصرة... أهلها ومناخها ومستقبلها — الخطبة (١٣)

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك:

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْماءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ. — الخطبة (١٤)

أقول: رواها أبو حنيفة الدينوري في (أخبار طواله)، وابن قتيبة في (عيونه) وابن عبد ربه في (عقده)، وسبط بن الجوزي في (تذكرته)، والمسعودي في (مروجه) والحموي في (معجمه)، ورواها القمي في (تفسيره)، والمفيد في (جمله). وابن ميثم في (شرحه).

الخطبة بروايات متعدِّدة

برواية الدينوري في الأخبار الطوال: دخل عليّ عليه السلام البصرة فأتى مسجدها الأعظم واجتمع الناس إليه. فصعد المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم قال: «أمّا بعد! فإنّ الله ذو رحمة واسعة، وعقاب أليم. فما ظنّكم بي يا أهل البصرة جند المرأة، وأتباع البهيمة. رغا فقاتلتم، وعقر فانهزمتم. أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق، وماؤكم زعاق. أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء وأيم الله ليأتينّ عليها زمان لا يرى منها إلا شرفات مسجدها في البحر، مثل جؤجؤ السفينة - إلى أن قال - وشخص عليّ عليه السلام عن البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عباس. فلما انتهى إلى المربد التفت إلى البصرة ثم قال: «الحمد لله الذي أخرجني من شرّ البقاع تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وأبعدها من السماء»(1).

وابن قتيبة في عيونه: رقي عليّ عليه السلام في البصرة المنبر، فقال: يا أهل البصرة، ويا بقايا ثمود. يا أتباع البهيمة، ويا جند المرأة. رغا فاتبعتم، وعُقر فانهزمتم، دينكم نافق، وأحلامكم دقاق، وماؤكم زعاق. يا أهل البصرة والبصيرة، والسبخة والخريبة. أرضكم أبعد أرض من السماء، وأقربها من الماء، وأسرعها خراباً وغرقاً.

ومثله الحموي في معجم البلدان - وزاد - ألا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أما علمت أن جبرائيل حمل جميع الأرض على منكبه الأيمن. فأتاني بها، ألا إني وجدت البصرة أبعد بلاد الله من السماء، وأقربها من الماء، وأخبثها تراباً، وأسرعها خراباً، ليأتينّ عليها يوم لا يرى منه إلا شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجّة البحر - إلى أن قال - وفي رواية - قال: أما بعد. فإنّ الله ذو رحمة واسعة. فما ظنّكم يا أهل البصرة، يا أهل السبخة، يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله الرابعة يا جند المرأة - إلى أن قال - حتى صار إلى المربد، والتفت، وقال: الحمد لله الذي أخرجني من شرّ البقاع تراباً، وأسرعها خراباً(2). . . .

وبرواية ابن عبد ربّه في العقد الفريد: **وقال الثالث**: لما انقضى أمر الجمل؛ دعا عليّ عليه السلام بآجرتين فعلاهما فحمد الله، وأثنى عليه. ثم قال: «يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة. رغا فجئتم، وعُقر فهربتم. نزلتم شر بلاد وأبعدها من السماء، بها مغيض كل

---

(1) الأخبار الطوال: ١٦١.

(2) عيون الأخبار ١: ٢١٦، ومعجم البلدان ١: ٤٣٦، واللفظ للمعجم.

ماء، ولها شر أسماء هي البصرة، والبصيرة، والمؤتفكة وتدمر»[١].

برواية السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: وقال الرابع: قال عليّ عليه السلام: يا جند المرأة، وأتباع كل ناعق. ماؤكم زعاق، ودينكم نفاق. دعاكم الشيطان فأجبتم، وعُقر فعقرتم. كأني أنظر إلى مسجدكم قد بعث الله عليه العذاب من فوقه ومن تحته. فهو كجؤجؤ سفينة أو كنعام جاثمة، أو كجؤجؤ طائر في لجّة بحر. أرضكم بعيدة من السماء قريبة من الماء. خفّت عقولكم، وسفهت أحلاكم[٢].

برواية المسعودي في مروجه قال الخامس: وخطب عليّ عليه السلام بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها: يا أهل السبخة! يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها من الدهر ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة. يا جند المرأة وأتباع البهيمة[٣]....

وقال القمي في تفسيره في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾[٤] المؤتفكة البصرة، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة. يا جند المرأة، وأتباع البهيمة. رغا فأجبتم، وعقر فهربتم. ماؤكم زعاق، وأخلاقكم رقاق، فبكم ختم النفاق ولعنتم على لسان سبعين نبيّاً. إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّ جبرائيل أخبره أنه طوى له الأرض. فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء، وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشر، والداء العضال، المقيم فيها مذنب، والخارج منها برحمة. وقد ائتفكت بأهلها مرتين، وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة[٥].

وقال المفيد في كتاب الجمل: روى نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن أبي خالد، عن عبد الله بن عاصم، عن محمد بن بشير الهمداني، عن الحرث بن سريع قال: لما ظهر عليّ عليه السلام على أهل البصرة، وقسّم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أيها الناس! إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أنّ نقمته وعقابه على أهل معصيته. يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة وأتباع البهيمة؛ رغا فرجفتم، وعقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مرّاق، أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء. خفّت عقولكم وسفهت أحلامكم. شهرتم سيوفكم علينا، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم. فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، والنار لكم مدّخر، والعار لكم مفخر.

---

(١) العقد الفريد ٥: ٧٢، و ٤: ١٤٦.
(٢) تذكرة الخواص: ٧٩.
(٣) مروج الذهب ٢: ٣٦٨.
(٤) سورة النجم، الآية: ٥٣.
(٥) تفسير القمي ٢: ٣٣٩.

يا أهل البصرة! نكثتم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي. فما ظنّكم يا أهل البصرة الآن؟ فقام إليه رجل منهم. فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت. فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى رب العالمين. فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم. فإيّاكم والفتنة. فإنكم أول من نكث البيعة، وشق عصا الأمّة. فارجعوا من الحوبة، وأخلصوا في ما بينكم وبين الله بالتوبة[1].

وقال ابن ميثم في شرح النهج روي أنه قال: يا أهل المؤتفكة. إئتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة. يا جند المرأة، وأعوان البهيمة. رغا فأجبتم، وعُقر فانهزمتم. أخلاقكم دقاق، وماؤكم زعاق. بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعد من السماء بها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله، كأني أنظر إلى قريتكم هذه، وقد طبّقها الماء حتى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجّة بحر.

فقام إليه الأحنف بن قيس. فقال: يا أمير المؤمنين! متى ذلك؟ قال: «إذا صارت أجمتكم قصوراً».

وبعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع.

مدح أهل البصرة

إلى أن قال في فصل آخر من هذه الخطبة مادحاً -:

«يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّة شرف ولا كرم إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم. أنتم أقوم الناس قبلة. قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس، وأصدقهم في تجارته، ومصدقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشد الناس بذلاً وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً، وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعنيه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة، ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد. ونساؤكم أقنع الناس، وأحسنهن تبعّلا. سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم. فلو صبرتم، واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً، وظلاً ظليلاً، غير أن حكم الله فيكم ماضٍ، وقضاءه نافذ، لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب. يقول الله ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[2].

---

(١) الجمل: ٢١٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

وأقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكيراً وموعظة لما بعد. لكيلا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطريه بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم، ولا رغبة في شيء مما قبلكم. فإني لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها في ما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها، ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلاً ومدبراً. فمن أراد أن يأخذ بنصيبها منه فليفعل. فلعمري إنه للجهاد الصافي صفّاه لنا كتاب الله، ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة منّي عليكم لما شافهتموني غير أنّ النبيّ ﷺ قال لي يوماً - وليس معه غيري - يا عليّ! إنّ جبرائيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها، وأعطاني مقاليدها، وعلّمني ما فيها، وما قد كان على ظهيرها، وما يكون إلى يوم القيامة، ولم يكبر ذلك عليّ كما لم يكبر على أبي آدم. علّمه الأسماء ولم يعلمها الملائكة المقرّبين.

وإني رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمّى البصرة. فإذا هي أبعد الأرض من السماء، وأقربها من الماء، وأنها لأسرع الأرض خراباً، وأخبثها تراباً، وأشدّها عذاباً، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً، وليأتينّ عليها زمان إنّ لكم يا أهل البصرة، وما حولكم من القرى، من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه، وإني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه. ثم أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أُخفيت عنكم، وعلمناها. فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها. فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه. وما الله بظلّام للعبيد(٢).

مدح البصرة وأهلها في رواية ابن قتيبة

هذا، وروى ابن قتيبة في (عيونه) عن الحسن البصري - خبر الذم - إلى أن قال بعد قوله: وعُقر فانهزمتم - أما أني لا أقول رغبة فيكم، ولا رهبة منكم غير أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تفتح أرض يقال لها البصرة أقوم الأرضين قبلةً. قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومتصدّقها أعظم الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة. منها إلى قرية يقال: لها الأُبُلّة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها أربعون ألفاً، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر».

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.
(٢) شرح ابن ميثم ١: ٢٨٩ - ٢٩٣.

ورواه الحموي لكن فيه «يستشهد عند مسجد جامعها، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد»[١].

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أهل البصرة» هكذا في (المصرية)، ولكن في ابن ميثم: «في ذم البصرة وأهلها» ومثله في الخطية، وكذا في ابن أبي الحديد في نسخة فهو الصواب[٢].

في وصف البصرة

وفي (الجمهرة): «البصرة حجارة رخوة، وبه سمّيت البصرة لأنّ أرضها التي بين العقيق، وأعلى المربد كذلك، وهو الموضع الذي يسمّى الحزيز. قال الشاعر ذو الرمة: البصرة... أهلها ومناخها ومستقبلها [البحر الطويل]

تداعين باسم الشيب في متثلّم   جوانبه من بصرة وَسَلامِ[٣]

وفي (المعجم) قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب. وذكر الشرقي بن القطامي أنّ المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد، وأبصروا الحصى عليها. فقالوا إن هذه أرض بصرة، يعنون حصبة.

وذكر أحمد بن محمد الهمداني، عن محمّد بن شرحبيل بن حسنة قال: سمّيت البصرة لأنّ فيها حجارة سوداء صلبة. قال الطرماح بن حكيم: [البحر الطويل]

مؤلفة تهوي جميعاً كما هوى   من النيق فوق البصرة الْمُتَطَحْطِحُ

وقال الأزهري: البصر الحجارة إلى البياض - بالكسر - فإذا جاؤوا بالهاء قالوا بصرة. وقال حمزة الأصبهاني: قال موبذ بن اسوهشت: البصرة تعريب «بس راه» لأنها كانت ذات طرق كثيرة، انشعبت إلى أماكن مختلفة.

وعن نافع بن الحارث بن كلدة أن ثابت السدوسي قال لعمر: إنّي مررت بمكان دون دجلة فيه قصر، وفيه مسالح للعجم يقال له: الخُرَيبة، ويسمّى أيضاً البُصيرة بينه وبين دجلة أربعة فراسخ، له خليج بحريٌّ فيه الماء إلى أجمة قصب. فأعجب ذلك عمر....

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢١٦، ومعجم البلدان ١: ٤٣٦.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٢٨٩، مثل المصرية أيضاً.

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٥٩.

ويقال في النسب إليها: البصري - بالكسر. فيغيّر كما يقال في النسب إلى اليمن يمان، وإلى تهامة تهام، وإلى الري رازي(١).

وقالوا: البصرة عثمانية، والكوفة علوية، والشام أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنيّة.

وعن (غارات الثقفي): أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: أتيتك من بلد ما تركت به لك محبّاً. قال: من أين أنت؟ قال: من البصرة. قال: أما إنهم لو يستطيعون أن يحبّوني لأحبّوني إني وشيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا رجل، ولا ينقص إلى يوم القيامة.

وعنه: أنّ عبيد الله بن زياد بنى مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ عليه السلام والوقيعة فيه: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلّافين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد(٢).

لا أفلح قوم تدبّرهم امرأة

قوله عليه السلام: «كنتم جُند المرأة» وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لما بلغه أنّ أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى كما في (تذكرة سبط بن الجوزي)، أو لما ذكر عند ملكة سبأ كما في (عيون القتيبي وجمل المفيد): «لا أفلح قوم تدبّرهم امرأة» وأراد أبو بكرة اللحوق بطلحة والزبير. فلما سمع أن عائشة هي المتولّية لأمرهم تذكّر قول النبيّ صلى الله عليه وآله عند ذاك انصرف(٣).

وروى أيضاً أنه تذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله «إنّ قوماً يخرجون بعدي في فتنة رأسها امرأة لا يفلحون أبداً» فانصرف(٤).

وفي (مروج المسعودي): ذكر المدائني عن بعضهم أنّه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأُذن. فسأله عن قصّته. فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى. فنظر إلى رجل منهم يخفض برأسه ويرفعه وهو يقول:

---

(١) معجم البلدان ١: ٤٣٠، والنقل بتصرف. (٢) الغارات ٢: ٥٥٥ و ٥٥٨.

(٣) أخرج السبط في التذكرة: ٦٧، والمفيد في الجمل: ١٥٩ و ١٦٠، وأيضاً البخاري في صحيحه ٤: ٢٢٨، والترمذي في سننه ٤: ٥٢٧ ح ٢٢٦٢، والنسائي في سننه ٨: ٢٢٧، والحاكم في المستدرك ٤: ٢٩١، لكن لم أجده في عيون الأخبار.

(٤) أخرج هذا المعنى ابن أبي شيبة والبزار والذهبي، عنهم المطالب العالية وذيله ٤: ٣٠٣ وسعيد بن المنصور وأبو يعلى والبيهقي والطبراني وابن الجوزي، عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٤٤٠.

[البحر الطويل]

لقد أوردتنا حومة الموت أُمّنا فلم تنصرف إلا ونحن رَوَاءُ
أطعنا بني تيم لشقوة جدّنا وما تيم إلا أعبدٌ وَإِمَاءُ

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت. قل: لا إلّه إلا الله فقال: «يا بن اللخناء! إيّاي تأمر بالجزع عند الموت». فولّيت منه متعجباً. فصاح بي: ادنُ مني ولقّني الشهادة. فصرت إليه فلما قربت فاستدناني ثم التقم أُذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه. فقال: إذا صرت إلى أمّك فقالت: من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبيّ مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين[١].

وفي (حيوان الجاحظ) قال السيد الحميري في عائشة وأتباعها: [البحر السريع]

جاءت مع الأشقين في هودج تزجي إلى البصرة أَجْنَادَهَا
كأنها في فعلها هرّة تريد أن تأكل أَوْلَادَهَا[٢]

وفي (تاريخ الطبري): أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل. فيفتّونه ويشمّونه ويقولون: بعر جمل أمّنا ريحه ريح مسك[٣]، وخرج من أهل الجمل شيخ صبيح نبيل عليه جبّة وشي وهو يقول: [البحر السريع]

يا معشر الأزد عليكم أمّكم فإنها صلاتكم وَصَوْمُكُمْ
والحرمة العظمى التي تعمّكم فأحضروها جدّكم وَحَزْمَكُمْ
لا يغلبن سمّ العدوّ سمّكم إن العدوّ إن علاكم رَمَّكُمْ
وخصّكم بجوره وعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قَوْمُكُمْ

قال أبو مخنف: لم يقل أحد من رجّاز البصرة قولاً كان أحبّ إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ. فاستقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل فخرج عوف ابن قطن الضبيّ وهو ينادي: ليس لعثمان ثأر إلا عليّ وولده. فأخذ خطام الجمل وقال: [البحر السريع]

يا أمّ يا أُمّ خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الْكَفَنْ
من هاهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم عليٌّ فَالْغُبُنْ
أو فاتنا ابناه حسين وحسن إذن أمت بطول هَمّ وَحَزَنْ

ثم تقدم يضرب بسيفه حتى قتل[٤].

(١) مروج الذهب ٢: ٣٧٠. (٢) الحيوان للجاحظ ١: ١٩٧.
(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠، سنة ٣٦. (٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٨٥، شرح الخطبة ١٣.

ما قيل في عائشة

وروى الواقدي - كما في (جمل المفيد) - أنّ عليّاً عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً. فقال - مشيراً إلى عائشة - كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة(١).

وروى أيضاً أنّ عليّاً عليه السلام كتب بعد الفتح كتاباً إلى أهل الكوفة وفيه «فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذاك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير»(٢).

وفي (العقد) قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعائشة: يا حميراء كأني بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة(٣).

هذا، وفي (مقاتل أبي الفرج): لما أرادوا دفن الحسن عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله ركبت عائشة بغلاً، واستنفرت بني أمية، مروان ومن كان هناك منهم، ومن حشمهم، وهو قول القائل «فيوماً على بغل، ويوماً على جمل»(٤).

وفي (تاريخ اليعقوبي): فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر. فقال لها: يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء(٥).

هذا، وفي (عيون القتيبي): فخر ناس من بني الحرث بن كعب عند السفاح فقال لخالد بن صفوان: ألا تكلّم يا خالد؟! قال: أخوال الخليفة وأهله. قال فأنتم أعمام الخليفة وعصبته. فقال خالد: ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، دلّ عليهم هدهد، وغرقتهم فارة، وملكتهم امرأة(٦).

«**وأتباع البهيمة**» قال ابن أبي الحديد: كان جمل عائشة راية عسكر البصرة قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها.

قال المدائني والواقدي: ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأزد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل، ولا تتزلزل حتى لقد صرخ عليّ عليه السلام بأعلى صوته: ويلكم اعقروا الجمل. فإنه شيطان(٧).

---

(١) الجمل: ٢١٥.
(٢) الجمل: ٢١٦.
(٣) العقد الفريد ٥: ٧٥.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٩.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥.
(٦) عيون الأخبار ١: ٢١٧.
(٧) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣ و ٨٤، والنقل بتقطيع.

وقال في موضع آخر لما عزمت عائشة على الخروج طلبوا لها بعيراً، يحمل الهودج، فجاءهم يعلى بن أمية بالبعير المسمّى عسكراً - وكان عظيم الخلق شديداً - فلما رأته أعجبها، وأنشأ الجمّال يحدّثها بقوّته وشدّته ويقول في أثناء حديثه: عسكر. فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت، وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أنّ النبيّ ﷺ ذكر لها هذا الاسم، ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره. فلم يوجد لها ما يشبهه، فغيّر لها جلال غير جلاله، وقيل لها قد أصبنا أعظم منه خلقاً وأشدّ قوة(١).

وفي (الاستيعاب): عن النبيّ ﷺ قال لنسائه «أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت». وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ (٢). قلت: ومن أعلام إمامته عليه السلام.

وروى الكشي عن سلمان أنه كان إذا رأى الجمل الذي يقال له عسكر. يضربه. فيقال له: يا أبا عبدالله! ما تريد من هذه البهيمة؟ فيقول: ما هذا بهيمة، ولكن هذا عسكر بن كنعان الجني. يا أعرابي لا تنفق جملك هاهنا، ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنك تعطى به ما تريد.

وعن الباقر عليه السلام قال: اشتروا عسكراً بسبعماءة درهم وكان شيطاناً(٣).

في حرب الجمل

«رغا» في (الصحاح): رغا البعير يرغو رغاءً إذا ضجّ، وفي المثل: «كفى برغائها مناديا» أي: أنّ رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرّض للضيافة والقرى، وقولهم «ما له ثاغية ولا راغية» أي: شاة ولا ناقة(٤).

«فأجبتم» قال ابن أبي الحديد: قالوا: واستدار الجمل كما تدور الرحاة وتكاثفت الرجال حوله، واشتد رغاؤه زحام الناس عليه، ونادى الحتات المجاشعي: أيها الناس أُمّكم أمّكم، وتقدم عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية - وكان اسم سيفه ولول - فارتجز فقال: **[البحر المتقارب]**

أنا ابن عتاب وسيفي ولول　　والموت عند الجمل الْمُجَلَّلْ

فحمل عليه الأشتر فقتله. قالوا: وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلهم،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٠، شرح الخطبة ٧٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) الاستيعاب ٤: ٣٦١.
(٣) اختيار معرفة الرجال: ١٣ ح ٣٠ - ٣١.
(٤) صحاح اللغة ٦: ٢٣٥٩ و ٢٣٦٠، مادة (رغا).

ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلا سالت نفسه أو قطعت يده، وتناول عبد الله بن أبزي خطام الجمل - وكان كل من أراد الجدّ في الحرب وقتال مستميت يتقدّم إلى الجمل فيأخذ بخطامه - ثم شدّ وقال: **[مجزوء البحر الرجز]**

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إنّ هذا حزن من الْحَزَنْ

فشدّ عليه السلام عليه بالرمح فقتله، وقال: قد رأيت أبا حسن؛ فكيف رأيته؟ وترك الرمح فيه(١).

كيف صُرِع الجمل؟!

«**وعُقر فهربتم**» قال ابن أبي الحديد: قال أبو مخنف: حدّثنا مسلم الأعور عن حبّة العرني قال: فلمّا رأى عليّ عليه السلام أنّ الموت عند الجمل، وأنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه، والخطام مع بني ضبّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستحرّ القتل في بني ضبة فقتل منهم مقتلة عظيمة، وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع - اسمه بحير - دونك الجمل يا بحير. فضرب عجز الجمل بسيفه. فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض، وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه. فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها. فحملت إلى دار عبد الله بن خلف، وأمر عليّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرّى في الريح، وقال عليه السلام: لعنه الله من دابة. فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرأ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾(٢).

وأقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله للناس: «لتتبعن بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه» فكما عبد بنو إسرائيل العجل عبدت هذه الأمة هذا الجمل الذي كان كعجل بني إسرائيل، وصاحبته، فكانوا يفتّون بعره، ويقولون: بعر جمل أمّنا مسك، كما عبدوا أباها الذي كان عجل فاروقهم، ويشهد له أيضاً قوله عليه السلام - وهو الذي يدور معه الحق حيثما دار - لما أتوا به عليه السلام لبيعته مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله: يا ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾(٣).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٥ - ٨٨، والنقل بتصرف.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩، والآية: ١٥٠ من سورة الأعراف.

وقال ابن أبي الحديد عند قوله: «إن النساء نواقص الإيمان» قال عليّ عليه السلام لما فني الناس على خطام الجمل، وقطعت الأيدي وسالت النفوس: «ادعوا لي الأشتر وعمّاراً». فجاءا. فقال: «اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإنّ الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيّاً إنهم قد اتّخذوه قبلة»(١).

وفي (جمل المفيد): روى منصور بن أبي الأسود، عن مسلم الأعور، عن حبّة العرني قال: والله لأنظرن إلى الرجل الذي ضرب الجمل ضربة على عجزه فسقط لجنبه. فكأنّي أسمع عجيج الجمل ما سمعت قط عجيجاً أشدّ منه، قال: لمّا عُقر! انقطع بطان الهودج. فزال عن ظهر الجمل، وانفضّ أهل البصرة منهزمين، وجعل عمّار، ومحمد بن أبي بكر يقطعان الحقب والأنساع، واحتملاه - أي الهودج - ووضعاه على الأرض، فأقبل عليّ عليه السلام حتى وقف عليها وهي في هودجها، فقرع الهودج بالرمح، وقال: يا حميراء! أرسول الله أمرك بهذا المسير؟!(٢).

وروى (أماليه): أنّ منادي عليّ عليه السلام نادى: عليكم بالبعير فإنه شيطان، فعقره رجل برمحه، وقطع إحدى يديه رجل آخر. فبرك ورغا، وصاحت عائشة صيحة شديدة. فولّى الناس منهزمين(٣).

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قصد أهل الكوفة قصد الجمل، ودونه كالجبال، كلّما خفّ قوم جاء أضعافهم. فنادى عليه السلام: ويحكم أُرشقوا الجمل بالنبل! أعقروه لعنه الله. فرشق بالسهام. فلم يبق فيه موضع إلا أصابه النبل - وكان مجفجفاً. فتعلّقت السهام به. فصار كالقنفذ، ونادت الأزد وضبّة: (يا لثارات عثمان) فأخذوها شعاراً، ونادى أصحاب عليّ عليه السلام (يا محمّد) فاتّخذوها شعاراً، واختلط الفريقان، ونادى عليّ عليه السلام بشعار النبيّ صلى الله عليه وآله: (يا منصور أمت) وهذا في اليوم الثاني من أيام الجمل. فلما دعا بها تزلزلت أقدام القوم، وذلك وقت العصر بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر.

وقال الواقدي: روي أن شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم «حم لا يبصرون اللهم انصرنا على القوم الناكثين» ثم تحاجز الفريقان، والقتل فاشٍ فيهما إلا أنه في أهل البصرة أكثر، وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثم تواقفوا في اليوم الثالث. فبرز أول الناس ابن الزبير - إلخ(٤).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨١. (٢) الجمل: ٢٠٣.
(٣) أمالي المفيد: ٥٨ ح ٣، المجلس ٧، في ضمن الحديث.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٧.

قلت: إنما قال المسعودي إنّ الوقعة كانت في يوم أحد. فقال «كانت وقعة الجمل في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ستّ وثلاثين قتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب عليّ عليه السلام خمسة آلاف - إلى أن قال - وكانت وقعة واحدة في يوم واحد»[(١)].

وهو المفهوم من (تاريخ الطبري) ناسباً له إلى الواقدي. فقال «وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦) في قول الواقدي»[(٢)].

وفي (المروج): قيل لأبي لبيد الجهمي من الأزد: أتحبّ عليّاً؟ قال: كيف أحبّ رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسماءة، وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزّي أحداً، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم[(٣)].

«**أخلاقكم دِقاق**» في (تاريخ بغداد): قدم شريك القاضي البصرة فأبى أن يحدّثهم فاتبعوه حين خرج، وجعلوا يرجمونه بالحجارة في السفينة، وهو يقول لهم: يا أبناء الظؤرات، ويا أبناء السنائخ لا سمعتم منّي حرفاً[(٤)].

«**وعهدكم شِقاق**» أي: خلاف.

«**ودينكم نِفاق**» ليس فيه إيمان، ولما ارتدّ عيينة بن حصن الفزازي، وتبع طليحة الأسدي. فأسر وأُدخِلَ المدينة فكان الصبيان يقولون له: يا عدوّ الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: ما آمنت طرفة عين.

«**وماؤكم زُعاق**» أي: ملح مرّ. في (المروج): قال رجل من الكوفة لرجل من البصرة: ماؤكم كدر زهك زفر، وماؤنا أصح للأجسام من ماء دجلة فإنّ ماءها يقطّع شهوة الرجال، ويذهب بصهيل الخيل، وإن لم يتدسم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم، ويبس في جلودهم، وإذا كان فضيلة مائنا على دجلة فما ظنّك بفضيلته على ماء البصرة، وهو يختلط بماء البحر، والماء المستنقع في أصول القصب والهروي[(٥)]، وقال الصابي: **[البحر الخفيف]**

نحن بالبصرة الذميمة نسقي ... شرّ سقياً من مائها الأُتْرُنْجي
أصفر منكر ثقيل غليظ ... خاثر مثل حقنة الْقَوْلَنْجِ[(٦)]

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٦٨ و ٣٧١.
(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٩، سنة ٣٦.
(٣) مروج الذهب ٢: ٣٧١.
(٤) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٣.
(٥) مروج الذهب ٣: ٣٣١، والنقل بتصرف يسير.
(٦) أورده معجم البلدان ١: ٤٣٧.

تفسير كلامه عليه السلام حول البصرة

«**والمقيم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (المقيم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)(١).

«**بين أظهركم مُرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربّه**» وفي (جمل المفيد): قال عليه السلام: «هي مسكن الجن، الخارج منها برحمة، والداخل إليها بذنب. أما أنّها لا تذهب الدنيا حتى يجيء إليها كلّ فاجر، ويخرج منها كلّ مؤمن»(٢).

وفي (البلدان): قدم أعرابي البصرة فكرهها. فقال: **[البحر الطويل]**

هل الله من وادي البصيرة مخرجي ... فأصبح لا تبدو لعيني قُصُورُهَا
وأصبح قد جاوزت سيحان سالما ... وأسلمني أسواقها وَجُسُورُهَا
ومربدها المذري علينا ترابه ... إذا شحجت أبغالها وَحَمِيْرُهَا
فنضحي بها غير الرؤوس كأنّنا ... أُناسي موسى نبش عنها قُبُوْرُهَا

وقال الجاحظ: من عيوب البصرة اختلاف هوائها في واحد واحد لأنّهم يلبسون القمص مرة والمبطّنات مرة لاختلاف جواهر الساعات، ولذلك سمّيت الرعناء. قال الفرزدق: **[البحر البسيط التام]**

لولا أبو مالك المرجو نائله ... ما كانت البصرة الرعناء لي وَطَنَا(٣)

وفي كتب الأدب: ضاقت على النضر بن شميل اللغوي النحوي الأديب الأسباب في البصرة. فعزم على الخروج إلى خراسان. فشيّعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدّثين، والفقهاء، واللغويين، والنجاة، والأدباء. فجلس لوداعهم بالمربد، وقال: يا أهل البصرة لو وجدت عندكم كيلجة من الباقلاء ما فارقتكم، فلم يكن فيهم واحد يتكفل له ذلك فسار إلى مرو، وأقام بها فأثرى(٤).

وفي (اللسان): في حديث أنس: البصرة إحدى المؤتفكات. فأنزل في ضواحيها وإياك والمملكة. قال شمر: أراد بالمملكة وسطها(٥).

وفي (ملاحم سنن أبي داود) عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الناس يمصّرون أمصاراً،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٢٨٩.
(٢) الجمل: ٢٢٥.
(٣) معجم البلدان ١: ٤٣٦ و ٣: ٢٩٣.
(٤) رواه الحموي في معجم الأدباء ١٩: ٢٣٨، والسيوطي في بغية الوعاة ٢: ٣١٦.
(٥) لسان العرب ١٠: ٤٩٥، مادة (ملك)، وأيضاً النهاية ٤: ٣٥٩، مادة (ملك).

وإن مصراً منها يقال له البصرة أو البُصيرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإيّاك وسباخها، وكلاءها، وسوقها، وباب أُمرائها وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف، وقذف، ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير»[١].

هذا، ولما زنى المغيرة بن شعبة بالبصرة لما كان عاملاً عليها من قبل عمر، ولقّن عمر شاهده الرابع زياداً لمنع عن أداء الشهادة حتى لا يرجم، عزله عن البصرة جزاء فعله إلا أنه ولّاه الكوفة. فصار استهزاء بين الناس. قال ابن سيرين كما في (عيون القتيبي): يقول الرجل لصاحبه «غضب الله عليك كما غضب عمر على المغيرة عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة»[٢].

إخباره عليه السلام حول مستقبل البصرة

«كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة» أي: صدرها.

«قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها» قال ابن أبي الحديد: البصرة غرقت مرّتين: مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله. غرقت بأجمعها، ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام. جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام وخربت دورها، وغرق كلّ ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم[٣].

هذا، وفي (عرائس الثعلبي): اختلف في موضع قتل هابيل، حكى الطبري قال جعفر الصادق عليه السلام: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم[٤]....

قلت: وفي أخبارنا؛ ما بنى مسجد إلا على قطرة من دم نبيّ[٥].

«وفي رواية - وأيم الله لتُغرقنّ بلدتكم، حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة» وفي (الصحاح): النعامة من الطير يذكّر ويؤنّث[٦].

«جاثمة» في (الصحاح): جثم الطائر أي: تلبّد بالأرض[٧].

«وفي رواية كجؤجؤ طير في لُجّة بحر» وروى (غارات إبراهيم الثقفي): أنّ جارية بن

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١١٣ ح ٤٣٠٧.
(٢) عيون الأخبار ١: ٢١٦.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٤.
(٤) العرائس: ٤٥.
(٥) لم أجده بهذا المضمون.
(٦) صحاح اللغة ٥: ٢٠٤٣، مادة (نعم).
(٧) صحاح اللغة ٥: ١٨٨١، مادة (جثم).

قدامة لما حرّق بالبصرة ابن الحضرمي الذي قدم بها من قبل معاوية، ودفع غائلته، وكتب زياد - وكان خليفة ابن عباس عليها يومئذ - إلى أمير المؤمنين عليه السلام بذلك مع ظبيان بن عمارة. قال عليه السلام لظبيان: «إنها (أي البصرة) أول القرى خراباً إمّا غرقاً، وإمّا حرقاً، حتى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة» ثم قال له: أين منزلك منها؟ فقال: مكان كذا. فقال عليك بضواحيها[١].

«**وفي رواية أخرى**» - الظاهر كون هذا - إلخ - حاشية خلطت بالمتن لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«**بلادكم أنتنُ بلاد الله تُربة**» في (المعجم) قدم ابن شدقم البصرة فآذاه قذرها. فقال: البصرة... أهلها ومناخها ومستقبلها **[البحر الطويل]**

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى ... بلاداً بها سيحان برقاً ولا رَعْدَا
بلاد تهبّ الريح فيها خبيثة ... وتزداد نتناً حين تمطر أو تَنْدَى

وقال الصابي: **[البحر الخفيف]**

ليس يغنيك في الطهارة بالـ ... ـبصرة إن حانت الصلاة اجْتِهَادُ
إن تطهّرت فالمياه سلاح ... أو تيمّمت فالصعيد سَمَادُ

قال ابن لنكك: **[مجزوء البحر الرمل]**

نحن بالبصرة في لـ ... ـون من العيش ظَرِيْفِ
نحن ما هبّت شمال ... بين جنات وَرِيْفِ
فإذا هبّت جنوب ... فكأنا في كَنِيْفِ[٣]

قال زياد: مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته، ومثل البصرة كالمثانة يأتيها الماء، وقد تغيّر وفسد.

«**أقربها من الماء وأبعدها من السماء. وبها تسعة أعشار الشرّ. المُحتبس فيها بذنبه والخارج بعفو الله**» سأل الصادق عليه السلام عن أهل البصرة. فقيل: إنهم مرجئة، وقدريّة، وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله بشيء[٤].

---

(١) الغارات ٢: ٤١٢.
(٢) كذا في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٩، لكن توجد الزيادة في شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٣.
(٣) معجم البلدان ١: ٤٣٧، ٣: ٢٩٤.
(٤) رواه الكليني في الكافي ٢: ٣٨٧ ح ١٣ و ٤٠٩ ح ٢.

وفي (المعجم) قال أبو العيناء: قال لي المتوكل: بلغني أنّك رافضي. فقلت: وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة؟[١]

«كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه قد طبّقها الماء، حتى ما منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجّة بحر» مرّ شرحه مع أنك قد عرفت عدم كون تمام الكلام من قوله «وفي رواية أخرى» إلى هنا من النهج.

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية) ولكن في (ابن ميثم) «ومنها في مثل ذلك»[٢].

قوله عليه السلام «أرضكم قريبة من الماء. بعيدة من السّماء» قال ابن أبي الحديد: إنّ أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أنّ أبعد موضع في الأرض عن السماء الأُبلّة وذلك موافق لقوله عليه السلام «بعيدة من السماء» ومعنى البعد عن السماء ههنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدّل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك، وقد دلّت الأرصاد، والآلات النجومية على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدّل النهار هو الأُبلّة، والأُبلّة قصبة البصرة، وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو مخصوص بالمدقّقين من الحكماء، وهذا من أسراره، وغرائبه البديعة[٣].

«خفّت عقولكم، وسفهت حلومكم» روى الكشي في سفيان الثوري أنّ قوماً أتوا الصادق عليه السلام يسألونه عن الحديث: فقال لرجل منهم: هل سمعت الحديث من غيري؟ قال: نعم. وحدّثه بأحاديث موضوعة عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد فقال عليه السلام له: من أيّ البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: هذا الذي تحدّث عنه، وتذكر اسمه جعفر بن محمد هل تعرفه؟ قال: لا قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم. قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا أحفظ إلا أنها أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام له: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدّث عنه فقال لك هذه التي ترويها عني كذب ولا أعرفها، ولم أحدّث بها هل كنت تصدّقه؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله – إلى أن قال –:

(١) معجم البلدان ١: ١٥٣.
(٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩، وأما ابن ميثم فلم يجعل له عنواناً أصلاً ١: ٢٩٤.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٩.

قال عليه السلام : أعجب حديثهم عندي الكذب عليّ والحكاية عني ما لم أقل، وقولهم لو أنكر الأحاديث ما صدّقناه. ما لهؤلاء لا أمهل الله لهم! إنّ علياً عليه السلام لما أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها، وقال: لعنك الله يا أنتن الأرض تراباً، وأسرعها خراباً، وأشدّها عذاباً. فيك الداء الدويّ. قيل: ما هو؟ قال: كلام القدري الذي فيه الفرية على الله، وبغضنا أهل البيت، واستحلالهم الكذب علينا(١). . . .

«**فأنتم غرض**» أي: هدف.

«**لنابل**» أي: رامي النبل، وهو السهم.

«**وأُكلة لآكل، وفريسة**» أي: مصيدة.

«**لصائل**» أي: من حمل عليكم، ومن أراد شاهداً لكلامه عليه السلام راجع التاريخ في وقائع صاحب الزنج وغيره بها، وكانوا أيام ابن الزبير أرادوا الخروج عنها خوفاً من الخوارج حتى تصدّى المهلّب لحربهم وآمنها حتى قيل بصرة المهلّب.

وتغلّب عليها إسماعيل بن أرسلان جق عشر سنين نافذ الأمر حتى أخذها منه سيف الدولة صدقة صاحب الحلة في سنة (٤٩٩) واستناب بها مملوكاً لجده دبيس بن مزيد. فاجتمع ربيعة وغيرهم من العرب فقاتلوه فهزموه ولم يقدر أهل البصرة على حفظها. فدخلوها بالسيف وأحرقوا الأسواق، والدور الحسان، ونهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون ثلاثة وثلاثين يوماً، وتشرّد أهلها في السواد، ونهبت خزانة كتب وقفها أبو الفرج بن أبي البغاء إلى أن أرسل محمد بن ملكشاه عميداً إليها. فعاد أهلها وشرعوا في عمارتها.

وفي سنة (٥١٣) استولى عليها عليّ بن سكمان - أحد أمراء بلدقية الترك - وكان أولاً أمير حاجّهم - فسيّر السلطان محمود في سنة (٥١٤) عسكراً إليه فأخذها منه.

ولما انهزم دبيس بن صدقة أمير الحلة من المسترشد العباسي، وسبى نساءه في سنة (٥١٧) ونجا وحده بفرسه وسلاحه، رحل إلى المنتفق على قصد البصرة، وأخذها. فساروا إليها ودخلوها ونهبوها، وقتل سختكمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها منها.

وسار أيضاً في سنة (٥٢٣) إلى العراق، وبذل ثلاثماءة حصان منعّلة بالذهب، ومئتي ألف دينار ليرضي السلطان محمود السلجوقي. فلم يجبه. فقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، وما هناك للخليفة والسلطان من الدخل ثمّ دخل البرية.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٩٦ و ٣٩٧ والنقل بتلخيص.

ولما قتل المستنجد العباسي منكوبرس مقطع البصرة قصد ابن شيكا صهره، البصرة ونهب قراها في سنة (٥٦١) وعاودها في سنة (٥٦٢) فنهبها وخربها من الجهة الشرقية.

ونهب بنو عامر في سنة (٥٨٨) أيضاً البصرة، وفارقها أهلها، وجرت أمور عظيمة ذكر ذلك كله الجزري في (تاريخه).

هذا وأما ما نقله ابن ميثم في الخطبة زيادة على ما نقله الرضي من قوله «قارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس»[1] فعدّة من القرّاء السبعة، والزهاد الثمانية من أهل البصرة، ومن أهل البصرة الحسن في علماءهم، والأحنف في حلمائهم، وأبو العيناء في أُدبائهم، والمازني في نُحاتهم، والأصمعي في لغويّيهم، والجاحظ في متكلّميهم.

وقوله «أموالكم أكثر الأموال» في (المعجم) - بعد ذكر تكلّم وفد مكّة والمدينة والكوفة عند عبد الملك في وصف بلادهم - قام خالد بن صفوان وافد البصرة، وقال: يغدو قانصنا. فيجيء هذا بالشبوط والشيم، ويجيء هذا بالظبي والظليم، ونحن أكثر الناس عاجاً، وساجاً، وخزّاً، وديباجاً، وبرذوناً هملاجاً، وخريدة مغناجاً، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب أوله الرطب، وأوسطه العنب، وآخره القصب[2].

وقوله: «ونساؤكم أقنع الناس» فيه: دخل فتى من أهل المدينة البصرة، فلما انصرف قال له أصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس. أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناة. فلا ينفق في شهر إلا درهمين. وأما الغريب فيتزوج بشق درهم[3].

وقوله: «ثمرتكم أكثر الثمار» فيه: قال الأصمعي سمعت الرشيد يقول: «نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة».

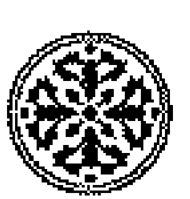
«سخر لكم الماء يغدو عليكم، ويروح صلاحاً لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم» فيه: قال الجاحظ: بالبصرة ثلاث أعجوبات ليس في غيرها من البلدان، منها أنّ عدد المدّ والجزر فيها شيء واحد في جميع الدهر. فيقبل عند حاجتهم إليه، ويرتدّ عند استغنائهم عنه ثم لا يبطئ عنها إلا بقدر هضمها واستمرائها وجماحها واستراحتها. لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً، ولا يغبّها ظمأ، يجيء على حساب معلوم، وتدبير منظوم، وحدود ثابتة، وعادة قائمة. يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه. فلا يخفى على أهل

---

(١) شرح ابن ميثم ١: ٢٩٢.
(٢) معجم البلدان ١: ٤٣٨.
(٣) معجم البلدان: ١/ ٤٣٦.

الغلّات متى يتخلّفون، ومتى يذهبون ويرجعون، بعد أن يعرفوا موضع القمر، وكم مضى من الشهر. فهي آية وأُعجوبة، ومفخر وأُحدوثة، لا يخافون المحل، ولا يخشون الحطمة.

وقال الحموي في بيانه وشرحه: إنّ دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهراً يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب فهذا يسمّونه جزراً ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمّونه مدّاً، يفعل ذلك في كل يوم وليلة مرّتين يزيد في أول كل شهر ووسطه أكثر من سائره، وذاك أنّه إذا انتهى في أول الشهر إلى غايته في الزيادة وسقى المواضع العالية والأراضي القاصية أخذ يمدّ كل يوم وليلة أنقص من اليوم الذي قبله، وينتهي غاية نقص زيادته في آخر يوم من الأسبوع الأول ثم يمدّ في كل يوم أكثر من مدّه في اليوم الذي قبله حتى ينتهي غاية زيادة مدّه في نصف الشهر ثمّ يأخذ في النقص إلى آخر الأسبوع ثم في الزيادة في آخر الشهر هكذا أبداً[1].



(١) معجم البلدان ١: ٤٣٩، والنقل بتصرف يسير.

الفتن القادمة على البصرة

(ومنه): فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلاَ تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ! لا رَهَجَ لَهُ، وَلاَ حَسَّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ. من الخطبة (١٠٠)

ومن كلام له ممّا كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة:

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلا لَجَبٌ، وَلا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

قال الشريف: يُومِي بِذٰلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزِّنْجِ.

ثم قال عليه السلام: وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا. بعض من الخطبة (١٢٦)

ما سيقع بعده عليه السلام من الفتن

أقول: قال ابن ميثم بعد العنوان الأول: نبّه عليه السلام في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن، ويختص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة - إلى أن قال - وقال عليه السلام - بعد فصل في غرق البصرة وقيام الأحنف إليه عليه السلام وقوله له متى يكون ذلك - «با أبا بحر! إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإنّ بينك وبينه لقروناً، ولكن ليبلّغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلّغوه إخوانهم، إذا هم رأوا البصرة قد تحوّلت أخصاصها دوراً، وآجامها قصوراً فالهرب الهرب. فإنه لا بصرة لكم يومئذ - ثم التفت عن يمينه فقال - كما بينكم وبين الأُبلّة - فقال له المنذر بن الجارود: أربعة فراسخ. فقال عليه السلام له - صدقت فوالذي بعث

محمّداً وأكرمه بالنبوة، وخصّه بالرسالة، وعجّل بروحه إلى الجنة؛ لقد سمعت منه كما تسمعون منّي أن قال: يا عليّ! هل علمت أنّ بين التي تسمّى البصرة، والتي تسمّى الأُبلّة أربعة فراسخ، وسيكون في التي تسمّى الأُبلّة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أمّتي سبعون ألف شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر؟

فقال له عليه السلام المنذر: ومن يقتلهم؟

قال عليه السلام: يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنّهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم. طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه. ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم أذلّة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان. مجهولون في الأرض معروفون في السماء، يبكي السماء عليهم وسكّانها، والأرض وسكّانها. ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال: ويحكِ يا بصرة! ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ.

الويح والويل قبل الغرق

فقال له المنذر: وما الذي يصيبهم من قبل الغرق في ما ذكرت وما الويح، وما الويل؟

قال عليه السلام: هما بابان. فالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب. يا بن الجارود! نعم. تارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون منها إخراب منازل، وخراب ديار، وانتهاك أموال، وقتل رجال، وسبي نساء يذبحن ذبحاً، يا ويل أمرهن به حديث عجيب، ومنها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى، والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنّها في الحمرة علقة تأتي الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء. فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالأُبلّة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب من يهرب. ثم رجفٌ ثم قذفٌ ثم خسفٌ ثم مسخٌ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر، وهو الغرق(١)....

قلت: إنّه وإن كان قوله في روايته «يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم» ينطبق على أصحاب صاحب الزنج لأنهم كانوا زنوجاً، وكذلك قوله: «ويلكِ يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ» فإنه نظير قوله عليه السلام في الثاني - الوارد فيهم بالاتفاق - «وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار، ولا لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل» إلا أنه لا يوافقه قوله «يقتل في

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١٥ - ١٦، والنقل بتصرف يسير.

ذلك الموضع (أي الأُبلّة) من أمّتي سبعون ألف شهيد، هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر» فإنه وإن ذكر التاريخ «أنّ في رجب سنة (٢٥٦) دخل الزنج الأُبلّة وقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها وكانت مبنية بالساج فأسرعت النار فيها، وحووا الأموال العظيمة، وكان ما أحرقت النار أكثر من الذي نهب»[١] إلّا أنّ المقتولين كانوا عامة عمياء، وكذلك لا يوافقه قوله في رواية المصنف: «يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلّة عند المتكبرين في الأرض مجهولون وفي السماء معروفون» وزيادته في رواية ابن ميثم «يبكي السماء عليهم. . .» فإنّ المحاربين مع أصحاب الزنج كانوا ناصبة سفيانية من جنس من قال الآبي في كتابه (نثر الدرر): أنه لما أُدخل المعتضد رأس صاحب الزنج إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله. قال العلاء بن صاعد فلما صرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من دروب الأسواق رحم الله معاوية وزاد حتى علّت أصوات العامة بذلك. فتغيّر وجه المعتضد، وقال لي: ألا تسمع! ما أعجب هذا! وما الذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت، والله لقد بلغ أبي إلى الموت، وما نجوت إلا بعد مشارفته، ولقينا كلّ جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم، وحصّنّا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العباس، وابن عباس، ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحم على عليّ عليه السلام وحمزة، وجعفر، والحسن والحسين عليهما السلام. والله لا برحت أو أؤدب هؤلاء[٢]. . . .

والظاهر أنه وقع في الرواية خلط من الرواة أو النساخ، وأنه عليه السلام ذكر فتن البصرة ومحنها بعد عصره عليه السلام إلى الأبد مرّة بعد مرة كما يشهد له قوله عليه السلام: «يا بن الجارود! نعم تارات عظيمة، منها كذا ومنها كذا» وأنّ قوله عليه السلام «يقتل. . .» وقوله عليه السلام «يجاهدهم. . .» كانا مذكورين في غير فتنة الزنج، وخلطا بقوله عليه السلام «إخوان الجن. . .» وقوله عليه السلام «ومن جيش. . .». ومما يدلّ على أنّهما روايتان؛ أنّ الحموي في (البلدان) روى أنّه عليه السلام قال بالبصرة في خطبة له: يستشهد عند مسجد جامعها، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد - إلى أن قال - وفي رواية أخرى أنه قال: ليأتينّ عليها يوم لا يرى منها إلا شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر، ثم قال: ويحك يا بصرة، ويلك من جيش لا غبار له[٣]. . . فترى أنه جعل رواية شهداء الأُبلّة غير رواية صاحب الزنج.

وبعدما استظهرنا من الخلط، لا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: «فتن - إلى قوله - قليل

(١) الكامل ٧٥: ٢٣٦، سنة ٢٥٦.
(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٤٠، شرح الخطبة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.
(٣) معجم البلدان ١: ٤٣٦.

سلبهم» من العنوان الأول وصف التتار لا أصحاب الزنج. فإن وصف الأتراك بكونهم شديداً كلبهم قليلاً سلبهم معروف، ذكره الجاحظ في رسالته في (مناقب الأتراك)[١]، وفي (الكامل): «سمعت عن بعض أكابر الكرج قال: من حدّثكم أن التتر انهزموا وأُسروا فلا تصدّقوه، وإذا حدّثتم أنهم قُتلوا فصدّقوا. فإنّ القوم لا يفرّون أبداً، ولقد أخذنا أسيراً منهم. فألقى نفسه من الدابة، وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات»[٢] وكذلك كلّ فقرة منه من قوله «لا تقوم. . .» وقوله «لا ترد. . .» وقوله «يحفزها» انطباقها على التتار واضح دون الزنج. نعم قوله عليه السلام «فويل لك يا بصرة. . .» وصف الزنج. كما أنّ قوله «ثم الموت الأحمر وهو الغرق» في رواية ابن ميثم[٣] محرف «ثم الموت الأحمر ثم الغرق» فإنّ الموت الأحمر إنما هو القتل بالسيف وتصحيح ابن ميثم له خطأ.

صاحب الزنج وأهل البصرة

ويشهد لما قاله عليه السلام من الغرق في تارات البصرة ما في (تاريخ الطبري) أنّ في ذي القعدة من سنة (٢٥٥) جمع أهل البصرة لصاحب الزنج، وحشدوا له وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي - وكان من غزاة البحر في الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها - فجمع المطوّعة، ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع، ومن خفّ معه من حزبي البلاليّة والسعديّة، ومن أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين، والقرشيّين، وسائر أصناف الناس فشحن ثلاثة مراكب من الشذامن الرماة، وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد، ومضى جمهور الناس رجّالة، منهم من معه السلاح، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم. فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بأمّ حبيب بعد زوال الشمس، ومرّت الرجّالة والنظّارة على شاطئ النهر قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة، وكان صاحب الزنج مقيماً بموضعه من النهر المعروف بشيطان، ولما أتته طلائعه بذلك وجّه زريقاً وأبا الليث الأصبهاني في جمع في الجانب الشرقي كميناً، والحسين الحمّامي في جمع في الجانب الغربي كذلك، وأمر عليّ بن أبان ومن بقي معه بتلقّي القوم، وأمر نساء الزنج بجمع الآجر وإمداد الرجال به - إلى أن قال -:

وخرج الكمينان عن جنبتي النهر من وراء السفن والرجّالة، وخبطوا من ولّى من

(١) مناقب الأتراك: ٢٦.
(٢) الكامل لابن الأثير الجزري ١٢: ٣٨٤، سنة ٦١٧.
(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١٦.

الرجالة والنظّارة الذين كانوا على شاطئ النهر. فغرقت طائفة، وقتلت طائفة. وهربت طائفة نحو الشط طمعاً في النجاة. فأدركها السيف فمن ثبت قتل، ومن رجع إلى الماء غرق، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرّجالة إلى النهر فغرقوا، وقتلوا حتى أُبير أكثر ذلك الجمع، ولم ينج منهم إلا الشريد وكثر المفقودين بالبصرة، وعلا العويل من نسائهم.

وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس وأعظموا ما كان فيه من القتل، وقتل من بني هاشم جمع من ولد جعفر بن سليمان، وأربعون من الرماة المشهورين، وجمعت له الرؤوس فذهب إليه جماعة من أوليائهم، فأخذوا ما عرفوا منها[1].

كما يشهد لقوله عليه السلام في رواية ابن ميثم «ثم خسف» في تارات البصرة وهو في غير مورد صاحب الزنج ما في (الكامل) أنّ في سنة (٢٨٩) هبت ريح عاصف بالبصرة. فقلعت كثيراً من نخلها، وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس[2].

كما يشهد لقوله عليه السلام في روايته أيضاً «يذبحن ذبحاً» ما في (المروج) ذكر أنّ امرأة من الزنج قد احتضرت، وعند أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت. فيأكلوا لحمها. فما ماتت حتى ابتدروها فقطعوها، وأكلوها، وقد جاءت أختها ومعها رأسها وهي تبكي. فقيل لها: ويحك! ما لك تبكين؟ قالت: اجتمعوا على أختي فما تركوها حتى تموت موتاً حسناً حتى قطعوها. فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا[3].

كما يشهد لقوله عليه السلام في روايته أيضاً «يا ويل أمرهنّ به حديث عجيب» ما في (المروج) أيضاً أنه بلغ من أمر عسكر صاحب الزنج أنّه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش، وغيرهم من سائر العرب تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة، وينادي عليها بنسبها: هذه ابنة فلان الفلاني لكلّ زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهنّ الزنج، ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف[4].

تفسير كلامه عليه السلام

قول المصنف «ومنه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منها) كما في (ابن ميثم والخطية)[5].

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٤ - ٥٦٦، سنة ٢٥٥، والنقل بتصرف يسير.
(٢) الكامل ٧: ٥٢٢ سنة ٢٨٩.
(٣) مروج الذهب ٤: ١٢٠، والنقل بتصرف يسير.
(٤) مروج الذهب ٤: ١٢٠.
(٥) شرح ابن ميثم ٣: ١٤.

«**فتن كقطع الليل المظلم**» في الشدة وعدم الاهتداء فيها إلى حيلة.

«**لا تقوم لها قائمة**» أي: لا تقدر قائمة على القيام في قبالها.

«**ولا تردّ لها راية**» لعدم وجود مقاوم لها.

«**تأتيكم**» تلك الفتن.

«**مزمومة**» كدابة جعل لها زمام.

«**مرحولةً**» كناقة انتخبت راحلة.

«**يحفزها**» أي: يدفعها شديداً.

«**قائدها**» القيّم بأمرها.

«**ويجهدها**» كما في الثلاثة[1]، وأما «ويجدّها» كما في (المصرية) فغلط أي: يحملها على الجهد والمشقة.

«**راكبها**» حتى يبلغ قريباً مقصده.

«**أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم**» قد عرفت انطباق هذا الكلام على التتار دون الزنج كما ادعاه ابن ميثم[2].

«**ويجاهدهم في سبيل الله**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (في الله) كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«**قوم أذلّة عند المتكبرين. في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون**» روى المدائني في (صفينه) - كما في (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السلام: «يا أهل العراق» - أنّه عليه السلام خطب بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم. فقال عليه السلام: «إذا كثرت فيكم الأخلاط - إلى أن قال - فيابن خيرة الآباء! متى تنتظر! أبشر بنصر قريب من رب رحيم، ألا فويل للمتكبّرين عدد حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم. فبأبي وأمي من عدّة قليلة! أسماؤهم في الأرض مجهولة قد دنا حينئذ ظهورهم»[4].

ثم قد عرفت عدم انطباق هذا الكلام كسابقه على صاحب الزنج كما ادعاه ابن ميثم، لكن لا ينطبق على التتار أيضاً، وكان سابقه قابلاً للانطباق على التتار، وأما الآتي فينطبق جميعه على صاحب الزنج احتمالاً.

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٤ مثل المصرية.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٤.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد: ٢/ ١٩٥، لكن في شرح ابن ميثم: ٣/ ١٤ مثل المصرية.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩، شرح الخطبة ٦٩.

«**فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله**» جيش من نقمه تعالى يمكن أن يكونوا على الحق فيكون الكلام إشارة إلى جيش الغضب أصحاب القائم عليه السلام، ويؤيّده سابقه، ويمكن أن يكونوا على الباطل فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[(١)] فيحتمل إرادة صاحب الزنج به ويؤيّده ما بعده.

«**لا رهج له**» أي: لا غبار له.

«**ولا حسّ**» أي: ولا صوت.

«**وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر**» أي: القتل. قال المسعودي: قد كان أتى صاحب الزنج بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلاثمائة ألف[(٢)]، وفي رسالة ابن القارح: قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق أربعة وعشرين ألفاً عدّوهم بالقصب وحرّق جامعها[(٣)].

وقال الجزري: نادى أصحاب صاحب الزنج في البصرة: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم بن يحيى المهلّبي. فحضروا حتى ملأوا الرحائب، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بقتلهم. فكان السيف يعمل فيهم، وأصواتهم مرتفعة بالشهادة[(٤)].

«**والجوع الأغبر**» أي: القحط، وصف عليه السلام الجوع الأغبر لأنّ الجائع لا يقدر على النهوض. فيسقط على التراب فيكون مغبراً، كما وصف عليه السلام الموت بالأحمر لأنّ من يقتل بالسيف يصير محمراً من الدم.

في (المروج): كان المهلّبي - من عليّة أصحاب الزنج - بعد تلك الوقعة بالبصرة ينصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بني يشكر، ويصلّي يوم الجمعة بالناس، ويخطب لصاحبه، ويترحّم بعد ذلك على أبي بكر وعمر، ولا يذكر عثمان، ولا عليّاً عليه السلام في خطبته، ويلعن جبابرة بني العباس، وأبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، ومعاوية. فركن من بقي بالبصرة من الناس إلى هذا الفعل منه. فاجتمعوا في بعض الجمع. فوضع فيهم السيف. فمن ناج سالم، ومن مقتول ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار. فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب. فيذبحونها ويأكلونها، والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء. فكانوا إذا مات منهم أحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب[(٥)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩. (٢) مروج الذهب ٤: ١١٩.

(٣) رسالة ابن القارح، ضمن رسائل البلغاء: ١٩٩.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٧: ٢٤٥، سنة ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١٩، والنقل بتصرف يسير.

قول المصنف في الثاني «في ما يخبر به من الملاحم» جمع الملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة بالبصرة.

قوله عليه السلام «يا أحنف» قال الخوئي: إنّ أحنف شهد الجمل، ولم يشهد صفين، وكان يكنّى أبا بكر»[1].

قلت: بل شهد صفين ولم يشهد الجمل وكنيته أبو بحر لا أبو بكر.

«**كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب**» أي: صوت.

قصة صاحب الزنج برواية أخرى

«**ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل**» أشار عليه السلام إلى صاحب الزنج. قال الطبري: وفي النصف من شوال من سنة (٢٥٥) ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنّه (علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين) وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسبون السباخ - إلى أن قال - كان رجوعه إلى البصرة في شهر رمضان سنة (٢٥٥) - إلى أن قال - كان رجوعه إلى البصرة في شهر رمضان سنة (٢٥٥) - إلى أن قال - فذكر عن ريحان بن صالح - أحد غلمان الشورجيّين، وهو أول من صحبه منهم: -

قال: كنت موكّلاً بغلمان مولاي أنقل الدقيق إليهم من البصرة، وأفرّقه فيهم، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل. فمررت به، وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشي. فأخذني أصحابه فصاروا بي إليه وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة ففعلت فسألني عن الموضع الذي جئت منه. فأخبرته أنّي أقبلت من البصرة - إلى أن قال - فسألني عن أخبار غلمان الشورجيّين، وما يجري لكلّ غلام منهم من الدقيق، والسويق، والتمر، وعمّن يعمل في الشورج، من الأحرار والعبيد. فأعلمته ذلك. فدعاني إلى ما هو عليه. فأجبته فقال لي: احتل في من قدرت عليه من الغلمان. فأقبل بهم إليّ، ووعدني أن يقوّدني على من آتيه به منهم، وأن يحسن إليّ ثم رجعت إليه، وقد قدم عليه رفيق بشبل بن سالم من غلمان الدباسيين، وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتّخذوها لواء. فكتب فيها بحمرة وخضرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾[2] وكتب اسمه واسم أبيه وعلّقها في رأس مردي، وخرج في السحر لليلتين بقيتا من شهر رمضان. فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه، لقيه غلمان رجل من الشورجيّين يعرف بالعطّار متوجّهين إلى أعمالهم. فأمر بأخذهم. فأخذوا وكتف وكيلهم. إلى أن قال: وأُخذ معهم مكتوفاً وكانوا في نهر يعرف

---

(١) شرح الخوئي ٤: ٣٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

بنهر المكاثر ثم مضى إلى موضع السيرافي. فأخذ منه خمسين ومئة غلام فيهم زريق، وأبو الخنجر ثم صار إلى موضع ابن عطاء. فأخذ طريقاً وصبيحاً الأعسر، وراشد المغربي، وراشداً القرماطي، وأخذ معهم ثمانين غلاماً، ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين. ثم جمعهم، وقام فيها خطيباً فمنّاهم، ووعدهم أن يقوّدهم ويرئّسهم، ويملّكهم الأموال إلى أن قال:

ثم دعا مواليهم، فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم - إلى أن قال -:

ثم سار حتى وافى دجيلاً. فوجد سفن سماد تدخل في المد فركبوها، وصاروا إلى نهر ميمون. وأقام هناك يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر فصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال، وأنّ الله قد استنقذهم به إلى أن قال:

فلما كثر من اجتمع إليه من الزنج قوّد قوّاده، فانتهى إليه أن الحميري وعقيلاً مع خليفة ابن أبي عون قد أقبلوا نحوه وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف: سيفه، وسيف عليّ بن أبان، وسيف محمّد بن سلم - إلى أن قال -:

فقال له عليّ بن أبان قد كنا نرى من ورائنا بارقة، ونسمع حسّ قوم يتّبعونا فلم يستتم كلامه حتى لحق القوم، وتنادى الزنج: السلاح، وكان فتح الحجّام يأكل فلمّا نهض تناول طبقاً كان بين يديه وتقدّم فلقيه رجل يقال له: بلبل فحمل عليه وحذفه بالطبق الذي كان في يده. فرمى بلبل بسلاحه، وولّى هارباً وانهزم أصحابه - وكانوا أربعة آلاف - فذهبوا على وجوههم وقتل من قتل منهم، ومات بعضهم عطشاً، وأُسر منهم قوم. فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب أعناقهم فضربت، وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من الشورجيّين، وأتى قرية تعرف بحبّى فأهدى له رجل فرساً كميتاً، فلم يجد سرجاً ولا لجاماً. فركبه بحبل وسنفه بليف - إلى أن قال -:

أتاه يحيى بن يحيى المعروف بالزبيري رئيس وكلاء الهاشميين في سيب بمئتين وخمسين ديناراً، وألف درهم فكان هذا أول مال وصار إليه ثم سأله عن دوابّ وكلاء الهاشميين. فدلّه على ثلاثة براذين: كميت، وأشقر، وأشهب فدفع أحدها إلى ابن سلم، والآخر إلى يحيى بن محمد، وأعطى مشرقاً الثالث ووجد بعض السودان لبعض بني هاشم داراً فيها سلاح؛ فانتهبوه. فصار في أيدي الزنوج سيوف وبالات وزقايات وتراس - إلى أن قال -:

وأمر بانتهاب القادسية والشيفيا، فانتهب منهما مالاً عظيماً عيناً وورقاً، وجوهراً، وحليّاً، وأواني ذهب، وفضة، وسبى منهما يومئذ غلماناً ونسوة، وذلك أوّل سبي سُبي - إلى أن قال -:

أعلمه أحدهم أن أصحابه قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها في القادسية فصار إليهم، وأعلمهم أنّ ذلك مما لا يجوز لهم، وحرّم النبيذ في ذلك اليوم عليهم، وقال لهم: إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم فدعوا شرب النبيذ، والتشاغل به، فأجابوه إلى ذلك.

وروى أنه لاقاه أبو هلال الترك مع زهاء أربعة آلاف، وفي مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة، وأعلام وطبول. فحملوا عليهم، وألقى صاحب علمهم بخشبتين كانتا معه عليه. فصرعه. فانهزموا، وأفلت أبو هلال على دابة أخرى، وقتل من أصحابه زهاء ألف وخمسماءة ثم حال بينهم الليل. فأمر في الصبح بتتبّعهم. فجاؤوا برؤوس وأسرى فقتلهم[1].

وقال المسعودي: تكلم الناس في مقدار ما قتل صاحب الزنج في أيامه والمقلل يقول: أفنى من الناس خمسماءة ألف نفر[2].

عودة إلى تفسير كلامه عليه السلام

«**يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام**» لم يذكر أحد أنّ الزنوج كانوا يثيرون الأرض بأقدامهم، والظاهر أنه لما كان الإخبار بهم، وبالتتار في خطبة واحدة - كما يأتي - حصل الخلط، وأنّ الأصل كان «تثير خيولهم الأرض بأقدام كأنها أقدام النعام» فقال الجزري في التتار: «وأما دوابّهم التي يركبونها. فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير»[3].

قول المصنف: «(يومى بذلك إلى صاحب الزنج)» لا ريب أنّ العنوان إلى قوله «ولا حمحمة خيل» إشارة إلى صاحب الزنج، وأما قوله «يثيرون الأرض، بأقدام كأنها أقدام النعام» فقد عرفت الأشكال فيه، واستظهار كونه من كلامه عليه السلام في التتار، وحصل الخلط.

هذا، وفي رسالة ابن القارح إلى المعري في كلام عليّ عليه السلام «تهلك البصرة بالزنج» فصحقّوه وقالوا: قال «تهلك البصرة بالريح»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٤٣، سنة ٢٥٥، والنقل بتلخيص.
(٢) مروج الذهب ٤: ١٢٠.
(٣) الكامل ١٢: ٣٦٠، سنة ٦١٧.
(٤) رسالة ابن القارح: ١٩٩، والنقل بالمعنى.

ثم قال عليه السلام : «وويلٌ لسكككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة» جمع جناح.

«**كأجنحة النسور، وخراطيم**» جمع خرطوم.

«**كخراطيم الفيلة**» في (الطبري): لما أخرب صاحب الزنج البصرة، وانتهى إليه عظيم ما فعله أصحابه فيها، كان الخبيث يقول: دعوت على أهل البصرة، وقال: تولّت الملائكة إخرابها دون أصحابي، ولو كان أصحابي تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكى عنها[1].

كيف انتهت حركة صاحب الزنج؟

وفي (المروج): كانت مدة أيام صاحب الزنج أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير، والذكر والأنثى، ويحرّق ويخرّب[2].

وفي (الكامل): أُحرقت البصرة في عدّة مواضع: منها المربد، وزهران، وغيرهما، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل، وعظم الخطب، وعمّها القتل والنهب والإحراق[3].

«**من أولئك**» متعلق بقوله عليه السلام «ويل»، وفي رسالة ابن القارح، قال صاحب الزنج لأصحابه: إنكم قد أُعنتم بقبح مظهر. فاشفعوه بقبح مخبر. اجعلوا كل عامر قفرا، وكل بيت قبراً[4].

«**الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفتقد**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولا يفقد) كما في الثلاثة[5].

«**غائبهم**» في الكامل أوقع سعيد الحاجب في رجب (٢٥٧) بجماعة من الزنج. فهزمهم واستنقذ ما معهم من النساء والنهب، وبلغه الخبر بجمع آخر منهم. فسار إليهم فهزموهم فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنج فتأتي به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها[6].

وفيه - بعد ذكر أمر صاحب الزنج المهلبي لكبس عسكر الموفق وانهزام الزنج وقتل بعضهم وغرقهم وأسر أكثرهم - «فأمر المعتضد أن يحمل الأسرى ورؤوس القتلى ويعبر

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٦٠٧، سنة ٢٥٧، والنقل بتلخيص.

(٢) مروج الذهب ٤: ١١٩. (٣) الكامل ٧: ٢٤٥، سنة ٢٥٧.

(٤) رسالة ابن القارح: ١٩٩.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٠، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٧ مثل المصرية.

(٦) الكامل ٧: ٢٤١، سنة ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

بهم على مدينة صاحبهم، وبلغ الموفق أنّ الخبيث قال لهم: إنّ الأسرى من المستأمنة إليهم وإنّ الرؤوس تمويه عليكم. فأمر بإلقاء الرؤوس، في منجنيق إليهم. فلما رأوها عرفوها. فأظهرو الجزع والبكاء، وظهر كذب الخبيث»[1] - فترى تضمن الكلام أن جمعاً منهم قتلوا ولم يتفقدهم أحد ولا ندب عليهم، وذلك لعدم كونهم أقارب وإنما تجمعهم الزنجية وبكاؤهم بعد مشاهدة رؤوس جمع منهم إنما كان خوفاً على نفوسهم.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قال الطبري: إنصرف الموفق لليلتين خلتا من صفر من سنة (٢٧٠) من نهر أبي الخصيب ورأس الناجم - أي صاحب الزنج - منصوب بين يديه على قناة في شذاة، والناس من جانبي النهر ينظرون إليه حتى وافى قصره بالموفقية.

وذكر المسعودي في (مروجه): «أنّ الناجم ارتثّ وحمل إلى أبي أحمد وهو حيّ. فسلّمه إلى ابنه المعتضد، وأمر بتعذيبه. فجعله كردناجا على النار وجلده يتفرقع حتى هلك».

والصحيح رواية الطبري، وإنما الذي جعل كردناجا هو قرطاس الذي رمى الموفق بسهم.

قال التنوخي في (نشوار المحاضرة): كان الزنج يصيحون لما رمى الموفق بالسهم. وتأخر لعلاج جراحته عن الحرب ملّحوه ملّحوه أي قد مات، وأنتم تكتمون موته، فاجعلوه كاللحم المكسود وكان قرطاس الرامي للموفق يصيح بالمعتضد في الحرب إذا أخذتني فاجعلني كردناجا - يهزأ به - فلما ظفر به أدخل في دبره سيخاً من حديد فأخرجه من فيه وجعله على النار كردناجاً[2].

قلت: لم يذكر المسعودي أن المعتضد جعل صاحب الزنج كردناجا على النار حتى ينافي قول الطبري بقتله في الحرب، وإنما قال المسعودي إن المعتضد جعل محمداً بن الحسن بن سهل - أول من كتب أخبار صاحب الزنج - كردناجاً على النار[3] ولكن ابن أبي الحديد خلط.

هذا، وخرج الزنج بالبصرة مرتين قبل تلك المرّة المعروفة أولاهما في آخر أيام مصعب بن الزبير. فأفسدوا، وتناولوا الثمار. فشكا الناس ذلك إلى واليهم فأرسل إليهم جيشاً. فتفرّقوا، وأخذ بعضهم فقتل وصلب.

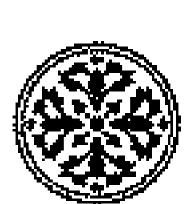
---

(١) الكامل ٧: ٣٥٤، سنة ٢٦٧، والنقل بتصرف يسير.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٠، وتاريخ الطبري ٨: ١٤١، سنة ٢٧٠، والنقل بتصرف يسير.
(٣) مروج الذهب ٤: ١٥٥.

والثانية في أيام الحجاج لما وثب ابن الجارود مع جمع على الحجّاج لمّا أراد نقص عطائهم. فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وأمّروا عليهم رجلاً ملقباً شيرزنج، فلما فرغ الحجّاج من أمر ابن الجارود أمر شرطة البصرة أن يرسل إليهم جيشاً فهزمهم وقتلهم. ومراده عليه السلام تلك المعروفة.

«**أنا كابّ الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها**» قال ابن أبي الحديد: هو مثل الكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام: أنا الذي كببت الدنيا على وجهها ليس لي زوجة تموت، ولا بيت يخرّب، وسادي الحجر، وفراشي المدر، وسراجي القمر[1].

قلت: كونه مثله غير معلوم. فهو عليه السلام قال «كابّ الدنيا لوجهها» وكلام عيسى عليه السلام «كابّ الدنيا على وجهها» فالظاهر أنه عليه السلام لما قال ذلك بعد إخباره عن المغيبات قال إنه محيط بظاهر الدنيا وباطنه كمن يقلّب الشيء ويكبّه لوجهه. فينظر بعينه إلى جميعه. فالظاهر أنه نظير ما ورد عن عترته عليهم السلام في إحاطة الإمام بما في الدنيا. فروى الصفار عن حمزة الجعفي قال: دخلت على الرضا عليه السلام ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السلام أنّ الدنيا مثّلت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوز. فقال: يا حمزة ذا والله حق[2].



(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١١.
(٢) بصائر الدرجات: ٤٢٨ ح ٢.

حديثه عن التتار واستهجان أصحابه بهذا العلم

(منها في وصف الأتراك): كَأَنّي أَرَاهُمْ قَوْماً «كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ» يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ. وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لَقَدْ أُعْطِيتَ ياأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ. فَضَحِكَ عليه السلام، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً.

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. . .﴾ الآيَةَ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ، فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

من الخطبة (١٢٦)

أقول: جميع ما مضى ويأتي من إخباره عليه السلام عن المستقبل يمكن لمشكّك أن يشكّك فيها ببعض الشبهات بأنّا لم نجده في غير النهج في كتاب كان مقدّماً على وقوعه، وأما هذا فلا مجال للتشكيك فيه. ففرغ الرضي من النهج في (٤٠٠) وتوفي في سنة (٤٠٦) وكان أول واقعة التتار في سنة (٦١٧). ومرّ في سابقه أنّ قوله عليه السلام في ذاك بنقل المصنّف «يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام» كان جزء هذا لكونهما في خطبة واحدة. فخلطهما الرواة مع تحريف، وأنّ الأصل «خيولهم تثير الأرض بأقدام كأنها أقدام النعام».

ومرّ في سابقه أيضاً أن قوله عليه السلام في عنوان آخر «فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية. تأتيكم مزمومة مرحولة. يحفزها قائدها ويجهدها راكبها. أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم» ينطبق على التتار.

قول المصنف «منها» أي: من خطبة الملاحم، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) «ومنه» وفي (ابن ميثم) «ومن كلام له عليه السلام»(١).

«**ويومئ إلى ذلك وصف التتار**» وفي (ابن ميثم وابن أبي الحديد) «يومئ به إلى وصف الأتراك»(٢).

قال الجزري: كان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديماً، ونزلوا وراء بلاد تركستان، وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب. فلما سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشليخان - إلى أن قال - بعد ذكر الاختلاف بين كشليخان وخوارزمشاه وإرادته حربه - ثم اتّفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكيزخان النهرجي على كشليخان التتري الأول. فاشتغل بهم كشليخان عن خوارزم شاه(٣).

للجاحظ رسالة في الترك (وهم التتار والمغول)

وللجاحظ رسالة في الترك قال فيها نقلاً عن حميد بن عبد الحميد قال: التركي يرمي بعشرة أسهم قبل أن يفوّق الخارجي سهماً واحداً، وتركض دابته منحدراً من جبل أو متسفلاً إلى بطن واد بأكثر مما يمكن الخارجي على بسيط الأرض.

وللتركي أربعة أعين عينان في وجهه، وعينان في قفاه، وإذا أدبر فهو السم الناقع لأنه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل، ولو حصّلت مدة عمر التركي، وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض، وليس في الأرض أحد إلا وبدنه ينتقص على أقيتات اللحم وحده غيره، وكذلك دابته تكتفي بالعنقر والعشب والشجر لا يظّلها من شمس، ولا يكنّها من برد.

والتركي هو الراعي، وهو السائس، وهو الرائض، وهو النخّاس، وهو البيطار، وهو الفارس.

---

(١) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٨، لكن في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١ «منها».
(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٨، لكن في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١ «في وصف الأتراك».
(٣) الكامل ١٢: ٢٦٩ - ٢٧١، سنة ٦٠٤.

فالتركي الواحد أمّة على حدة، وإذا سار في غير عساكره وساروا عشرة أميال سار عشرين، لأنه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة، ويصعد في ذرى الجبال ويستبطن قعور الأودية في طلب الصيد، وهو في ذلك يرمي كلّ ما دبّ، ودرج، وطار ووقع، وإن بلغوا وادياً. فازدحموا على مسلكه أو قنطرته بطن التركي برذونه فأقحمه. ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب، وإن انتهوا إلى عقبه صعبة ترك السنن، وذهب في الحبل صعداً ثم تدلّى من موضع يعجز عنه الوعل.

وليس في الأرض قوم إلا والتساند في الحروب والاشتراك في الرئاسة ضار لهم إلا الأتراك. فإنهم إذا صادفوا جيشاً فإن كان في القوم موضع عنوة فكلّهم قد أبصرها وعرفها، وإن لم يكن هناك عورة، ولم يكن فيهم مطمع وكان الرأي الانصراف فكلّهم رأى ذلك الرأي، وعرف الصواب فيه، وخواطرهم واحدة، ودواعيهم مستوية بإقبالهم، وليس لبدن التركي على ظهر الدابة ثقل، ولا لمشيه على الأرض وقع، وإنه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس منّا، وهو مقبل، وهو يرى الفارس منّا صيداً، ويعدّ نفسه فهداً، ويعدّ غيره ظبياً، وأنّه لو رمي به في قعر بئر مكتوفاً لما أعجزته الحيلة.

والتركي ينال الكفاف غصباً؛ أحبُّ إليه من أن ينال الملك عفواً، ولم يتهنّ تركي بطعام قط إلا أن يكون صيداً أو مغنماً.

وقال ثمامة بن أشرس: «التركي لا يخاف إلا مخوفاً، ولا يطمع في غير مطمع، ولا يكفّه عن الطلب إلا اليأس صرفاً، ولا يدع القليل حتى يصيب أكثر منه، وإن قدر أن يجمعهما لم يفرط في واحد منهما، والباب الذي لا يحسنه لا يحسن منه شيئاً، والباب الذي يحسنه قد أحكمه بأسره، وخفيّه عنده كظاهره، ولا يتشاغل بشيء ليس فيه شيء، ونومه مشوب باليقظة، ويقظته سليمة من الوسنة[1].

وفي المأثور من الخبر: «اتركوا الترك ما تركوكم»[2] وبقوله: «اتركوهم» سمّوا الترك، وما ظنك بقوم لم يعرض لهم ذو القرنين بعد أن غلب على جميع الأرض قسراً وعنوة وقهراً.

صفة الترك «التتار»

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ» جمع المجنّ وهو الترس.

«**المطرّقة**» هذا صفة مطلق الترك قال المبرد في (كامله) – في خبر – رأيت عليّاً (يعني

(١) مناقب الأتراك: ٢٥ – ٣٦، والنقل بتلخيص.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، عنه الجامع الصغير ١: ٨.

ابن عبد الله بن عباس) مضروباً بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير، وصائح يصيح عليه هذا عليّ بن عبد الله الكذّاب. فأتيته فقلت: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال: بلغهم قوله «إن هذا الأمر سيكون في ولدي. والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون، العراض الوجوه الذين كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة[1]. . . وكان يقول ذلك عن إخباره عليه السلام.

فروى المبرد: أنه لما ولد علي ذاك أتى به أبوه ابن عباس إليه. فأخذه وردّه إلى أبيه، وقال له: خذه إليك أبا الأملاك[2].

المسعودي يذكر تأثير البيئة فيهم

وفي (التنبيه والإشراف للمسعودي): من كان من الترك واغلاً في الشمال فلبعدهم من مدار الشمس في حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم، وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم. فاسترخت أجسامهم، وغلظت ولانت فقارات ظهورهم، وخرز أعناقهم حتى تأتّى لهم الرمي بالنشاب في كرّهم وفرّهم، وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم. فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكّنت البرودة من أجسادهم[3].

ومراده عليه السلام هنا ترك التتار، وما صدر منهم مع الناس الذي أثبته التاريخ.

استعظام المؤرخين لفعل التتار في بلاد الإسلام

قال الجزري في عنوان سنة (٦١٧) وخروج التتار إلى بلاد الإسلام: لقد بقيتُ عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها. فأنا أقدّم إليه رجلاً، وأؤخّر أخرى. فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك. فيا ليت أمّي لم تلدني، ويا ليتني متّ قبل هذا، وكنت نسياً منسياً إلا أنني حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف ثم رأيت أنّ ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق وخصّت المسلمين. فلو قال قائل إن العالم مذ خلق الله تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً. فإن التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها، ولا ما يدانيها.

---

(١) كامل المبرد ٥: ١٩٨.

(٢) كامل المبرد ٥: ١٩٦.

(٣) التنبيه والإشراف: ٢٢.

أعظم ما ذكر من الحوادث

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس، وما بيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف بيت المقدس، وما بنو بني إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا. فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج. وأما الدجّال فإنه يبقي على من اتّبعه، ويُهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال، والأطفال وشقّوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون لهذه الحادثة التي استطال شررها، وعمّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح. فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين. فقصدوا تركستان مثل كاشغر، وبلاساغون ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند، وبخارا، وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها من نذكره ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمدان، وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حدّ العراق. ثم يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة. هذا ما لم يسمع بمثله، ثم لما فرغوا من آذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان. فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلاً ونهباً وتخريباً، ثم قصدوا إلى بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً. فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون إلى الغياض، ورؤوس الجبال، وفارقوا بلادهم.

التتر يستولون على البلاد الشرقية للمسلمين

واستولى هؤلاء التتر عليها. فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير، ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند، وسجستان، وكرمان. ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء، وأشدّ هذا ما لم يطرق الأسماع مثله. فإنّ الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنّه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً إنما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض، وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة، في نحو سنة، ولم يبت أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم، ويترقب وصولهم. ثم إنهم لم يحتاجوا إلى ميرة ومدد يأتيهم فإنهم معهم

الأغنام، والبقر، والخيل، وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير. وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير. فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج.

وأما دياناتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرّمون شيئاً. فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الخنازير والكلاب، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال. فإذا جاء الولد لا يعرف أباه - إلى أن قال -:

واستقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأنّ خوارزمشاه محمّداً كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها. فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم، وكان مدة ملك خوارزمشاه (٢١) سنة، وشهوراً واتّسع ملكه، وأطاعه العالم بأسره، ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه ملك من حدّ العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة، وبعض الهند، وملك سجستان، وكرمان وطبرستان، وجرجان، وبلاد الجبال، وخراسان وبعض فارس، وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة، وملك بلادهم، ولما ملك التتار خوارزم وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد. فدخله الماء. فغرق البلد جميعه، وتهدمت الأبنية، وبقي موضعه ماء، ولم يسلم من أهله أحد. فمن اختفى أغرقه الماء أو قتله الهدم[1].

جنكيزخان يطلب خوارزمشاه

وقال ابن أبي الحديد: إن جنكيزخان سيّر عشرين ألفاً في طلب خوارزمشاه، وقال لهم اطلبوه ولو تعلّق بالسماء. ففرّ منهم فوصل إلى بحر طبرستان. فنزل هو أصحابه في سفن، ووصل التتار، فلما عرفوا نزوله البحر آيسوا.

واختلف في أمره فقوم يحكون أنه أقام بقلعة له في بحر طبرستان منيعة. فتوفّي بها، وقوم يحكون أنه غرق في البحر فهلك. وقوم يحكون أنه غرق ونجا عرياناً. فصعد إلى قرية من طبرستان فعرفوه. فقال: احملوني في مركب إلى الهند إلى شمس الدين الملك نسيبه من جهة زوجته. فيقال: وصل إليه وقد تغيّر عقله مما اعتراه من خوف التتار. فكان يقول: ها هم قد خرجوا من هذا الباب... قد هجموا من هذه الدرجة، ويرعد وتحوّل لونه.

وحكي أنه لما تغيّر عقله لهج بأن يقول: «قراتركلدي» أي: جاء التتر السود.

(١) الكامل ١٢: ٣٥٨ - ٣٧٢ و ٣٩٤، سنة ٦١٧، والنقل بتلخيص.

وفي التتر صنف سود يشبهون الزنوج لهم سيوف عريضة جداً على غير صورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس - ورقى به شمس الدين إلى قلعة من قلاع الهند شاهقة لا يعلوها الغيم أبداً، وإنما يمطر السحاب من تحتها، وقال له كن آمناً. قال: لا أقدر على المقام لأنّ التتر يطلبونني ويقدمون إلى هاهنا، ولو شاؤوا لوضعوا سروج خيلهم واحداً على واحد تحت القلعة، فبلغت إلى ذروتها، وصعدوا عليها فأخذوني قبضاً باليد، فعلم الملأ أنّ عقله قد تغيّر. فقال: فما الذي تريد؟ قال: تحملني في البحر إلى كرمان فحمله ثم خرج إلى أطراف بلاد فارس. فمات هناك، وأُخفي موته لئلا يقصده التتر(١).

ابن الأثير يذكرهم في آخر سنة من تاريخه

«**يلبسون السَّرق والديباج**» في (الكامل) في وقائع سنة (٦٢٨) - وهي آخر تاريخه - أن في تلك السنة أطاع جميع أهل بلاد آذربيجان للتتر وحملوا إليهم الأموال والثياب الخطائي، والخوئي، والعتابي، وأرسل الملك إلى تبريز - وهو أصل بلاد آذربيجان - يهدّدهم إن امتنعوا عليه. فأرسلوا إليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الأبريسمي، وغيرها.

ثم طلب أن يحضروا عنده من صنّاع الثياب الخطائي، وغيرها ليستعمل لملكهم الأعظم. فأحضروا الصناع فاستعملوهم في ما أرادوا، وطلب أيضاً خركاه لملكهم فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها، وعملوا غشاءها من الأطلس الجيد الزركش، وعملوا من داخلها السمور، والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة(٢)؟

هذا وفي (الكامل) أيضاً: لم يبقوا على مدينة إلا خرّبوا كل ما مرّوا عليه وأحرقوه ونهبوه، وما لا يصلح لهم أحرقوه. فكانوا يجمعون الأبريسم تلالاً، ويلقون فيه النار(٣).

طريقتهم في القتال

«**ويعتقبون الخيل العتاق**» قد عرفت في ما تقدّم قول الجزري «معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك...» ولعلّه محرّف «يعتقبون الخول العتاق» أي يجيئون معهم بأسارى يجعلونها خولاً لهم. فقال الجزري: وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدّموا من معهم من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٥ - ٣٤٦، والنقل بتلخيص.
(٢) الكامل ١٢: ٥٠٢ - ٥٠٣، سنة ٦٢٨، والنقل بتلخيص.
(٣) الكامل ١٢: ٣٧٦، سنة ٦١٧.

أُساری المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون فإن عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون كرهاً وهم المساكين كما قيل كالأشقر إن تقدّم ينحر، وإن تأخر يعقر، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين. فيكون القتل في المسلمين الأُسارى وهم بنجوة منه[١].

وقال - بعد ذكر فتح بخارى - استصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكلّ من أعيا وعجز قتلوه. فلما قاربوا سمرقند قدّموا الخيّالة وتركوا الرجّالة، والأُسارى والأثقال وراءهم حتى تقدموا شيئاً فشيئاً فيكون أرعب لقلوب المسلمين. فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل الأُسارى والرجالة والأثقال ومع كل عشرة من الأُسارى علم. فظنّ أهل البلد أنّ الجميع عساكر[٢].

«**ويكون هناك استحرار قتل**» كان استحرار القتل أولاً في الطرفين لما ذهب خوارزمشاه إليهم قبل أن يعلم حقيقة الأمر، فوصل إلى بيوتهم، ولم يكن فيها غير نسائهم وأطفالهم وكانوا ساروا إلى محاربة كشلوخان فسبى النساء والأطفال فادركوهم - كما في (الكامل) - قبل أن يخرج من بيوتهم، وتصافّوا وبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها. فقتل من الطائفتين ما لا يعدّ، واشتدّ بهم الأمر حتى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلاً، ويتضاربون بالسكاكين، وجرى الدم على الأرض حتى صارت الخيل تزلق من كثرة الدم، وأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفاً[٣].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قد لاح لي من فحوى كلامه عليه السلام أنه لا بأس على بغداد والعراق منهم، وأنّ الله تعالى يكفي هذه المملكة شرّهم ويردّ عنها كيدهم، وذلك من قوله عليه السلام «ويكون هناك استحرار قتل» فأتى بالكاف، ولو كان لهم استحرار قتل في العراق لما قال «هناك» بل كان يقول «هنا» لأنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في البصرة ومعلوم أنّ البصرة وبغداد شيء واحد، وكانوا جاؤوا إلى بغداد، ورجعوا، وكان ما جرى من دلائل النبوة لأنّه عليه السلام وعد هذه الملة بالظهور إلى يوم القيامة، ولو حدث على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها لانقرضت ملّة الإسلام[٤].

قلت: ما ذكره خطأ فإن «هناك» في قوله عليه السلام نحو «هنالك» في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾[٥] والإسلام ليس بسلطنة بل ديانة وقد وعد صلى الله عليه وآله أمته ببقاء دينه

---

(١) الكامل ١٢: ٣٧٧، سنة ٦١٧. (٢) الكامل ١٢: ٣٦٧، سنة ٦١٧.
(٣) الكامل ١٢: ٣٦٤، سنة ٦١٧. (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٥١، والنقل بتصرف.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣٠.

لا سلطنة المسلمين، وكيف، وقد تسلّط هولاكو حفيد جنكيزخان على بغداد، وقتل خليفتهم وختم بسلطنتهم.

ونظيره في الخطأ قول الجزري المتقدم «ومن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين» فعلى قوله لم يكن إسلام أيام كون النبيّ ﷺ في مكة قبل هجرته بل صار دخول أولئك التتار الذين وصفهم في بلاد الإسلام سبباً إلى دخولهم في الإسلام كمحمّد خدابنده منهم، وجمع آخر منهم، وإنما كان فعلهم ما فعل عقوبة من الله تعالى للناس بتركهم حقيقة الإسلام واكتفائهم باسمه، بل إتيانهم بكلّ منكر باسم الإسلام، وكونهم خلفاء الإسلام مع أنهم لم يكونوا إلا جبابرة لئاماً. وقد وصف عليه السلام صاحب الزنج، وما عمل أصحابه بكونهم جيشاً من نقم الله تعالى كما مرّ، وقد قال تعالى لبني إسرائيل ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا - إلى أن قال - فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾[1].

ومن الغريب أن هذا الرجل ذكر في تاريخه ما فعل بنو أمية أعداء النبيّ ﷺ يوم الطف بأهل بيت نبيّه ﷺ قتلاً لرجالهم وسبياً لنسائهم وإرادتهم استئصالهم، ولا يقول: يا ليت أمي لم تلدني، ويقوله هنا لكن لم يقل ثمّة لأنه أسس لهم ذلك صدّيقهم وفاروقهم.

رعب المسلمين من التتار

حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت» أي: الناجي.

«أقل من المأسور» ذكر الجزري في ملك التتار مراغة من آذربيجان: قتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء، واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الأُسارى، ويقولون لهم: نادوا في الدروب أنّ التتر قد رحلوا. فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل. وسمعت أن رجلاً من التتر دخل درباً فيه مئة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم، ولم يمدّ أحد يده إليه بسوء[2].

وذكر في دخولهم كرخ: فأخذهم السيف، فلم يسلم منهم إلا الشريد[3]. وقال في

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٤ - ٧.
(٢) الكامل ١٢: ٣٧٨، سنة ٦١٧.
(٣) الكامل: ١٢: ٣٨٣، سنة ٦١٧.

دربند شروان: صعدوا سوراً بالسلاليم وقيل: بل جمعوا كثيراً من الجمال، والبقر، والغنم، وغير ذلك، ومن قتلى الناس منهم، ومن غيرهم، وألقوا بعضه فوق بعض. فصار مثل التل وصعدوا عليه. فأشرفوا على المدينة، وقاتلوا أهلها(١).

وقال في أهل مرو: وأمر بإحصاء القتلى. فكانوا نحو سبعماءة ألف قتيل وقيل لهم: إنّ قتلاهم سلم منهم كثير، ونجوا إلى بلاد الإسلام، فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد، وفعلوا بطوس كذلك، وخربوا المشهد الذي فيه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام (٢).

وقال في خوارزم: لما ملكوا البلد قتلوا كلّ من فيه، ونهبوا كل ما فيه وفتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد. فغرق البلد جميعه، وتهدّمت الأبنية، وبقي موضعه ماء وغير خوارزم قد كان سلم بعض أهله. فمنهم من يختفي ومنهم من يهرب، ومنهم من يخرج ثم يسلم، ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو، وأما أهل خوارزم. فمن اختفى أغرقه الماء أو قتله الهدم(٣).

وقال في دخول التتر ديار بكر: بلغني أن إنساناً منهم أخذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتله به. فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح. فوضع رأسه على الأرض ومضى التتري فأحضر سيفاً. فقتله به.

قال: وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا حتى يكتّف بعضنا بعضاً. فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم. فقلت لهم: هذا واحد. فلِمَ لا نقتله ونهرب؟ فقالوا: نخاف. فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعلّ الله يخلّصنا. فوالله ما جسر أحد يفعل. فأخذت سكّيناً وقتلته وهربنا فنجونا(٤).

«**فقال له بعض أصحابه** عليه السلام: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك عليه السلام» قال ابن أبي الحديد: النبيّ صلى الله عليه وآله أو الولي إن تجدّدت عنده نعمة لله سبحانه وعرف الناس وجاهته يضحك. وروى أن النبيّ صلى الله عليه وآله ضحك في مناسب هذا الحال لما استسقى فسقي وأسرف درور المطر. فسألوه أن يحبسه عنهم. فأشار بيده إلى السحاب. فأنجاب حول المدينة كالإكليل فضحك صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه، وقال: أشهد أني رسول الله صلى الله عليه وآله (٥).

---

(١) الكامل ١٢: ٣٨٤، سنة ٦١٧. (٢) الكامل ١٢: ٣٩٣، سنة ٦١٧، والنقل بتلخيص.
(٣) الكامل ١٢: ٣٩٤، سنة ٦١٧، والنقل بتصرف يسير.
(٤) الكامل ١٢: ٥٠١، سنة ٦٢٨. (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٢، والنقل بتصرف يسير.

ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلّم من ذي علم

«**وقال للرجل – وكان كلبياً – يا أخا كلب! ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلّم من ذي علم**» قال شيخنا المفيد في (مقالاته) في عنوان القول في علم الأئمة عليهم السلام بالضمائر والكائنات وإطلاق القول عليهم بعلم الغيب: «إنّ الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم وإنما أكرمهم الله تعالى به، وأعلمهم إياه لِلُطف في طاعتهم، والتمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً لكنه واجب لهم من جهة السماع، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّن الفساد، لأنّ الوصف بذلك إنما يستحقه مَنْ علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عزّ وجلّ وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذّ منهم من المفوّضة، ومن انتمى إليهم من الغلاة[1].

«**وإنما علم الغيب علم السّاعة، وما عدّد الله سبحانه بقوله**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وما عدّده الله سبحانه بقوله): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[2] هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية)، ولكن في (ابن ميثم) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[3].

«**فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر وأنثى**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أو أنثى) كما في (ابن أبي الحديد وغيره)[4].

«**وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد**» وهو معنى الخبر «السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقيّ في بطن أمّه»[5] بمعنى أنه تعالى يعلم أنه يكون سعيداً أو يكون شقيّاً.

«**ومن يكون في النار حطباً**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[6].

---

(١) أوائل المقالات: ٧٧. (٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٣٩ مثل المصرية أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤١، وشرح ابن ميثم ٣: ١٣٩.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، عنه الجامع الصغير ٢: ٣٧، وابن قتيبة في تأويل المختلف: ١٢٨، والكليني في الكافي ٨: ٨١ ح ٣٩، والصدوق في التوحيد: ٣٥٦ ح ٣ وغيرهم بفرق يسير بين الألفاظ.

(٦) سورة الجن، الآية: ١٥.

«**أو في الجنان للنبيين مرافقاً**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾(١).

«**فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله**» ولكن ورد في أخبار إخبارهم عليهم السلام بكون الحمل ذكراً أو أنثى، وغير ذلك(٢).

«**وما سوى ذلك**» من علم الساعة وغيرها الذي ذكر معها.

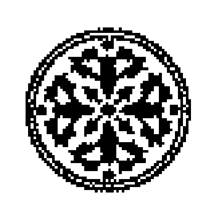
«**فعلم علّمه الله نبيه** صلى الله عليه وآله» وسقطت التصلية من (المصرية).

«**فعلّمنيه ودعا لي بأن يعيه**» أي: يجعل له وعاء.

«**صدري**» في (مناقب الكنجي الشافعي) روى الحاكم عن بريدة الأسلمي قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إن الله تعالى أمرني أن أُدنيك، ولا أقصيك، وأن أعلّمك، وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي، فنزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٣).

«**وتضطمّ**» افتعال من الضم.

«**عليه جوانحي**» في (الصحاح): الجوانح الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر، الواحدة: جانحة(٤).

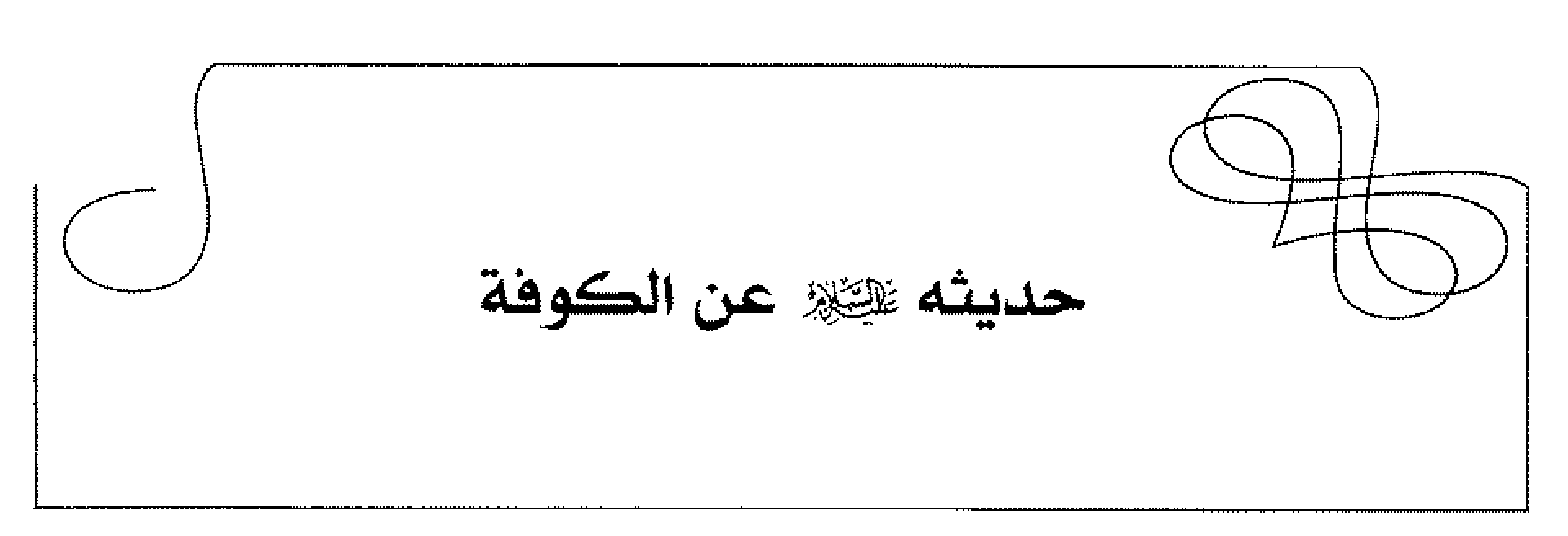


(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) روى أحاديث في علومهم: بالغيب المجلسي في بحار الأنوار ٢٦: ١٨ - ٢٢٦.

(٣) رواه الكنجي في كفاية الطالب: ٤٠، والحديث لم يخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بل أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٨١ ح ١٠٢٠. والآية: ١٢ من سورة الحاقة.

(٤) صحاح اللغة ١: ٣٦٠، مادة (جنح).



حديثه عليه السلام عن الكوفة

ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة: **كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إلاَّ ابْتَلاهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ!** الخطبة (٤٧)

في وصف الكوفة

«**كأنّي بكِ يا كوفة**» في (المعجم): قال ابن الكلبي: سمّيت الكوفة كوفة بجبل صغير في وسطها كان يُقال له: كوفان، وعليه اختطّت مهرة موضعها، وقيل: سمّيت بموضعها لأن كلّ رملة يخالطها حصباء تسمّى كوفة، وقيل: لأنّ جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقيل: لاجتماع الناس بها من قولهم «تكوّف الرّمل» وقيل: لاستدارتها من قولهم رأيت كوفاناً وكَوفاناً للرملة المستديرة[١].

وفي (الفتوح): قال بشر القرشي: كان قدر الكوفة ستّة عشر ميلاً وثلثي ميل. وفي (المعجم): كان ظهر الكوفة يدعى خدّ العذراء ينبت الخزامى، والأقحوان، والشيح، والقيصوم، والشقائق[٢].

وفي (المروج والمعجم): لما فرغ الحجّاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك ومعه أشراف أهل الكوفة والبصرة فتذاكروا البلدان. فقال محمد بن عمير بن عطارد: إن الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرّها وعمقها، وسفلت عن الشام، ووبائها، وجاورها الفرات. فعذب ماؤها، وطاب ثمرها إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، وإذا هبّت الجنوب جاءتنا ريح السواد ووردِه وياسمينه وأُترنجه. ماؤنا

---

(١) معجم البلدان ٤: ٤٩٠ - ٤٩١، والنقل بتصرف.

(٢) اشتبه على الشارح بل ما نقله عن الفتوح فهو في معجم البلدان ٤: ٤٩٢، وما عن المعجم ففي فتوح البلدان: ٢٧٧.

عذب وعيشنا خصب. فقال خالد بن صفوان: نحن أوسع منهم برية، وأسرع منهم في السرية، وأكثر منهم قنداً، وعاجاً، وساجاً. ماؤنا صفو، وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا إلا قائد أو سائق أو ناعق.

فقال الحجّاج: إني بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعاً.

فقال له عبد الملك: قل. فأنت عندنا مصدّق.

فقال: أما البصرة فعجوز شمطاء، دفراء بخراء، أُوتيت من كلّ حليّ وزينة، وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حليّ لها، ولا زينة.

فقال عبد الملك: فضّلت الكوفة على البصرة[(١)] وأما قول زياد «لو ضلّت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلّني عليها» فعصبية.

وفي (الكامل): لما أراد عمر طوف البلدان بعد طاعون عمواس قال: أشيروا عليَّ. فقال له عليّ عليه السلام: إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنما هي لَقُبَّةُ الإسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلا وحنّ عليها، ولينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط[(٢)].

وفي (أخبار الدينوري): سار عليّ عليه السلام من البصرة إلى الكوفة. فلما أشرف عليها قال: ويحك يا كوفان ما أطيب هواءك، وأغذى تربتك، الخارج منك بذنب والداخل عليك برحمة. لا تذهب الأيام والليالي حتى يجيء إليك كل مؤمن، ويبغض المقام بك كل فاجر، وتعمرين حتى أنّ الرجل من أهلك ليبكر إلى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة[(٣)].

وفي (المعجم) كان عليّ عليه السلام يقول: الكوفة كنز الإيمان، وحجة الإسلام، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز، وكان إذا أشرف على الكوفة قال: **[مجزوء البحر الرجز]**

يا حبذا مقامنا بِالْكُوْفَهْ
رض سواء سهلة مَعْرُوْفَهْ
عرفها جمالنا الْعَلُوْفَهْ

وكان سلمان الفارسي يقول: أهل الكوفة أهل الله، وهي قبّة الإسلام»[(٤)].

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٥١، ومعجم البلدان ٤: ٤٩٢.

(٢) الكامل ٢: ٥٦١، سنة ١٨.

(٣) الأخبار الطوال: ١٦١.

(٤) معجم البلدان ٤: ٤٩٢ - ٤٩٣.

وفي (صفين نصر بن مزاحم): قال عليّ عليه السلام - وأشار إلى قبر عظيم في النخيلة يدفن اليهود موتاهم حوله - ما يقول الناس فيه؟ فقال الحسن عليه السلام: يقولون هذا قبر هود النبي عليه السلام لما أن عصاه قومه جاء فمات هاهنا فقال عليه السلام: كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب ثم قال: هاهنا أحد من مهرة. قال فأتي بشيخ كبير. فقال: أين منزلك؟ قال: على شاطئ البحر. قال: أين من الجبل الأحمر؟ قال: قريب منه. قال: فما يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: قبر ساحر. قال: كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام، وهذا قبر يهودا بن يعقوب بكره، يحشره من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس يدخلون الجنة بغير حساب(١).

وقال ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الكوفة مدينتنا ومقرّ شيعتنا، يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر(٢).

في فضل مسجد الكوفة

وفي (المعجم): ورد في مسجد الكوفة فضائل روى حبة العرني قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فأتاه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين! هذه راحلتي وزادي أريد هذا البيت - يعني بيت المقدس - فقال عليه السلام: كُلْ زادك، وبع راحلتك، وعليك بهذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فإنه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشراً في ما سواه من المساجد، والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، وهي نازلة من كذا ألف ذراع، وفي زاويته فار التنور، وعند الأسطوانة الخامسة صلّى إبراهيم عليه السلام، وقد صلى في ألف نبيّ، وألف وصي، وفيه عصا موسى، والشجرة اليقطين، وفيه هلك يغوث، ويعوق، وهو الفاروق، وفيه مسير لجبل الأهواز، وفيه مصلّى نوح عليه السلام، ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ووسطه على روضة من رياض الجنة، وفيه ثلاث أعين من الجنة تُذهب الرجس، وتُطهّر المؤمنين، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبواً(٣).

ورواه ابن قتيبة في (غريب حديثه) مختصراً، وفيه «فيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس، وتطهّر المؤمنين: عين من لبن، وعين من دهن، وعين من ماء، جانبه الأيمن ذكر، وجانبه الأيسر مكر، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً» - وقوله عليه السلام «أنبتت بالضغث» أحسبه أراد الضغث الذي ضرب أيوب أهله، والعين التي

---

(١) وقعة صفين: ١٢٦.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٦، والنقل بتصرف.
(٣) معجم البلدان ٤: ٤٩٢.

ظهرت لما ركض بالأرض رجله، وقوله عليه السلام «في جانبه الأيمن ذكر» أي صلاة، وقوله «في جانبه الأيسر مكر» أراه أراد المكر باللوذ به حين قتل في المسجد(١).

وفي المعجم قال السيد الحميري في مسجد الكوفة: [البحر الطويل]

لعمرك ما من مسجد بعد مسجد ... بمكّة ظهراً أو مصلّى بِيَثْرِبِ
بشرق ولا غرب علمنا مكانه ... من الأرض معموراً ولا مُتَجَنَّبِ
بأبين فضلاً من مصلّى مبارك ... بكوفان رحب ذي أراس وَمَخْصِبِ
مصلّى به نوح تأثل وابتنى ... به ذات حيزوم وصدر مُحَنَّبِ
وفار به التنّور ماءً وعنده ... له قيل أيا نوح في الفلك فَارْكَبِ
وباب أمير المؤمنين الذي به ... ممر أمير المؤمنين الْمُهَذَّبِ(٢)

«**تمدّين مدّ الأديم**» وجمعه أدم، وأدمة.

«**العُكاظيّ**» عكاظ اسم سوق للعرب بناحية مكة يجتمعون بها في كل سنة شهراً يتبايعون.

«**تعركين**» أي: تدلكين.

«**بالنوازل**» جمع النازلة شدة تنزل.

«**وتركبين بالزلازل**» في فتن بني أمية وبني العباس.

«**وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبّار سوءً إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل**» قال ابن أبي الحديد: قال جعفر بن محمّد عليه السلام: الكوفة تربة تحبّنا ونحبّها اللهمّ ارم من رماها، وعادِ من عاداها.

قال: وقال المنصور له عليه السلام: لقد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها، ويجمّر نخلها، ويستصفي أموالها، ويقتل أهل الريبة منها. فأشر عليّ. فقال: «إنّ المرء ليقتدي بسلفه، ولك أسلاف ثلاثة: سليمان أُعطي فشكر، وأيوب ابتلي فصبر، ويوسف قدر فَغَفَر. فاقتدِ بأيّهم شئت» فصمت قليلاً ثم قال: قد غفرت.

ما حدث لزياد بن أبيه من آية

قال: وفي (منتظم ابن الجوزي): لما حصب أهل الكوفة زياداً وهو يخطب؛ قطع أيدي ثمانين منهم، وهمّ أن يخرّب دورهم فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٠٥.
(٢) معجم البلدان ٤: ٤٩٣.

ليعرضهم على البراءة من عليّ عليه السلام وعلم أنهم سيمتنعون فيحتجّ بذلك على استئصالهم، وإخراب بلدهم.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري: فإني لمع نفر من قومي والناس يومئذ في أمر عظيم إذ هوّمت تهويمة. فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير، أهدر أهدل. فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا النقّاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر» فانتبهت فزعاً. فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا فأخبرتهم. وخرج علينا خارج من القصر. فقال: انصرفوا فإنّ الأمير يقول: «إنّي عنكم اليوم مشغول» وإذا الطاعون قد ضربه فكان يقول: إني لأجد في جسدي حر النار حتى مات. فقال عبد الرحمن:

[البحر البسيط التام]

ما كان منتهياً عما أراد بنا ... حتى تناوله النَّقّاد ذو الرَّقَبَهْ
فأثبت الشقّ منه ضربة عظمت ... كما تناول ظلماً صاحب الرَّحَبَهْ

قال: يعني بصاحب الرحبة أمير المؤمنين عليه السلام لأنه كان يجلس معظم زمانه في رحبة المسجد يحكم بين الناس[1].

قلت: ورواه (المروج) مع أدنى اختلاف[2]. وفي (تاريخ اليعقوبي): روى أنّ زياداً كان أحضر قوماً بلغه أنهم شيعة لعليّ عليه السلام ليدعوهم إلى سبّه والبراءة منه، أو يضرب أعناقهم - وكانوا سبعين رجلاً - فصعد المنبر، وجعل يتكلم بالوعيد والتهديد. فنام بعض القوم - وهو جالس - فقال له بعض أصحابه: تنام وقد أحضرت لتقتل؟! فقال: من عمود إلى عمود فرجان لقد رأيت في نومتي هذه عجباً. رأيت رجلاً أسود يضرب رأسه السقف دخل المسجد: فقلت: من أنت يا هذا؟ فقال: النقّاد ذو الرقبة. قلت: وأين تريد؟ قال: أدق عنق هذا الجبار الذي يتكلّم على هذه الأعواد.

فبينا زياد يتكلم على المنبر، إذ قبض على إصبعه ثم صاح: يدي. وسقط عن المنبر مغشياً عليه، فأُدخل القصر، وقد طعن في خنصره اليمنى. فأحضر الطبيب، وقال له: اقطع يدي. قال: أخبرني عن الوجع الذي تجده في يدك أو في قلبك. قال: في قلبي. قال: فعش سوياً.

فلما نزل به الموت كتب إلى معاوية إني كتبت وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[3]. . . .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) مروج الذهب ٣: ٢٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٥، والنقل بتصرف يسير.

مصير جبابرة الكوفة وأمرائها

وفي (تاريخ الطبري) قال أبو مخنف: لما قتل يوسف بن عمر زيد بن علي أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر. فقال: يا أهل المدرة الخبيثة إني والله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنان، ولا أخوّف بالذئب. هيهات حبيت بالساعد الأشد. أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم. أمَ والله ما علوت منبري إلا أسمعتكم ما تكرهون عليه. فإنكم أهل بغي وخلاف، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله إلا حكيم بن شريك المحاربي، ولقد سألت الخليفة أن يأذن لي فيكم. ولو أذن لقتلت مقاتلتكم، وسبيت ذراريكم[١].

هذا وقال الخوئي: قال أبو الحسن الكيذري في شرحه: فمن الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل؛ زياد. أصابه الفالج، وابنه عبيد الله أصابه الجذام، والحجّاج قد تولّدت الحيات في بطنه حتى مات، وعمر بن هبيرة، وابنه يوسف، وقد أصابهما البرص، وخالد القسري، وقد حبس حتى مات جوعاً.

وأما الذين رماهم الله بقاتل. فعبيد الله، ومصعب، وأبو السرايا قتلوا جميعاً، ويزيد بن المهلّب قتل على أسوء حال - إلى أن قال - وزاد ابن ميثم عليهم المختار، ولا وجه لعدّه في الجبابرة[٢].

قلت: العجب منهم جميعاً فإنهم عن التاريخ ومعرفة الرجال بمعزل. فقول الأولين عمر بن هبيرة، وابنه يوسف، وتقرير الأخير لهم مضحك. فإنّ يوسف الذي أراد سوءًا بالكوفة كما عرفت ممّا نقلنا من الطبري لم يكن ابن عمر بن هبيرة الفزاري بل ابن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ابن ابن عم الحجّاج فهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بل لم يكن لعمر بن هبيرة ابن مسمى بيوسف بل بيزيد ولي العراقين لمروان بن محمد كما وليهما أبوه ليزيد بن عبد الملك. مات عمر بن هبيرة بالشام، وقتل يزيد غدراً من المنصور بعد أمانه له، وإصابتهما بالبرص غير معلومة. فعنون معارف ابن قتيبة الأبرصين من الأشراف، ولم يذكرهما فيهم[٣]. كما أنّ قولهم بموت خالد القسري جوعاً في الحبس غلط. فلم يقل ذلك أحد بل عذّب حتى مات.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٠٧، سنة ١٢٣.

(٢) هكذا في شرح الخوئي ٢: ٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ١٢٥، وشرح الكيذري ١: ٣٤١، لكن ذكر الكيذري أيضاً المختار.

(٣) المعارف: ٥٨٠.

قال الطبري: قال يوسف بن عمر للوليد بن يزيد أنا أشتري منك خالداً بخمسين ألف ألف. فأرسل الوليد إلى خالد إن كنت تضمن ما قال، وإلا دفعتك إليه، فقال: ما عهدت العرب تباع - ورفع عوداً - وقال: والله ما أضمن هذا، فدفعه إلى يوسف، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحّفه بأخرى، وحمله في محمل بغير وطاء - إلى أن قال - وعذّبه عذاباً شديداً. فمكث يوماً في العذاب ثم وضع على صدره المضربة فقتله من الليل، ودفن في عباءته التي كان فيها[١].

موت زياد وابنه عبيد الله

كما أنّ قولهم بموت زياد بالفالج أيضاً خطأ بل ابتلي بطاعونة وآكلة كما عرفته من (تاريخ اليعقوبي وغيره)، وقال الطبري: خرجت طاعونة على إصبع زياد فأرسل إلى شريح يستشيره في قطع يده. فقال: لا تفعل فإن عشت صرت أجذم وإن هلكت كنت جانياً على نفسك. فقال: أنام والطاعون في لحاف فعزم أن يفعل. فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع فتركه[٢].

كما أنّ قولهم: إنّ عبيد الله أصابه الجذام لم أقف على من ذكره، فعنون (معارف ابن قتيبة) جذامى الأشراف، ولم يذكره فيهم[٣]، وببالي أنّي رأيت - ولم أذكر موضعه - أنه أصاب فخذه قطرة من دم رأس الحسين عليه السلام فثقبه، وتعفّن فكان يستعمل المسك، وبه عرفه إبراهيم بن الأشتر.

ففي (تاريخ الطبري): لما قتل إبراهيم عبيد الله قال لأصحابه: قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك فالتمسوه[٤]. . . .

كما أنّ قولهم: ويزيد بن المهلب قتل على أسوأ حال؛ غلط. فإنه خرج على يزيد بن عبد الملك، ومع انهزام أصحابه ثبت وقاتل حتى قتل. وقد عدّوه في أباة الضيم، وقال الشاعر فيه: [البحر الكامل]

إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن ... عاراً عليك ورب قتلٍ عَارُ

وأكثر ولايته أيام الحجاج، وأيام سليمان كان على خراسان لا الكوفة، وإنما خرج بالبصرة. فتركه أهلها وانهزموا عنه. فقال: اضربوا وجوه من ينهزم. ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه. فقال: دعوهم ترحهم الله! غنم عدا في نواحيها الذئب.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٦٢، سنة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢١٥، سنة ٥٣، والنقل بتصرف يسير.
(٣) المعارف: ٥٨٤. (٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٥، سنة ٦٧، والنقل بتلخيص.

في المختار

كما أنّ اقتصار الخوئي في إنكاره على ابن ميثم عدّ المختار في الجبابرة غلط، بل عدّه في أصل من أراد سوءً بالكوفة خطأ، فإنه إنما تتبّع قتلة الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، وكيف وأنصاره شيعة الكوفة.

كما أنّ مصعباً لم يرد سوءًا بالكوفة، بل قتل أصحاب المختار، وخذله أهل الكوفة في حربه مع عبد الملك، وغدروا به.

ومن المضحك عدّهم أبا السرايا فيهم، فهل كان أصحابه إلا أهل الكوفة.

أبو السرايا

ففي (مقاتل أبي الفرج): خرج مع أبي السرايا أكثر أهل الكوفة زهاء مئتي ألف وأكثر. . .، وإنما كاد جيش العباسيين أصحابه من أهل الكوفة فلامهم على ذلك كما كاد جيش معاوية أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الكوفة فلامهم عليه السلام [1].

ففي (المقاتل): بعث أبو السرايا عليّ بن محمد بن جعفر المعروف بالبصري في جيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائه. فمضى لوجهه ولم يشعر هرثمة حتى قرب منه فصاح هرثمة يا أهل الكوفة علامَ تسفكون دماءنا ودماءكم - إلى أن قال -، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس. فانصبوا إمامكم واتفقوا معنا نتناظر فيه، فامتنع أهل الكوفة عن القتال، وقالوا: لا يحلّ لنا قتالهم، فغضب أبو السرايا. فقال: يا أهل الكوفة! يا قتلة عليّ عليه السلام. وخذلة الحسين عليه السلام! إنّ المغترَّ بكم لمغرور، وإنّ المعتمد على نصركم لمخذول، وإنّ الذليل لمن أعززتموه، والله ما حمد عليّ عليه السلام أمركم في حمده، ولا رضي مذهبكم في رضاه، ولقد حكمكم فحكمتم عليه، وائتمنكم فخنتم أمانته، ووثق بكم فحلتم عن ثقته ثم لم تنفكّوا عليه مختلفين[2]. . . .

فإن أرادوا به هذا فهو كما ترى إنما لامهم بمعاملتهم مع أمير المؤمنين عليه السلام ما عاملوه به، وأيُّ ربط لذلك بما قالوا، وقد شكا من أهل الكوفة كلّ برّ وفاجر.

من عذيري من أهل الكوفة؟

قال البلاذري: إن عمر استعمل على أهل الكوفة سعداً. فشكوه بأنّه لا يحسن

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦٦ والنقل بالمعنى.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٦٣، والنقل بتصرف يسير.

الصلاة. فاستعمل عليهم عمّاراً. فشكوه بأنه ضعيف لا علم له بالسياسة، فقال: من عذيري من أهل الكوفة؟! إن استعملت عليهم القويّ فجّروه، وإن ولّيت عليهم الضعيف حقّروه، ثم دعا المغيرة. فقال: إن ولّيتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت به؟ فقال: لا[١]. . . .

ومراد عمر بقول للمغيرة: «أتعود إلى شيء مما قرفت به؟» زناه بالبصرة حتى عزله عنها. فاستعمله على الكوفة كما أسقط الحدّ عنه. فصار سخرية بين الناس في قولهم: غضب الله عليك كما غضب عمر على المغيرة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة كما مرّ في سابقه[٢].

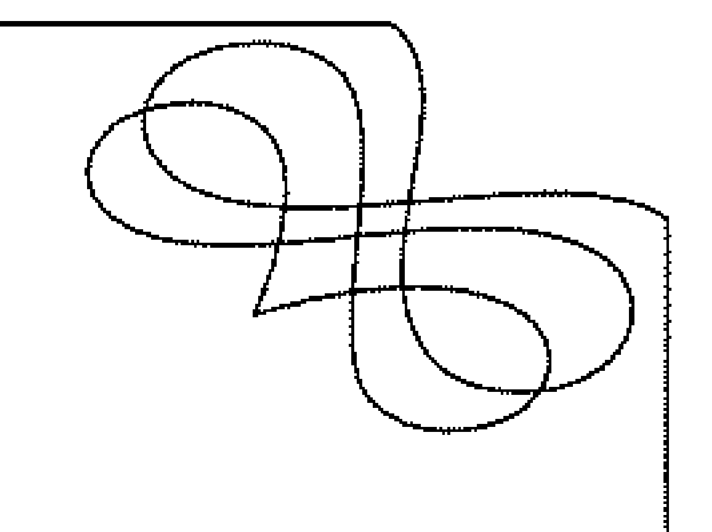
وبالجملة، فكلامهم في غاية السقوط. فإنّ مراده عليه السلام من أراد سوءًا بالكوفة من حيث كونها معدن الشيعة والمحقق من المنخرط في العنوان زياد وكذا منصور كما عرفتهما من (ابن أبي الحديد) ويوسف بن عمر بن محمّد الثقفي الذي ذكرناه، وفي (٦٦) من بابا الكتب في كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة واصفاً لهم بجبهة الأنصار، وسنام العرب.

إلزموا منازلكم وابقوا على أنفسكم

هذا، وفي (تاريخ الطبري): أنّ أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم، وتظلّموا على أميرهم، وتكلّموا كلاماً فيه طعن على سلطانهم فرفع ذلك إلى المنصور. فقال للربيع: اخرج إلى من بالباب من أهل الكوفة فقل لهم إن الخليفة يقول لكم: لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلقنّ رؤوسهما ولحاهما، ولأضربن ظهورهما. فالزموا منازلكم، وأبقوا على أنفسكم. فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة. فقال له ابن عيّاش: يا شبه عيسى بن مريم - وكان الربيع لم يعرف له أب - أبلغ الخليفة عنّا كما أبلغتنا عنه. فقل له: والله ما لنا بالضرب طاقة فأما حلق اللحى. فإذا شئت - وكان ابن عيّاش منتوفاً - فأبلغه فضحك وقال: قاتله الله ما أدهاه وأخبثه[٣].

---

(١) فتوح البلدان: ٢٧٧ - ٢٧٨.
(٢) رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢١٦، وقد مر في العنوان ١١ من هذا الفصل.
(٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٢٢، سنة ١٥٨، والنقل بتصرف يسير.



الإمام ينذر أهل الكوفة بحكومة معاوية عليهم

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه: أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكاةٌ، وَلَكُمْ نَجاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ. الخطبة (٥٧)

ظهور أهل باطلها على أهل حقها

قوله عليه السلام: «أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل» وذلك عقوبة تركهم له واتّباعهم معاوية أخيراً كتركهم له واتباعهم أبا بكر أولاً. روى نصر بن مزاحم في (صفينه) عن أبي سنان الأسلمي قال: خطب عليّ عليه السلام أصحابه – إلى أن قال – وأيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيّها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. قال أبو سنان: أشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول للناس: أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأمة لم تستقم عليه أولاً، وإنها لن تستقيم عليه آخراً. ثم تفرّق الناس وقد نفذت أبصارهم في قتال عدوّهم(١).

وفي (مقاتل أبي الفرج) قال الشعبي: خطب معاوية حين بويع له. فقال: «ما اختلفت أمّة بعد نبيّها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها» ثم إنّه انتبه فندم. فقال: إلا هذه الأمّة فإنّها وإنّها(٢).

وعد الله للصابرين

وفي ابن أبي الحديد روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هاني المرادي عن زياد بن فلان المرادي قال: كنّا في بيت عليّ عليه السلام نحن وشيعته وخواصّه، فالتفت فلم ينكر منا أحداً. فقال: إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال

(١) وقعة صفين: ٢٢٤. (٢) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

رجل منّا: وأنت حي يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك، فالتفت فإذا واحد يبكي. فقال له: يا بن الحمقاء! أتريد اللذات في الدنيا والدرجات في الآخرة؟! إنما وعد الله الصابرين[١].

«**رحبُ البلعوم**» أي: وساع الحلق. قال الوليد بن عقبة معرضاً بمعاوية: **[البحر الطويل]**

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد بها أبداً ما دام فيها الْجَراضِمُ

بصير بما في الطبل بالبقل عالم حزون لما التفّت عليه اللّهازِمُ

بطن معاوية

«**مندحق البطن**» في (الجمهرة): ناقة داحق وهي التي يخرج رحمها بعد النتاج[٢].

قالوا: كان معاوية إذا جلس يقعد بطنه على فخذيه.

وفي (المروج): قال معاوية يوماً وعنده وجوه الناس - الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي. فقال صعصعة: **[البحر المتقارب]**

تمنّيك نفسك ما لا يكون جهلاً معاوي لا تَأْثَمِ

فقال معاوية: يا صعصعة: تعلّمت الكلام. قال: العلم بالتعلّم، ومن لا يعلم يجهل، قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك. قال: ليس ذلك بيدك بل بيد الذي لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها. قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه. قال معاوية: اتسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال: اتسع بطن من لا يشبع، ودعا عليه لا يجمع»[٣].

لا أشبع الله بطنه

«**يأكل ما يجد**» روى (صفين نصر بن مزاحم) عن بليد بن سليمان، عن الأعمش، عن عليّ بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا لو مررنا برجل قد شهد النبيّ ﷺ وعاينه. فأتينا عبد الله بن عمر. فقلنا يا صاحب النبيّ ﷺ حدّثنا ما شهدت. قال: رأيت النبيّ ﷺ أرسل إلى هذا - يعني معاوية - يدعوه وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول. فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. فهل ترونه يشبع[٤]...، وضرب به المثل في ذلك. قال الشاعر: **[مجزوء البحر الرجز]**

وصاحب لي بطنه كالهاويهْ كأنّ في أحشائه مُعَاوِيَهْ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٣.
(٢) جمهرة اللغة ٣: ٤٤٥.
(٣) مروج الذهب ٣: ٤٣.
(٤) وقعة صفين: ٢٢٠، والنقل بتقطيع.

حكايات بعض الأكولين

هذا، ومن الأكولين: ميسرة الرأس، والفيل. استدعاهما المهدي العباسي وجعل يرمي لكلّ واحد منهما رغيفاً. فامتنع الفيل من تمام المئة، وأكل ميسرة تمام المئة وزاد عليها.

ومنهم أبو السرايا فكان - كما في (المقاتل) - يؤتى بمكوكي شعير فيطرح أحدهما بين يديه، والأخرى بين يدي فرسه، فيستوفي الشعير قبل فرسه[1].

ومنهم العلّاف أبو أبي بكر بن العلّاف. ركب إلى الوزير المهلبي على حمار. فأمر الوزير أن يؤخذ حماره، ويذبح فيطبخ بماء وملح. ثم قدّم له على مائدة الوزير فأكل وهو لا يظنّه، ويستطيبه حتى أتى عليه. فلما خرج ليركب طلب الحمار. فقيل له: حمارك في جوفك.

«**ويطلب ما لا يجد**» قالوا كان معاوية يأكل فيكثر. ثم يقول: ارفعوا فوالله ما شبعت، ولكن مللت[2].

بين معاوية وأبي ذر الغفاري

وفي (سفيانية الجاحظ) قال معاوية لأبي ذر: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع - وكان أبو ذر يأتي كلّ يوم باب دار معاوية ويصرخ «آتتكم القطار. تحمل النار. اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له» - فقال أبو ذر: ما أنا بعدوّ لله ولرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا عليك مرّات أن لا تشبع. سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع. فلتأخذ الأمّة حذرها منه».

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول - وقد مررت به - «اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب» وسمعته صلى الله عليه وآله: يقول: «است معاوية في النار» فضحك معاوية وأمر بحبسه[3].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦٨.

(٢) روى هذا المضمون الطبري في تاريخ ٨: ١٨٦، سنة ٢٨٤.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥٦، شرح الخطبة ١٣١.

ماذا قال الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية؟!

وفي (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط. فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين. فقال: عليك السلام يا سفيان. انزل. فنزلت. فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه. فقال: كيف قلت يا سفيان؟ فقلت: السلام عليك يا مذلّ رقاب المؤمنين. فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟ فقلت: «أنت والله بأبي أنت وأمي أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك ماءَة ألف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس».

فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإني سمعت عليّاً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية، وإني عرفت أنّ الله بالغ أمره»[1].

هكذا وجدت والظاهر وقوع تحريف، وأنّ الأصل «في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر».

ماذا قال النبي ﷺ في معاوية؟!

وروى نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد النبيّ ﷺ والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله. فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد. فقال النبيّ ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع. ربَّ يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاه قالوا: يعني العجز الكبير[2].

ومن الخبرين يظهر وصف معاوية بذي الأستاه، وواسع السرم كوصفه برحب البلعوم وضخمه.

«**فاقتلوه ولن تقتلوه**» وكيف كانوا يقتلونه بأمره عليه السلام ،وقد جحدوا إمامته علانية، وقد كان النبيّ ﷺ أمرهم بقتله قبله عليه السلام: ولم يمتثلوه مع إقرارهم بنبوّته ظاهراً.

وروى نصر بن مزاحم في (صفينه) عن ابن مسعود قال: قال النبيّ ﷺ إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه. قال الحسن: فما فعلوا، ولا أفلحوا.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٤.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٣، شرح الخطبة ٥٧.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. قال أبو سعيد: فلم نفعل، ولم نفلح[١].

ثم الغريب أنهم لم يقتصروا على عدم امتثال أمر نبيّهم صلى الله عليه وآله بل حرّفوا كلامه وجعلوه مدحاً له. فنقله الخطيب الناصبي في عنوانه محمّد بن إسحاق بن مهران هكذا: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون[٢] - فتراه حرّف وزاد تصحيحاً لتحريفه.

وروى (الثقفي في غاراته) عن الأعمش عن أنس بن مالك قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول «سيظهر على الناس رجل من أمّتي عظيم السرم، واسع البلعوم يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثقلين يطلب الأمارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه» وكان في يد النبيّ صلى الله عليه وآله قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية[٣].

«ألا وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة مني» قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: كان معاوية يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك. فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه به عذاباً أليماً - وكتب بذلك إلى الآفاق. فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

عاد الضمير إلى معاوية بالقصد

قال: وروي أنّ قوماً من أميّة قالوا لمعاوية: إنك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً، وأمر المغيرة - وكان أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس. فيلعن علياً عليه السلام فأبى ذلك. فتوعده فقال: أيها الناس! إن أميركم أمرني أن ألعن علياً. فالعنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله. فأعاد الضمير إلى المغيرة بالقصد[٤].

في مقتل حجر بن عدي

وفي (تاريخ الطبري): في مقتل حجر بن عدي في سنة (٥١) لما ولى معاوية المغيرة الكوفة قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة وأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة. لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه، والترحّم

(١) وقعة صفين: ٢١٦. (٢) تاريخ بغداد ١: ٢٥٩.
(٣) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٢ لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٦، والنقل بتقطيع.

على عثمان والعيب على أصحاب عليّ وإقصائهم وإطراء شيعة عثمان وإدنائهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجرّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع، ولا رفع، ولا وضع فستبلو - إلى أن قال - وأقام على الكوفة سبع سنين وأشهراً وهو من أحسن شيء سيرة غير أنّه لا يدع ذمّ عليّ عليه السلام والوقوع فيه والدعاء لعثمان والتزكية لأصحابه. فكان حجر إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّم الله ولعن - ثم يقوم ويقول - إن الله تعالى يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾[1] وأنا أشهد أنّ من تذمّون لأحقّ بالفضل، ومن تزكّون أولى بالذم - إلى أن قال.

حتى كان في آخر إمارته فقام وقال في عليّ وعثمان كما كان يقول: فقام حجر فنعر نعرة سمعها من كان خارجاً وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هرمك - إلى أن قال -:

فقالوا للمغيرة: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له. فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته إنه سيأتي أمير بعدي فيحبسه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة. إنه قد اقترب أجلي ولا أحبّ أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم. فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدنيا معاوية، ويذلّ يوم القيامة المغيرة[2]....

السبّابون لعلي عليه السلام ومخازيهم

وفي (العقد): سبّ معاوية عليّاً عليه السلام على المنبر، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا فكتبت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى معاوية: إنكم تسبّون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تسبون عليّاً ومن أحبّه وأنا أشهد أن الله تعالى أحبّه ورسوله[3].

وتبع المروانيون غير عمر بن عبد العزيز منهم معاوية في الأمر بسبّه عليه السلام والبراءة منه لتشييد ملكهم.

قال ابن أبي الحديد: وروى أهل السيرة أنّ الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليّاً عليه السلام فقال: «لعنه الله - بالجر - كان لصّ ابن لصّ. فعجب الناس من لحنه في ما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته عليّاً عليه السلام إلى اللصوصية.

قال وذكر (المبرد في الكامل): أنّ خالداً القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام كان يقول على المنبر (اللهمّ العن عليّاً بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر النبي على ابنته، وأبا الحسن والحسين» ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ سنة ٥١، والنقل بتلخيص.
(٣) العقد الفريد ٥: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

قال: وذكر الجاحظ أنّ هشاماً لما حجّ خطب بالموسم. فقام إليه إنسان فقال: إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب. فقال: اكفف فما لهذا جئنا[١].

وفي (المعجم) في عنوان المدائني: أمر المأمون أحمد بن يوسف بإدخالي عليه. فلما دخلت ذكر علياً عليه السلام فحدّثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بني أميّة له. فقلت: حدّثني أبو سلمة المثنى الأنصاري قال قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمي عليّاً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنما أسمع معاوية، ويزيد والوليد. فمررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته. فقال: يا حسن اسقه. فقلت له: أسمّيْت حسناً. فقال: أي والله إنّ لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين، وجعفر، فإن أهل الشام يسمّون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه وإنما سمّيت أولادي، بأسماء أعداء الله. فإذا لعنت إنما ألعن أعداء الله. فقلت له: ظننتك خير أهل الشام وإذا جهنّم فيها شرّ منك. فقال المأمون: لا جرم قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء منهم يعني الشيعة[٢].

وفي (نقض الإسكافي): كان دعيّ لبني أمية يقال له: خالد بن عبد الله لا يزال يشتم عليّاً عليه السلام فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال: والله إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله ليستعمله وإنه ليعلم ما هو، ولكنّه كان ختنه، وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه ثم قال: ويحكم ما قال هذا الخبيث؟ رأيت القبر انصدع والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: كذبت يا عدوّ الله.

وفيه: أقبل بالمدينة رجل على بعير فوقف فسبّ عليّاً عليه السلام فحفّ به الناس ينظرون إليه، فبينا هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال: اللهمّ إن كان سبّ عبداً لك صالحاً فأر المسلمين خزيه. فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقّ عنقه[٣].

وفي (الأغاني): دخل فراس بن جعدة بن هبيرة على خالد القسري وبين يديه نبق. فقال له: العن عليّاً ولك بكلّ نبقة دينار، ورأى يوماً عكرمة مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامة سوداء. فقال: إنّه بلغني أنّ هذا العبد يشبه عليّاً وإني لأرجو أن يسوّد الله وجهه كما سوّد وجه ذاك، وقال ابن شهاب: قال لي خالد القسري أكتب لي السيرة فقلت له: فإنه يمرّ بي الشيء من سير عليّ فأذكره؟ فقال: لا. إلا أن تراه في قعر الجحيم. قال: لعن الله خالداً، ومن ولّاه وقبّحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٦، وكامل المبرد ٦: ٧٦، والنقل بتصرف.
(٢) معجم الأدباء ١٤: ١٢٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) رواه عن النقض ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٩، شرح الخطبة ١٩٠.
(٤) الأغاني ٢٢: ١٥ و ١٦ و ١٨.

وفي ابن أبي الحديد: روى الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن بن سائب قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هاني وهو رجل من بني أود شهد معه مشاهده: والله ما كافأتك بعد ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيّد بني فزارة أن زوّج بنتك من عبدالله. فقال: لا والله. فدعا له بالسياط. فقال: نعم ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني أنّ زوّج ابنتك من عبدالله. فقال: لا والله. فدعا بالسيف فزوّجه.

فقال له الحجّاج: قد زوّجتك بنت سيد فزارة، وبنت سيد همدان، وما أود هناك. فقال: إنّ لنا مناقب ليس لأحد من العرب. قال: وما هي؟ قال: ما سبّ عبد الملك في نادٍ لنا قط، ومنّا نسوة نذرن إن قتل الحسين أن ينحر كلّ واحد عشرة قلائص، وما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب إلا فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأُمهما فاطمة.

وكان الحجاج يقول له كل مرة: منقبة والله. فقال: وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة ما لنا. فضحك الحجاج وقال: أمّا هذه فدعها. وكان دميماً مجدوراً، في رأسه عجر، مائل الشدق، أحول[1]؟

«**أمّا**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فأمّا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

سبّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة

«**السبّ فسبُّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة**» قال ابن أبي الحديد: الزكاة النماء، والزيادة، ومعنى كون السبّ زكاة له عليه السلام إمّا ما ورد في الخبر أنّ سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته، وإمّا أنّ سبّهم لي لا ينقص قدري بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدر وشياع ذكر، وهكذا كان. فإن الله تعالى جعل الأسباب التي حاولت أعداؤه بها الغضّ منه عللاً لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها[3].

كلّما سبُّوه عليه السلام زاد إلى القلوب قرباً

وفي (الإرشاد): ومن آياته وبيناته التي انفرد بها ممن عداه؛ ظهور مناقبه في الخاصة والعامة، وتسخير الجمهور لنقل فضائله، وما خصّه الله به من كرائمه وتسليم العدوّ من ذلك بما فيه الحجّة عليه. هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له، وتوفر أسباب دواعيهم

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٧، شرح الخطبة ٥٧، والنقل بتصرف يسير.
(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٥٥، وشرح ابن ميثم ٢: ١٤٩ أيضاً نحو المصرية.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٣ - ٣٧٤، والنقل بتصرف يسير.

إلى كتمان فضله، وجحد حقه، وكون الدنيا في يد خصومه، وانحرافها عن أوليائه، وما اتفق لأضداده من سلطان الدنيا، وحمل الجمهور على إطفاء نوره ودحض أمره. فخرق الله العادة بنشر فضائله، وظهور مناقبه، وبتسخير الكلّ للاعتراف بذلك، والإقرار بصحته، واندحاض ما احتال به أعداؤه في كتمان مناقبه، وجحد حقوقه، حتى تمّت الحجّة، وظهر البرهان بحقّه.

ولما كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه في من اتّفق له من أسباب خمول أمره ما اتّفق لأمير المؤمنين عليه السلام فانخرقت العادة فيه، دلّ ذلك على بينونته من الكافة بباهر الآية على ما وصفناه.

وقد شاع الخبر عن الشعبي أنه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبّون عليّاً عليه السلام على منابرهم وكأنما يشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم، وكأنّما يكشفون عن جيفة.

وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: عليكم بالدين فإن لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً، فهدمه الدين. ما زلت أسمع أهلنا يسبّون عليّاً، ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه فلا يزيده ذلك من القلوب إلا قرباً، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق. فلا يزيدهم من القلوب إلا بعداً - إلى أن قال -:

وكانت الولاة الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير، بل تضرب الرقاب على ذلك وتعرض الناس على البراءة منه، والعادة جارية في من اتفق له ذلك ألا يُذكر على وجه بخير، فضلاً عن أن تذكر له فضائل، وإذا كان ظهور فضائله على ما قدّمنا ذكره من شياع ذلك في الخاصة والعامة، وتسخير العدوّ، والولي لنقله، ثبت خرق العادة فيه، وبان وجه البرهان في معناه بالآية الباهرة.

ثم أمره عليه السلام أصحابه بسبّه عند أمر الجبابرة لهم بذلك لكونه زكاة له عليه السلام ونجاة لهم أمر إباحة لاستثنائه من الحظر. لا أمر إيجاب، وكان يجوز لهم الاستسلام للهلكة وتركه بل هو أحسن وكونه أرفع درجة(١).

رجال لم يسبّوا عليّاً فقتلوا

وروى الكشي عن الباقر عليه السلام أنّ الحجّاج قال ليحيى ابن أمّ الطويل: العن أبا تراب. فأبى. فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله(٢).

---

(١) الإرشاد: ٦١٣، والنقل بتصرف يسير.
(٢) اختيار معرفة الرجال ١٢٣ ح ١٩٥، والنقل بالمعنى.

وروي ذيل الطبري أنّ الحجاج كتب إلى محمد بن القاسم الثقفي. أن ادعُ عطية فإن لعن علياً وإلا فاضربه(١).

وروى الطبري في صيفي بن فسيل - من رؤوس أصحاب حجر بن عدي - أن زياداً قال له: يا عدو الله ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به. قال: ما أعرفه. قال: أما تعرف علياً بن أبي طالب؟ قال: بلى. قال: فذاك أبو تراب. قال: كلا ذاك أبو الحسن وأبو الحسين عليه السلام. فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا. قال له: إن كذب الأمير أتريد أن أكذب، وأشهد له على باطل كما شهد. قال زياد: عليّ بالعصا. فأُتي بها قال: ما قولك فيه؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض. فضرب حتى لزم الأرض. ثم قال: أقلعوا عنه. إيه ما قولك في عليّ؟ قال: والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعت مني. قال: لتلعننّه أو لأضربن عنقك. قال: إذن تضربها والله قبل ذلك(٢)....

ورجال استعملوا التورية في لعن علي عليه السلام خوفاً من القتل

ثم مع جوازه يجب عليه التورية إن أمكنه ذلك، روى الكشي أن معاوية قال لصعصعة بن صوحان: اصعد المنبر والعن علياً. فصعده وقال: أيها الناس! إن معاوية أمرني أن ألعن علياً بن أبي طالب. فالعنوه فضجّوا بآمين. فلما خبر معاوية قال: لا والله ما عنى غيري. أخرجوه لا يساكنني في بلد. فأخرجوه(٣).

وروى (العقد) عن الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد، فجعلوا يقولون له: العن الكاذبين علياً بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. فقال: لعن الله الكاذبين - ثم قال - عليّ بن أبي طالب - إلى أن قال - فعرفت حين سكت ثم ابتدأ فرفع أنّه ليس يريدهم(٤).

دعه فستكفى

هذا، وروى (الكافي): أن أبا الصباح الكناني قال للصادق عليه السلام: إنّ لنا جاراً يجلس إلينا، فنذكر فضل عليّ عليه السلام فيقع فيه. أفتأذن لي فيه. فقال عليه السلام: دعه فستكفى. فلما

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٢٨. (٢) تاريخ الطبري ٤: ١٩٨، سنة ٥١.
(٣) اختيار معرفة الرجال: ٦٨ ح ١٢٣، والنقل بتقطيع.
(٤) العقد الفريد ٥: ٢٦٩.

رجعت إلى الكوفة قيل لي بعد ثمانية عشر يوماً أنّ الرجل أُيقِظَ فإذا هو مثل الزق المنفوخ ميّتاً فذهبوا يحملونه. فإذا لحمه يسقط عن عظمه. فجمعوه في نطع فإذا تحته أسود[١].

هل تجوز البراءة من علي عليه السلام ؟

«**وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا مني**» قال ابن أبي الحديد: لا فرق عند أصحابنا بين السبّ والتبرّي في جواز فعلهما مع التقية، وتركهما إعزازاً للدين، وإنما استفحش عليه السلام البراءة لأنّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن إلا عن المشركين مثل قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] فصارت الكلمة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة، وأما الإمامية فتروي عنه عليه السلام أنه قال: إذا عرضتم على البراءة منّا فمدّوا الأعناق. ويقولون: لا يجوز التبرّي منه إن كان الحالف صادقاً وإنّ عليه الكفارة ويقولون: إنّ حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله ومن أحد الأئمة عليهم السلام واحد، ويقولون: إنّ الإكراه على السبّ يبيح إظهاره، ولا يجوز الاستسلام للقتل معه، وأمّا الإكراه على البراءة فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل، ويجوز إظهار التبري، والأولى الاستسلام[٣].

قلت: كلامه كله خلط وخبط. أما قوله صارت كلمة البراءة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة فجزاف، فأيّ دلالة للآية على ما قال بعد التصريح فيها بأنّ الله ورسوله بري من المشكرين.

وأما قوله فتروي الإمامية عنه عليه السلام «إذا عرضتم على البراءة منّا فمدوا الأعناق» فبهتان. فالأصل في الرواية العامة وتبعهم المصنّف وقبله شيخه المفيد غفلة فقال في (إرشاده) ما استفاض عنه عليه السلام من قوله: «إنكم ستعرضون من بعدي على سبّي فسبّوني فإن عُرضت عليكم البراءة منّي فلا تبرأوا مني فإني ولدت على الإسلام فمن عرض عليه البراءة منّي فليمدد عنقه. فمن تبرأ مني فلا دنيا له ولا آخرة»[٤] وأما الإمامية فرووا تكذيب ما نسبوا إليه من أنه عليه السلام قال لا تتبرأوا منّي.

روى الكليني في (باب تقية كافيه)، والحميري في (قرب إسناده) عن مسعدة بن صدقة

(١) أخرجه السروي في مناقبه ٤: ٢٣٩، ولم يوجد في الكافي والنقل بتصرف يسير.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٤ - ٣٧٥، والنقل بتصرف في اللفظ.
(٤) الإرشاد: ١٦٩.

أنه قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إن الناس يروون أنّ علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة: «أيها الناس إنّكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني ثم تدعون إلى البراءة مني فلا تتبرأوا منّي». فقال: ما أكثر ما يكذب الناس على عليّ عليه السلام. إنما قال: «إنكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني ثم ستدعون إلى البراءة مني وإني لعلى دين محمد» ولم يقل «ولا تتبرأوا مني». فقال له السائل: أرأيت إن اختار القتل دون البراءة. فقال: والله ما ذلك عليه، وما له إلا ما مضى عليه عمّار حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان. فأنزل الله فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1] فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله عندها: يا عمّار إن عادوا فَعُدْ فقد أنزل الله تعالى عذرك[2].

وروى إبراهيم الثقفي في (غاراته) – وقد نقله ابن أبي الحديد نفسه – عن يوسف بن كليب المسعودي، عن يحيى بن سليمان العبدي، عن أبي مريم الأنصاري عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: خطب عليّ عليه السلام على منبر الكوفة. فقال: «سيعرض عليكم سبّي فسبّوني وستذبحون عليه فإن عرض عليكم سبّي فسبّوني، وإن عرض عليكم البراءة مني فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله» ولم يقل فلا تبرأوا مني.

وعن أحمد بن المفضل عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: والله لتذبحنّ على سبّي – وأشار بيده إلى حلقه – ثم قال «فإن أمروكم بسبّي فسبّوني، وإن أمروكم أن تبرأوا مني فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله» ولم ينههم عن إظهار البراءة[3]. فهذه ثلاثة أخبار: خبران عن الصادق عليه السلام وخبر عن الباقر عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينههم عن إظهار البراءة، وإن نسبة النهي إليه عليه السلام من العامة.

وبالجملة، المحقق من الفرق بين السبّ والبراءة أنه عليه السلام في السب قال «فسبّوني»، وأما في البراءة فلم يقل «فتبرأوا منّي» وإنما اقتصر على قوله عليه السلام «فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله» فتوهموا أنه نهى فدفع عترته عليهم السلام التوهم بأنه اقتصر على ذاك، وهو أعم من النهي وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال له «الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي»[4].

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٠٦.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٢١٩ ح ١٠، والحميري في قرب الإسناد: ٨.

(٣) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٢، شرح الخطبة ٥٧، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

(٤) أخرجه في ضمن حديث الثقفي في المعرفة عنه أعلام الورى: ١٨٦، وابن المغازلي في مناقبه: ٢٣٧ ح ٢٨٥، والصدوق في أماليه: ٨٦ح ١، المجلس ٢١، والكراجكي في كنز الفوائد: ٢٨١ وغيرهم.

ووجه تفريقه عليه السلام أنّ من يأمرهم بالسبّ يأمرهم لهوى نفسه فلا يقبل جوابه، وأما من يأمرهم بالتبرّي فإنما يأمرهم بالتبرّي منه عليه السلام أي من دينه. فعلّمهم عليه السلام كيف يجيبونهم بأنّ دين عليّ عليه السلام دين محمّد صلى الله عليه وآله وهم كانوا في الظاهر مقرّين به ولا يمكنهم إنكاره.

روى الطبري أنّ شرطة معاوية لما قتلو حجراً مع خمسة من أصحابه لعدم قبولهم التبرّي قال عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بنا إلى معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا بهما إليه فقال الخثعمي له: الله الله يا معاوية فإنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ثم مسؤول عمّا أردت بقتلنا، وفيم سفكت دماءنا. فقال له معاوية: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك أتبرأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به(١).

وفي (الإرشاد): روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجاج قال لقنبر: ابرأ من دين عليّ. قال: فإذا برئت من دينه تدلّني على دين أفضل من دينه. قال: إنّي قاتلك. فقال له: إنه عليه السلام أخبرني أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق. فأمر به فذبح(٢).

وفي (كامل المبرد)، ومن شعر علي عليه السلام الذي لا اختلاف فيه أنه قاله وكان يردّده:

[مجزوء البحر الرجز]

يا شاهد الله عليّ فاشْهَدِ أنّي على دين النبيّ أحْمَدِ
من شك في الله فإنّي مُهْتَدِي(٣)

كتاب الحسين عليه السلام إلى معاوية

وفي كتاب الحسين عليه السلام إلى معاوية كما في (رجال الكشي وخلفاء القتيبي): أولست صاحب الحضرميّين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنهم كانوا على دين عليّ فكتبت إليه أن أقتل كلّ من كان على دين عليّ. فقتلهم، ومثّل بهم بأمرك، ودين عليّ والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك، وشرف أبيك الرحلتين(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٦، سنة ٥١.
(٢) الإرشاد: ١٧٣، والنقل بتصرف يسير.
(٣) كامل المبرد ٧: ١٠٩.
(٤) رواه الكشي في معرفة الرجال اختياره: ٥٠، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٨٠، والطبرسي الاحتجاج ٢: ٢٩٧.

عدي وأصحابه لما عُرِض عليهم البراءة من علي عليه السلام

وحجر بن عدي مع أصحابه كانوا أربعة عشر تبرّأ نصفهم وهم كريم بن عفيف، وعبد الله بن حوية، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمي، والأرقم بن عبدالله، وعتبة بن الأخنس، وسعد بن نمران، فنجوا، وأبى نصفهم فقتلوا، وهم حجر، وعبدالرحمن العنزي، وشريك بن شدّاد، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة، ومحرز بن شهاب، وكدام بن حيان.

وروى النسوي أنّ علياً عليه السلام قال: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأُخدود(١).

وفي (المروج): لما صار حجر وأصحابه إلى مرج عذراء - على اثني عشر ميلاً من دمشق - تقدم البريد بخبرهم إلى معاوية. فبعث برجل أعور. فلما أشرف عليهم قال رجل من أصحاب حجر: إن صدق الزجر فإنه يقتل منّا النصف، وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك؟ قال: أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه. فلما وصل إليهم قال لحجر إن الخليفة أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولي لأبي تراب إلا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم، وتبرأوا منه. فقال حجر وجماعة من أصحابه إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه، وأجاب نصفهم إلى البراءة منه عليه السلام. فلما قدّم حجر ليقتل قال دعوني أصلّي ركعتين. فجعل يطول في صلاته. فقيل له: أجزعاً من الموت. فقال: لا ولكنّي ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت وما صلّيت قط أخفّ من هذه، وكيف لا أجزع، وإني لأرى قبراً محفوراً وسيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، ثم قدّم فنحر، وأُلحق به من وافقه منهم(٢).

وفي (تاريخ الطبري): لما أرادوا قتل حجر قال لمن حضره، من أهله: لا تطلقوا عنّي حديداً، ولا تغسلوا عني دماً. فإني أُلاقي معاوية غداً على الجادة فكان محمد بن سيرين إذا سئل عن الشهيد هل يغسّل حدّثهم حديث حجر، وقال بلغنا أنّ معاوية لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت، ويقول يومي منك يا حجر طويل(٣).

وفيه قال معاوية لعبد الرحمن العنزي: ما قولك في عليّ قال: لا تسألني خير لك

(١) رواه عن تاريخ النسوي السروي في مناقبه ٢.
(٢) مروج الذهب ٣: ٤، والنقل بتصرف يسير.
(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٩٠، سنة ٥١.

قال: لا أدعك حتى تخبرني. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين لله كثيراً، ومن الآمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم، وأرتج أبواب الحقّ. فبعث معاوية به إلى زياد، وكتب إليه اقتله شرّ قتلة. فبعث به زياد إلى قسّ الناطف فدفن به حيّاً(١).

رشيد الهجري وميثم التمار

وممّن عرضت عليه البراءة فأبى وقتل رشيد الهجري، وميثم التمّار. روى الكشي عن قنواء بنت رشيد عن أبيها قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أميّة. فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قلت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد الدعيّ فدعاه إلى البراءة منه عليه السلام فأبى أن يبرأ(٢)....

وعن ميثم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني أمية ابن دعيّها عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك. قال: إذن والله يقتلك ويصلبك. قلت: أصبر فذاك في الله قليل(٣)....

وكيف يصحّ ما قاله من أنّ الإمامية تروي أنه لا يجوز التبرّي منه وقد روى الكليني في باب تقيته أنه قيل للباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أُخذا فقيل لهما: ابرءا من عليّ. فبرئ واحد منهما، وأبى الآخر. فخلّى سبيل الذي برئ. وقتل الآخر. فقال: أمّا الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنة.

وعن الصادق عليه السلام ما منع ميثم رحمه الله من التقية فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾(٤) ومرّ أنّ ميثماً دعي إلى البراءة.

هذا، وروى (ذيل الطبري): أن الحجاج قال للحسن البصري: ما تقول في أبي تراب؟ قال: وما عسى أن أقول إلا ما قال الله تعالى. قال: وما قال؟ قال: قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٦، سنة ٥١، والنقل بتلخيص.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ٧٥ ح ١٣١، والنقل بتلخيص.
(٣) اختيار معرفة الرجال: ٨٣، ١٣٩.
(٤) الكافي ٢: ٢٢٠ و ٢٢١ ح ١ و ٢١، ١٥. والآية ١٠٦ من سورة النحل.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾(١). وكان عليّ ممن هدى الله. فغضب، ثم أكبّ ينكت الأرض، وخرجت لم يعرض لي أحد، فتواريت تسع سنين حتى مات(٢).

وأما قوله: «ويقولون لا يجوز التبرّي منه إن كان الحالف صادقاً وإنّ عليه الكفارة...» فخلط منه، فإن كلامنا في الإكراه على التبرّي منه عليه السلام، وما ذكره أمر آخر، وهو عدم جواز الحلف بالبراءة لمن كان صادقاً، وهو لا يناسب هنا بل كلامه عليه السلام في إحلاف الظالم والمبطل بالبراءة من الله تعالى حتى يعجل تعالى منه الانتقام.

معنى قوله عليه السلام: فإني ولدت على الفطرة

«**فإنّي وُلدت على الفطرة**» قال ابن أبي الحديد: ولد عليه السلام لثلاثين من عام الفيل والنبيّ صلى الله عليه وآله بعث لأربعين منه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة ولادته عليه السلام: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة».

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام بالفطرة العصمة، وأنه عليه السلام منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين، ولا مخطئاً، ولا غالطاً في شيء من الأشياء المغلقة، وهذا تفسير الإمامية(٣) قلت: ورواه العامة أيضاً.

ففي (مسند أحمد بن حنبل) عن سلمان قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. فلما خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزئين: فجزء أنا وجزء عليّ(٤).

ورواه ابن المغازلي، وفي آخره بعد قوله «جزئين» «جزئ في صلب عبدالله، وجزء في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً وأخرج عليّاً وصيّاً»(٥).

وعن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً - إلى أن قال - قال: قال «ومن ذريّتي» - إلى أن قال - قال تعالى لا أعطيك لظالم من ذريّتك. قال إبراهيم عندها «واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا لصنم قط. فاتخذني الله نبيّاً واتخذ عليّاً وصيّاً(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) منتخب ذيل المذيل: ١٢٦.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٥، والنقل بتخليص.
(٤) رواه عن مسند أحمد ابن طاوس في الطرائف ١: ١٥ ح ١، ولم يوجد فيه بل أخرجه أحمد في الفضائل، عنه تذكرة الخواص: ٤٦.
(٥) مناقب ابن المغازلي: ٨٩ ح ١٣٢.
(٦) مناقب ابن المغازلي: ٢٧٦ ح ٣٢٢.

معنى قوله عليه السلام: وسبقت إلى الإيمان والهجرة

«**وسبقتُ إلى الإيمان**» قال المأمون - كما في (العقد) - لإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد في ما حاجّه في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: هل علمت أحداً سبق علياً عليه السلام إلى الإسلام؟ قال إسحاق: إن علياً أسلم وهو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال له المأمون: أخبرني أيهما أسلم قبل ثمّ أُناظرك بعد في الحداثة. قال إسحاق: عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. قال له المأمون: أخبرني عن إسلام عليّ عليه السلام حين أسلم لا يخلو من أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاماً من الله تعالى. فأطرق.

فقال له المأمون: لا تقل إلهاماً فتقدّمه على النبيّ صلى الله عليه وآله لأن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى. قال إسحاق: بل دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال المأمون: فهل يخلو النبيّ صلى الله عليه وآله حين دعاه من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه. فأطرق.

قال له المأمون: لا تنسب النبيّ صلى الله عليه وآله إلى التكلّف فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1] قال إسحاق: أجل بل دعاه بأمر الله تعالى.

قال له المأمون: هل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه الحكم؟ وفي قياس قولك «أسلم عليّ وهو صبي لا يجوز عليه حكم» قد كلّف النبيّ صلى الله عليه وآله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة، ويرتدّون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء، ولا يجوز عليهم حكم النبيّ صلى الله عليه وآله أترى عندك جائزاً أن تنسب هذا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله؟

قال إسحاق: أعوذ بالله.

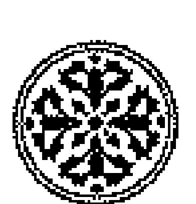
قال له المأمون: فأراك يا إسحاق إنما قصدت لفضيلة فضّل بها النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً[2]. . . .

«والهجرة» قال ابن أبي الحديد: يمكن أن يريد عليه السلام بسبقه في هجرته غير هجرة

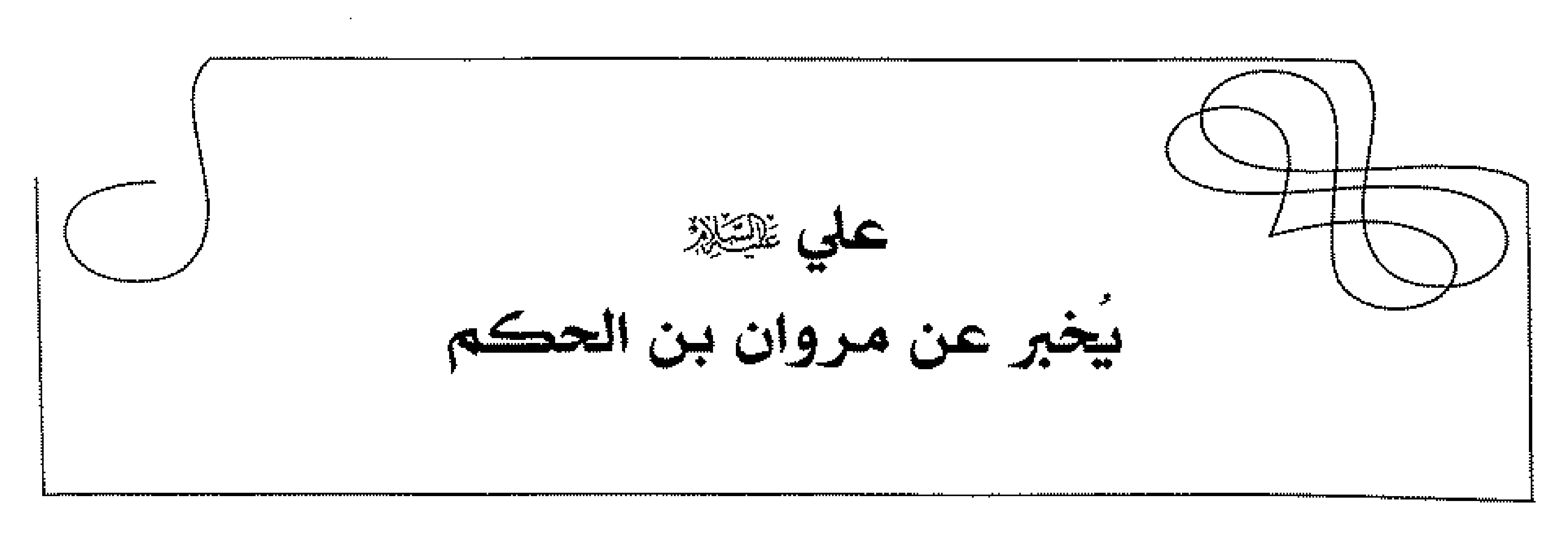
(١) سورة ص، الآية: ٨٦.
(٢) العقد الفريد ٥: ٣١٩ - ٣٢٠، والنقل بتلخيص.

المدينة فإن النبيّ صلى الله عليه وآله هاجر عن مكة مراراً يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان عليّ عليه السلام معه دون غيره - إلى أن قال -.

وأما هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان. فإنه لم يكن معه إلا عليّ عليه السلام وحده، وذلك عقيب وفاة أبي طالب أوحى تعالى إليه اخرج منها فقد مات ناصرك، فخرج إلى بني عامر، ومعه عليه السلام وحده. فعرض نفسه عليهم، وسألهم النصر، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه. فعاد إلى مكة وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام، وهي أوّل هجرة هاجرها النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه[1].



(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٧٨ - ٣٧٩.



علي عليه السلام يُخبر عن مروان بن الحكم

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة:

قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله، فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام:

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ! الخطبة (١٧١)

من هو الوزغ بن الوزغ

«**قالوا أخذ مروان بن الحكم**» روى (الروضة) عن الصادق عليه السلام قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه. فقال له: الوزغ بن الوزغ. فمن يومئذ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث.

وعن الباقر عليه السلام: لما ولد مروان عرضوا به للنبي صلى الله عليه وآله أن يدعو له فأرسلوا به إلى عائشة ليدعو له. فلما قرّبته منه قال: أخرجوا عني الوزغ بن الوزغ - قال زرارة: لا أعلم إلا أنّه قال، ولعنه[١].

وفي (حياة الحيوان) للدميري: روى الحاكم في (الفتن والملاحم من مستدركه) عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبيّ صلى الله عليه وآله فيدعو له فأدخل عليه مروان. فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون.

وعن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر.

---

(١) الكافي ٨: ٣٣٨ ح ٣٢٣ - ٣٢٤.

فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر. فقال له مروان: أنت الذي أنزل الله فيك ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾(١) فبلغ ذلك عائشة. فقالت: كذب والله ما هو به ولكنّ النبيّ ﷺ لعن أبا مروان ومروانُ في صلبه(٢).

وفي (نقض عثمانية الإسكافي): كان مروان مجاهراً بالإلحاد، هو وأبوه، وهما الطريدان اللعينان. كان أبوه عدوّ النبيّ ﷺ يحكيه في مشيه، ويغمز عليه عينه، ويدلع لسانه، ويتهكّم به، ويتهافت عليه هذا وهو في قبضته وتحت يده، وهو يعلم أنّه قادر على قتله أي وقت شاء. فهل يكون هذه إلا من شانئ شديد البغضة حتى أفضى أمره إلى أن طرده النبيّ ﷺ وسيّره إلى الطائف وأما مروان ابنه فأخبث عقيدة وأعظم إلحاداً وكفراً(٣).

ماذا قال النبي ﷺ في الحكم بن أبي العاص والد مروان

وفي (الاستيعاب): في هند بن أبي هالة عن عند قال: مرّ النبيّ ﷺ بأبي مروان فجعل يغمزه. فالتفت فقال «اللهمّ اجعل به وزغاً» - والوزغ: الارتعاش فرجف مكانه(٤).

وروى المدائني خبراً طويلاً في محاجّة ابن عباس في مجلس معاوية مع مروان وغيره - إلى أن قال - فقال مروان: يا بن عباس إنك لتصرف بنابلك وتوري نارك كأنّك ترجو الغلبة وتؤمّل العافية، ولولا حلم معاوية عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منهلاً بعيداً صدره، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذنّ بعض حقّه منكم، ولئن عفا عن جرائركم. فقديماً نسب إلى ذلك.

فقال ابن عباس: وإنّك لتقول ذلك يا عدوّ الله، وطريد رسول الله والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه، وركوب أثباجه. أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره(٥).

وفي (الاحتجاج): قال الحسن عليه السلام لمروان في مجلس معاوية: وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلا طغياناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِى ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾(٦).

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٧. (٢) حياة الحيوان ٢: ٣٩٩، والمستدرك ٤: ٤٧٩ و ٤٨١.

(٣) لم يوجد في النسخة المطبوعة من النقض.

(٤) الاستيعاب ٣: ٦٠٣.

(٥) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٠٦، شرح الخطبة ٨٢.

(٦) الاحتجاج ١: ٢٧٩. والآية ٦٠ من سورة الإسراء.

موقف مروان من الحسين عليه السلام وردود الحسنين عليهما السلام عليه

وفيه: عن محمد بن السائب قال مروان يوماً للحسين عليه السلام: لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين عليه السلام - وكان شديد القبضة - فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال: أنشدكم الله إن صدّقتموني إن صدقت. أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله مني ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ غيري وغير أخي. قالوا: اللهمّ لا.

قال: وإني لا أعلم أنّ في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه طريدي النبيّ صلى الله عليه وآله. والله ما بين جابرس وجابلق - أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب - رجلاً ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان، وعلامة قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك من منكبك، قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه[1].

وفي (تذكرة سبط بن الجوزي): ذكر هشام الكلبي عن محمد بن إسحاق قال: بعث مروان - وكان والياً على المدينة - رسولاً إلى الحسين عليه السلام فقال له: يقول لك مروان: أبوك الذي فرّق الجماعة، وقتل عثمان، وأباد العلماء والزهاد - يعني الخوارج - وأنت تفخر بغيرك. فإذا قيل لك: من أبوك تقول: خالي الفرس. فجاء الرسول إلى الحسن عليه السلام فقال له: أتيتك برسالة ممن يخاف سطوته، ويحذر سيفه. فإن كرهت لم أبلغك ووقيتك بنفسي.

فقال الحسن عليه السلام: لا بل تؤديها، ونستعين عليه بالله. فأداها فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة. فخرج الرسول من عنده. فلقيه الحسين عليه السلام فقال: من أين أقبلت. فقال: من عند أخيك الحسن عليه السلام. فقال: وما تصنع؟ قال: أتيت برسالة من عند مروان. قال: وما هي؟ فامتنع الرسول من أدائها. فقال: لتخبرني أو لأقتلنّك. فسمع الحسن عليه السلام فخرج، وقال لأخيه: خلّ عن الرجل. فقال: لا والله حتى أسمعها فأعادها الرسول عليه. فقال له الحسين عليه السلام: قل له يقول لك الحسين بن علي وابن فاطمة: «يا بن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز، وصاحبة الراية بسوق عكاظ، ويا بن طريد الرسول ولعينه! اعرف من أنت، ومن أبوك، ومن أمّك».

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٩٩.

فجاء الرسول إلى مروان فاعاد عليه ما قالا. فقال للرسول: ارجع إلى الحسن وقل له: أشهدك أنك ابن الرسول، وقل للحسين: أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب.

فقال الحسين عليه السلام للرسول: قل لمروان كلاهما لي رغماً لك. قال الأصمعي: أمّا قول الحسين عليه السلام: «يا بن الداعية إلى نفسها» فذكر ابن إسحاق أنّ أمّ مروان اسمها أمية وكانت من البغايا في الجاهلية، وكانت لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تسمى أمّ حنبل الزرقاء، وكان مروان لا يعرف له أب وإنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص.

الحكم يتجسّسُ على النبي صلى الله عليه وآله

وأما قوله يا بن طريد الرسول: يشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، وكان ينقل أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الكفار من الأعراب، وغيرهم، ويتجسّس عليه.

قال الشعبي: وما أسلم إلا لهذا، ورآه النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً وهو يمشي ويتخلج في مشيته يحاكي النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال له كن كذلك. فما زال يمشي كأنّه يقع على وجهه ونفاه إلى الطائف، ولعنه. فلمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله كلّم عثمان أبا بكر أن يردّه لأنه كان عمّه. فقال أبو بكر: هيهات! شيء فعله النبيّ صلى الله عليه وآله والله لا أخالفه أبداً. فلما ولي عمر بعده كلّمه، فقال: والله لا كان هذا أبداً. فلما ولي عثمان بعده ردّه في اليوم الذي تولّى فيه، وقرّبه وأدناه، ودفع له مالاً عظيماً، ورفع منزلته. فقام المسلمون على عثمان، وأنكروا عليه، وهو أول ما أنكروا عليه. فامتنع جماعة من الصحابة من الصلاة خلف عثمان لذلك. ثم توفّي الحكم في خلافته. فصلّى عليه ومشى خلفه. فشقّ ذلك على المسلمين، وقالوا ما كفاك ما فعلت حتى تصلّي على منافق ملعون لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله ونفاه، فخلعوه وقتلوه.

مروان في زمن عثمان

وأعطى عثمان ابنه مروان خُمس غنائم أفريقية خمسماءة ألف دينار، ولما بلغ ذلك عائشة أرسلت إلى عثمان: أما كفاك أنّك رددت المنافق حتى تعطيه أموال المسلمين، وتصلّي عليه وتشيّعه، وبهذا السبب قالت: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، وكان مروان يشتم علياً عليه السلام يوم الجمعة على المنبر، وكان الحسن عليه السلام يقعد في حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله حتى يفرغ ثم يخرج فيصلّي خلفه[1].

(١) تذكرة الخواص: ٢٠٧ - ٢٠٩، والنقل بتصرف يسير.

وفي (الصحاح): خيط باطل هو الذي يقال له لعاب الشمس، ومخاط الشيطان وكان مروان يلقّب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرب[١].

وفي (المروج: لما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق قالت أخته: [البحر الطويل]

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل وكلّكم يبني البيوت على غَدْرِ[٢]

وفي (تاريخ الطبري) - بعد ذكر أنّ الوليد رخّص للحسين عليه السلام في الانصراف لما دعاه لبيعة يزيد - قال مروان للوليد: احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام فقال: يا بن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ - إلى أن قال -:

فقال مروان للوليد: عصيتني. فقال له الوليد: اخترت لي التي فيها هلاك ديني. والله إني لأظنّ امرءاً يحاسب بدم الحسين عليه السلام لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت في ما صنعت - يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه[٣].

لعن مروان

وفي (الأغاني): استأذن إسماعيل بن يسار النسائي على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً. فحجبه ساعة ثم أذن له. فدخل يبكي. فقال له الغمر: ما لك تبكي؟ فقال: وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أُحجب عنك. فجعل يعتذر إليه. وهو يبكي. فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر. ثم خرج من عنده فلحقه رجل: فقال له: ويلك يا إسماعيل! أيّ مروانية كانت لك أو لأبيك. قال: بغضنا إيّاهم فامرأته طالق إن لم تكن أمّه تلعن مروان والله كلّ يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له: قل: لا إلّه إلا الله. فقال: لعن الله مروان. تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد، وإقامة له مقامه[٤].

وفيه زعم أهل اليمامة وعكل وغيرهم أن ثلاثة نفر أبو حفصة جدّ مروان بن أبي حفصة الشاعر، ورجل من تميم، ورجل من سليم أتوا مروان فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم، فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم فأقرّ السلمي أنّه من العرب وأنّه إنما أتى مروان

(١) صحاح اللغة ٢: ١١٢٥ - ١١٢٦، مادة (خيط). (٢) مروج الذهب ٣: ٣٠٦.
(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٥١، سنة ٦٠ والنقل بتلخيص.
(٤) الأغاني ٤: ٤١٠، والنقل بتصرف يسير.

فباعه نفسه. فدسّ إليه مروان من قتله. فلما رأى ذلك الآخران ثبتا على أنّهما موليان لمروان(١).

لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت

«**أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين** عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله» في (المروج): دخل عليّ عليه السلام على عائشة بعد أن بعث ابن عباس إليها يأمرها بالخروج إلى المدينة، ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وباقي أولاده، وأولاد إخوته، وفتيان أهله من بني هاشم، وغيرهم من شيعته فلما بصرت به النسوانِ صحن في وجهه، وقلن: يا قاتل الأحبّة. فقال عليه السلام: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت - وأشار إلى بيت من البيوت قد اختفى فيه مروان، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر، وغيرهم - فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم - إلى أن قال - فسألته عائشة أن يؤمّن ابن أختها عبد الله بن الزبير فآمنه، وتكلّم الحسن والحسين عليهما السلام في مروان فآمنه(٢).

ولكن روى (الخرائج): أنّ ابن عباس استشفع له، فروى عن رجل من مراد قال كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال. فقال: إنّ لي حاجة. فقال عليه السلام: ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم. قال: ما جئت إلا لتؤمنه. قال: قد آمنته، ولكن اذهب وجئني به ولا تجئني به إلا رديفاً فإنه أذلّ له. فجاء به ابن عباس مردفاً خلفه كأنّه قرد(٣)....

نحن أخوة يوسف فاعف عنا

وكذا رواه (جمل المفيد) عن الواقدي فقال: قال لما فرغ عليّ عليه السلام من أهل الجمل جاء فتيان من قريش يسألونه الأمان، وأن يقبل منهم البيعة. فاستشفعوا إليه بعبد الله بن العباس فشفّعه، وأمر لهم في الدخول عليه. فلما مثلوا بين يديه قال لهم: ويلكم يا معشر قريش! علام تقاتلونني؟ على أن حكمت فيكم بغير عدل؟ أو قسمت بينكم بغير سوية؟ أو استأثرت عليكم؟ أو لبعدي عن الرسول صلى الله عليه وآله؟ أو لقلة بلاء مني في الإسلام؟ فقالوا: نحن إخوة يوسف فاعف عنّا، واستغفر لنا. فنظر إلى أحدهم فقال: من أنت؟ قال: أنا مساحق بن مخرمة معترف بالزلّة، مقرّ بالخطيئة، تائب من ذنبي، فقال عليه السلام: قد صفحت عنكم،

---

(١) الأغاني ١٠: ٧٣.
(٢) مروج الذهب ٢: ٣٦٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.

وأيم الله إنّ فيكم من لا أُبالي بايعني بكفّه أو بأسته، ولئن بايعني لينكثنّ، وتقدم إليه مروان، وهو متّكئ على رجل فقال له: ما بك؟ هل بك جراحة؟ قال: نعم، وما أراني إلا لما بي. فتبسّم عليّ عليه السلام وقال: لا والله ما أنت لما بك، وستلقى هذه الأمّة منك ومن ولدك يوماً أحمر[1].

وظاهر خبر أبي مخنف عدم استشفاع أحد فيه، وفي جمع آخر معه.

ففي (جمل المفيد) أيضاً: روى أبو مخنف عن العدوي عن أبي هشام، عن البريد عن عبد الله بن المخارق، عن هاشم بن مساحق القرشي، عن أبيه قال: لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان. فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل، ونكثنا بيعته من غير حدث، والله لقد ظهر علينا. فما رأينا قط أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً منه بعد الرسول. تعالوا حتى ندخل عليه، ونعتذر إليه في ما صنعناه. فصرنا إلى بابه. فاستأذنّاه. فأذن لنا. فلما مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلم. فقال عليّ عليه السلام: أنصتوا أكفكم إنما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقاً فصدّقوني، وإن قلت باطلاً ردّوا عليّ. أنشدكم الله أتعلمون أن النبيّ صلى الله عليه وآله قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده. قالوا: اللهم نعم. قال: فعدلتم عني وبايعتم أبا بكر فأمسكت، ولم أحبّ أن أشقّ عصا المسلمين، وأُفرّق بين جماعاتهم. ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده. فكففت ولم أُهيّج الناس، وقد علمت أني كنت أولى الناس بالله وبرسوله، وبمقامه. فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة. فكففت، ولم أحب أن أفرّق بين المسلمين. ثم بايعتم عثمان فطعنتم عليه، وقتلتموه، وأنا جالس في بيتي وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر. فما بالكم وفيتم لهما ولم تفوا لي؟ وما الذي منعكم من نكث بيعتهما، ودعاكم إلى نكث بيعتي؟ فقالوا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح إذ قال ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[2]. فقال عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم، وإن فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بأُسته يعني مروان بن الحكم[3].

هذا، وكما أطلق عليه السلام مروان بعد أسره مع عداوته تلك، أطلق الوليد بن عقبة مع كونه مثل مروان في العداوة له.

---

(١) الجمل: ٢٢٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

(٣) الجمل: ٢٢٢، والنقل بتصرف يسير.

أولم يبايعني الوليد بعد قتل عثمان!

ففي (كنايات الجرجاني): أتي عليّ عليه السلام بالوليد بن عقبة أسيراً يوم الجمل، فقال لما رآه: [البحر الوافر]

هنيدة قد حللت بدار قوم ... هم الأعداء والأكباد سُوْدُ
هم إن يظفروا بي يقتلوني ... وإن أظفر فليس لهم جُلُوْدُ

«**فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال** عليه السلام: أوَ لم يبايعني بعد قتل عثمان» وما في (المصرية) «قبل قتل عثمان» غلط واضح.

في (تاريخ اليعقوبي): بايع الناس بعد عثمان عليّاً عليه السلام إلا ثلاثة من قريش مروان، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة - وكان لسان القوم - فقال الوليد له عليه السلام: يا هذا إنك وترتنا جميعاً. أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتمت أباه، وعبت على عثمان حين ضمّه إليه - إلى أن قال -:

فقال الوليد: تبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب علي عليه السلام وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم. فالحقّ وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أُضيع حقّ الله، وأمّا إعفائي عمّا في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله، وسنّة نبيّه. فمن ضاق عليه الحقّ فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم. فقال مروان بل نبايعك، ونقيم معك فترى ونرى[1].

لا حاجة لي فيها، إنها كف يهودية

«**لا حاجة لي في بيعته إنها كفٌّ يهودية لو بايعني بكفه**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بيده) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«**لغدر بسبته**» أي: بأسته. في خبر (الخرائج) المتقدم «فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فنزها وقال: لا حاجة لي فيها، إنها كفّ يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بأسته...»[3].

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٠٣ أيضاً «بكفه».
(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.

وقد عرفت من خبر أبي مخنف «وأن فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بأسته» ومن خبر الواقدي «وأيم الله إن فيكم من لا أُبالي بايعني بكفه أو بأسته، ولئن بايعني لينكثن» قال ابن أبي الحديد: كان الغادر من العرب إذا عزم على الغدر بعد عهده حبق استهزاء[١].

قال عليه السلام ذلك لأنه يعرف ضميره، وكيف كان يفي ببيعته، وقد كان كتب إلى معاوية، ويعلى بن منبة قبل قتل عثمان «وإني خائف إن قتل - يعني عثمان - أن تكون - أي الخلافة - من بني أمية بمناط الثريا إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم، ولئن وهى عمود البيت لتتداعينّ جدرانه، والذي عيب عليه إطعامكما الشام واليمن - إلى أن قال -:

وأما أنا فمساعف كل مستشير، ومعين كل مستصرخ، ومجيب كل داع أتوقع الفرصة. فأثب وثبة الفهد. أبصر غفلة مقتنصة.

وكتب إلى معاوية بعد قتل عثمان - مشيراً إليه عليه السلام وأصحابه - ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة، وحبّ الهجوع إلا تهويمة الراكب العجل - إلى أن قال - وكتابي إليك وأنا كحرباء السبسب في الهجير ترقب عين الغزالة، هذا، وقال الشاعر: **[مجزوء البحر الرجز]**

إنّ أُحيحا هي صئبان السَّهْ»[٢]

والسه: أيضاً الأست، والصئبان: جمع الصؤابة بيضة القملة.

هذا، وقال الأخطل وكان شاعراً نصرانياً، ومن المنقطعين إلى بني أميّة في بشر بن مروان: **[البحر الطويل]**

فلا تجعلني يا بن مروان كامرئ غلت في هوى آل الزبير مَراجِلُهْ
يبايع بالكف التي قد عرفتها وفي قلبه ناموسه وَغَوائِلُهْ

يحمل راية ضلال بعدما يشيب صدغاه

«**أما إنّ له إمرة**» قال ابن أبي الحديد: وروى هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة هكذا: «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وإنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه»[٣]

وقال الشاعر في إمارة مروان، وقد عرفت أنه كان يلقب بخيط الباطل: **[البحر الطويل]**

لحا الله قوماً أمّروا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء وَيَمْنَعُ[٤]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٥٤، والنقل بتصرف يسير.
(٢) أورده لسان العرب ١٣: ٤٩٥، مادة (سه).
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣.
(٤) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٥.

إمارة مروان ونهايته

وقد وقعت إمارته كما أخبر ﷺ قال المسعودي: أراد مروان بعد موت يزيد أن يلحق بابن الزبير. فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام وقال له: إنك شيخ بني عبد مناف، إلى أن قال:

قال عمرو بن سعيد الأشدق لمروان أدعوا الناس إليك، وآخذها لك على أن يكون لي من بعدك.

فقال مروان: بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، وكانت أيامه تسعة أشهر وأياماً قلائل - وقيل ثمانية أشهر - واختلف في سبب وفاته فمنهم من رأى أنّه مات مطعوناً، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه، ومنهم من رأى أنّ فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة - أمّ خالد بن يزيد - هي التي قتلته، وذلك أنّ مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده، وعمرو بن سعيد بعده. ثم بدا له في ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز، ودخل عليه خالد بن يزيد فكلّمه، وأغلظ له فغضب من ذلك، وقال: أتكلمني يا بن الرطبة - وكان مروان قد تزوج بأمّه فاختة ليذلّه بذلك ويضع منه - فدخل خالد على أمّه فقبّح لها تزوجها بمروان، وشكا إليها ما نزل به منه. فقالت: لا يعيبك بعدها. فمنهم من رأى أنها وضعت على نَفَسه وسادة، وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات، ومنهم من رأى أنّها أعدّت له لبناً مسموماً فلما دخل عليها ناولته إياه فشربه. فلما استقرّ في جوفه وقع يجود بنفسه، وأمسك لسانه فحضره عبد الملك، وغيره من ولده، فجعل مروان يشير إلى أمّ خالد - يخبرهم أنها قتلته - وأمّ خالد تقول: بأبي أنت حتى عند النزع لم تشتغل عني إنه يوصيكم بي[1].

«كلعقة الكلب أنفه» فقد عرفت أن إمرته كانت تسعة أشهر أو ثمانية أشهر.

هذا، وفي (أنساب البلاذري) كان ابن همام حين حصر ابن مطيع في القصر - أي في الكوفة من قبل ابن الزبير لما ظهر المختار - فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً فقال: لما رأيت القصر أُغلق بابه، وتعلقت همدان بالأسباب. ورأيت أفواه الأزقة حولنا ملئت بكلّ هراوة، وذباب، ورأيت أصحاب الدقيق كأنّهم حول البيوت ثعالب الأسراب أيقنت أن أمارة ابن مضارب لم يبق منها فيش أير ذباب[2].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٨٥ - ٨٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٢٣٠، وما نقل عن ابن همام فهو شعر في أربعة أبيات.

ومما قيل في قصر المدّة قول ابن عباس في مدة إمارة عائشة في الجمل.

ففي (العقد) قال ابن عباس لها - بعد هزيمتها - إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه. قالت: رحم الله أمير المؤمنين. إنما كان عمر بن الخطاب. فقال لها بل عليّ بن أبي طالب. فقالت: أبيت أبيت فقال لها: ما كان إباؤك إلا فُواق ناقة بكيئة. ثم صرت ما تحلين، ولا تمرّين ولا تأمرين، ولا تنهين. فبكت حتى علا نشيجها[١].

عبد الملك أبو الجبابرة الأربعة

«**وهو أبو الأكبش الأربعة**» في (إعلام الورى) عن ابن مرهب - بعد ذكر ورود مروان على معاوية، وتركه حاجة له - فورد ابنه عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فلما أدبر عبد الملك قال (معاوية لابن عباس وكان عنده): أنشدك الله يا بن عباس أما تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر هذا. فقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ قال ابن عباس: اللهمّ نعم[٢].

وفي (حيوان الدميري) قال مصعب الزبيري: زعموا أن عبد الملك بن مروان رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات. فدسّ من سأل سعيد بن المسيب - وكان يعبّر الرؤيا - فقال: يملك من صلبه أربعة. فكان آخرهم هشام[٣].

وقال ابن أبي الحديد: فسّروا الأكبش الأربعة ببني عبد الملك الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، ولم يل الخلافة من بني أمية، ولا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء ويجوز عندي أن يريد عليه السلام ولد مروان لصلبه عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمد، وكانوا كباشاً أبطالاً أنجاداً وَلي عبد الملك الخلافة، وولي بشر العراق، وولي محمد الجزيرة، وولي عبد العزيز مصر ولكل منهم آثار مشهورة[٤].

قلت: وكان لمروان ولد آخر أحمق؛ معاوية بن مروان، وهو الذي قال للطحان: أرأيت إن قام حمارك وحرّك رأسه ليصوت جلجله ما علمك؟ فقال: ومن له بمثل عقل الأمير. والأظهر ما عليه الأكثر من كون المراد بني عبد الملك الأربعة الذين ولوا الخلافة، وكيف كان. فمروان كان أبا عشرة.

هذا، وفي (كامل الجزري): ولي الخلافة في الأخوين المسترشد، والمقتفي ابنا المستظهر، والهادي والرشيد ابنا المهدي، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم، وفي الإخوة

(١) العقد الفريد ٥: ٧٢، وفتوح ابن أعثم ٢: ٣٣٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) إعلام الورى: ٣٥. (٣) حياة الحيوان ١: ٧١.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤، والنقل بتصرف يسير.

الثلاثة، الأمين، والمأمون، والمعتصم بنو هارون، والمكتفي، والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي، والمتقي، والمطيع بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة فليس إلا الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام بنو عبد الملك(١).

وكما أخبر عليه السلام بهؤلاء الأكبش الأربعة أخبر عليه السلام أنّ كبشاً آخر - وهو ابن الزبير - يستحلّ حرمة الكعبة.

ما أحب أن أكون ذلك الكبش

ففي (تاريخ الطبري): قال عبد الله بن سليم، والمذري بن المشمعل الأسديان: سمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين عليه السلام يوم الروية بين الحجر والباب: إن شئت أن تقيم أقمت. فوليت هذا الأمر فآزرناك، وساعدناك، ونصحنا لك، وبايعناك. فقال عليه السلام: «إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها فما أُحبّ أن أكون ذلك الكبش»(٢).

ويل لأمة محمد صلى الله عليه وآله من مروان وأولاده

«وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر» وفي خبر الخرائج المتقدّم - بعد قوله عليه السلام في مروان: لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بأسته - ثم قال عليه السلام: هيه يا بن الحكم! خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟ كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان، وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً، ويسقونهم كأساً مصبرة(٣).

وقال ابن أبي الحديد «وفي (الاستيعاب) نظر عليّ عليه السلام يوماً إلى مروان. فقال له: ويل لك، وويل لأمّة محمد منك، ومن بنيك، إذا شاب صدغاك»(٤) قلت: الذي وجدت في (الاستيعاب) «ويلك وويل أمّة محمد منك، ومن بنيك إذا ساءت درعك» والظاهر كون كلّ منهما تصحيفاً، وأنّ الأصل في قول «وأشاب ذراعاك»(٥) وقول «إذا ساءت درعك» «إذا شاب صدغاك» كما مرّ في خبر.

مروان وولده بنو الزرقاء

وفي الجزري يقال لمروان ولولده: بنو الزرقاء - وزرقاء بنت موهب جدة مروان لأبيه

(١) ذكره كلاً في موضعه من الكامل.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨، سنة ٦٠.
(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٨٦.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٥.
(٥) الاستيعاب ٣: ٥٢٥.

كانت من ذوات الرايات في البغاء - قال ابن الأشعث - لما أجمع أهل العراق على خلع عبد الملك بدير الجماجم - إنّ بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسبٌ أصحُّ منه إلا أنّ بني أبي العاص أعلاج من أهل صفّورية(١).

ما هذا الخضوع لمروان؟!

قال ابن أبي الحديد: وفي (أغاني أبي الفرج): قال مروان لمعاوية لما عزله عن الإمارة: رويداً رويداً، فقد بلغ بنو الحكم، وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد.

قال أبو الفرج: هذا رمز إلى قول النبيّ ﷺ «إذا بلغ بنو أبي العاص، أربعين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً» فكان بنو أبي العاص يذكرون أنهم سيلون أمر الأمّة إذا بلغوا إلى هذه العدة. فغضب معاوية وقال: يا بن الوزغ لست هناك، فقال مروان: هو ما قلت لك، وإني الآن لأبو عشرة وأخو عشرة، وعمّ عشرة، وقد كان ولد أبي أن يكمّلوا العدّة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني. فانخذل معاوية. فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان؟ وأيّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وما الذي تخشاه منهم؟ فقال: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أمّ حبيبة لما زفّت إلى النبيّ ﷺ، وهو يتولّى نقلها إليه، فجعل النبيّ ﷺ يحدّ النظر إليه. قيل له: لقد أحددت النظر إلى الحكم. فقال: «ذاك رجل إذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدي» فوالله لقد تلقّاها مروان من عين صافية.

فقال له الأحنف: رويداً لا يسمع هذا منك أحد. فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله أمراً يكن. فقال له معاوية: أُكتمها عليّ. فقد لعمرك صدقت ونصحت(٢).

كتاب معاوية إلى مروان

قلت: وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): اشتكى عمرو بن عثمان. فكان العوّاد يدخلون عليه. فيخرجون، ويتخلّف عنده مروان فيطيل. فأنكرت ذلك رملة بنت معاوية

---

(١) الكامل ٤: ١٩٤ و ٤٧١، سنة ٦٥ و ٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦ - ٥٧، والنقل بتقطيع.

امرأة عمرو. فخرجت كوة. فاستمعت على مروان. فإذا هو يقول: ما أخذ هؤلاء - يعني حرب بن أمية - الخلافة إلا باسم أبيك. فما يمنعك أن تنهض بحقك. فلنحن أكثر منهم رجالاً. منّا فلان، ومنهم فلان - وعدّد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب - فلما برأ عمرو تجهّز للحج، وتجهّزت رملة في جهازه. فلما خرج عمرو خرجت رملة إلى أبيها بالشام فأخبرته، وقالت له: ما زال يعدّ فضل رجال أبي العاص على بني حرب حتى عدّ ابنيّ عثمان وخالداً ابني عمرو. فتمنيت أنهما ماتا. فكتب معاوية إلى مروان:

[البحر الطويل]

أواضعُ رجلٍ فوق أخرى تعدّنا	عديد الحصى ما إن تزال تَكاثَرُ
وأمكم تزجي تؤاماً لبعلها	وأمّ أخيكم نزرة الولد عَاقِرُ

رد مروان على معاوية

اشهد يا مروان أني سمعت النبيّ ﷺ يقول: إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً». فكتب إليه مروان: أما بعد يا معاوية فإني أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة[1].

ثم الخبر عن النبيّ ﷺ ورد تارة في الحكم أبي مروان كما عرفته من معاوية على رواية مصعب الزبيري، وأخرى في أبي العاص جدّه كما عرفته من خبر أبي الفرج الأصبهاني، والثاني يشمل عثمان أيضاً، وقد استند إليه أبو ذر في قباله، وقد شهد له أيضاً الدراية.

ماذا لقيت الأمة من مروان وولده؟!

ولقد لَقِيَتِ الأمّة منه، ومن ولده يوماً أحمر كما قال عليه السلام فكان مروان وابنه عبد الملك سبباً لغلبة مسلم بن عقبة يوم الحرة على أهل المدينة، وفعله تلك الشنائع التي لم تكن بعد واقعة الطف أشنع منها. فكتب مسلم بن عقبة إلى يزيد يشكره ويشكر ابنه.

ولما حضر ابنه عبد الملك الوفاة قال لابنه الوليد: لا تعصر عليّ عينيك كالأمة الوكساء إذا أدليتني في حفرتي أُخرج إلى الناس، والبس لهم جلد النمر، وأقعد على المنبر، وأدع الناس إلى بيعتك. فمن مال بوجهه عنك فقل له بالسيف كذا. فلما توفي دعا الوليد إلى البيعة. فلم يختلف عليه أحد، وكان أول ما ظهر من أمره أن أمر بهدم كلّ دار

---

(١) نسب قريش: ١١٠، والنقل بتصرف يسير.

أبيه إلى قبره. فهدمت من ساعتها وسوّيت بالأرض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالاً - ذكر ذلك خلفاء ابن قتيبة)(١).

ولقي النبيّ صلى الله عليه وآله من أبيه الحكم ما لقي من محاكاته له في مشيته وتجسُّسه أخباره لأعدائه حتى ألجأه إلى نفيه إلى الطائف، ولقي الناس منه فكان يثبّطهم عن الإسلام.

ففي (العقد) قال مروان لحويطب بن عبد العزّى - وكان كبيراً مسناً - تأخّر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث.

فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرة كلّ ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني، ويقول: تضع من قدرك تترك دين آبائك لدين محدث، وتصير تابعاً(٢).

ولقي الناس من ولد ابنه الأربعة ما لقوا لاسيّما الأول منهم الوليد كان جبّاراً عنيداً، والأخير هشام كان فظّاً غليظاً شحيحاً.

بعض أحوال هشام بن عبد الملك

قال المسعودي في (مروجه) كان هشام بن عبد الملك أحول خشناً فظّاً غليظاً يجمع الأموال، ويعمّر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة. فاجتمع له فيها من خيله، وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك في جاهلية، ولا في إسلام لأحد من الناس، وسلك الناس جميعاً في أيامه مذهبه، ومنعوا ما في أيديهم فقلّ الإفضال وانقطع الرفد، ولم يُرَ زمان أصعب من زمانه، وعرض يوماً الجند بحمص. فمرّ به رجل من أهل حمص، وهو على فرس نفور. فقال له هشام: ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً. فقال الحمصي: لا والرحمن الرحيم ما هو بنفور، ولكنّه أبصر حولتك. فظنّ أنّه عين غزوان البيطار - وكان غزوان نصرانياً ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته - فقال له هشام: تنحَّ! فعليك وعلى فرسك لعنة الله(٣).

ولقد أخبر صلى الله عليه وآله به بالخصوص. ففي (الإرشاد) في إخباره عليه السلام عنه: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر، جهنّم الدنيا لا تبقي ولا تذر»(٤) وكان كما قال عليه السلام حريصاً على جمع أموال الناس. فكان يأخذ ضياع الناس وعقارهم ونفائسهم، وقد عرفت كونه أعور أحول.

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٥٨، والنقل بتلخيص.
(٢) العقد الفريد ٤: ١٠٢، والنقل بتصرف يسير.
(٣) مروج الذهب ٣: ٢٠٥ و ٢٠٩.
(٤) الإرشاد: ١٤٨.

حياة الوليد بن يزيد

وأخبر عليه السلام بالوليد بن يزيد ابن ثالثهم. ففي (الإرشاد) بعدما مرّ «ومن بعده النهّاس الفرّاس» أما نهاسيته، فقالوا: إنّ ابن عائشة القرشي غنّاه: **[البحر الكامل]**

إنـي رأيـت صـبـيـحـة الـنـحـر ... حـوراً نـفـيـن عـزيـمـة الـصَّـبْـرِ
مـثـل الـكـواكـب فـي مـطـالـعـهـا ... عـنـد الـعـشـاء أطـفـن بِـالْـبَـدْرِ
وخـرجـت أبـغـي الأجـر مـحـتـسـبـاً ... فـرجـعـت مـوقـوراً مـن الْـوِزْرِ

فقال له الوليد: أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحقّ عبد شمس. فأعاد فجعل يتخطّى من أب إلى أب، ويأمره بالإعادة حتى بلغ نفسه. فقال: أعد بحياتي. فأعاد. فقام الوليد إليه. فأكبّ عليه، ولم يبق عضواً من أعضائه إلا قبّله وأهوى إلى أيره. فجعل ابن عائشة يضمّ ذكره بين فخذيه. فقال له الوليد: والله لا زلت حتى أقبّله. فقبّل رأسه، وقال: واطرباه واطرباه ونزع ثيابه، فألقاها على ابن عائشة، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار، وحمله على بغلة، وقال: اركبها على بساطي، وانصرف فقد تركتني على أحرّ من جمر الغضى.

وأما فراسيته ففي (المروج): كان الوليد مغرى بالخيل وحبّها، وجمعها، وإقامة الحلبة، وكان السندي فرسه جواد زمانه، وكان يسابق به في أيام هشام، وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد، وأجرى الخيل بالرصافة، وأقام الحلبة، وهي يومئذ ألف قارح، ووقف بها ينتظر الرائد، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، وكان له فيها جواد يقال له الوضاح، وخشي الوليد أن تسبق فرس سعيد، فركض فرسه حتى ساوى الوضاح. فقذف بنفسه عليه. ودخل سابقاً فكان الوليد أول من فعل ذلك.

عمر بن عبد العزيز

ولقد أخبر عليه السلام بعمر بن عبد العزيز منهم، وكونه من بين ولد مروان أخف وطأة فقال عليه السلام في خطبته كما في (الإرشاد) أيضاً: «ثم ليتوارثنكم من بني أمية عدة ما الآخر بأرأف من الأول ما خلا رجلاً واحداً».

إخباره عليه السلام عمر بن سعد باختياره النار على الجنة

هذا، وأخبر عليه السلام عمر بن سعد بقتلة ابنه الحسين عليه السلام ففي (كامل الجزري): قال ابن سيرين قال عليّ عليه السلام لعمر بن سعد: «كيف أنت إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنة

والنار فتختار النار» - أشار عليه السلام إلى تخيير ابن زياد له بين ردّه كتاب عهده على الري أو خروجه إلى قتال الحسين عليه السلام وقتله، فاختار الثاني وقال في ذلك: **[البحر الطويل]**

أأترك ملك الريّ والريُّ رغبتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حُسَيْنِ
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عَيْنِي

رأس الحسين عليه السلام بين يدي مروان

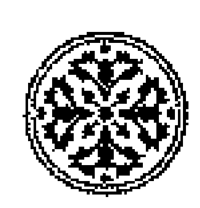
هذا، ونقل ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم» عن الإسكافي أنّ رأس الحسين عليه السلام لما وصل إلى المدينة كان مروان أميرها، فحمل الرأس على يديه، وقال: **[مجزوء البحر الرجز]**

يا حبّذا بردُك في اليدينِ ... وحمرة تجري على الْخَدَّيْنِ
كأنّما بتّ بِمَسْجِدَيْنِ

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد! يوم بيوم بدر. ثم قال ابن أبي الحديد: مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ بل كان أمير المدينة عمرو بن سعيد، ولم يحمل إليه الرأس، وإنما كتب إليه ابن زياد يبشّره بقتل الحسين عليه السلام فقرأ كتابه على المنبر، وأنشد الرجز المذكور وأومأ إلى القبر: يوم بيوم بدر. فأنكر عليه قوله قوم من الأنصار. ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب (المثالب).

قلت: ردّ ابن أبي الحديد وهمٌ، فإن مراد الإسكافي لم يكن بعد القتل من الكوفة من ابن زياد بل بعد ذلك بإرسال يزيد من الشام. ففي (تذكرة سبط بن الجوزي) قال كاتب الواقدي: إن رأس الحسين عليه السلام دفن بالمدينة عند أمّه.

وذكر الشعبي أنّ مروان كان بالمدينة. فأخذ الرأس، وتركه بين يديه، وتناول أرنبة أنفه وقال: «يا حبّذا - الرجز - والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان... وأخبار ابن زياد كتابة عمرو بن سعيد وإلى المدينة بقتل الحسين عليه السلام لم ينحصر نقله بأبي عبيدة بل ذكره الطبري وغيره وتعبير ابن أبي الحديد بالتبشير غلط.



من هو الضلِّيل الذي ينعق بالشام ويفحص براياته في ضواحي كوفان

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ. لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا. فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ. هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ!

من الخطبة (٩٩)

ذكره عليه السلام طرفاً من الملاحم بعد النهروان

«أيها الناس لا يجرمنكم» أي: لا يوقعكم في الجرم.

«شقاقي» أي: خلافي وعداوتي، والأصل في قوله عليه السلام «لا يجرمنكن شقاقي» قول شعيب عليه السلام ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾[1].

«ولا يستهوينكم عصياني» في (الصحاح) استهواه الشيطان: أي: استهامه[2].

«ولا تتراموا بالأبصار» أي: لا يرمي هذا بصره إلى ذاك، وذاك إلى هذا.

«عندما تسمعونه مني» بأن تقولوا هو كذب. روى المدائني في (صفينه) أن علياً عليه السلام خطب بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم - إلى أن قال - قال رجل من أهل البصرة

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٩. (٢) صحاح اللغة: ٢٥٣٨/٦، مادة (هوى).

لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل (عليّ عليه السلام) عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل إلى منزله في شق محمل. فمات من ليلته[1].

«**فوالذي فلق الحبة وبرأ**» أي: الخلق.

«**النسمة**» أي: الإنسان.

«**إن الذي أنبّئكم به عن النبيّ الأميّ** صلى الله عليه وآله» والنبي يقول عن الله تعالى فلا يمكن وقوع خلاف واقع منه.

«**ما كذب المبلّغ**» أي: النبيّ صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2].

«**ولا جهل السامع**» أي: هو عليه السلام.

روى الطبراني في معجمه عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[3]. سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا عليّ قال عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد[4].

«**ولكني**» هكذا في (المصرية، طبع الاستقامة)، والصواب: (ولكأني) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[5].

«**أنظر إلى ضليل**» مبالغة في الضالّ قال ابن أبي الحديد مراده عليه السلام بالضلّيل عبد الملك لأنّ هذه الصفات، والأمارات فيه أتمّ منها في غيره لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه وهو معنى نعيقه - إلى أن قال - وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته، وحينئذ صعب الأمر جداً، وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. فلما كمل أمر عبد الملك، وهو معنى «أينع زرعه» هلك وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بني المهلّب، وكحروبهم مع زيد بن عليّ عليه السلام، وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر، وخالد القسري، وعمر بن هبيرة، وغيرهم، وما جرى فيها من الظلم، واستئصال الأموال، وذهاب النفوس، وقيل: كنّى عليه السلام عن معاوية، وما حدث في أيامه من الفتن وما حدث بعده من فتنة يزيد.

قلت: الأصح وإن كان ما قال من إرادة عبد الملك لانطباق الفقرات عليه إلّا أنه ليس

---

(١) رواه عن صفين المدائني ابن أبي الحديد في شرحه: ٢/ ٤٩ - ٥٠، شرح الخطبة رقم ٦٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٢.
(٤) رواه عن الطبراني الكنجي في كفاية الطالب: ٤٠.
(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد: ٢/ ١٩٣، لكن في شرح ابن ميثم: ٣/ ١٠ مثل المصرية.

المراد بقوله عليه السلام «أينع زرعه» انقضاء أمر عبد الملك. ولا المراد بقوله عليه السلام «عقدت رايات الفتن المعضلة» حروب أولاده مع من قال، بل المراد بالأول انقضاء أمر بيته من زمن هشام ابنه الرابع إلى مروان بن محمد ابن أخيه آخر الأموية، والمراد بالثاني الرايات العباسية المقبلة من خراسان.

ما كان لعبد الملك مع صديقه يوسف

وفي (كامل المبرد): روى أنّ عبد الملك كان له صديق – وكان من أهل الكتاب يقال له: يوسف – فأسلم فقال له عبد الملك يوماً، وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد مع مسلم بن عقبة المرّي – من مرّة غطفان – يريد المدينة: ألا ترى خيل عدوّ الله قاصدة لحرم رسوله. فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه. فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال: معاذ الله. فقال له يوسف: ما قلت شاكّاً، ولا مرتاباً وإني لأجدك بجميع أوصافك. قال له عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: ثمّ يتداولها رهطك. قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان.

وفيه أيضاً: وتزعم الرواة أنّ رجلاً من أهل الكتاب – وكان موصوفاً بقراءة الكتب – وفد على معاوية فقال له معاوية: أتجد نعتي؟ قال: نعم – إلى أن قال – فقال الرجل لمعاوية: حتى يفضي الأمر إلى رجل أعرف نعته ببيع الآخرة الدائمة بحظّ من الدنيا مخوس. فيجتمع عليه، وهو من آلك وليس منك، لا يزال لعدوّه قاهراً، وعلى من ناواه ظاهراً، ويكون له قرين لعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال: لشدّ ما أعرفه. فأراه معاوية من بالشام من بني أمية. فقال: ما أراه هاهنا. فوجّه به إلى المدينة مع ثقات من رسله فإذا عبد الملك يسعى مؤتزراً في يده طائر. فقال للرسل: ها هو ذا. . . .

وهو أول من توعد أن يقال له اتقّ الله، حجّ في سنة (٧٥) فدخل المدينة فقال «وإني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، وإنكم تأمروننا بتقوى الله، وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني بتقوى الله بعد مقامي هذا أحد إلا ضربت عنقه».

وقال الجاحظ كان عبد الملك أول خليفة من بني أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدّم فيه، وتوعّد عليه، وقال إن جامعة عمرو بن سعيد عندي، وإني والله لا يقول أحد هكذا إلا فعلت به هكذا. وقال: إنّه خطب: فقال: وإني والله ما أنا بالخليفة المستضعف – يعني عثمان – ولا أنا بالخليفة المداهن – يعني معاوية – ولا بالخليفة المأفون – يعني يزيد.

وفي (الكامل): كان من أكثر الناس علماً، وأبرعهم أدباً، وأحسنهم في شبيبته ديانة. فقتل عمرو بن سعيد، وتسمى بالخلافة، فسلّم عليه بها أول تسليمة، والمصحف في حجره، فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك.

عبد الملك يقتل عُمَرَ الأشدق

وروى (أنساب البلاذري) عن ابن عباس لما بلغه قتل عبد الملك عمراً الأشدق قال: أيها الناس! إن عبد الملك قتل ابن عمّه، وابن عمته بعد أن آمنه. فلا تأمنوه، ولا تصدّقوه. وقالوا: كان ابن الحنفية قد شخص يريد عبد الملك. فلما بلغه قتله عمراً بعد الذي أعطاه من المواثيق؛ استوحش فانصرف إلى الحجاز.

وكان بخيلاً. فكان يُقال له رشح الحجارة لذلك. وكان أبخر فكان يُقال له أبو ذبّان لذلك. قال تيجان التيمي من جيش ابن الأشعث: «خلعت أبا ذبّان كخلعي قميصي».

«**قد نعق**» الأصل في النعق صوت الراعي.

«**بالشام**» في (المروج): كان عبد الملك سار من دمشق إلى زفر بن الحرث الكلابي بقرقيسا، وخلّف عَمْراً بن سعيد. فبلغه أنّ عمراً دعا إلى بيعته بدمشق. فكّر راجعاً إليها، وقال له: ارجع إلى بيعتك، فإني سأجعل لك العهد فَرَضِي، ودخل عبد الملك وعمرو متحيّز منه في نحو خمسماءة يزولون حيث زال فقتله عبد الملك، واختلفوا في كيفية قتله. فقيل: إن عبد الملك قال لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب؟ قال: نعم. قال: فافعل وكان عمرو رجلاً عظيم الكبر لا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد. فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو. فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه، ومضى عمرو، ولا يلتفت، وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه. فعاتبه عبد الملك طويلاً، وقد كان وصّى صاحب حرسه أبا الزعيزعة أن يضرب عنقه. فضربه فقتله، وقال له عبد الملك: ارم برأسه إلى أصحابه. فلما رأوا رأسه تفرّقوا ثم خرج عبد الملك. فصعد المنبر، وذكر عمراً. فوقع فيه، وذكر خلافه وشقاقه، ونزل وهو يقول: **[البحر الكامل]**

أدنيته مني لتسكن نفره ... فأصول صولة حازم مُتَمَكِّنِ
غضباً ومحماة لديني إنه ... ليس المسيء سبيله كَالْمُحْسِنِ

وقيل: إن عمراً خرج من منزله يريد عبد الملك. فعثر بالبساط. فقالت له امرأته: أنشدك الله ألا تأتيه. فقال لها: دعيني عنك لو كنت نائماً ما أيقظني[1]....

(١) مروج الذهب ٣: ١٠٢، والنقل بتصرف يسير.

وفي (تاريخ الطبري): دخل عمرو على عبد الملك. فأمر بالأبواب فغلّقت. فرحّب به وأجلسه معه على السرير، وجعل يحدّثه طويلاً ثم قال: يا غلام خذ السيف منه فقال عمرو: إنّا لله. فقال له عبد الملك: أو تطمع أن تجلس معي متقلّداً سيفك. فأخذ عنه، ثم تحدّثا ما شاء الله. ثم قال له عبد الملك: إنك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك أن أجمعك في جامعة. فأخرج من تحت فراشه جامعة. ثم قال يا غلام قم فاجمعه فيها. فقام فجمعه فيها. فقال عمرو: أذكّرك الله أن تخرجني فيها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: أمكراً عند الموت ما كنّا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس. ثم اجتبذه اجتباذه أصاب فمه السرير. فكسر ثنيته فقال عمرو: أغدراً يا بن الزرقاء - إلى أن قال -:

وأذّن المؤذّن العصر. فخرج عبد الملك. فصلّى بالناس، وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله، وصلّى صلاة خفيفة، ورجع. فوجد عمراً حيّاً. فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ قال: ناشدني الله والرحم فرققت له. فقال له عبد الملك: أخزى الله أمّك البوّالة على عقبيها. فإنك لم تشبه غيرها، وقال: يا غلام! إئتني بحربة. فأتاه بها. فهزّها ثم طعنه بها. فلم تجز. ثم ثنّى فلم تجز. فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مسّ الدرع. فضحك، وقال: ودارع أيضاً إن كنت لمعدّاً. يا غلام إيتني بالصمصامة فأتاه بسيفه. ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تعد شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني[1].

وفي (المروج): كان عبد الملك سار في جيوش أهل الشام. فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد - وكان ذهب إلى حرب إبراهيم بن الأشتر - فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه، وهزيمة الجيش، وأتاه في تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة - وكان على جيش أرسله إلى المدينة لحرب ابن الزبير - ثم جاءه خبر دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير، ومسير مصعب من المدينة إلى فلسطين ثم جاء مسير ملك الروم - لاوي بن فلقط - ونزوله المصيصة يريد الشام. ثم جاءه خبر دمشق، وأن عبيدها، وأوباشها، ودعّارها قد خرجوا على أهلها، ونزلوا الجبل. ثم أتاه أنّ من في السجن بدمشق فتحوا السجن، وخرجوا منه مكابرة، وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك، وغير ذلك مما نمى إليه من المفظعات في تلك الليلة. فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشدّ ضحكاً، فترك إظهار الفشل، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم، فشغله وهادنه، وسار

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٠ - ٥٩٨، سنة ٦٩، والنقل بتلخيص.

إلى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير. فالتقوا بأجنادين. فقتل بابل وعامة أصحابه وانهزم الباقون، ونمي خبر جيشه إلى مصعب، وهو في الطريق. فولّى راجعاً، ورجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها(١).

«وفحص» الأصل في الفحص بحث القطا في الأرض بما يستقر فيه.

«براياته في ضواحي» جمع الضاحية: الناحية البارزة.

«كوفان» في (الكامل) لما قتل عبد الملك عَمْراً بن سعيد وضع السيف. فقتل من خالفه. فصفا له الشام. فلما لم يبق له مخالف فيه أجمع المسير إلى مصعب بن الزبير بالعراق. فاستشار أصحابه. فأشار عمّه يحيى بن الحكم أن يقنع بالشام - إلى أن قال -:

فلما عزم على المسير ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد. فبكت وبكى جواريها لبكائها. فقال: قاتل الله كثير عزّه لكأنّه يشاهدنا حيث يقول: [البحر الطويل]

إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه ... حصان عليها عقد درّ يَزِينُها
نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت وبكى مما عناها قَطِيْنُها

مقتل مصعب

ولما بلغ مصعباً - وكان بالبصرة - مسير عبد الملك سار إلى الكوفة، ومعه الأحنف بن قيس. فتوفّي بها، وسار عبد الملك. فنزل بمسكن قريباً من عسكر مصعب، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ أو فرسخان، وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه، وبذل لجميعهم أصبهان طعمة، وقيل: إنّ كلّ من كاتبه طلب إمرة أصبهان. فقال: أيّ شيء أصبهان هذه حتى كلّهم يطلبها - إلى أن قال -:

فلما رأى عبد الملك رأس مصعب سجد فأمر بدفن مصعب، وابنه عيسى، وقال: كانت الحرمة بيننا قديمة، ولكن الملك عقيم، وكانا يتحدثان إلى حبي وهما بالمدينة. فقيل لها: قتل مصعب. فقالت: تعس قاتله. فقيل: قتله عبد الملك. قالت: وا بأبي القاتل والمقتول. ثم دعا عبد الملك جند العراق إلى بيعته. فبايعوه، وسار حتى دخل الكوفة. فأقام بالنخيلة أربعين يوماً وخطب الناس بالكوفة. فوعد المحسن وتوعد المسيء - إلى أن قال -:

ثم ولى قطناً بن عبد الله الحارثي الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشراً ثم استعمل محمداً بن عمير على همدان، ويزيد بن رويم على الري، ولم يف لأحد شرط له أصبهان،

---

(١) مروج الذهب ٣: ٩٧، والنقل بتصرف يسير.

وصنع عمرو بن حريث له طعاماً كثيراً، وأمر به إلى الخورنق، واذن إذناً عاماً. فدخل الناس وأخذوا مجالسهم. فدخل عمرو بن حريث. فأجلسه معه على سريره. ثم جاءت الموائد فأكلوا. فقال عبد الملك: ما ألذ عيشنا لو دام ملكنا كما قال الأول: **[البحر الطويل]**

وكل جديد يا أُميم إلى بلى ... وكلّ امرىء يوماً يصير إلى كَانَا[1]

«**فإذا فغرت فاغرته**» أي: فتح فاه. قال:

فغرت لدى النعمان لما لقيته

كما فغرت للحيض شمطاء عارك[2]

«**اشتدت شكيمته**» الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس.

«**وثقلت في الأرض وطأته**» وضع القدم ضغطة.

«**غضّت الفتنة أبناءها بأنيابها**» جمع الناب، الأسنان المحدّدة.

«**وماجت الحرب بأمواجها. وبدا من الأيام كلوحها**» تكشّر في عبوس.

«**ومن الليالي كدوحها**» خدوشها وقيل: الكدح أكثر من الخدش.

خطبة عبد الملك بالنخيلة بعد قتله مصعباً

في (الأغاني) لما قتل عبد الملك مصعباً خطب الناس بالنخيلة. فقال: أيها الناس دعوا الأهواء المضلّة، والآراء المتشتّتة، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين، وأنتم لا تعلمون بها. فقد جاريتمونا إلى السيف. فرأيتم كيف صنع الله بكم، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادون جرأة. فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت: **[البحر البسيط التام]**

مـن يَصْلَ ناري بلا ذنب ولا ترة ... يصلى بنار كريم غير غَدَّارِ

أنا النذير لكم منّي مجاهرة ... كيلا ألام على نهي وَأَعْذَارِ

فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا ... أن سوف تلقون خزياً ظاهر الْعَارِ

لتتركَنَّ أحاديثاً وملعبة ... عند المقيم وعند المدلج السَّارِي

وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه ... عندي وإني لطلّاب لأَوْتَارِ

أقيم عوجته إن كان ذا عوج ... كما يقوّم قدح النبعة الْبَارِي

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٢٣ - ٣٣٢، سنة ٧١.

(٢) أورده لسان العرب ٥: ٦٠، مادة (فغر).

الحجاج يقتل عبدالله بن الزبير

وفي (الكامل): لما قتل عبد الملك مصعباً، وأتى الكوفة وجّه منها الحجّاج في ألفين من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير - وكان الحجّاج قال لعبد الملك: قد رأيت في المنام أني أخذت ابن الزبير وسلخته. فولّني قتاله - فسار في جمادى الأولى سنة (٧٢) ونزل الطائف، وكان يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير. فينهزم خيل ابن الزبير، ويعود خيل الحجّاج بالظفر فكتب إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم، وحصر ابن الزبير. فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو الذي كان بعثه إلى وادي القرى ليمنع عمال ابن الزبير من الانتشار، ويأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة، وأخرج عامل ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام. فكان ذاك الرجل يخرج المخّ وهو على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله يأكله، ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة، وقدم طارق بمكّة على الحجّاج في ذي الحجّة في خمسة آلاف. فحصر الحجّاج ابن الزبير ونصب المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة - وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد - وقال ابن عمر للحجاج: امنع من الرمي حتى يقضي الناس ما يجب عليهم بمكة.

فلما فرغ الناس من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج: انصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد، وأول ما رمي بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت، وعلا صوت الرعد على الحجارة. فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا، فأخذ الحجّاج بيده حجارة المنجنيق. فوضعها فيه، ورمى بها معهم. فلما أصبحوا جاءت الصواعق. فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً.

فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة، وهذه صواعقها، وهذا الفتح قد حضر. فلما كان الغد جاءت الصاعقة. فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدة.

فقال الحجاج لأهل الشام: ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها، ولم يزل القتال بينهم فغلت الأسعار عند ابن الزبير، وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدّ من الذرة بعشرين درهماً، وإن بيوت ابن الزبير لمملوّة قمحاً وشعيراً وذرّة وتمراً، ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق، ويقول: أنفس أصحابي قوية ما لم تفن - إلى أن قال -:

فقتلوه في جمادى الثانية، وحمل رأسه إلى الحجّاج فسجد، وكان قبل قتله يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن. فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك. فقيل إنّ الحجاج صلب

معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المسك، وقيل بل صلب معه سنوراً. فلما فرغ الحجاج من أمره دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك، وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار إلى المدينة، وكان عبدالملك قد استعمله على مكّة والمدينة. فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين. فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال: أنتم قتلة عثمان، وضم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وسعد بن سعد، ثم عاد إلى مكة فقال حين خرج: الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نتن أخبث بلد، وأغشّه للخليفة، والله لو لا ما كانت تأتيني كتبه فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعوذون بها، ورمّة قد بليت يقولون منبر الرسول وقبر الرسول[١].

عبد الملك يولّي الحجاج على العراق

وفيه: ولّى عبدالملك في سنة (٧٥) الحجّاج على العراق. فسار في اثني عشر راكباً على النجائب من المدينة حتى دخل الكوفة فجأة. فبدأ بالمسجد. فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء، وكان محمد بن عمير تناول حصباء ليحصبه بها، فلما تكلّم جعلت الحصباء تنتثر من يده، وهو لا يعقل ثمّ كشف الحجاج عن وجهه، وقال: **[البحر الوافر]**

أنـا ابـن جـلا وطـلّاع الـثـنـايـا ... مـتـى أضـع الـعـمـامـة تَـعْـرِفُـونِـي

وقال: إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وقد حان قطافها. إني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى. إنّ الخليفة عبدالملك نثر كنانته فعجم عيدانها. فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً. فوجّهني إليكم، ورمى بي في نحوركم، فوالله لأذيقنّكم الهوان، والله لتستقيمُنّ أو لأضربنّكم بالسيف ضرباً يدع النساء أيامى والولدان يتامى، وقد بلغني رفضكم المهلّب، وإني أقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه، ونهبت داره. ثم أمر بكتاب عبدالملك فقرئ. فلما قال القارئ «أما بعد سلام عليكم» قال: يا عبيد العصا يسلّم عليكم الخليفة. فلا يردّ منكم رادّ، ثم قال: اقرأ فلمّا قرأ «سلام عليكم» قالوا بأجمعهم «سلام على الخليفة ورحمة الله وبركاته».

قانونه الظالم

وفيه: قال الشعبي: كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعليّ عليه السلام نزعت عمامته، ويقام للناس، ويشهر أمره. فلما ولي مصعب قال: ما هذا

---

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٤٩ - ٣٥٩، سنة ٧٣.

بشيء، وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى. فلما ولي بشر بن مروان صار يرفع الرجل عن الأرض ويسمر في يده مسماراً في حائط. فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم. فقال شاعر: [البحر البسيط التام]

لولا مخافة بشر أو عقوبته وإن ينوّط في كفيّ مِسْمَارُ
إذن لعطّلت ثغري ثم زرتكُمُ إنّ المحب لمن يهواه زَوَّارُ

فلما كان الحجاج قال: هذا لعب، اضرب عنق من تخلى مكانه من الثغر، وأتاه عمير بن ضابي. فقال: أنا شيخ كبير عليل، وهذا ابني بدلي. فقتله وأمر أن ينادي أنّ عميراً أتى بعد ثلاثة. فأمرنا بقتله فازدحموا على الجسر للخروج إلى المهلب. فقال المهلب: قدم اليوم العراق ذكر. وخرج في تلك السنة من الكوفة إلى البصرة. فخطبهم وتوعّد من رآه بعد ثلاثة، ولم يلحق بالمهلّب فأتاه شريك اليشكري الأعور الذي يضع على عينه كرسفة. فقال: إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر، وهذا عطائي مردود. فأمر به فضربت عنقه فلم يبق أحد إلا لحق بالمهلب(١).

كتاب الحجاج إلى عبد الرحمن بن الأشعث

وفيه، كتب الحجاج في سنة (٨١) إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث يلحّ عليه بالتوغّل في بلاد رتبيل. فقام عبدالرحمن، وقال: أتاني كتاب الحجاج يأمرني بتعجيل الولوغ بكم في أرض العدوّ، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إن مضيتم، وآبى إن أبيتم. فقالوا: بل نأبى على عدوّ الله - وكان أول من تكلّم أبو الطفيل - فقال: إنّ الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول «احمل عبدك على الفرس فإن هلك فلك وإن نجا فلك. إنّ الحجاج ما يبالي أن يخاطر بكم. فيقحمكم بلايا كثيرة فإن ظفرتم أكل البلاد، وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوّكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم، ولا يبقي عليهم».

خلع الحجاج ومبايعة أهل البصرة عبد الرحمن

فخلعوه وأقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة. فبايعه جميع أهلها قرّاؤها، وكهولها، وكان السبب في سرعة إجابتهم أنّ عمّال الحجاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها «إنّ من كان له أصل من قرية

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٧٤ - ٣٧٩، سنة ٧٥.

فليخرج إليها» فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية. فجعلوا يبكون، وينادون «يا محمّداه يا محمّداه» ولا يدرون أين يذهبون، وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يروى - إلى أن قال - بعد ذكر هزيمتهم بدير الجماجم، وكانت مدة حربهم مئة يوم وثلاثة أيام - فإن قالوا: كفرنا بايعهم، وإلا قتلهم. فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً فسأله عن حاله. فأخبره باعتزاله، ولم يشهد بالكفر. فقتله فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلا رحمه[1].

اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً

وفيه: إنّه ذكر عند عمر بن عبد العزيز ظلم الحجّاج وغيره من الولاة أيام الوليد فقال عمر: الحجّاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرّة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكّة: اللهمّ قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً[2].

وفيه ولّى خالد القسري مكّة سنة (٨٩) فخطب وقال: والله لم تعلموا فضل الخليفة - يعني الوليد وكان حفر بئراً بثنيه طوى فكانت عذباً - إلا أنّ إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً - يعني زمزم - واستسقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً - يعني تلك البئر - وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم. فغارت فلا يدري أين هو اليوم[3].

«**فإذا أينع**» أي: نضج.

«**زرعه وقام على ينعه، وهدرت**» من هدر البعير ردّج صوته في حنجرته.

«**شقاشقه**» جمع الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه الفحل العربي عند الهياج، وجعل (ابن ميثم) له بمعنى البرق وصفة السحاب؛ وهمٌ.

«**وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة**» أي: الشديدة.

دنا تشتيت بني أمية

«**وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم**» إشارة إلى أنه لما قدّر من الله انقضاء أمرهم، وصاروا كزرع آن حصاده عقدت رايات معضلة لهلاكهم من خراسان من دعاة العباسيّين.

وفي (المروج): قال ابن بنت ذي الكلاع، وكان مؤانساً لسليمان بن هشام بن عبد

(١) هذا مختصر كلام ابن الأثير في الكامل ٤: ٤٦١ - ٤٨١، سنة ٨١ - ٨٣.
(٢) الكامل ٤: ٥٨٣، سنة ٩٥. (٣) الكامل ٤: ٥٣٦، سنة ٨٩، والنقل بتخليص.

الملك، وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قدبان، ونطق العدوّ بما أحب في بني أمية قال كنت مع سليمان، وكان يشرب حذاء رصافة أبيه في آخر أيام يزيد الناقص، وعنده حكم الوادي يغنيه بشعر العرجي: **[البحر الكامل]**

إنّ الحبيب تروّحت إحماله   أصلاً فدمعك دائم إسْبالُهُ
أقن الحياة فقد بكيت بعولة   لو كان ينفع باكياً إعْوالُهُ

فشرب وشربنا حتى توسّدنا أيدينا فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياي. فقمت إليه مسرعاً، فقلت: ما شأن الأمير؟ فقال: على رسلك رأيت كأنّي في مسجد دمشق، وكأنّ رجلاً في يده خنجر، وعليه تاج أرى بصيص ما فيه، من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات: **[البحر الكامل]**

أبني أمية قددنا تشتيتكم   وذهاب ملككم وأن لا يَرْجِعُ
وينال صفوته عدوّ ظالم   للمحسنين إليه ثمة يُفْجَعُ
بعد الممات بكلّ ذكر صالح   يا ويله من قبح ما قد يَصْنَعُ

فقلت: بل لا يكون ذلك فوجم ساعة ثم قال: بعيد ما يأتي به الزمان قريب فما اجتمعنا بعد ذلك على شراب[1].

وفيه - في عنوان السبب في العصبية بين النزارية واليمانية - قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب للكميت: إني رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب. فقال الكميت قصيدته التي يذكر فيها مناقب مضر، وربيعة، وأياد، وأنمار بني نزار، وأنهم أفضل من قحطان ونمي قوله وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار، وأدلى كلّ فريق بما له من المناقب، وتحزّبت الناس، وثارت العصبية في البدو والحضر، فنتج بذلك أمر مروان بن محمد، وتعصبّه لقوله من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العبّاسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم. ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصبّاً لقومه من ربيعة، وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة - إلى أن قال -.

إن نصراً بن سيّار ضعف أمره بخراسان فخرج فمات بساوة كمداً، ولما كان بين الري

(١) مروج الذهب ٤ : ٢٢٧.

وخراسان كتب إلى مروان بن محمد: [البحر السريع]

إنا وما نَكْتُمُ من أمرنا ... كالثور إذ قرّب لِلنَّاخِعِ
أو كالتي يحسبها أهلها ... عذراء بكراً وهي في التَّاسِعِ
كنّا نر فيها فقد مزّقت ... واتّسع الخرق على الرَّاقِعِ
كالثوب إذ أنهج فيه البلى ... أعيا على ذي الحيلة الصَّانِعِ

وكان كتب أيضاً قبل ذلك إليه: [البحر الوافر]

أرى بين الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضَرَامُ
فإنّ النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أوّله الْكَلَامُ
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نِيَامُ

فأجابه: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» فقال نصر لأصحابه: أعلمكم صاحبكم ألا نصر عنده - إلى أن قال -.

قتل مروان ونهاية بني أميَّة

وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر، وأتاه عبد الله بن عليّ في عساكر أهل خراسان. فالتقيا فانهزم مروان، وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم، وغرق ثلاثماءة من بني أمية ذاك اليوم غير باقي الناس، ونزل عبد الله على باب حرّان. فهدم قصر مروان واحتوى على خزائن أمواله، ونزل عبد الله على نهر أبي فطرس. فقتل من بني أمية هناك بضعاً وثمانين رجلاً ورحل صالح بن عليّ في طلب مروان فلحقه بمصر فقتله. وذكر المدائني أنّ مروان حين نزل على الزاب؛ جرّد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مئة ألف فارس. فلما أشرف عبد الله بن عليّ في المسودة وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرحال على الجمال البخت، وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كأنّها النخل غلظاً؟ أما ترون إلى أعلامهم فوق هذه الإبل كأنها قطع من الغمام سود؟ فبينا هو كذلك إذ طار من أترجة هنالك قطعة من الغرابيب السود. فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن عليّ واتصل سوادها بسود تلك الرايات والبنود، ومروان ينظر. فتطيّر من ذلك.

خروج الرايات السود من خراسان

فقال: أما ترون السواد قد اتّصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سودا ثم نظر إلى

أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل. فقال: إنها لعدة وما تنفع العدّة إذا انقضت المدّة[١].

وفي (العقد): لما سمّ أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية. نزل بمحمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، وقال: يا بن عم إني ميت وقد صرت إليك وأنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم ثم أخوه بعده، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ثم ليغلبنّ ما بين حضرموت، وأقصى إفريقية، وما بين غابة، وأقصى فرغانة. فعليك بهؤلاء الشيعة...

وعن بكير مولى مسلم قال: لم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان، وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك[٢].

ظلم عاصف

«**هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف**» يقال: ريح قاصف ورعد قاصف أي: شديد.

«**ويمرّ عليها من عاصف**» يقال: ريح عاصف أي: شديدة. ومن ذلك ولاية زياد عليها الذي قتل الشيعة وكان يعرفهم تحت كلّ حجر ومدر، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل خمس سنين، وولاية الحجّاج عليها عشرين سنة وقد أكل خضرتهم، وأذاب شحمتهم ومن ذلك حالهم في أيام خلافة المنصور فكان إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى أمر سلماً مولى قحطبة بطلبه. فكان يمهله حتى إذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلّما على منزل الرجل فطرقه في بيته حتى يخرجه فيقتله، ويأخذ خاتمه. فقيل لابنه لو لم يورثك أبوك إلا خواتيم من قتل من أهل الكوفة كنت أيسر الأبناء، وكان المنصور يشير إلى الكوفة ويقول: هذه المدرة السوء ما هي بحرب فأحاربها ولا هي بسلم فأُسالمها.

ولما انهزم جند الخليفة من أبي طاهر القرمطي في سنة (٣١٢) دخل الكوفة وأقام ستة أيام بظاهرها يدخل البلد نهاراً، ويخرج يبيت في عسكره، وحمل منه ما قدر من الأموال والثياب، وغير ذلك واستولى عليها أيضاً سنة (٣١٥).

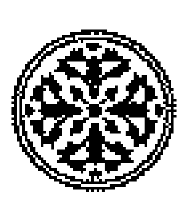
«**وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون**» قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[٣].

---

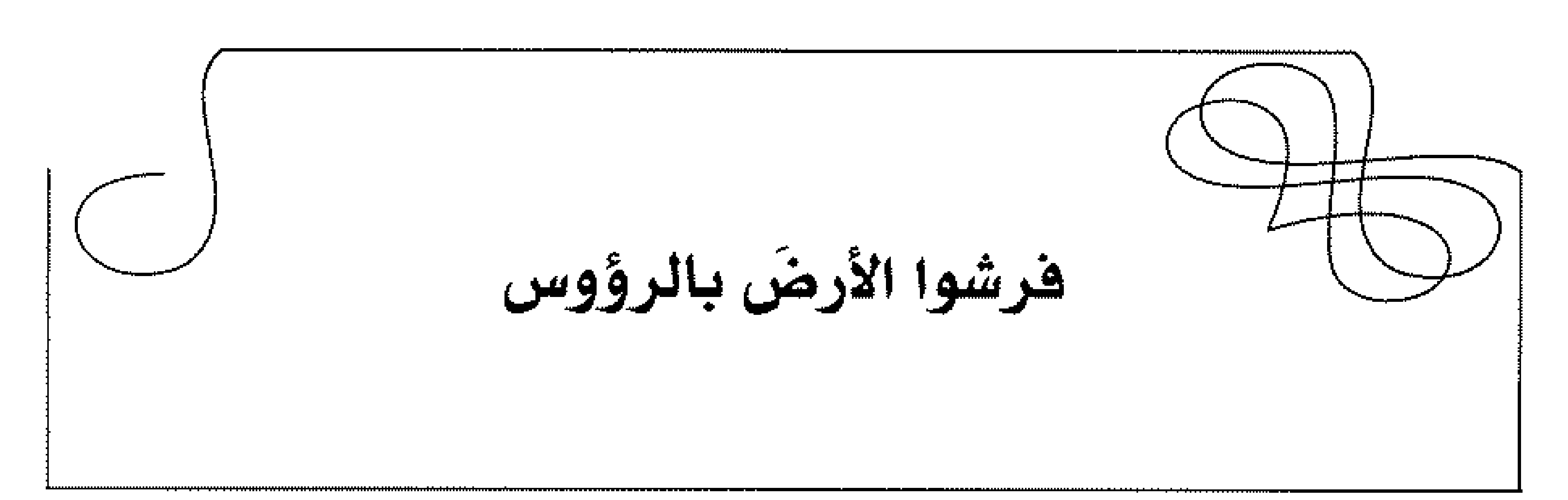
(١) مروج الذهب ٣: ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و٢٤٠ و ٢٤٣ و٢٤٥ و ٢٥٠، والنقل بتقطيع كثير.
(٢) العقد الفريد ٥: ٢٠٤، والنقل بتلخيص.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٨.

«**ويحصد القائم ويحطم المحصود**» قال تعالى: ﴿مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ﴾(١).

هذا وقال ابن أبي الحديد: «إنّ قوله عليه السلام «وعن قليل...» كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على الدولة الأموية(٢). وهو كما ترى. فإن الظاهر أنّ مراده عليه السلام جميع دول الدنيا الأموية والعباسية ومن بعدهم إلى القيامة.



(١) سورة الكهف، الآية: ٤٥.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٤.



فرشوا الأرضَ بالرؤوس

«كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوس. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ عَظِيمَ الصَّوْلَةِ واللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ والْعَهْدَ الْقَرِيبَ اَلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي اَلنُّبُوَّةِ، وإعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ». من الخطبة (١٣٦)

عبد الملك في ضواحي كوفان

أقول: قوله: «كأنّي به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان»، كقوله ﷺ في سابقه: «**لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نقع بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان**» في إرادة عبد الملك به كما عرفت بل الأصل فيهما واحد.

«**فعطف عليها عطف الضروس**» أي: ناقة سيّئة الخلق تعضّ حالبها. قال الجوهري: ومنه قولهم هي بجنّ ضراسها أي: بحدثان نتاجها، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها. قال بشر: **[البحر الطويل]**

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا   بشهباء لا يمشي الضراء رَقِيْبُها(١)

ماذا فعل الحجاج بأهل الكوفة

«**وفرش الأرض بالرؤوس**» في حربه مع مصعب، وفي حروب عامله الحجّاج مع ابن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/ ٤٧ عن لسان العرب ٦/ ١٨، تاج العروس: ٨/ ٣٣٤، صحاح اللغة ٢/ ٩٣٩، مادة (ضرس).

الأشعث وغيره، وفي من قتله الحجّاج صبراً. فقالوا: قتل في مجلسه مائة ألف غير من قتله في الحروب، وفعله فعل عبد الملك، ولمّا انهزم ابن الأشعث بمسكن جعل الحجّاج يقتل من وجد من جنده حتّى قتل أربعة آلاف. فيقال إنّ في من قتل عبد الله بن شداد، وبسطام بن مصقلة، وعمرو بن ضبيعة، وبشر بن المنذر بن الجارود، والحكم بن مخزمة، وبكير بن ربيعة.

فأتي الحجّاج، برؤوسهم على ترس فأمر أن يوضع الترس بين يدي مسمع بن مالك. فبكى فقال: أحزنت عليهم؟ قال: بل جزعت عليهم من النار.

ولمّا كتب مالك بن أسماء بن خارجة - وكان الحجّاج حبسه وأمر بسقيه الماء المخلوط بالرماد والملح - إلى أبيه يستشفع فيه إلى الحجّاج قال أبوه: **[البحر الكامل]**

أَبَنِي فزارة لا تعنّوا شيخكم ... ما لي بكم ولزيارة الْحَجَّاجِ
شبهته شبلاً غداة لقيته ... يلقى الرؤوس شواخب الْأَوْدَاجِ
تجري الدماء على النطاع كأنّها ... راح شمول غير ذات مِزَاجِ

كم قتل الحجاج من أصحاب ابن الأشعث؟!

وقتل الحجّاج يوم الزاوية من أيامه مع ابن الأشعث أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان أمر منادياً فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان فسمّى رجالاً من أولئك الأشراف، ولم يقل الناس آمنون فقالت العامة:

قد آمن الناس كلّهم إلّا هؤلاء النفر، فأقبلوا إلى حجرته. فلمّا اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثمّ أمر بقتلهم وقالوا: بلغ ما قتل الحجّاج صبراً ماءة وعشرين - أو ثلاثين - ألفاً.

«**وقد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة عظيم الصولة**» هو كقوله عليه السلام في سابقه: «**فإذا فغرت فاغرته، واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته**» بل الأصل فيهما واحد كما عرفت، وان لم ينبّه عليه الرضي - رضوان الله عليه - كما هو دأبه.

الحجاج يُلاحق أهل الكوفة في أطراف الأرض

«**والله ليشرّدنكم**» أي: يفرّقنّكم.

«**في أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلّا قليل كالكحل في العين**» في (تاريخ الطبري): قدم عثمان بن حيان المرّي في سنة (٩٤) المدينة فأخذ رياح بن عبيد الله ومنقذ

العراقي وفلاناً. فبعث بهم في جوامع إلى الحجّاج، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً، ولا غير تاجر وأمر بهم أن يخرجوا من كلّ بلد، وقال على المنبر: وجدناكم أهل غش وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالاً. أهل العراق أهل الشقاق والنفاق، والله لا أوتي بأحد منكم آوى أحداً منهم أو أكراه منزلاً إلّا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله[1].

«**حتّى تؤوب**» أي: ترجع.

«**إلى العرب عوازب أحلامها**» من إضافة الصفة أي: ما غاب من عقولها.

فيتفكرون أنّ بني أميّة الّذين أولو الجور، والفجور لا يرضى بسلطنتهم ذو شعور فيجتهدون في اضمحلالهم، وكان بدء ذلك في سنة (١٠١) أوّل خلافة يزيد بن عبد الملك.

البيعة لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وفي (أخبار الدينوري): أوّل من قدم سنة (١٠١) على محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالحميمة من أرض الشام، ميسرة العبدي، وأبو عكرمة السرّاج، ومحمّد بن خنيس، وحيان العطار. فقالوا له: ابسط يدك نبايعك، على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيي بك العدل، ويميت بك الجور. فإنّ هذا وقت ذلك، وأوانه الّذي وجدناه مأثوراً. فقال لهم محمّد: هذا أوّل ما نؤمّل ونرجو من ذلك لانقضاء ماءَة سنة من التاريخ. فإنه لم تنقض ماءَة سنة على أمّة قط إلّا أظهر الله حقّ المحقين، وأبطل باطل المبطلين لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[2] ثمّ بعثه فانطلقوا وادعوا الناس في رفق وستر. ثمّ وجّه ميسرة وابن خنيس إلى العراق، ووجّه أبا عكرمة وحيّاناً إلى خراسان. فجعلا يسيران من كورة إلى اخرى يدعوان إلى بيعة محمّد بن عليّ، ويزهّدانهم في سلطان بني أُميّة بخبث سيرتهم، وعظيم جورهم. ثم قدما عليه وأخبراه أنّهما غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه إلى أن قال:

وفي خلافة هشام بعث محمّد بن عليّ سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب، وخالداً بن هيثم، وطلحة بن زريق. فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٨، سنة ٩٤، والنقل بتلخيص.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

أهل بيت نبيّهم، ويبغّضون إليهم بني أُميّة لما يظهر من جورهم واعتدائهم حتّى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان(١) . . . .

هذا وقال ابن أبي الحديد: المراد بالعرب هاهنا بنو العباس، ومن اتّبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة الطائي، وابنيه، وبني زريق وعدادهم في خزاعة، وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس، وقيل: إنّ أبا مسلم أيضاً عربي(٢).

قلت: بل المراد بالعرب في كلامه عليه السلام عرب اليمن وربيعة فإنّهم كانوا على بني أميّة، وإنّما كانت مضر مع بني أميّة.

إلحاق حي ربيعة واقصاء حي قيس وتميم

وفي (العقد): قال أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية لمحمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس لمّا حضره الموت: انظر هذا الحي من ربيعة. فألحقهم بهم (يعني اليمانية) فإنّهم معهم في كلّ أمر، وانظر هذا الحيّ من قيس، وتميم (وهما من مضر) فأقصهم إلّا من عصم الله منهم وذلك قليل(٣).

هذا وعكس نصر بن سيار لكونه من عمّال بني أُميّة كلامه عليه السلام فجعل قيام العرب على خلاف بني أُميّة ذهاب العقل. فقال مخاطباً لهم: [البحر البسيط التام]

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتهم ... فليغضبوا قبل ألا ينفع الْغَضَبُ
ولينصبوا الحرب إنّ القوم قد نصبوا ... حرباً يحرّق في حافاتها الْحَطَبُ
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم ... كأنّ أهل الحجا عن رأيكم غَرَبُ

هذا، وفي (الأغاني): اعترض الرشيد قينة فغنّت في قول الشاعر: [البحر المنسرح]

ما نقموا من بني أُميّة إلّا ... أنّهم يحلمون إن غَضِبُوا
وإنّهم سادة الملوك فما ... تصلح إلّا عليهم الْعَرَبُ

فلمّا ابتدأت به تغيّر وجه الرشيد، وعلمت أنّها قد غلطت، وأنّها إن مرّت فيه قتلت فغنّت. [البحر المنسرح]

ما نقموا من بني أُميّة إلّا ... أنّهم يجهلون ان غَضِبُوا

---

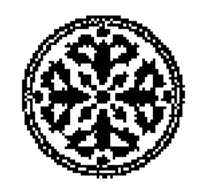
(١) الأخبار الطوال: ٣٣٤، والنقل بتلخيص.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٣٨٩، وبحار الأنوار: ٣١/ ٥٥٣، باختلاف يسير.
(٣) العقد الفريد ٥/ ٢٠٥.

وأنّهم معدن النفاق فما تفسد إلّا عليهم الْعَرَبُ

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعت؟ قال: تبتاع وتثنى لها الجائزة وتعجل لها الإذن ليسكن قلبها قال: ذلك جزاؤها. فقال لها: قومي فأنت منّي بحيث تحبّين فأغمي على الجارية - هذا، وقال البحتري: [البحر الوافر]

فهل لابني عدي من رشيد يردّ شريد حلمهما الْغَرِيْبُ

ومعنى اعترض الرشيد جارية، في الأوّل جعلها في معرض الابتياع.



سبب الظلم...
وإيثار العاجلة وتأخير الآجلة

«آثَرُوا عَاجِلاً وأَخَّرُوا آجِلاً وتَرَكُوا صَافِياً وشَرِبُوا آجِناً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وبَسِئَ بِهِ ووَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَو كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ والأَبْصَارُ اَللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ اَلَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ؟ إِزْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ ورُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وأَقْبَلُوا إِلَى اَلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ودَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا ووَلَّوْا ودَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وأَقْبَلُوا». من الخطبة (١٤٢)

بيان سبب اتباع الناس للمتقدمين عليه عليه السلام

أقول: «آثروا عاجلاً، وأخرّوا آجلاً» قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾[1]. ومراده عليه السلام بيان سبب اتباع الناس للمتقدمين عليه.

وفي (تاريخ الطبري) في عنوان بيعة عثمان: قال عليّ عليه السلام:

«**إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها.**

فتقول:

إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم»[2].

وقال عليه السلام لابن عوف لمّا بايع عثمان: «حبوته حبو دهر. ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٨، سنة ٢٣، خلاصة عبقات الأنوار: ٣/ ٣٤١، ونفحات الأزهار: ٣/ ٣١٧.

فيه علينا. فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك والله كلّ يوم هو في شأن»[١].

«**وتركوا صافياً، وشربوا آجناً**» أي: غير الصافي، وفي (تاريخ الطبري):

لمّا بايع ابن عوف عثمان قال له المقداد: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون – إلى أن قال:

ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إنّي لأعجب من قريش.

إنّهم تركوا رجلاً ما أقول أنّ أحداً أعلم، ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليهم أعواناً[٢].

الخليفة من سار بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

وفي (مقاتل أبي الفرج): إنّ معاوية أمر الحسن عليه السلام لمّا سلّم الأمر إليه أن يخطب، وظنّ أنه سيحصر. فقال الحسن عليه السلام في خطبته: «إنّما الخليفة من سار بكتاب الله تعالى وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وليس الخليفة من سار بالجور. ذلك ملك ملك ملكاً يتمتّع فيه قليلاً ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين[٣].

«**كأنّي أنظر إلى فاسقهم**» لا يبعد أن يكون إشارة إلى عبد الملك كقوله في سابقيه: «**لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نقع بالشام**» و«**كأنّي به قد نعق بالشام**» وتأخره عن قريش كانوا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وعادوه عليه السلام لا ينافيه. فالكلّ واحد، وبواسطتهم وصل كباقي بني أُميّة إلى ما وصل.

وقال النظام عند قول عبد الملك «**ما أنا بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا فلان ولا فلان**»: «**لولا هم لما وصلت إلى ما وصلت**»[٤].

عبد الملك يمنع أهل الشام من الحج

«**وقد صحب المنكر فألفه**» في (تاريخ اليعقوبي): منع عبد الملك أهل الشام من

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣، والجوهري في السقيفة: ٨٥، وغيرهما، حياة أمير المؤمنين ٣/ ٢٥ ح ٢، وخلاصة عبقات الأنوار ٣/ ٣٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣ بحار الأنوار ٢٨/ ٣٨١ وخلاصة عبقات الأنوار: ٣/ ٣٤٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٧، والآية ١١١ من سورة الأنبياء، الخرائج والجرائح: ١/ ٢٣٧ باختصار.

(٤) رواه الجاحظ في البيان والتبين ٢: ٢٧٣، والنقل بالمعنى.

الحج، وذلك أنّ ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة فمنعهم عبد الملك من الخروج. فضجّ الناس، وقالوا: منعنا من حجّ بيت الله، وهو فرض من الله علينا. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدّثكم أنّ النبيّ ﷺ قال: لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة الّتي يروى أنّ النبيّ وضع قدمه عليها لما أصعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة. فبنى على الصخرة قبة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كالكعبة[١].

«**وبسئ به**» في (الصحاح): بسأت به بالفتح والكسر إذا استأنست به[٢].

«**ووافقه حتّى شابت عليه مفارقه**» في (الصحاح): «**المفرق وسط الرأس كأنّهم جعلوا كلّ موضع منه مفرقا، وهوالّذي يفرق فيه الشعر**[٣]. **فقالوا مفارق وشيب المفارق على المنكر كناية عن طول صحابته عليه كقولهم: من دبّ الى شبّ**».

إنّه أمر غير ممكن

«**وصبغت به خلائقه**» أي: طبائعه وهو أيضاً كناية عن صيرورته كالطبيعة الثانية له كالثوب الّذي يصبغ. فيصير صبغه كلون طبيعي له، وفي (نسب قريش مصعب الزبيري) غضب عبد الملك غضبة. فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة - عامله على المدينة - أن أقم آل عليّ يشتمون عليّاً فقيل له: إنّه أمر غير ممكن[٤].

«**ثمّ اقبل مزبداً**» أي: كبحر يقذف بالزبد.

«**كالتيّار**» أي: الموج.

«**لا يبالي ما غرّق أو كوقع النار في الهشيم**» أي: النبات اليابس المتكسّر، والشجرة اليابسة يأخذها الحاطب كيف يشاء.

الحجاج يحرّق كل بيت تخلّف

«**لا يحفل**» أي: لا يبالي. «**ما حرّق**» في (العقد): أنّ عبد الملك لمّا قتل الأشدق غدراً به وأراد أن يخرج إلى الكوفة لقتال مصعب جعل يستفزّ أهل الشام. فيبطئون عليه.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الخصال: ١/ ٩٤ باختلاف يسير، ومن لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٣١ ح ٦٩٤، والصحاح: ١/ ٣٦، صحاح اللغة: ١/ ٣٦، مادة (بسأ).

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٥٤١، مادة (فرق).

(٤) نسب قريش: ٤٧.

فقال له الحجّاج: سلّطني عليهم. ففعل، فكان لا يمرّ على بيت تخلّف إلّا حرّقه. فلمّا رأى ذلك أهل الشام أسرعوا إليه فخرج إلى مصعب فقتله[١].

أعرابي يتساءل

«**أين العقول المستصبحة بمصابيح**» أي: سرج.

«**الهدى**» حتّى تتبع أهل بيت نبيّه الّذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وتمتنع من أولئك الأجلاف الفجرة.

هذا وفي (بيان الجاحظ): قام أعرابي ليسأل فقال: «**أين الوجوه الصباح، والعقول الصحاح والألسن الفصاح، والأنساب الصراح، والمكارم الرباح، والصدور الفساح تعيذني من مقامي هذا**»[٢].

«**والأبصار اللامحة الى منار التقوى**» في (الصحاح): لأرينك لمحاً باصراً، أي: أمراً واضحاً[٣].

«**أين القلوب الّتي وهبت للّه، وعوقدت على طاعته**» وفي (صفّين نصر): أنّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفّين: «**أين من يبغي رضوان ربّه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد**» فأتته عصابة من الناس فقال: «**أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الّذين يبغون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله إن كان إلّا ظالما لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله، وقال: اللّهم إنّك تعلم أنّي لوأعلم أنّ رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثمّ أنحني عليها حتّى يخرج من ظهري لفعلت. اللّهم إنك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت. اللّهم وإنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعمل اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين**»[٤].

خطبة عمّار بن ياسر في صفين

«**ازدحموا على الحطام**» اليابس المتكسّر.

«**وتشاحّوا**» ألشّحّ: البخل مع حرص.

---

(١) العقد الفريد ٥: ١٤٨، والنقل بالمعنى، والإمامة والسياسة: ٢/ ٢٢ باختلاف يسير.

(٢) البيان والتبين ٣: ٤٠٧.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ١٢٤، لسان العرب: ١/ ٥٨٤، تاج العروس ٤/ ١٩٤، صحاح اللغة ١: ٤٠٢، مادة (لمح).

(٤) مواقف الشيعة: ٢/ ٤٦، والبحار ٨/ ٤٥٧، قاموس الرجال: ٦/ ٢٢٥، وقعة صفين: ٣٢٠ و ٣٢٦.

«على الحرام» في (صفين نصر): قام عمّار بصفّين. فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان.

فقال: هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون أنّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها.

ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية. فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون - إلى أن قال:

وقال لعمرو بن العاص بعت دينك بمصر تبّاً لك وطالما بغيت الإسلام عوجا - إلى أن قال:

وقال لعبيد الله بن عمر **«صرعك الله بعت دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام؟ قال: كلا. ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: كلا أشهد على علمي فيك أنّك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، وأنك إن لم تقتل اليوم فستموت غداً. فانظر إذا أعطى الله على نياتهم ما نيتك[1]؟**

مخاطبة علي عليه السلام لعمر بن سعد

«ورفع لهم علم الجنّة والنار فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم» لكون النار محفوفة بالشهوات كالجنّة بالمكاره. وفي (كامل الجزري): قال ابن سيرين: قال عليّ عليه السلام لعمر بن سعد: كيف أنت إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار[2]؟ فخيّره عبيد الله بين ردّه عهد الري أو خروجه لقتال الحسين عليه السلام وقتله فاختار الثاني وقال: **[البحر الطويل]**

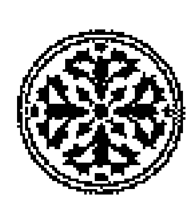
أأترك ملك الريّ والريّ رغبتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حُسَيْنِ

(١) وقعة صفين: ٣١٩، مواقف الشيعة: ٤٦٢، وشرح نهج البلاغة لأبي الحديد: ٥/ ٢٥٤.
(٢) الكامل ٤: ٢٤٢، سنة ٦٦، كنز العمال: ١٣/ ٦٧٤ ح ٢٣/ ٣٧٧، وتاريخ مدينة دمشق: ٤٥/ ٤٩، تهذيب الكمال: ٢١/ ٣٥٩.

وفي قتله النار الّتي ليس دونها   حجاب وملك الري قرّة عيني

«**دعاهم ربّهم فنفروا وولّوا**» ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1] ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾[2].

«**ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا**» ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾[3].



(١) سورة النمل، الآية: ٨٠.
(٢) سورة المدثر، الآيتان: ٥٠، ٥١.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.



الحجاج بن يوسف غلام ثقيف

أَمَا واللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيف الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ويُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيه أَبَا وَذَحَةَ. من الخطبة (١١٤)

الإمام علي عليه السلام يحذر من الحجاج وظلمه قبل ولادته

أقول: الوذحة الخنفساء وهذا القول يومئ به إلى الحجاج، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

أقول: روى (المسعودي في مروجه): **عن المنقري عن عبد العزيز بن الخطاب عن فضيل بن مرزوق قال: لمّا غلب بسر بن أرطأة على اليمن، وكان من قتله لابني عبيد الله بن العباس ولأهل مكّة والمدينة واليمن ما كان، قام عليّ** عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه محمّد صلى الله عليه وآله ثم قال: إنّ بسراً قد غلب على اليمن، والله ما أرى هؤلاء القوم إلّا سيغلبون على ما في أيديكم وما ذلك بحق في أيديهم، ولكن بطاعتهم، واستقامتهم لصاحبهم، ومعصيتكم لي، تناصرهم وتخاذلكم، وإصلاح بلادهم وإفساد بلادكم - إلى أن قال:

اللّهمّ عجّل عليهم بالغلام الثقفي الذيّال الميّال يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها، ولا يتجاوز عن مسيئها - وما كان ولد الحجّاج يومئذ[1].

وروى (أبو الفرج في مقاتله)، عن إسماعيل بن موسى من بيت السدي، عن عليّ بن مسهر، عن الأحلج، عن موسى بن أبي النعمان قال: جاء الأشعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر. فأدمى الأشعث أنفه، فخرج عليّ عليه السلام وهو يقول: ما لي ولك يا أشعث أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرّت شعيراتك. قيل يا

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ١٦٩ بتفاوت، وشرح احقاق الحق: ٨/ ١٧٩، مروج الذهب ٣: ١٤٢.

أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقي أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذلّاً. قيل: يا أمير المؤمنين كم يلي، وكم يمكث؟ قال عشرين إن بلغها[١].

الحجاج يقتل أعشى باهلة

وروى عثمان بن سعيد وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر عن يحيى التيمي عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء قال: قام أعشى باهلة - وهو يومئذ غلام حدث - إلى عليّ عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم. فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة. فقال عليّ عليه السلام: إن كنت آثماً في ما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ثم سكت فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلّا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها. قالوا: فيقتل قتلا أم يموت موتاً؟ قال عليه السلام: «**بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه**».

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش ابن الأشعث بين يدي الحجّاج فقرعه ووبّخه، واستنشده شعره الّذي يحرّض فيه ابن الأشعث على الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذاك المجلس[٢].

موتٌ فاحش للحجاج

وروى (الاحتجاج): أنّ عباد بن قيس من بكر بن وائل قام إلى عليّ عليه السلام بعد فتح البصرة، وقال له: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتّى يدركك غلام ثقيف.

قالوا: ومن غلام ثقيف؟ قال: رجل لا يدع لله حرمة إلّا انتهكها: قالوا: أفيموت أو يقتل؟ فقال عليه السلام: يقتله قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه[٣].

(١) الخرائج والجرائح: ١/ ١٩٩ ح ٢٣٨ بحار الأنوار: ٣٤/ ٣١٤ ح ١٠٨٤، مدينة المعاجز: ٢/ ١٨٩، مقاتل الطالبيين: ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٩، شرح الخطبة ٣٧، البحار ٣٤/ ٣٠٠ باختلاف يسير وشرح أبي الحديد: ٢/ ٢٨٩.

(٣) الاحتجاج: ١/ ٢٤٧، مدينة المعاجز: ٢/ ٢١٧ ح ٥١٧، البحار ٣٢/ ٢٢٢، الاحتجاج ١: ١٦٨.

غلام ثقيف عبد لا يدع لله حرمة إلا هتكها

ونقل (المختلف) في أحكام البغاة عن العماني قال: إنّ رجلاً من عبد القيس قام يوم الجمل. فقال: يا أمير المؤمنين ما عدلت حين تقسم بيننا أموالهم، ولا تقسم بيننا نساءهم، ولا أبناءهم. فقال له: إن كنت كاذبا فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، وذلك أنّ دار الهجرة حرّمت ما فيها، ودار الشرك أحلّت ما فيها. فأيّكم يأخذ أمّه من سهمه. فقام رجل فقال: وما غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: عبد لا يدع لله، حرمة إلّا هتكها. قال: يقتل أو يموت؟ قال: بل يقصمه الله قاصم الجبارين[١].

وفي (كامل الجزري): قال الحسن البصري: سمعت علياً عليه السلام على المنبر يقول: اللّهمّ ائتمنتهم فخانوني، ونصحتهم فغشّوني. اللّهمّ فسلّط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية. فوصفه وهو يقول: الذيّال مفجّر الأنهار. يأكل خضرتها، ويلبس فروتها. قال الحسن: هذه والله صفة الحجّاج. قال حبيب بن أبي ثابت قال عليّ عليه السلام لرجل: لا تموت حتّى تدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف؟ قال: ليقالنّ له يوم القيامة كفنا زاوية من زوايا جهنّم. رجل يملك عشرين أو بعضاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلّا ارتكبها حتّى لو لم تبق إلّا معصية واحدة بينه وبينه باب مغلق لكسره حتّى يرتكبها[٢].

«أما والله ليسلّطن عليكم غلام ثقيف» مراده عليه السلام بغلام ثقيف الحجّاج، وأخبر عليه السلام في موضع آخر بغلام ثقيف آخر ابن عم الحجّاج باسمه ونسبه يوسف بن عمر.

ففي (إرشاد المفيد): قال عليه السلام أيّها الناس إنّي دعوتكم إلى الحقّ فتوليتم عني، وضربتكم بالدرّة فأعييتموني. أما إنّه سيليكم من بعدي ولاة لا يرضون منكم بهذا حتّى يعذّبوكم بالسياط والحديد إنّه من عذّب الناس في الدنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلّ بين أظهركم. فيأخذ العمال وعمّال العمال. رجل يقال له يوسف بن عمر[٣]. قلت:

وصار الأمر كما ذكر عليه السلام فغضب هشام على خالد القسري عامله على العراق.

---

(١) مختلف الشيعة: ٤/ ٤٥١، المختلف: ٣٣٧.

(٢) مناقب أهل البيت: ٢٠٦ في المصادر بضعاً وعشرين سنة، الكامل ٤ : ٥٨٧، سنة ٩٥.

(٣) البحار: ٣٤/ ٣٥ ح ٩٠٥ وشرح ابن أبي الحديد: ٢/ ٣٠٦ وإرشاد المفيد ١/ ٣٢٢، الإرشاد: ١٦٩.

فكتب إلى يوسف باليمن بعهده على العراق فقدم وأخذ خالداً وعمّاله. فعذّبهم وصادرهم ومات خالد وعامله بلال بن أبي بردة في عذابه.

ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر بلفظ آخر. أخبر عليه السلام بالحجاج ويوسف معاً بوصفهما فقال: قال عليه السلام: «**لقد دعوتكم إلى الحق فتولّيتم، وضربتكم بالدرّة. فما استقمتم وستليكم ولاة يعذّبونكم بالسياط والحديد، وسيأتيكم غلاما ثقيف أخفش وحصوب يقتلان ويظلمان، وقليل ما يمكّنان**» وقال: الأخفش ضعيف البصر خلقة. وكان الحجّاج كذلك، والحصوب القصير الدميم، وكان يوسف كذلك.

ثمّ كما أنّه عليه السلام أخبر بتسلّط غلام ثقيف وهو الحجّاج في مواضع كثيرة عموماً وخصوصاً خبراً ودعاءً، وبتسلّطه مع ابن عمّه كما عرفت في موضع كذلك دعا الحسين عليه السلام على قتلته من أهل الكوفه بتسلّط غلام ثقيف - أي المختار - عليهم لينتقم منهم. فروى (المناقب) مسنداً عن عبد الله بن الحسن أنّه عليه السلام قال لهم في جملة ما قال لهم: «**ألا ثمّ لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً ولا تنظرون).** ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] **اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي، وأهل بيتي وأشياعي منهم. فإنّهم غرّونا وكذبونا وخذلونا... ورواه (التحف) و(الاحتجاج) و(اللهوف)**[2].

أبيات ابن الزبير في عبد الملك والحجاج

هذا، وفي (الأغاني): قال عبد الملك لابن الزبير الشاعر الأسدي: أنشدني أبياتك فيّ وفي الحجّاج وابن الزبير بعد قتل الحجّاج لابن الزبير وبعثه برأسه إليه فأنشده:

[البحر الطويل]

كأنّي بعبد الله يركب ردعه وفيه سنان زاعبيّ مُحَرَّبُ

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٢) رواه عن كتاب المناقب وهو غير مناقب السروي وأيضاً عن التحف والاحتجاج واللهوف المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٩، لكن روى ابن شعبة في تحف العقول: ٢٤٢، وابن طاوس في اللهوف: ٤٣، بعضه وروى الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٠٠، صدره فقط، البحار: ٤٥/ ٢١٠ العوالم: ٢٥٣.

وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقت ... به وبمن آساه عنقاء مَغْرِبُ
تولّوا فخلّوه فشال بشلوه ... طويل من الاجذاع عار مُشَذَّبُ
بكفّي غلام من ثقيف نمت به ... قريش وذو المجد التليد مُعَتَّبُ

فقال له عبد الملك: لا تقل غلام، ولكن قل: همام.

وفي السير: قدمت ليلى الأخيلية على الحجّاج فأنشدته: [البحر الطويل]

إذا ورد الحجّاج أرضاً مريضة ... تتبّع أقصى دائها فَشَفَاهَا
شفاها من الداء العقام الذي فيها ... غلام إذا هزّ القناة ثَنَاهَا

فقال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي همام.

وأما ثقيف فاختلف فيها هل هي من بقايا ثمود أو أياد أو هوازن. وفي (كامل المبرد): قال الحجّاج على المنبر: تزعمون أنّا من بقايا ثمود. والله تعالى يقول: ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ﴾(1).

وقال الحجّاج لأبي العسوس الطائي: أيّ أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين؟ فقال له: إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ قبلها، وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم. فقال له الحجّاج: اتّقني فإنّي سريع الخطفة(2).

وقال الشاعر: [البحر الطويل]

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد أيادِ

عبد الملك يولّي الحجاج العراق

ثمّ تسلط الحجّاج على أهل العراق كما أخبر عليه السلام كان في سنة (٧٥) وسبب توليته أنّ المهلب بن أبي صفرة لمّا كان يقاتل الخوارج بالعراق. وكان الناس بطاء عنه، كتب إلى عبد الملك كما في (المروج) إمّا بعثت إليّ بالرجال وإمّا خلّيت بينهم وبين البصرة. فخرج إلى أصحابه. فقال: ويلكم من للعراق؟

فصمتوا وقام الحجّاج فقال: أنا، وقال الثانية والثالثة ويقول الحجّاج: أنا. فقال له في الثالثة: أنت زنبورها. فكتب له عهده فشخص. فلمّا بلغ القادسيّة أمر الجيش أن يقيلوا، ويروّحوا، ودعا بجمل عليه قتب. فجلس عليه بغير حشية ولا وطاء وأخذ الكتاب

(1) سورة النجم، الآية: ٥١.
(2) أعيان الشيعة: ٣/ ٥٧٤ باختلاف يسير. وشرح أبي الحديد: ٨/ ٣٠٦، كامل المبرد ٤: ٢٠١.

بيده، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامة حتّى دخل الكوفة وحده. فجعل ينادي: الصلاة جامعة، وما منهم رجل جلس في مجلسه إلّا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر من أهله ومواليه. فصعد المنبر متلثماً متنكّباً قوسه. فجلس واضعا إبهامه على فيه. فقال بعضهم لبعض: قوموا حتّى نحصبه. فقال بعض: حتّى نسمع ما يقول. فمن قائل يقول: حصر الرجل، ومن قائل يقول: أعرابي ما أبصر حجّته. فلمّا غصّ المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثمّ قام ونحّى العمامة عن رأسه. فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه، ولا صلّى على نبيّه، وكان أوّل ما بدأهم به أن قال: **[البحر الوافر]**

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تَعْرِفُونِي

إلى أن قال: واعلموا أنّه ليس منّي الإكثار والإهذار، ولا منكم الفرار والنفار. إنّما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف حتّى يقيم الله للخليفة أودكم - إلى أن قال:

يا غلام اقرأ عليهم كتاب الخليفة. فقرأ القارىء «**أما بعد. سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله**» فقال له: اقطع. يا عبيد العصا يسلم عليكم الخليفة فلا يردّ رادّ منكم السلام هذا أدب ابن نهية - وهو صاحب شرطة كان بالعراق - أما والله لأؤدّبنّكم غير هذا الأدب. يا غلام ابدأ بالكتاب. فلمّا بلغ إلى قوله «**سلام عليكم**» لم يبق منهم أحد إلّا قال: وعلى الخليفة السلام(١).

خطبة الحجاج المشهورة في الكوفة

وفي (تاريخ الطبري): ولّاه عبد الملك على العراق بعد أخيه بشر. فدخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة. فصعد المنبر وقال: أما والله إنّي لأحمل الشرّ محمله وأغذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها وإنّي لأري الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميراً. **[مجزوء البحر الرجز]**

هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم قد لفّها الليل بسوّاق حَطَمْ
ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وَضَمْ
قد لفّها الليل بعصلبيّ اورع خراج من الدَّوِيِّ
مهاجر ليس بأعْرابِيِّ

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٠/ ١٣٧ باختصار، وتاريخ الطبري: ٥/ ٤٤، مروج الذهب ٣: ١٢٦ و ١٢٩، والنقل بتلخيص.

لـيـس أوان يـكـره الـخـلاط جـاءت بـه والـقـلّـص الأَغْـلاطُ
تـهـوى هـوى سـابـق الْـغَـطّـاطُ

وإنّي والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنآن، ولقد فررت عن ذكاء وجُرّبت إلى الغاية القصوى. إنّ الخليفة عبد الملك نثر كنانته ثمّ عجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً فوجّهني إليكم أنّكم طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن البغي. أما والله لألحونّكم لحو العود، ولأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل. إنّي والله لا أعد إلّا وفيت، ولا أخلق إلّا فريت، وإيّاي وهذه الجماعات وقيلاً وقالاً، والله لتستقيمنّ على سبل الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلاً في جسده.

ومن وجدته بعد ثلاثة من بعث المهلّب سفكت دمه وأنهبت ماله، إلى أن قال: أقسم بالله لتقلبنّ على الإنصاف ولتدعنّ الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان أو لأهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى والولدان يتامى، وحتّى تمشوا السّمهي، وتقلعوا عن ها وها. إيّاي، وهذه الزرافات لا يركبنّ الرجل منكم إلّا وحده ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جبي فيء، ولا قوتل عدوّ، ولعطّلت الثغور، ولولا أنّهم يغزون كرهاً ما غزوا طوعاً، وقد بلغني رفضكم المهلّب، وإنّي أقسم بالله لا أجد أحداً بعد ثلاثة إلّا ضربت عنقه - إلى أن قال:

ولا تغلقنّ أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضي هذه المدّة - إلى أن قال:

فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق. فخرج حتّى جلس على المنبر. فقال: يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق إنّي سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الّذي يراد الله به في الترغيب، ولكنّه التكبير الّذي يراد به الترهيب، وقد عرفت أنّها عجاجة تحتها قصف. يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الأيامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه. فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها - إلى أن قال:

فازدحموا على الجسر حتّى سقط بعض الناس في الفرات. فأتاه صاحب الجسر. فقال له: اعقد لهم جسرين. وخرج الناس هرباً إلى السواد وأرسلوا إلى أهاليهم أن زوّدونا ونحن بمكاننا(١).

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠، ٤٤، سنة ٧٥، والنقل بتلخيص.

لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب

«الذيّال» من **«ذالت المرأة»** أي: جرّت ذيلها على الأرض، وتبخترت، ومنه قول طرفة: **[البحر الطويل]**

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تري ربّها أذيال سحل مُمَدَّدِ[١]

«الميّال» من **«تميّلت المرأة في مشيتها»** أي: تدللّت.

في (بيان الجاحظ): قال الحجّاج لعبد الملك يوماً: لو كان رجل من ذهب لكنته. قال: وكيف ذلك؟

قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر. فقال: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب[٢].

وفي (كامل المبرد): قال عليّ بن عبد الله بن عباس: سايرت يوماً عبد الملك فما جاوزنا إلّا يسيراً حتّى لقيه الحجّاج قادماً عليه. فلمّا رآه ترجّل ومشى بين يديه فخبّ عبد الملك. فأسرع الحجّاج فزاد عبد الملك. فهرول الحجّاج. فقلت لعبد الملك: أبك موجدة على هذا. فقال: لا ولكنّه رفع من نفسه فأحببت أن أغضّ منه[٣].

الحجاج يصف عيوبه

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال عبد الملك للحجاج: ليس من أحد إلّا وهو يعرف عيب نفسه. فصف لي عيوبك. قال: اعفني، قال: لا بدّ أن تقول. قال: أنا لجوج حسود حقود. قال: ما في إبليس شرّ من هذا[٤].

وقال العتبي قال أبي: ما رأيت مثل الحجّاج، كان زيّه زي شاطر، وكلامه كلام خارجي، وصولته صولة جبار. فسألته عن زيّه فقال: كان يرجّل شعره، ويخضب أطرافه[٥].

وفي (معارف ابن قتيبة): أوّل ولاية وليها الحجّاج تبالة: فلما رآها احتقرها وانصرف. فقيل في المثل **«أهون من تبالة على الحجّاج»**[٦].

---

(١) الصحاح ٤/١٠٧٢ وتاج العروس ١٤/٢٥٦، أورده أساس البلاغة: ١٤٨ مادة (ذيل)، ولسان العرب ١١: ٢٦٠، مادة (ذيل).

(٢) البيان والتبيين ٢: ٨٦.

(٣) كامل المبرد ٥: ١٩٩.

(٤) العقد الفريد ٥: ٢٨٣.

(٥) العقد الفريد ٥: ٢٨٢.

(٦) المعارف: ٣٩٦.

مخاطبة الحجاج لسليمان بن عبد الملك

وفي (بيان الجاحظ): قال سليمان بن عبد الملك: كتب إليّ الحجّاج: إن رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلّا فأنا الحجّاج وأنت نقطة من مداد. فإن شئت محوتك، وإن شئت أثبتّك. فقام ابن أبي بردة فقال:

كان عدو الله يتزيّن تزيّن المومسة، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار. فإذا نزل عمل الفراعنة، وكان أكذب في حديثه من الدجّال(١).

الحسن البصري يدعو على الحجاج

وفي (ذيل الطبري): قال الحسن البصري لمّا خرج من عند الحجّاج:

خرجت من عند أحيول قصير يطبطب شعيرات له. أخرج إليّ بناناً له قصيرة قلّما عرفت فيها الأعنّة في سبيل الله. أما والله إنّهم وإن ركبوا البراذين، وصعدوا المنابر. إنّ المعاصي لفي أعناقهم. أبى الله إلّا أن يذل من عصاه. ما زال الله يريهم في أنفسهم العبر، ويري المؤمنين فيهم.

(وفي المعتبر). اللّهم أمته كما أمات سنّتك(٢).

الحجاج يقتل عميراً بن ضابي

وفي (تاريخ الطبري): خطب الحجّاج. فقال: لا يصبحنّ من جند المهلّب بعد ثالثة أحد. فلمّا كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمي. فقال: من فعل بك قال: عمير بن ضابي البرجمي أمرته بالخروج إلى معسكره فضربني وكذب عليه.

فأرسل الحجّاج إلى عمير فأتى به شيخاً كبيراً. فقال له: ما خلّفك عن معسكرك. قال: أنا شيخ كبير لا حراك بي. فأرسلت ابني بديلاً فهو أجلد منّي.

فقال عنبسة بن سعيد للحجاج: هذا الّذي أتى عثمان قتيلاً. فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. فأمر به الحجّاج فضربت عنقه.

قال عمرو بن سعيد: فوالله إنّي لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعت رجزاً مضرياً فعدلت إليهم فقلت: ما الخبر؟ قالوا: قدم علينا رجل من شرّ أحياء العرب من هذا الحي

---

(١) البيان والتبيين ١: ٤٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) منتخب ذيل المذيل: ١٢٦.

من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحي عمير بن ضابي فضرب عنقه. فقال في ذلك ابن الزبير الأسدي: [البحر الطويل]

تخيّر فإمّا أن تزرو ابن ضابئ عميراً وإمّا أن تزور الْمُهَلَّبَا

وخرج من الكوفة بعد قتل ابن ضابئ من فوره حتّى قدم البصرة، وتوعّدهم مثل أهل الكوفة فأتي برجل من بني يشكر. فقيل: هذا عاصٍ. فقال: إنّ بي فتقا وقد رآه بشر. فعذرني، وهذا عطائي مردود في بيت المال. فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة. فخرجوا حتّى تداكّوا على العارض بقنطرة رامهرمز.

معركة دير الجماجم وسعي الحجاج في قتل ابن الأشعث

جاء الناس رجل ذكر[1] قوله عليه السلام في رواية (المروج): «**ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها**» فيه: لمّا خرج ابن الأشعث على الحجّاج، ودخل الكوفة كتب الحجّاج إلى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الأشعث، ويسأله الإمداد، وقال في كتابه: واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله، واغوثاه يا لله» فأمدّه بالجيوش، وكتب إليه «**يا لبيك يا لبيك يا لبيك**» فالتقى الحجّاج مع ابن الأشعث بدير الجماجم، وكانت بينهم نيّف وثمانون وقعة تفاني فيها خلق، وكانت على ابن الأشعث فمضى حتّى انتهى إلى ملوك الهند، ولم يزل الحجّاج يحتال في قتله حتّى قتل، وأُتي برأسه[2]. قلت: أهل الجاهلية كانوا يجعلون مع الله إلَهاً آخر، ولا يجعلون الله آخر كالحجاج.

وقال الحجّاج قال الله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3] فهذه لله وفيها مثواه وقال الله ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[3] وهذه لعبد الله وخليفته، ونجيبه عبد الملك.

أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالاً عذيري من أهل هذه الحمراء يلقي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول: إلى أن يبلغها فرّج الله لأجعلنهم كالرمس الداثر، والأمس الغابر. عذيري من عبد هذيل يعني ابن مسعود يقرأ القرآن كأنّه رجز الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه، عذيري من سليمان بن داود يقول لربه ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾[4] كان والله في ما علمته عبداً حسوداً بخيلاً.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٨٠، تاريخ الطبري ٥: ٤٤ - ٤٦، سنة ٧٥، والنقل بتلخيص.

(٢) مروج الذهب ٣/ ١٣٢، والنقل بتصرف يسير.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٥.

الحجاج يُفضِّل الخليفة الأموي على رسول الله ﷺ

وقال الربيع بن خالد: سمعت الحجّاج يقول في خطبته: «**أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته**» فقلت: لله عليّ ألّا أصلّي خلفك أبداً، ولئن رأيت قوماً يجاهدونك لأقاتلنّك معهم. فقاتله في دير الجماجم حتّى قتل(١).

اجبار الناس على قراءة عثمان وترك قراءة الآخرين

وقال أبو جعفر الإسكافي: أخذ الحجّاج الناس بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، فما مات حتّى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبناؤهم، ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلمين عن تعليمها، حتّى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبيّ ما عرفوها، ولظنّوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان لإلف العادة(٢).

وقال الجزري: قال الحجّاج: لا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أمّ عبد - يعني ابن مسعود - إلّا ضربت عنقه، ولأحكّنّها من المصحف، ولو بضلع خنزير. قد ذكر ذلك عند الأعمش فقال «**وأنا سمعته يقول، فقلت في نفسي لأقرأنّها على رغم أنفك**»(٣).

انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحيه

وفي (العقد): قال العتبي: قال أبي: أراد الحجّاج الحج فخطب وقال: «**يا أهل العراق إنّي قد استعملت عليكم محمّداً، وبه الرغبة عنكم. أما إنّكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية النبيّ بالأنصار. فأوصى أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته ألّا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. أما إنّي إذا ولّيت عنكم علمت أنكم تقولون: لا أحسن الله له الصحابة - وما منعكم من تعجيله إلّا الفراق - وأنا أُعجّل لكم الجواب (لا أحسن الله عليكم الخلافة**» ثمّ نزل فلمّا كان غداة الجمعة مات محمّد بن الحجّاج. فلما كان بالعشي أتاه بريد من اليمن بوفاة محمّد أخيه ففرح أهل العراق، وقالوا: انقطع ظهر الحجّاج وهيض جناحه - إلى أن قال:

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٤٣ و ١٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح أبي الحديد: ١٣/ ٢٢٣ باختصار، رواه عن نقض الاسكافي ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٩، شرح الخطبة ١٩٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ١٦٠ باختلاف يسير، الكامل ٤: ٥٨٦، سنة ٩٥.

فدخل الناس يعزّونه، وفيهم الفرزدق. فقال له: أما رثيت محمّداً ومحمّداً.

قال: نعم وأنشده خمسة أبيات ثمّ خرج وهو يقول: لو كلّفني الحجّاج بيتاً سادساً لضرب عنقي قبل أن آتيه به وذلك أنّه دخل ولم يهيّئ شيئاً[(١)].

الظلوم الغشوم الحجاج

وفي (المروج): لمّا هلك بشر بن مروان، وولّي الحجّاج العراق بلغهم ذلك فقام الغضبان القبعثري الشيباني في الجامع خطيباً. فقال: يا أهل الكوفة إنّ عبد الملك قد ولّى عليكم من لا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجّاج. ألا وإنّ لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق. فاقتلوه، فإنّ ذلك لا يعدّ منكم خلعاً، فإنّه متى يعلو على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثمّ قتلتموه عدّ خلعاً، فأطيعوني وتغدّوا به قبل أن يتعشّى بكم. فقالوا له: جننت يا غضبان هل ننتظر إلا سيرته فإن رأينا منكراً غيّرناه. قال: ستعلمون.

فلمّا قدم بلغه مقالته وأمر بحبسه. فأقام في حبسه ثلاث سنين فأحضر فقال له: أنت القائل لأهل الكوفة: يتغدون بي قبل أن أتعشّى بهم؟ قال: ما نفعت من قيلت له ولا ضرّت من قيلت فيه[(٢)].

على دين من أنت؟!

وفي (العقد): كتب عبد الملك إلى الحجّاج في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف. فمن أقرّ منهم بالكفر بخروجه علينا فخلّ سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه. فأتي الحجّاج برجل. فقال: على دين من أنت؟

قال: على دين إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين. فقال: اضربوا عنقه ثمّ قدّم آخر. فقال له: على دين من أنت؟ قال: على دين أبيك الشيخ يوسف.

فقال: أما والله لقد كان صوّاماً قوّاماً خلّ عنه يا غلام. فلمّا خلّى عنه انصرف إليه.

فقال له: سألت صاحبي على دين من أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين فأمرت به فقتل، وسألتني على دين من أنت. فقلت: على دين أبيك الشيخ

(١) رواه ابن عبد ربه في العقد ٥: ٢٨٠ و ٢٨١، لكن خلط الشارح صدر الحديث برواية المسعوي في مروج الذهب ٣: ١٤٦.

(٢) الكامل: ٤/ ٣٨٥ بتفاوت، وشجرة طوبى ١/ ١٢٦ باختلاف يسير، مروج الذهب ٣: ١٤٩.

يوسف. فقلت: أما والله لقد كان صوّاما قوّاما. فأمرت بتخلية سبيلي، والله لو لم يكن لأبيك من السيئات إلّا أنّه ولد مثلك لكفاه. فأمر به فقتل[١].

العلماء يكفّرون الحجاج

وفي (العقد): عن عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كلّ أمّة بمنافقيها وجئنا بالحجّاج لفضلناهم، وحلف رجل بطلاق امرأته انّ الحجّاج في النار فأتى امرأته فمنعته نفسها. فسأل الرجل الحسن البصري. فقال: لا عليك فإن لم يكن الحجّاج في النار فما يضرّك أن تكون مع امرأتك على زنا.

ومما كفّرت به العلماء الحجّاج قوله: ورأى الناس يطوفون بقبر النبيّ ﷺ ومنبره، إنّما يطوفون بأعواد ورمّة.

جواب حوار الضبي لعبد الملك

وعن ابن عياش قال: كنّا عند عبد الملك إذ أتاه كتاب الحجّاج، يعظّم فيه أمر الخلافة، ويزعم أن ما قامت السماوات والأرض إلّا بها، وأنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرّبين، والأنبياء، والمرسلين، وذلك أنّ الله خلق آدم بيده، وأسجد له الملائكة وأسكنه جنّته ثمّ أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلاً إليه، فأعجب عبد الملك بذلك وقال: لوددت أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه بهذا الكتاب - إلى أن قال:

فجاءه حوار بن زيد الضبي. فقال له: اقرأ الكتاب. فقرأه حتّى أتى على آخره. فقال حوار. أراه قد جعلك في موضع ملكاً، وفي موضع. نبيّاً، وفي موضع خليفة. فإن كنت ملكاً فمن أنزلك؟ وإن كنت نبيّاً فمن أرسلك؟ وإن كنت خليفة فمن استخلفك؟ أعن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس أمورهم بالسيف؟

فقال له عبد الملك: قد آمنّاك، ولا سبيل عليك. لا تجاورني في بلد[٢].

قلت: إنّ الحجّاج سمع ما كتب من قيام السماوات والأرض بالخليفة وكونه أفضل من الملائكة والأنبياء ممّا ورد في الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فأراد تطبيقه على عبد الملك.

(١) العقد الفريد ٥٥ : ٢٨٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) العقد الفريد ٥ : ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.

ويقال لحوار في ردّه على عبد الملك في قوله: «**إن كنت خليفة فعن مشورة من المسلمين أم ابتززت أمور الناس بالسيف**» بأن صدّيقك، وفاروقك أيضاً ابتزّا أمور الناس بإحراق أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وبالسيف والعصا.

كان أكولاً كمعاوية

«**يأكل خضرتكم**» وكلامه عليه السلام وإن كان استعارة، وكناية عن كونه كسقر لا تبقي ولا تذر للناس شيئاً كما ستعرف من تشديده في الخراج حتّى خرب أكثر القرى إلّا أنّ الرجل أيضاً كان من الأكولين كمعاوية يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد. قال سلم بن قتيبة: عددت للحجّاج أربعاً وثمانين لقمة في كلّ لقمة رغيف من خبز فيه ملء كفّه سمك طري.

ويشهد لقوله عليه السلام من أكله خضرة أهل العراق قول الفرزدق لسليمان بعد الحجّاج.

ما قلت إلّا الحق تعرفه في القول مرتجلاً وفي الشعر: **[البحر الكامل]**

ما أصبحت أرض العراق بها ورق لمختبط ولا قِشْرُ

كان ظلوماً جائراً على الناس

«**ويذيب شحمتكم**» في (كامل المبرد): يروي عن ابن ميرة أنّه قال: إنّا لنتغدّى مع الحجّاج يوماً إذ جاء رجل من سليم برجل يقوده. فقال: أصلح الله الأمير إنّ هذا الرجل عاصٍ. فقال الرجل: أنشدك الله أيّها الأمير في دمي فوالله ما قبضت ديواناً قط، ولا شهدت عسكراً، وإنّي لحائك أُخذت من تحت الجف.

فقال: اضربوا عنقه. فلمّا أحسّ بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد.

فأمسكنا عن الطعام. فأقبل علينا الحجّاج فقال: ما لي أراكم صفرت أيديكم واصفرّت وجوهكم وحدّ نظركم من قتل رجل واحد.

وفيه: أتى الحجّاج البصرة. فكان عليهم أشدّ إلحاحاً وقد كان أتاهم خبره لما كان بالكوفة. فتحمّل الناس قبل قدومه. فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخاً كبيراً أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقّب ذا الكرسفة. فقال: أصلح الله الأمير، إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر، وقد رددت العطاء. فقال: إنّك عندي لصادق، ثمّ أمر به فضربت عنقه. ففي ذلك يقول كعب الأشقري أو الفرزدق: **[البحر الطويل]**

لقد ضرب الحجّاج بالمصر ضربةً تقرقر منها بطن كلّ عَرِيْفِ[1]

(١) كامل المبرد ٨: ٧٣.

موت إبراهيم التيمي في الحبس

وفي (المروج): حبس الحجّاج إبراهيم التيمي ومات في الحبس، وإنّما كان الحجّاج طلب إبراهيم النخعي فنجا ووقع إبراهيم التيمي. فقال الأعمش لإبراهيم النخعي: أين كنت حيث طلبك الحجّاج؟ فقال: بحيث يقول الشاعر: [البحر الطويل]

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

موت الحجاج وإحصاء أفعاله

ومات الحجّاج بواسط سنة (٩٥) وهو ابن (٥٤) سنة وكان تأمّره على الناس عشرين سنة، وأحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد ماءَة وعشرين ألفاً ومات، وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للمحبس ستر يستر الناس من الشمس في صيف، ومن المطر والبرد في الشتاء، وركب يوماً يريد الجمعة فسمع ضجّة. فقال: ما هذا؟ فقيل له: المحبوسون يضجّون ويشكون ما هم فيه من البلاء. فالتفت إلى ناحيتهم وقال: إخسأوا فيها ولا تكلمون، ووجد بعده في سجونه ثلاثة وثلاثون ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب[1]، وفيهم أعرابي أخذ يبول في أصل مدينة واسط. فكان في من أطلق فأنشأ يقول: [البحر الطويل]

إذا ما خرجنا من مدينة واسط خرينا وبلنا لا نخاف عِقَابَا

وفي (تنبيه الأشراف): كان محبوسوه يسقون الماء مشوباً بالرماد، وفيه: مات الحجّاج قبل الوليد بتسعة أشهر وكانت ولايته على العراق عشرين سنة، وترك في بيت المال مائة ألف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف درهم، وتولّى العراق وخراجها مائة ألف ألف درهم. فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتّى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم[2].

ظلم الحجاج يطال الكلاب

وفي (عيون القتيبي): إنّ رجلاً كان يطلبه الحجّاج فمر بساباط فيه كلب بين جبّين يقطر عليه ماؤهما. فقال: يا ليتني مثل هذا الكلب فما لبث ساعة أن مرّ بالكلب في عنقه

(١) مروج الذهب ٣: ١٧١ و ١٦٦ وموسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة: ١٧٩.
(٢) التنبيه والاشراف: ٢٧٤ و ٢٧٥ ومعالم الفتن: ٢/ ٢٣٥.

حبل فسأل عنه. فقالوا: جاء كتاب الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب[١].

وفي (الأغاني): منع الحجّاج من لحوم البقر خوفاً من قلّة العمارة في السواد فقيل فيه: [البحر المتقارب]

شكونا إليه خراب السواد فحرّم فينا لحوم البَقَرْ
فكنّا كمن قال من قبلنا أريها السُّهى وتريني القَمَرْ

وفيه - في أخبار أعشى همدان ومدحه سليم بن صالح العنبري وكان منزله بساباط المدائن بعد ذكر قصة عن هشام في قرية سليم - وذكر غير هشام أنّ الحجّاج طالب سليماً العنبري بمال فلم يخرج منه حتّى باع كلّ ما يملكه وخربت قريته، وتفرّق أهلها ثمّ باعه الحجّاج عبداً. فاشتراه بعض أشراف الكوفة أسماء بن خارجة أو بعض نظرائه فأعتقه.

سوط عمر كان أهيب من سيف الحجاج

وفي (عيون القتيبي): قال الحجّاج: سوطي سيفي فنجاده في عنقي، وقائمه في يدي وذبابه قلادة لمن اغترّ بي. فقال الحسن البصري: بؤساً له ما أغرّه بالله[٢].

قلت: وقالوا: سوط عمر كان أهيب من سيف الحجّاج.

وفي (أنساب السمعاني): مات إبراهيم بن يزيد التيمي، وكان عابداً صابراً على الجوع في حبس الحجّاج أرسلت عليه الكلاب في السجن تنهشه حتّى مات[٣].

قلت: والظاهر أنّه الّذي مرّ أخذه بدلا عن إبراهيم النخعي.

يزجر الزجرة فيفزع أقصى من في المسجد

وفي (العقد): كان الحجّاج إذا صعد المنبر تلفّع بمطرفه ثمّ تكلّم رويداً فلا يكاد يسمع حتّى يتزايد في الكلام فيخرج يده من مطرفه ثمّ يزجر الزجرة، فيفزع أقصى من في المسجد.

وعن أبي وائل: بعث الحجّاج إليه يستدعيه لعمله فاعتذر وقال في ما قال: «**وأخرى أنّي ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك، والله إنّي لأتعارّ من الليل فأذكرك، فما**

(١) عيون الأخبار ١: ٢٦٣.
(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٩٩ باختلاف يسير، عيون الأخبار ٢: ٢٤٥.
(٣) اللباب في تهذيب الأنساب: ١/ ٢٣٣ ومكاتيب الرسول: ٢/ ١١٤، أنساب السمعاني: ١١٤، والنقل بتصرف يسير.

يأتيني النوم حتّى أصبح، هذا ولست لك على عمل» فأعجبه ذلك وقال: هيه كيف قلت. فأعدت عليه الحديث. فقال «**إنّي والله ما أعلم اليوم رجلاً على وجه الأرض هو أجرأ على ربّه منّي**» فقمت فعدلت عن الطريق كأنّي لا أبصر. فقال: اهدوا الشيخ. أرشدوا الشيخ.

وقال المدائني: أخبرني من دخل المسجد والحجّاج على المنبر، وقد ملأ صوته المسجد بأبيات سويد بن أبي كاهل اليشكري حيث يقول: **[البحر الرمل]**

ربّ من انضجت غيظاً صدره ... قد تمنّى لي موتاً لم يُطَعْ
ساء ما ظنّوا وقد أبليتهم ... عند غايات المدى كيف أَقَعْ
كيف يرجون سقوطي بعد ما ... شمل الرأس مشيب وَصَلَعْ[1]

وفي (كامل الجزري): قال الحجّاج: والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلّت لي دماؤكم[2].

ضرب أعناق جميع الأسرى بعد دير الجماجم

وفي (المروج): لمّا انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجّاج ألّا يؤتى بأسير إلّا ضرب عنقه. فأتي بأسرى كثيرة، وكان أوّل من أتي به أعشى همدان، وهو، أوّل من خلع عبد الملك والحجّاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان. فقال له الحجّاج: إيه أنت القائل: **[مجزوء البحر البسيط]**

من مبلغ الحجّاج أنّي ... قد جنيت عليه حَرْبَا

إلى أن قال: قال له: أخبرني عن قولك في ابن الأشعث: **[البحر الكامل]**

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخ بخ الوالد وَالْمَوْلُوْدُ

فأنشده فقال: والله لا تبخبخ لأحد بعدها وأمر به فضربت عنقه[3].

---

(١) الإصابة: ٣/ ٢٢٢ باختصار وفي المصدر البيتين التاليين غير مذكورين، العقد الفريد ٥: ٢٦٧ و ٢٦٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٢٢/ ١٦٠ والكامل في التاريخ: ٤/ ٥٨٦ سنة ٩٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ١٨٠ بتفاوت والكامل في التاريخ: ٤/ ٤٩٢ بتفاوت، مروج الذهب ٣: ١٥٤، والنقل بتصرف يسير.

بعثتك رسولاً فصرت وزيراً

وفي (الأخبار الطوال): بعث الحجّاج أيوب بن القرية إلى ابن الأشعث - إلى أن قال:

واسر في من أسر فلمّا أُدخل عليه قال: بعثتك رسولاً فصرت وزيراً ومشيراً تصدر له الكتب، وتسجّع له الكلام. فقال: كان شيطاناً في مسك إنسان، استمالني بسحره، وخلبني بلفظه. فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب. فقال له الحجّاج: كذبت يابن اللخناء، بل كان قلبك منافقاً، ولسانك مدامجاً، فكتمت أمراً أظهره الله، وأطعت فاسقاً خذله الله - إلى أن قال:

فقال الحجّاج: يا غلام ناولني الحربة. فتناولها وقد أمسك ابن القريّة أربعة رجال. فلا يستطيع تحرّكا وهزّ الحجّاج الحربة ثلاثاً: فقال ابن القريّة:

اسمع منّي ثلاث كلمات تكون بعدي مثلاً. قال: هات. قال: «**لكلّ جواد كبوة ولكلّ حليم هفوة ولكلّ شجاع نبوة**» فوضع الحجّاج الحربة في ثندوة (ثدي صدره) ابن القريّة ودفعها حتّى خالطت جوفه ثمّ خضخضها وأخرجها فأتبعها دم أسود. فقال الحجّاج هكذا تشخب أوداج الإبل، وفحص ابن القريّة برجليه وشخص بصره، وجعل الحجّاج ينظر إليه حتّى قبض فحمل في النطع. فقال الحجّاج: لله درّك يابن القرّية أيّ أدب فقدنا منك. وأيّ كلام رصين سمعنا منك.

ما جرى لعديل بن فرخ العجلي

وفي (كامل المبرد): كان العديل بن فرخ العجلي هارباً من الحجّاج فجعل لا يحلّ ببلدة إلّا ريع لأثر يراه من آثار الحجّاج، فيهرب حتّى أبعد ففي ذلك يقول العديل:

[البحر الطويل]

يخشّونني الحجّاج حتّى كأنّما يحرّك عظم في الفؤاد مُيَهَّضُ

فلم ينشب أن أتي به فقال: **[البحر الطويل]**

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجّاج عليّ دَلِيْلُ[1]

في (الأغاني): بعث الحجّاج مولى له في جيش إلى بني العجل يطلب منهم العديل

---

(١) كامل المبرد ٥: ١٤ وخزانة الأدب: ٥/ ١٨٩.

الشاعر، فهرب فلم يقدر عليه فاستاق إبله، وأحرق بيته، وسلب امرأته وبناته وأخذ حليّهن فهرب العديل إلى قيصر وقال: [البحر الطويل]

ودون يد الحجّاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عَرِيْضُ
مهامه أشباه كأنّ سرابها ملاً بأيدي الراحضات رَحِيْضُ

فبلغ شعره الحجّاج فكتب إلى قيصر: لتبعثنّ به أو لأغزينّك جيشا يكون أوّله عندك وآخره عندي. فبعث به قيصر إلى الحجّاج. فلمّا أدخل عليه قال:

أأنت القائل «**ودون يد الحجّاج من أن تنالني**» فكيف؟ فقال بل أنا القائل:

[البحر الطويل]

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجّاج عليّ سَبِيْلُ

وقلت: [البحر الطويل]

إذا ذكر الحجّاج أضمرت خيفة لها بين أحناء الضلوع نَفِيْضُ(١)

واعجباً من أُخيفش أعيمش

وفي (العيون): قال الحسن البصري: وا عجباً من أخيفش أعيمش جاءنا ففتلنا عن ديننا، وصعد على منبرنا يخطب والناس يلتفتون إلى الشمس فيقول ما بالكم؟ إنّا لا نصلّي للشمس بل لربّها، أفلا يقولون له: يا عدو الله إنّ لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقّاً بالنهار لا يقبله بالليل، وكيف يقولون ذلك وعلى رأس كلّ واحد منهم علج قائم بالسيف.

ما قاله الوليد في الحجاج

وفي (العقد): كان الوليد بن عبد الملك وكان جباراً كأبيه، وكان الحجّاج والياً من قبلهما يقول: كان أبي يقول الحجّاج جلدة ما بين عيني وأنفي وأنا أقول: إنه جلدة وجهي كله.

الحجاج عقوبة من الله تعالى للناس لتركهم أهل البيت عليهم السلام

وكان عمر بن عبد العزيز ولم يكن جبّاراً يدعو الله أن يكون موت الحجّاج على فراشه ليكون أشدّ لعذابه في الآخرة، وسمع صياحه في قبره فأخبر كاتبه فركب في أهل الشام فسمع.

(١) الأغاني ٢٢: ٣٢٩، ٣٣١، والنقل بتلخيص.

وقيل للحسن البصري: ما تقول في قتال الحجّاج؟ قال: إنّ الحجّاج عقوبة من الله تعالى فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف[١].

قلت: وصدق الحسن كان هو وأمثاله عقوبة للناس لتركهم أهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله. وقد صرّح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في خطبه مراراً، وكان يذكر الحجّاج لمّا آذوه كراراً كما عرفت.

حبس الجيوش في المغازي بغير عطاء

وفي (ديوان الفرزدق) في شكايته إلى سليمان ما فعل بهم الحجّاج من حبس الجيوش في المغازي بغير عطاء، وأخذه صدقات إبلهم على الحول الماضي مع موتها في السنة بحيث تمنى الناس الموت: **[البحر الكامل]**

ويجمّرون بغير أعطية ... في البرّ من بعثوا وفي الْبَحْرِ
ويكلّفون أبا عراً ذهبت ... جيفاً بلين تقادم الْعَصْرِ
حتّى غبطنا كلّ محتمل ... يمشي بأعظمه إلى الْقَبْرِ
وتمّنت الأحياء أنّهم ... تحت التراب وجيء بِالْحَشْرِ[٢]

ما جاء في تفسير: إيه أبا وَذَحَة

«ايه» في (الصحاح): «أيه: اسم سمّي به الفعل لأنّ معناه الأمر. تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل[٣] (إيه) بكسر الهاء.

قال ابن السكّيت:

فإن وصلت نوّنت قلت: إيه حدّثنا، وقال ابن سيده: إذا قلت إيه يا رجل. فإنّما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما، وإن قلت إيه بالتنوين قلت: إيتنا حديثاً ما لأنّ التنوين تنكير. قال: فإذا سكّته وكففته قلت أيها عنّا وإذا أردت التبعيد قلت: أيها عنا بفتح الهمزة بمعنى هيهات[٤].

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨٣ و ٢٨٨، والنقل بتصرف يسير، الدر المنثور: ٤/ ٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ١٢/ ١٧٧ باختلاف.

(٢) ديوان الفرزدق ١: ٢٦٣.

(٣) البحار: ٤٣/ ٢٦٥ ح ٢٢١ وعمدة القاري: ١٦/ ١٩٦ وسبل الهدى والرشاد: ٦/ ٣٨١ ولسان العرب ١٣/ ٤٧٤ ومجمع البحرين ١/ ١٤١، صحاح اللغة ٦: ٢٢٢٦، مادة (أيه).

(٤) روى هذه المعاني لسان العرب ١٣/ ٤٧٤، مادة (أيه)، وقد حصل في النقل خلط.

وفي (الأساس): ايه حديثاً استزادة وأيها لا تحدّث كفّ. قال ذو الرّمة: **[البحر الطويل]**

وقـفـنـا فـقـلـنـا إيـه عـن أم سـالـم وكـيـف بـتـكـلـيـم الـديـار الْـبَلاقِـعِ[1]

وفي (النهاية): في الحديث أنه أنشد شعر أُميّة بن أبي الصلت. فقال عند كلّ بيت إيه هذه الكلمة يراد بها الاستزادة، وإذا قلت إيهاً بالنصب فإنّما تأمره بالسكوت، ومنه حديث أصيل الخزاعي حين قدم عليه المدينة قال له «**كيف تركت مكّة**» قال «**تركتها وقد أحجن ثمامها، وأعذق إذخرها وأمشر سلمها**» فقال «**إيها، أصيل. دع القلوب تقرّ**» وقد ترد المنصوبة بمعنى التصديق والرضا بالشيء، ومنه حديث ابن الزبير لمّا قيل له: «**يابن ذات النطاقين**» فقال أيها[2]...

قلت: وقد تقدّم أنّ الحجّاج قال لأعشى همدان لمّا أراد قتله: إيه أنت القائل:

[مجزوء البحر البسيط]

مـن مـبـلـغ الـحـجّـاج أنـي قـد جـنـيـت عـلـيـه حـربـاً

«**أبا وذحة**» في (اللسان): قال ثعلب: الوذح ما يتعلّق من القذر بألية الكبش. قال جرير: **[البحر البسيط التام]**

والـتـغـلـبـيـة فـي أفـواه عـورتـهـا وذح كـثـيـر وفـي أكـتـافـهـا الـوضـر

وقال أبو عبيدة: ألوذح ما يتعلّق بالأصواف من أبعار الغنم فيجفّ عليه.

قال الأعشى: **[البحر الرمل]**

فـتـرى الأعـداء حـولـي شـزّراً خـاضـع الأعـنـاق أمـثـال الْـوَذَحْ[3]

قول المصنّف: «**قال الشريف: أقول**» هكذا في (المصرية) وليس كلّه من النهج.

«**الوذحة: الخنفساء**» قال ابن أبي الحديد: ما قاله من أنّ الوذحة الخنفساء لم أسمعه من شيخ من أهل الأدب، ولا وجدته في كتاب لغة.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٠/ ٢٤ - ٢٥ وغريب الحديث: ٢/ ١٥١ وصحاح اللغة ٦/ ٢٢٢٦ وأساس البلاغة: ١٣، مادة (أيه).

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١/ ٨٧ ولسان العرب ١٠/ ٢٣٩، النهاية ١: ٨٧، مادة (أيه)، والنقل بتقطيع.

(٣) غريب الحديث: ١٣/ ١١١٩ وفيه «خاضعي الأعناق» وتاج العروس: ٤/ ٢٤٦، لسان العرب ٢/ ٦٣٢ مادة (وذح).

لماذا شُبِّه الحجاج بالخنفساء؟

ثمّ قال: إنّ المفسّرين بعد الرضي قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً.

منها: أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ الى مصلّاه فطردها فعادت ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً، وورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه. قالوا: وذلك أنّ الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمروداً بالبقّة الّتي دخلت في أنفه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء تدبّ قريبة منه يأمر غلمانه ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيهاً له بالبعرة - وكان مغرى بهذا القول - والوذح: ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.

ومنها: أنّ الحجّاج رأى خنفساوات مجتمعات. فقال: واعجباً لمن يقول إنّ الله خلق هذه. قيل: فمن خلقها؟ قال: «**الشيطان. إنّ ربكم لأعظم شأنا أن يخلق هذه الوذح**» فنقل قوله إلى الفقهاء فأكفروه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان مثفاراً، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في موضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شانياً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، وإنّما قلنا كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى أبو عمرو الزاهد - ولم يكن من رجال الشيعة - في (أماليه): في أحاديثه عن السياري عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصبيا.

وعن القطامي عن رجاله قالوا: سئل جعفر بن محمّد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس. فقال: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذا الخصلة في وليّ لله قط، ولا تكون أبداً، وإنّما تكون في الكفّار والفسّاق والناصب للطاهرين وكان أبو جهل عمرو بن هشام من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة للنبيّ صلى الله عليه وآله ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفّر أُسته.

تسميات للتعظيم وأخرى للتحقير

قال: فهذا مجموع ما ذكره المفسّرون، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع، ويغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر، وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم، أبو الهول، وأبو المقدام، وأبو المغوار، فإذا أرادت تحقيره والغضّ منه كنّته بما يستحقر، ويستهان به كقولهم في كنية يزيد: أبو زنّة - يعنون القرد - وفي سعيد بن حفص البخاري المحدّث: أبو الفار، وفي الطفيلي: أبو لقمة، وفي

عبد الملك أبو الذباب لبخره، وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء: **[البحر المتقارب]**

فـأنـت لـعـمـري أبـو جـعـفـر ولـكـن بـحـذف الـفـاء مِـنْـهُ

وقال أيضاً: **[البحر الهزج]**

لـئـيـم درن الـثـوب نـظـيـف الـقـعـب وَالْـقِـدْرِ
أبـو الـنـتـن أبـو الـدقـر أبـو الـبـعـر أبـو الْـجَـعْـرِ

فلمّا كانَ عليه السلام يعلم من حال الحجّاج نجاسته بالمعاصي والذنوب الّتي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة كنّاه أبا وذحة.

قال: ويمكن أيضاً أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه، وحقارة منظره.

وتشويه خلقته. فإنّه كان قصيراً دميماً نحيفاً أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه. أصلع الرأس. فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

الحجاج أبو ودجة

قال: وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أخرى فقالوا «**إيه أبا ودجة**» واحدة الأوداج كنّاه بذلك لأنه كان قتّالا يقطع الأوداج بالسيف. ورواه قوم «**أبا وحرة**» وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبّهه بها[١].

آراء حول هذه الكنية للحجاج

قلت: أمّا اعتراضه على المصنّف بأنّه لم يذكر أحد أنّ الوذحة الخنفساء فساقط فلم يقل الرضي إنّ الخنفساء مفهوم الوذحة اللغوي بل أراد أنّها المراد، والتفسير بالمراد شائع. (فالصحاح) قال: يقال للجلدة الّتي بين العين والأنف سالم. قال ابن عمر في ابنه سالم: **[البحر الطويل]**

يـديـرونـنـي عـن سـالـم وأريـغـه وجـلـدة بـيـن الـعـيـن والأنـف سَـالِـمُ

وهذا المعنى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجّاج أنت عندي كسالم[٢].
وقول (القاموس): إنّه غلط غلط[٣]. فتوهّم أنّ (الصحاح) أراد المفهوم، ولم يتفطّن أنّ مراده المراد، والحجّاج لم يفهم مراد عبد الملك حتّى فسّره بعض الادباء له، وهذا كأن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٨١، والنقل بتصرف يسير.
(٢) صحاح اللغة ٥: ١٩٥٢، مادة (سلم) وخزانة الأدب: ٢٦٨/٥.
(٣) القاموس المحيط ٤: ١٣١، مادة (سلم).

يقال: فلان كثير الرماد، أي: جواد، مع أنه قال في النهاية بعد نقل كلامه عليه السلام: الوذحة بالتحريك الخنفساء من الوذح، وهو ما يتعلّق بألية الشاة من البعر فيجفّ، وبعضهم يقول: بالخاء وفي حديث الحجّاج أنّه رأى خنفساء فقال: قاتل الله أقواماً يزعمون أنّ هذه من خلق الله. فقيل مم هي؟ قال: من وذح إبليس[1].

وحينئذ نقول: إن صحّ الأوّل والأخير من الوجوه الأربعة الّتي نقلها، في قصته مع الخنفساء فلا يصحّ أن يخاطب عليه السلام الحجّاج بأبي وذحة إلّا بأن نقول أنّه شبّه الخنفساء بالوذحة بكونه أمراً عرفياً. فلمّا كان الحجّاج مات من ورم يده بقرص خنفساء أو كان يمسك الخنفساء في موضع حكاكه كان أبا وذحة أي أبا خنفساء. وإن صحّ الأوسطان منها فخاطبه بأبي وذحة لأنّه كان يسمّي الخنفساء وذحة الشيطان. ثمّ كأنّ الأصل فيهما واحد بكون الثالث تفصيل الثاني، وكيف كان فلا تنافي بين الوجوه بأن يصحّ الجميع إن ثبت النقل سوى الأخير منها. فإنّه بظاهره ينافي الأولى لا سيّما الوسطين أو الوسط.

وأما قوله: فيغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر...، فبلا معنى فإنّ عبد الملك كان يقال له أبو الذبّان لأنّ الذبّان كانت تجتنبه لبخره، وأبو زنّة كنية القرد وكان كما في (المروج) ليزيد قرد خبيث مكّنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متّكأً وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيّام - وعليه قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان - سابقاً فتناول القصبة، ودخل الحجرة قبل الخيل[2]، وحينئذ فلا يصحّ أن يقال للحجاج أبا وذحة إلّا بواحدة من تلك الوجوه على ما عرفت حتّى تحصل مناسبة، وحينئذ فليس هو معنى آخر.

كما أنّ قوله: ويمكن أيضاً أن يكنّيه بذلك لدمامته...، أيضاً بلا معنى فإنّه لو كان عليه السلام خاطبه لدمامته وعيوب خلقته لقال له يا وذحة لا أبا وذحة كما قال بعض الأعراب في عدوّ له شديد السواد: **[مجزوء البحر الرجز]**

عاديتنا يا خنفسا أم الجعلْ ... عداوة الأوعال حيات الْجَبَلْ

ولو كانت تكنيته بأبي وذحة بدمامته صحيحة لكانت للجاجته أنسب.

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٧٠ ولسان العرب: ٢/ ٦٣٢ وتاج العروس: ٤/ ٢٤٦، النهاية ٥: ١٧٠، مادة (وذح).

(٢) مروج الذهب ٣: ٦٧.

فقد عرفت أنّ عبد الملك لما سأله عن عيوبه عدّ منها لجاجه، ويشهد له سيره، ومنها عدم اكتراثه بنصح المهلّب له حتّى انهزم يوم تستر ثمّ ندم، والخنفساء يضرب المثل بها في اللجاجة، ومنهم من كنّاها أمّ اللجاج كما قال الدميري[1]، وقال الجاحظ: وفي لجاج الخنفساء يقول خلف الأحمر: **[البحر المتقارب]**

لنا صاحب مولع بالخلافْ ... كثير الخطاء قليل الصَّوَابْ
ألجّ لجاجاً من الخنفساء ... وأزهى إذا ما مشى من غُرَابْ[2]

هذا، وفي (تاريخ بغداد): كان أبو علقمة الثقفي عند جعفر البرمكي في بعض لياليه الّتي يسمر فيها. فأقبلت خنفساء إلى أبي علقمة. فقال: أليس يقال إنّ الخنفساء إذا أقبلت إلى رجل أصاب خيرا؟ قالوا: بلى. قال جعفر: يا غلام اعطه ألف دينار. فنحّوها عنه. فعادت إليه. فقال: يا غلام أعطه ألفاً آخر فأعطاه ألفي دينار[3].

دير الخنافس

وفي (بلدان الحموي) في عنوان دير الخنافس: هوفي غربي دجلة على قلّة جبل شامخ، وهو دير صغير لا يسكنه أكثر من راهبين، وهو نزه لعلّوه على ضياع وإشرافه على أنهار نينوى، والمرج، وله عيد يقصده أهل الضياع في كلّ عام مرّة، وفيه طلسم ظريف، وهو أنّ في كلّ سنة ثلاثة أيام تسوّد حيطانه، وسقوفه من الخنافس الصغار اللواتي كالنمل. فإذا انقضت تلك الأيّام لا يوجد في تلك الأرض من تلك الخنافس واحدة البتّة فإذا علم الرهبان بمجيء تلك الأيام الثلاثة أخرجوا جميع ما لهم فيه من فرش وطعام، وأثاث وغير ذلك هرباً من الخنافس، فإذا انقضت الأيام عادوا[4].

وفي (نجوم ابن طاوس): قال أبو حيان التوحيدي في (بصائره): قال أبو معشر في (كتاب أسراره) - بعد ذكر منجم ادّعى النبوة في زمان المأمون - وكان له خاتم من لبسه لا يتمالك من الضحك، وقلم لا ينطلق أصبع غيره على الكتابة به، وهو الّذي عمل طلاسم الخنافس في ديور كثيرة[5].

وفي (معارف ابن قتيبة): كانت أمّ أبان بن عثمان حمقاء تجعل الخنفساء في فمها وتقول: «**حاجيتك ما في فمي**»[6].

---

(١) حياة الحيوان ١: ٣٠٧.
(٢) الحيوان ٣: ٥٠٠.
(٣) تاريخ بغداد ٧: ١٥٣.
(٤) معجم البلدان ٢: ٥٠٨.
(٥) خرج المهموم: ١٦٤، والنقل بتلخيص.
(٦) المعارف: ٢٠١.

أخس المخلوقات أعزّ الأدوية

وفي (حياة الحيوان للدميري): رأى رجل خنفساء. فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه؟ ألحسن شكلها أو لطيب ريحها؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك العلاج، فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب فقال: هاتوه حتّى ينظر في أمري. فقالوا: وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذّاق الأطباء، فقال: لا بدّ لي منه. فأحضروه، فلمّا رأى القرحة استدعى بخنفساء. فضحك الحاضرون منه. فقال الرجل: أحضروا له ما طلب. فإنّ الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له فأحرقها وذرّ رمادها على قرحته. فبرئ بإذن الله. فقال: إن الله تعالى أراد أن يعرّفني أنّ أخسّ المخلوقات أعزّ الأدوية.

جاء في وصف الخنفساء وكناها

وقال الدميري: كنية الخنفساء أم الفسو، وأم الأسود، وأم مخرج وأم اللجاج وأم الفتن، وبينها وبين العقرب صداقة، وهي أنواع: منها الجعل، وحمار قبان، وبنات وردان، والحنطب، وهو ذكر الخنافس[(١)].

وفي (حيوان الجاحظ): زعم الأعراب أنّ بين ذكورة الخنافس، وذكورة الجعلان تسافد، وأنهما ينتجان خلقا ينزع إليهما جميعاً. وقال لي الفضل العنبري: يقولون: الضب أطول شيء ذماء، والخنافس أطول منه ذماء، وذلك أنّه يغرز في ظهرها شوكة ثاقبة، وفيها ذبالة تستوقد، وتصبح لأهل الدار وهي تدبّ بها وتجول. قال: وربما كانت الخنفساء في تضاعيف حبل قت أو في بعض الحشيش، والعشب، والحلأ. فتصير في فم الجمل. فيتبلعها من غير أن يضغم الخنفساء. فإذا وصلت إلى جوفه وهي حيّة حالت فيه فلا تموت حتّى تقتله. فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الإداري والعلوفات خوفاً من الخنافس[(٢)].

وفي (فهرست ابن النديم): خدم يوحنّا بن ماسويه المأمون إلى المتوكّل، وعبث به ابن حمدون النديم بحضرة المتوكّل. فقال له يوحنا: لو أنّ مكان ما فعلت من الجهل عقل ثمّ قسّم على ماءَة خنفساء لكانت كلّ واحدة منها أعقل من أرسطا طاليس[(٣)].

قول المصنّف: «**وهذا القول يومئ به إلى الحجّاج**» وكما أخبر عليه السلام أهل العراق بتسلّط الحجّاج عليهم لمّا رأى تخاذلهم له عموماً، وتراذل بعضهم وسوء أدبهم معه خصوصاً كما عرفت، أخبر أهل الشام بغلبة أبي سلّم عليهم لما رأى جدّهم في حربه.

---

(١) حياة الحيوان ١/ ٣٠٧.
(٢) الحيوان ٤: ٤٩٦ و ٥٠٨، والنقل بتصرف يسير.
(٣) الفهرست: ٤١١، والنقل بتصرف يسير.

ففي (المناقب): عن الأعمش عن رجل من همدان قال: كنا مع عليّ عليه السلام بصفين. فهزم أهل الشام ميمنة العراق. فهتف بهم الأشتر ليتراجعوا. فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأهل الشام: «يا أبا مسلم خذهم» ثلاث مرات. فقال الأشتر: أوليس أبو مسلم معهم؟ قال: لست أريد الخولاني، وإنّما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أُميّة ملكهم(١).

الحجاج يكتب إلى عبد الملك ينصحه بقتل علي بن الحسين عليه السلام

هذا، وفي (الخرائج): روي أنّ حجّاجاً كتب إلى عبد الملك إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّاً بن الحسين. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أما بعد.

فجنّبني دماء بني هاشم واحقنها فإنّي رأيت آل أبي سفيان لما أولغوا فيها لم يلبثوا أن أزال الله الملك عنهم وبعث بالكتاب سرّاً فكتب عليّ بن الحسين عليه السلام سرّاً إلى عبد الملك في الساعة الّتي أنفذ فيها الكتاب إلى الحجّاج:

«**علمت ما كتبت في حقن دماء بني هاشم، وقد شكر الله لك ذلك، وثبّت ملكك، وزاد في عمرك**» وبعث به مع غلام له فنظر عبد الملك فوجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه. ففرح بذلك، وفي كتابه عليه السلام إليه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتاني في النوم، فعرّفني ما كتبت به الى الحجّاج(٢).

أكثر لّذات الحجاج سفك الدماء

هذا، وفي (المروج): ولد الحجّاج مشوّها لا دبر له. فثقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أمّه وغيرها. فأعياهم أمره. فيقال: إنّ الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة. فقال: ما خبركم؟ قالوا: ولد ليوسف ابن من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدي أمّه. فقال: اذبحوا جدياً أسود، وأولغوه دمه فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك. فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود، وأولغوه دمه. ثمّ اذبحوا له أسود سالخاً أي الأسود من الحيات فأولغوه دمه، واطلوا به وجهه، فإنّه يقبل الثدي في اليوم الرابع، ففعلوا به ذلك. فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره(٣).

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦٢، ومناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩٨.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٣٢ ومدينة المعاجز: ٤/ ٣٤٥ ح ١٣٤٨.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٢٥، والنقل بتصرف يسير وكتاب الأربعين: ٢٣٤٦ شجرة طوبى ١/ ١٢٧ الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٣٨ باختلاف يسير، مجمع البحرين: ١/ ٤٦٠ باختلاف يسير.

الحجاج هو ابن شيطان ذي الردهة

وفي (تفسير العياشي): عن زرارة: كان يوسف أبو الحجّاج صديقاً لعليّ بن الحسين عليه السلام، وأنّه دخل على امرأته، فأراد أن يضمها. فقالت له: أليس إنّما عهدك بذاك الساعة؟ فأتى عليّاً بن الحسين عليه السلام فأخبره فأمره أن يمسك عنها فأمسك عنها فولدت بالحجّاج وهو ابن شيطان ذي الردهة.

وعنه عن الباقر عليه السلام: كان الحجّاج ابن شيطان، إنّ يوسف دخل على أمّ الحجّاج فأراد أن يصيبها. فقالت: أليس إنّما عهدك بذلك الساعة؟ فأمسك عنها فولدت الحجّاج[1].

وفي السير: أن عروة بن الزبير كان يكنّي الحجّاج بابن المتمنية. لأن أمّه الفريعة هي الّتي قالت: **[البحر البسيط التام]**

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حَجَّاجِ؟

توبيخ عبد الملك للحجاج

وفي (العقد): شتم الحجّاج أنس بن مالك. فكتب إلى عبد الملك يشكوه فكتب عبد الملك إلى الحجّاج إنّك عبد طمّت بك الأمور. فطغيت وعلوت فيها حتّى جزت قدرك، وعدوت طورك، وايم الله يابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لأغمزنّك كبعض غمزة الليوث للثعالب، ولأركضنك ركضة تدخل منها في وجارك. أُذكر مكاسب آبائك إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم، ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم. فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللوم والضراعة، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين، أصل الرجلين، ممسوح الجاعرتين - إلى أن قال: فقال الحجّاج لأنس: عجّلت باللائمة، وأغضبت علينا الخليفة ثمّ أخذ بيده فأجلسه معه على السرير فقال أنس: إنّك كنت تزعم أنّا الأشرار، والله سمّانا الأنصار وقلت: إنّا من أبخل الناس والله يقول فينا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2] وزعمت أنّا أهل نفاق، والله تعالى يقول فينا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾[3].

---

(١) البحار: ٦٠/٢٥٦ ح ١٢٤ تفسير نور الثقلين: ٣/١٨٥ ح ٢٩٩ وتفسير العياشي ٢/٢٩٩ و ٣٠١ و ١٠٣ و ١١٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) العقد الفريد ٥: ٢٧٢ ٢٧٤، والنقل بتلخيص. والآية ٩ من سورة الحشر.

قلت: ومعنى أصل الرجلين كون رجليه دقيقتين وأصل بالتحريك جمع أصلة حيّة خبيثة.

أخبرني عنك يابن اللخناء؟

وفي (الأغاني): استعمل الحجّاج خالداً بن عتاب الرياحي على الريّ وقد كان حلف ألّا يسبّ أحد أمّه إلّا أجابه كائناً من كان فكتب إليه الحجّاج يابن اللخناء أنت الّذي هربت عن أبيك حتّى قتل، فكتب خالد إلى الحجّاج: «**كتبت إليّ تلخّنني وتزعم أنّي فررت عن أبي حتّى قتل، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد لي مقاتلا، ولكن أخبرني عنك يابن اللخناء المستفرمة بعجم زبيب الطائف حين فررت أنت وأبوك يوم الحرّة على جمل ثفال**» ثمّ هرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحارث الكلابي.

وفي (معارف ابن قتيبة): كان اسمه كليب، وكان معلم الصبيان بالطائف وفيه قال الشاعر: **[البحر المتقارب]**

أينسى كليب زمان الهزالْ وتعليمه سورة الْكَوْثَرِ
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الْأَزْهَرِ

شدّة طاعة الحجاج للأمويين

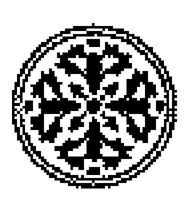
قال ذلك لأنّ خبز المعلّمين من بيوت مختلفة. ونقل مثله (العقد): وزاد ثمّ لحق بروح بن زنباع وزير عبد الملك، فكان في عديد شرطه إلى أن شكا عبد الملك ما رأى من انحلال العسكر، وأنّ الناس لا يرحلون برحيله، ولا ينزلون بنزوله. فقال له روح: إنّ في شرطتي رجلاً لو قلّدته أمر عسكرك لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجّاج بن يوسف. قال: فإنا قلّدناه ذلك. فكان لا يقدر أحد أن يتخلّف عن الرحيل والنزول إلّا أعوان روح. فوقف عليهم يوماً، وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون. فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل الخليفة: فقالوا له: انزل يابن اللخناء فكل معنا. فقال لهم: هيهات ذهب ما هنالك ثمّ أمر بهم. فجلّدوا بالسياط، وطوّفهم في العسكر، وأمر بفساطيط روح فأحرقت، فدخل روح على عبد الملك باكيا. فقال له: ما لك؟

فقال له: الحجّاج الّذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي، وأحرق فساطيطي. قال: عليّ به. فلمّا دخل عليه قال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: ما أنا فعلته. قال: ومن فعله؟ قال: أنت والله فعلت إنّما يدي يدك وسوطي سوطك، وما على الخليفة أن يخلف على روح لفسطاط فسطاطين، ولغلام غلامين، ولا يكسرني في ما قدّمني له،

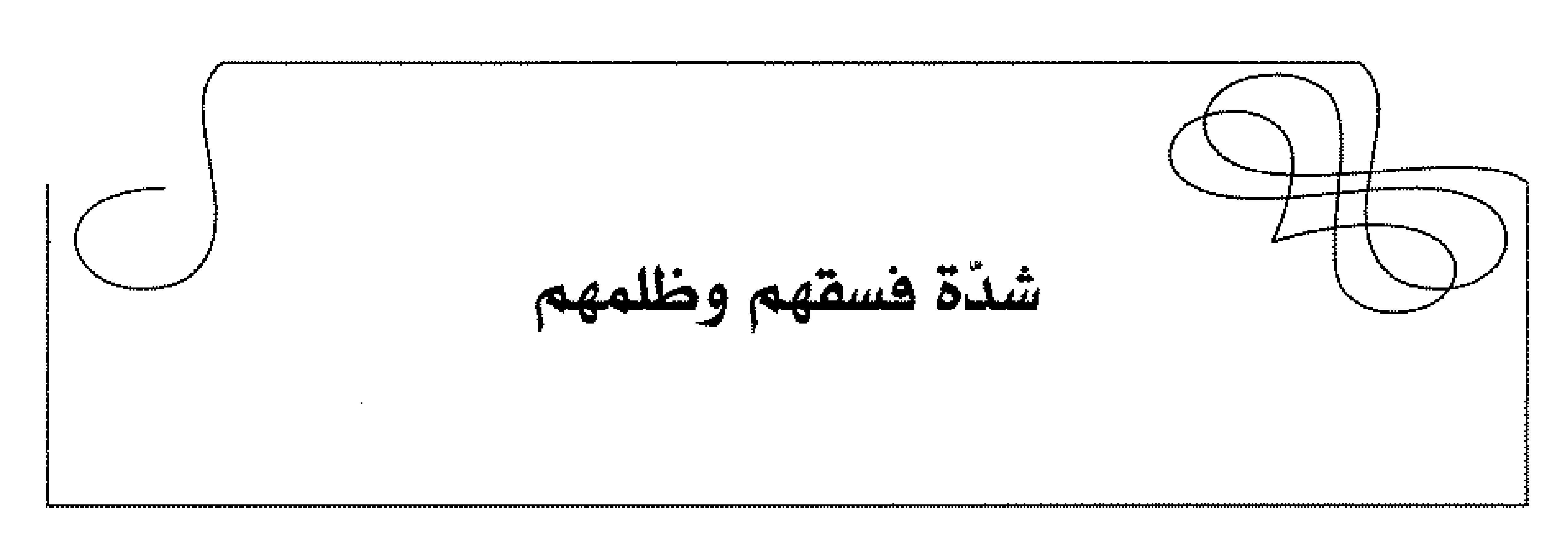
فأخلف لروح ما ذهب منه، وتقدّم الحجّاج في منزلته، وكان ذلك أوّل ما عرف من كفايته[١].

وفي (المعارف): هلك الحجّاج بواسط فدفن بها، وعفّي قبره، وأجري عليه الماء[٢].

«وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره» لا بدّ أنّ المصنّف أراد بحديثه أحد الوجوه المتقدّمة المنقولة في كلام ابن أبي الحديد.



(١) العقد الفريد ٥: ٢٥٥، والمعارف: ٥٤٨، والنقل بتصرف يسير.
(٢) المعارف: ٣٩٨.



شدّة فسقهم وظلمهم

ومن كلام له عليه السلام: «واللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا إِسْتَحَلُّوهُ ولَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَر ولَا وَبَر إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ ونَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وإِذَا غَابَ إِغْتَابَهُ وحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَة فَاقْبَلُوا وإِنِ اُبْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ».

الخطبة (٩٦)

فسق خالد القسري

أقول: رواه إبراهيم الثقفي في (غاراته)[١]، وقد وقع الأمر كما أخبر عليه السلام.

«**والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلّا استحلّوه**» في (الأغاني): قتل خداش الكندي - وكان عاملا لخالد القسري - غلاماً فطولب خالد بالقود منه.

فقال: لئن أقدت من عاملي لأقيدنّ من نفسي، ولئن أقدت من نفسي ليقيدنّ الخليفة من نفسه، ولئن أقاد الخليفة من نفسه ليقيدنّ النبيّ من نفسه، ولئن قاد النبيّ صلى الله عليه وآله من نفسه هاه هاه يعرّض بالله تعالى.

فيه: وكان خالد القسري يقول: لو أمرني الخليفة لنقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام - وكانت أمّه نصرانية - فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة الجامع بالكوفة فكان إذا أراد المؤذّن أن يؤذّن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم، وكان يولّي النصارى، والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم، وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطأوهنّ، فيطلق لهم ذلك، ولا

---

(١) الغارات ٢: ٤٨٧.

يغيّر عليهم وصعد المنبر فقال: إلى كم يغلب باطلنا حقكم؟ أما آن لربّكم أن يغضب لكم؟ وكان يسمّي زمزم: أم الجعلان[١].

فخر هاشم على بني أمية

وفي كتاب (عبّاسية الجاحظ): «**تفخر هاشم عليهم (أي على بني أُميّة) بأنّهم لم يهدموا الكعبة فلم يحوّلوا القبلة ولم يجعلوا النبيّ** صلى الله عليه وآله دون الخليفة، ولم يختموا في أعناق الصحابة، ولم يغيّروا أوقات الصلاة ولم ينقشوا أكفّ المسلمين، ولم يأكلوا الطعام، ولم يشربوا على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم ينهبوا الحرم، ولم يطؤوا المسلمات في دار الاسلام بالسباء»[٢].

ها هم بنو أُمية

وفي كتاب (افتراق هاشم، وعبد شمس) للجاحظ: «**قال ابن أبي رؤبة الدباس: كان بنو أُميّة في ملكهم يؤذّنون، ويقيمون في العيد، ويخطبون قبل الصلاة، وكانوا في سائر صلواتهم لا يجهرون بالتكبير في الركوع والسجود، وكان لهشام خصيّ إذا سجد، وهو يصلّي في المقصورة، قال: لا إِلَه إلّا الله ليسمع الناس فيسجدون، وكانوا يقعدون في إحدى خطبتي العيد، والجمعة، ورأى كعب مروان يخطب وهو قاعد. فقال: انظروا إلى هذا والله يقول:** ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[٣] وأوّل من قعد في الخطب معاوية، وأوّل من أذّن وأقام في العيد بشر بن مروان، وكان عمّال بني أُميّة يأخذون الصدقة من الخيل، وربما دخلوا داراً الرجل قد نفق فرسه أو باعه فإذا أبصروا الأخبية قالوا: قد كان هاهنا فرس فهات صدقتها، وكانوا يؤخّرون صلاة الجمعة تشاغلاً عنا بالخطبة، ويطيلون فيها إلى أن يتجاوز وقت العصر، وتكاد الشمس تصفرّ.

فعل ذلك الوليد بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك والحجّاج، ووكّل بهم الحجّاج والسيوف على رؤوسهم فلا يستطيعون، أن يصلّوا.

وفيه: خطب الحجّاج فذكر الّذين يزورون قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: تبّا لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية هلّا طافوا بقصر الخليفة عبد الملك؟ ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من

---

(١) الأغاني ٢٢: ١٤ - ١٦، والنقل بتصرف يسير وموسوعة التاريخ الإسلامي: ١/ ٥٤.

(٢) رواه الجاحظ في مفاخرة هاشم وأمية، عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٧٧، شرح الكتاب ٢٨، لا العباسية.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١١.

رسوله؟ وكان الوليد بن يزيد يصلّي إذا صلّى أوقات إفاقته إلى غير القبلة فقيل له فقرأ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١).

وفيه: وكانت بنو أُميّة تبيع الرجل في الدين يلزمه، وترى أنّه بذلك يصير رقيقاً. كان معن - أبو عمير بن معن الكاتب - حرّا مولى لبني العنبر.

فبيع في دين عليه فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي. وباع الحجّاج عليّاً بن بشير بن الماخور - لكونه قتل رسول المهلب - على رجل من الأزد، وكانوا يسبّون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم. فلمّا قتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما. فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما وأعطى عباد بن حصين الأخرى، وسبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني. فصارت إلى العبّاس بن الوليد.

فوطأها بملك اليمين. فولدت له المؤمل، ومحمّداً وإبراهيم وأحمد وحصينا.

وأيضاً سبي واصل بن عمرو القنا واسترقّ، وكذلك سبي سعيد الصغير الحروري واسترقّ، وكانت أمّ يزيد بن عمر بن هبيرة من سبي عمّان الّذين سباهم مجاعة. وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة، وفيها بقايا الصحابة وصلحاء التابعين على أنّ كلا منهم عبد قنّ ليزيد إلّا عليّ بن الحسين عليه السلام فإنّه بايعه على أنّه أخوه وابن عمّه(٢).

فسق يزيد بن معاوية

وفي (المروج): كان ليزيد قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس المنادمة، ويطرح له متكأ وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت، وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة. فجاء في بعض الأيام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعليه قباء من الحرير الأحمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع(٣).

فسق الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وفيه: قرأ الوليد بن يزيد ذات يوم: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٧٨، شرح الكتاب ٢٨، عن كتاب افتراق هاشم وعبد شمس للدباس بلا واسطة ولم يوجد في كتاب مفاخرة هاشم وأمية للجاحظ.

(٣) مروج الذهب ٣: ٦٧، والنقل بتصرف يسير شجرة طوبى للحائري: ١/ ١١٢ باختلاف يسير.

وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾[1] فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول: [البحر الوافر]

أتوعد كلّ جبّار عنيد فها أنا ذاك جبّار عَنِيْدُ
إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ خرّقني الْوَلِيْدُ

فيه: ذكر المبرّد أنّ الوليد ألحد في شعر له: [البحر الوافر]

تلعّب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتَابِ
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شَرابِي

فلم يمهل بعد قوله إلّا أيّاما حتّى قتل[2].

فيه: وغنّاه ابن عائشة بقول الشاعر: [البحر الكامل]

إنّي رأيت صبيحة النحر حورا نفين عزيمة الصَّبْرِ

وطلب منه إعادته بحقّ آبائه من عبد شمس إليه. فأعاد في كلّ، فقام إليه وأكبّ عليه، ولم يبق عضواً من أعضائه إلّا قبّله وأهوى إلى أيره فجعل ابن عائشة يضمّ نفسه. فقال الوليد: لا زلت فقبّل رأسه، وقال: واطرباه ونزع ثيابه.

فألقاها على ابن عائشة، وبقي مجرّدا إلى أن أتوه بثياب، وحمله على بغلة، وقال: اركبها على بساطي. فقد تركتني على أحرّ من جمر الغضى.

قال: وقد كان ابن عائشة غنّى بهذا الشعر أباه يزيد بن عبد الملك، فأطربه وقيل: إنه ألحد، وكان في ما قال لساقيه: اسقنا بالسماء الرابعة[3].

وعن (تاريخ الخميس)، وفي (الأغاني): وجد الوليد بن يزيد ابنته خالية فبرك عليها وأزال بكارتها. فقيل له: هذا دين المجوس. فأنشد: [مجزوء البحر البسيط]

من راقب الناس مات غما وفاز باللّذة الْجَسُورُ[4]

ونكح أمّهات أولاد أبيه. وفي (رسالة ابن القارح): أنفذ الوليد إلى مكّة بنّاء مجوسيّا ليبني له على الكعبة مشربة. فمات قبل تمام ذلك فكان الحجاج يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك يا قاتل الوليد بن يزيد لبّيك.

(أيضاً) وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور فيها أقداح، فقال لندمائه:

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ١٥، ١٦. (٢) مروج الذهب ٣/٢١٦.
(٣) مروج الذهب ٣: ٢١٥. (٤) تاريخ الخميس ٢: ٣٥٧، والأغاني ٧: ٦١.

أين القمر الليلة؟ فقال بعضهم في الباطية: فقال: صدقت أتيت على ما في نفسي، والله لأشربن الهفتجة يعني شرب سبعة أسابيع متتابعة. فقتل بها قال: ورأيت رأسه في الباطية الّتي أراد أن يهفتج بها[1].

وفي (حياة الحيوان للدميري): أذّن للصبح، وكان الوليد يشرب مع جارية له، فوطأها ثمّ ألبسها لباسه، فأخرجها سكرانة جنبة، فصلّت بالناس ورواه (الأغاني)[2].

وفي (تاريخ الطبري): أراد هشام قطع ندماء الوليد عنه فولّاه الحج سنة (١١٩). فحمل معه كلاباً في صناديق فسقط منه صندوق عن البعير، وفيه كلب فأجالوا على الكريّ السياط. فأوجعوه ضرباً، وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه خمرا، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة، ويجلس فيها فخوّفه أصحابه، وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا، وتمادى في الشراب، وطلب اللذّات فأفرط. فقال له هشام: فوالله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا. ما تدع شيئاً من المنكر إلّا أتيته غير متحاش ولا مستتر به وكان مسلمة بن هشام يكنّى أبا شاكر، وكان يشرب فكتب إليه الوليد: **[البحر السريع]**

يا أيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شَاكِرِ
نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وَبِالْفَاتِرِ[3]

وفي (الأغاني): في خروج يزيد على الوليد وإحاطة جنده بقصره قال لهم الوليد، ومن راء الباب: أما فيكم رجل شريف أكلّمه. فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي: كلّمني. فقال له الوليد: ما تنقمون منّي؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم، وأخدمت زمناكم، ودفعت عنكم المؤن؟ فقال: ما عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله، وشرب الخمور، واستخفافك بأمر الله، إلى أن قال: قال عمر الوادي: كنت أغنّي الوليد: **[البحر الكامل]**

كذبتك نفسك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خَيَالًا

فما أتممت الصوت حتّى رأيت رأسه فارق بدنه، ويتشحط في دمه[4].

---

(١) رسالة ابن القارح: ١٩٨ و ١٩٩.
(٢) حياة الحيوان ١: ٧٢، والأغاني ٧: ٤٧، والنقل بالمعنى.
(٣) تاريخ الطبري ٥: ٥٢٠، سنة ١٢٥، والنقل بتصرف يسير.
(٤) الأغاني ٧: ٧٨ و ٨١، والنقل بتلخيص.

ما قيل في يزيد بن معاوية

وفي (كشف المحدّث النوري) في كتاب القاضي ابن أبي يعلى، قال ابن حنظلة غسيل الملائكه: والله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء أنّ رجلاً ينكح الأمّهات والبنات والأخوات ثمّ ذكر قذفه الكعبة بالمجانيق في محاصرة ابن الزبير، وإحراقه البيت وإحراق قرني الكبش الّذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف.

وعن المدائني في (كتاب الحرّة) عن أبي هريرة قال هشام بن حسان:

ألف امرأة ولدت بعد الحرة من غير زوج

ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج. قال: ورأيت في تاريخ عبد الملك العصامي أنّ رجلاً من أهل الشام وقع على إمرأة في المسجد النبوي ولم يجد خرقة ينظف بها، ووجد ورقة من القرآن فنظّف نفسه بها[1].

وفي (معارف القتيبي): لمّا قال المسوّر بن مخرمة: إنّ يزيد يشرب الخمر، وبلغه ذلك كتب إلى أمير المدينة أن يجلده الحدّ. فجلده. فقال المسور: **[البحر الطويل]**

أيشربها صرفاً يفكّ ختامها ... أبوخالد أو يجلد الحدّ مُسَوّرُ[2]

وقال ابن عرادة في يزيد وقت موته: **[البحر الكامل]**

طرقت منيته وعند وساده ... كوب وزقّ راعف مَرْثُوْمُ
ومرّتة تبكي على نشوانة ... بالصنج تقعد تارة وَتَقُوْمُ

وفي (تاريخ الطبري) قال من كان مع قحطبة: ما رأيت عسكرا قط جمع ما جمع أهل الشام بأصبهان من الخيل والسلاح والرقيق. كنّا افتتحنا مدينة وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير، ولقلّ بيت أوخباء ندخله إلّا أصبنا فيه زكرة أو زقاً من الخمر. فقال بعض الشعراء: **[البحر السريع]**

قرضبهم قحطبة القرضب ... يدعون مروان كدعوى الرَّبِّ[3]

ماذا فعل الصحابي سمرة بن جندب بأهل البصرة؟!

وفيه: جاء رجل إلى سمرة وكان على البصرة من قبل معاوية فأدّى زكاة ماله ثمّ دخل

---

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ١/ ٢٢٩ كشف الأستار: ٨٨ - ٨٩.
(٢) المعارف: ٤٢٩.
(٣) تاريخ الطبري ٦: ٦٦، سنة ١٣١.

فجعل يصلّي في المسجد. فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية. فمرّ أبو بكرة فقال: يقول الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾(١) فما مات سمرة حتّى أخذه زمهريرة فمات شرّ ميتة. وأتي (سمرة) بناس كثير واناس بين يديه. فيقول للرجل ما دينك؟ فيقول «**أشهد ألّا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأني بريء من الحرورية**» فيقدّم فيضرب عنقه حتّى مرّ بضعة وعشرون(٢).

فيه: استخلف زياد سمرة على البصرة، وأتى الكوفة فجاء زياد وقد قتل ثمانية آلاف من الناس. فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ قال: لوقتلت إليهم مثلهم ما خشيت، وقال أبو سوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن(٣).

فسق الوليد بن يزيد

في (الأغاني): لمّا ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب، وحمل المغنّين إليه وأرسل إلى أشعب فجاؤوا به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب فلما رآه الوليد كشف عن أيره، وكان كأنّه مزمار مدهون. فقال: أرأيت مثله قال: لا قال: فاسجد له. فسجد ثلاثاً. فقال: ما هذا؟ فقال واحدة له وثنتين لخصييك، فضحك وأمر له بجائزة، ولمّا ولي بعث إلى جماعة من أهله. فقال: أتدرون لم دعوتكم؟ قالوا: لا، قال: **[البحر الخفيف]**

أشهد الله والملائكة الأبرار والعابدين الصّلاحِ
أنّني أشتهي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الْمِلَاحِ
والنديم الكريم والخادم الفـ ـاره يسعى عليّ بِالْأَقْدَاحِ

قوموا إذا شئتم.

وفيه: لمّا أقبل الوليد على القصف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي وكان أديباً شاعراً. فكان لا يصبر عنه فغنّاه معبد ذات يوم شعر عدي فطرب، وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر. فنام في موضعه فانصرف ابن الطويل. فلمّا أفاق الوليد سأل عنه. فلمّا عرف انصرافه غضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه: إئتني برأسه، فمضى وأتاه به فجعله في طست بين

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧، سنة ٥٣ والنصائح الكافية: ٧٧.
(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦، سنة ٥٠، الإيضاح: ٥٤٣ بتفاوت، والكامل: ٣/ ٤٦٢ بتفاوت.

يديه. فلمّا رآه، أنكره، وسأل عن الخبر. فعرّف، فندم على ما فرط منه، ولم يعش بعده إلّا مُدَيدَة حتّى قتل.

وفي (تاريخ الطبري) - في خروج بهلول الملقب كثارة في زمن هشام - خرج، بهلول يريد الحج. فأمر غلامه أن يبتاع له خلّاً بدرهم فجاءه بخمر فأمر الغلام بردها، وأخذ الدرهم فلم يجب. فجاء إلى عامل القرية فقال له العامل: «**الخمر خير منك ومن قومك**» فعزم على الخروج. فلقي بمكّة من كان على مثل رأيه فاجتمعوا في قرية من الموصل، وهم أربعون وأمّروه فانتهوا إلى القرية الّتي ابتاع غلامه الخل فأعطوه الخمر. فقال: نبدأ بهذا العامل الّذي قال ما قال.

فقالوا: ننشدك الله أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد القسري الّذي يهدم المساجد، ويبني البيع والكنائس، ويولّي المجوس على المسلمين، وينكح أهل الذمة المسلمات لعلنا نقتله فيريح الله منه(١).

ذكر الوليد عند المنصور

وفيه: ذكر الوليد عند المنصور فقال له، أبو بكر الهذلي عن ابن عم الفرزدق عنه قال: حضرت الوليد وعنده ندماؤه، وقد اصطبح، فقال لابن عائشة: تغنّ بشعر ابن الزبعرى: **[البحر الرمل]**

لـيـت أشـيـاخـي بـبـدر شـهـدوا   جـزع الـخـزرج مـن وقـع الأَسَـلْ
وقـتـلـنـا الـضـعـف مـن ساداتـهـم   وعـدلـنـا مـيـل بـدر فَـاعْـتَـدَلْ

فقال ابن عائشة: لا اغنّي هذا. فقال: غنّه وإلّا جدعت لهواتك. فغنّاه. فقال:

«**أحسنت والله إنّي لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر**» فلعنه المنصور وجلساؤه(٢).

وفي (رسالة ابن القارح): الوليد هو القائل: **[البحر الطويل]**

إذا مت يا أمّ الحنيكل فانكحي   ولا تأملي بعد الفراق تَلاقِيَا
فإنّ الّذي حدثته من لقائنا   أحاديث طسم تترك العقل وَاهِيَا

وفي (الأغاني): غنّى أبو كامل الوليد بن يزيد له: **[البحر الرمل]**

أدر الكأس يمينا لا تدرها ليسارْ   فلقد أيقنت أنّي غير مبعوث لِنَارْ

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥٧، سنة ١١٩ بتصرف. (٢) رسالة ابن القارح: ١٩٨.

سأروض الناس حتّى يركبوا أير الحمارْ وذروا من يطلب الجنة يسعى لِتَبَارْ

وفيه: تكلّم بعض جلساء الوليد والمغنيّة تغنّيه. فكره ذلك، وأضجره فقال لبعض جلسائه: قم فنكه. فقام فناكه والناس حضور وهو يضحك.

وفيه: عن الوليد البندار قال: حججت مع الوليد بن يزيد. فلمّا أراد أن يخطب الناس قلت: إنّ اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق، وأريد أن تشرفني بشيء. قال: وما هو؟ قلت: إذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنّك أسررت إليّ شيئاً. فقال: أفعل. فلمّا جلس على المنبر قال: يا بندار.

فقمت إليه فأخذ بأذني ثمّ قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكلّ من ترى حولنا ولد زنا أفهمت؟ انزل الآن.

جئتكم برجل لو أمرته أن ينكح أمه لنكحها

«**ولا عقداً إلا حلّوه**» في (خلفاء القتيبي): بعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير. فضرب على أهل الديوان البعث إلى مكّة، وهم كارهون للخروج. فقال لهم: إما أن تأتوا ببدل، وإما أن تخرجوا. فجاءه رجل ببدل، وقال لبدله: هل لك أن أزيدك خمسماءَة أخرى، وتنكح أمّك؟ فقال له: أما تستحي. فقال: إنّما حرّمت عليك أمك في مكان واحد من القرآن، وحرّمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن، وقال لعمرو: قد جئتك برجل لو أمرته. أن ينكح أمّه لنكحها[١].

ظلم وسوء رعاية

«**وحتّى لا يبقى بيت مدر**» أي: بلد.

«**ولا وبر**» أي: أهل الخيام.

«**إلّا دخله ظلمهم، ونبا به**» في (الصحاح): «**نبا بفلان منزله: إذا لم يوافقه**»[٢].

«**سوء رعيهم**» في (أنساب البلاذري): كان يقال: لاياد الطبق لإطباقهم بالشر والعرام على الناس[٣]. . . .

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) البحار: ٢٢/ ٢٦٣ كتاب العين: ٨/ ٣٧٩، صحاح اللغة ٦: ٢٥٠٠، مادة (نبا).

(٣) أنساب الاشراف ١: ٢٨.

قال الفرزدق مخاطبا للوليد بن عبد الملك كما في ديوانه : [البحر الوافر]

فكيف بعامل يسعى علينا يكلّفنا الدراهم في الْبُدُورِ
وأنّي بالدراهم وهي منّا كرافع راحتيه إلى الْعُبُورِ
إذا سقنا الفرائض لم يردها وصدّ عن الشويهة وَالْبَعِيْرِ[١]

«وحتّى يقوم الباكيان يبكيان» هكذا في (المصرية)، و(يبكيان) زائدة لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢]، وللغويته.

معنى قوله عليه السلام باكٍ يبكي لدينه

«باكٍ يبكي لدينه» في (تاريخ الطبري): ذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها، أنّ من كان له أصل في قرية فليخرج إليها فخرج الناس فعسكروا. فجعلوا يبكون وينادون يا محمّداه يا محمّداه، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون. فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنّعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون[٣].

معنى قوله عليه السلام وباكٍ يبكي لدنياه

«وباكٍ يبكي لدنياه» في (تاريخ الطبري) - في هزيمة ابن الأشعث بمسكن - وجعل الحجّاج يقتل من وجد منهم حتّى قتل أربعة آلاف، فيقال: إنّ في من قتل عبد الله بن شداد بن الهاد، وبسطام بن مصقلة بن هبيرة، وعمرو بن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود العبدي، والحكم بن مخرمة العبدي وبكير بن ربيعة الضبي. فأتي الحجّاج برؤوسهم على ترس - إلى أن قال:

قال الحجّاج: يا غلام ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك. فوضع بين يديه. فبكى.

فقال له الحجّاج: ما أبكاك؟ أحزناً عليهم؟ قال: بل جزعاً عليهم من النار[٤].

وفي (خلفاء القتيبي): مكث النوح على أهل الحرّة سنة لا يهدأون وأمسكوا عن لبس

(١) ديوان الفرزدق ١ : ٢٨٥.
(٢) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٨٦، وشرح ابن ميثم ٢/ ٤٠٩.
(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ١٨٢، سنة ٨٣.
(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ١٨٤، سنة ٨٣ والنقل بتصرف يسير.

المصوغ[١]، وفي ديوان الفرزدق مخاطبا للوليد: [البحر الوافر]

فلو سمع الخليفة صوت داعٍ ينادي الله هل لي من مُجيْرِ
وأصوات النساء مقرناتٍ وصبيان لهن على الْحُجُورِ[٢]

وصية الحجاج لإبنه

«**وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه**» في (العقد): أراد الحجّاج الحجّ. فقال: يا أهل العراق استعملت عليكم ابني، وقد أوصيته خلاف وصية النبيّ بالأنصار ألّا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم، وقد علمت أنّي إذا ولّيت عنكم تقولون: لا أحسن الله له الصحابة، وأنا أعجّل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة[٣].

بايعوا على أنكم خول ليزيد

وفي (تاريخ الطبري): أُتي مسلم بن عقبة بيزيد بن وهب بن زمعة. فقال: بايع قال: على سنّة عمر. قال: اقتلوه. قال: أنا أبايع. قال: لا والله لا أقيلك عثرتك.

فكلّمه مروان لصهر كان بينهما. فأمر بمروان فوجئت عنقه ثمّ قال: بايعوا على أنّكم خول ليزيد ثم أمر به فقتل[٤].

«**وحتى يكون أعظمكم فيها عناء**» أي: تعباً.

«**أحسنكم بالله ظنّا**» الظاهر أنّ المراد بهم شيعته عليه السلام، وروى المدائني:

أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته[٥].

خلع عبد الملك من قبل أهل العراق

«**فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوه**» في (تاريخ الطبري): أنّ أهل العراق لمّا بايعوا ابن الأشعث، وخلعوا عبد الملك لاستعمال الحجّاج عليهم بعث إليهم عبد الملك أن ينزع

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٢٢٠. (٢) ديوان الفرزدق ١: ٢٨٥.

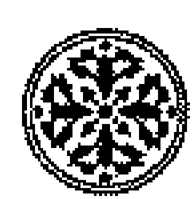
(٣) في المصادر «معجل لكم»، تاريخ المدينة: دمشق ١٢/ ١٧٠، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢/ ٣٢، العقد الفريد ٥: ٢٨٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) معالم المدرستين: ٣/ ٢١٩٠ وتاريخ الطبري ٤ :٣٧٨، سنة ٦٣.

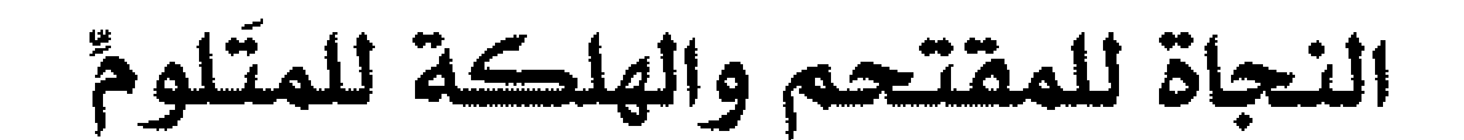
(٥) رواه عن أحداث المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨.

عنهم الحجّاج، وأن يجري عليهم أعطياتهم كأهل الشام، فاجتمع الرؤساء عند ابن الأشعث فقال لهم: أعطيتم اليوم أمراً انتهازكم له فرصة، ولا آمن أن يكون غداً عليكم حسرة، إنّكم اليوم على النصف. فإن كانوا اعتدّوا بيوم الزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزّاء أقوياء، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون. فلا والله لا زلتم عليهم جرّاء، ولا زلتم عندهم أعزاء ما بقيتم إن كنتم قبلتم ما عرضوا عليكم. فوثبوا من كلّ جانب، وقالوا: لا والله لا نقبل، وأعادوا خلعه ثانية(١).

«**وإن ابتليتم فاصبروا. فإنّ العاقبة للمتقين**» ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣) ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤).



(١) تاريخ الطبري ٥: ١٥٧، سنة ٨٢، والنقل بتصرف يسير.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٩.
(٤) سورة القصص، الآية: ٨٣.



النجاة للمقتحم والهلكة للمتلوّم

منه: «وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً ولَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً قَدْ خُلِّيتُمْ والطَّرِيقَ فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ والْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ». من الخطبة (١٢١)

استبطاؤه عليه السلام من قعد عن نصرته

أقول: رواه المفيد في (إرشاده) وابن قتيبة في (خلفائه) جزء خطبة طويلة ففي الأوّل من كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن نصرته: «**ما أظن هؤلاء القوم يعني أهل الشام إلّا ظاهرين عليكم**». فقالوا له عليه السلام: بماذا يا أمير المؤمنين؟ فقال «**أرى أمورهم قد علت، ونيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين.**

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم. كأنّي أنظر إليهم، وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيأكم، وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب، لا تأخذون حقّاًولا تمنعون لله حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم، ويخيفون قرّاءكم، ويحرمونكم ويحجبونكم، ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة، ووقع السيوف ونزول الخوف لقد ندمتم وحسرتم على تفريطكم في جهادكم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار».

ومثله في الثاني وزاد فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّاً أترى معاوية يكون علينا أميرا؟ فقال: «**لا تكرهوا إمرة معاوية فإنّ إمرته سلم وعافية. فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنّها الحنظل وعداً كان مفعولا**»[1].

(١) الارشاد: ١٤٦ والإمامة والسياسة ١: ١٥٢.

قول المصنّف: «منها» هكذا في (المصرية) بمعنى أنّه جزء عنوان قبله«ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب» وهو غلط، فقد عرفت أنّ هذا جزء خطبة خطبهم عليه السلام في تقريعهم من وهيهم في أمورهم مع أنّه لو كان أراد جعله جزء قبله لقال «منه» لأنه قال قبله «ومن كلام» لا «ومن خطبة» والصواب: كونه عنواناً مستقلاً، وأنّ الأصل «ومن كلام له عليه السلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)(١).

قوله عليه السلام: «وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب» في (النهاية): كشيش الأفعى: صوت جلدها إذا تحركت، وليس صوت فمها فإنّ ذلك فحيحها، ومنه حديث عليّ عليه السلام «كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب»(٢).

وفي (الجمهرة): كشّ البكر يكشّ كشّاً وكشيشاً وهودون الهدر، والكشّ لإقبال الإبل. قال الراجز رؤبة «هدرت هدراً ليس بالكشيش»، وكشّت الأفعى كشّاً وكشيشاً إذا حكّت بعض جلدها ببعض قال الراجز: [البحر السريع]

كأنّ بين خلفها والخلفْ كشّة أفعى في يبيس قَفّ

أي: يابس، ومن زعم أنّ الكشيش صوتها من فيها. فهو خطأ: فإنّ ذلك الفحيح من كلّ حيّة، والكشيش للأفعى خاصة الخ(٣)، وقوله «والكشيش للأفعى خاصة» أي: ليس لكلّ حيّة، لا أنّه ليس لغير الأفعى كشيش مع أنّ الضباب شبيهة به.

والضباب: جمع الضب، وهو معروف، وعن بعضهم الضب على حدّ فرخ التمساح الصغير، وذنبه كذنبه، وهو يتلوّن ألواناً بحرّ الشمس كالحرباء.

قيل لذكر الضب ذكران، ولأنثاه فرجان، وإنّه لا يخرج من جحره في الشتاء.

وُصِفُوا بالضب لعقوقهم

قال أُميّة بن أبي الصلت «إذا ما الضب أجحره الشتاء» ويوصف بالعقوق قال الشاعر: [البحر الوافر]

أكلت بنيك أكل الضب حتّى تركت بنيك ليس لهم عَدِيْدُ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٥، وشرح ابن ميثم ٣: ١٢١.
(٢) نهج البلاغة ٢/٢، والبحار: ٣٢/ ٤٥٥ وشرح ابن أبي الحديد: ٧/ ٣٠٤، النهاية ٤: ١٧٦، مادة (كشش).
(٣) جمهرة اللغة ١: ٩٨.

وأنّه يرجع في قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه، وهو طويل الدم بعد الذبح ويقال: إنّه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى في النار، فيتحرك ويخرج من جحره كليل البصر. فيجلو بالتحدق للشمس، ويغتذي بالنسيم، وبرد الهواء عند الهرم ويؤوي العقرب في جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه قال: **[البحر الطويل]**

وأخدع من ضبّ إذا جاء حارش ... أعدّ له عند الذبابة عَقْرَبَا

في وصف الضب

وعن (كتاب ليس) لابن خالويه: الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعماءَة سنة فصاعداً ويقال إنّه يبول في كلّ أربعين يوماً قطرة، ولا تسقط له سنّ، ويقال إنّ أسنانه قطعة واحدة ولا يتخذ جحره إلّا في كدية حجر، ولذا تكون براثنه كليلة من حفره في الصلبة[1]. وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال لأمّته: والّذي نفسي بيده لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[2].

والمراد من قوله عليه السلام: «**تكشّون كشيش الضباب**» أنّكم لا تقدرون على التكلّم بما يفهم في قبال بني أُميّة بل يكون تكلّمكم في شفاهكم بما لا يفهم ككشيش الضباب.

أوعدنا الله يا زياد خيراً مما أوعدت

ولمّا خطب زياد بالبصرة خطبته البتراء، وقال فيها: «**وإنّي أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم الرجل فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد**» قام أبو بلال يهمس وهو يقول: أنبأ الله بغير ما قلت قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[3] فأوعدنا الله يا زياد خيراً ممّا أوعدت.

«**لا تأخذون حقّاً، ولا تمنعون ضيما**» أي: ذلّة، ولقد خرجوا مع ابن الاشعث على الحجّاج لأخذ حقّهم والمنع عن ظلمه. فعجزوا، ولمّا أدخل الشعبي عليه - وكان في من خرج وأسر - قال للحجّاج: إنّ الناس قد أمروني أن اعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنّه

(١) هذا سياق الدميري في حياة الحيوان ٢: ٧٧ و ٧٨، وصدر هذا الكلام فقط رواه عن كتاب ليس لابن خالويه.

(٢) جامع البيان: ١٠/ ٢٥٥ ح ١٣١٦٣ وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٢، أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٥٥، وغيره والنقل بتصرف يسير.

(٣) سورة النجم، الآيات: ٣٧ - ٣٩.

الحقّ، وايم الله لا أقول في هذا المقام إلّا حقّاً. قد والله جهدنا عليك كلّ الجهد. فما ألونا فما كنّا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة.

الهلكة للمتلوّم

«قد خلّيتم والطريق» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(١).

«**فالنجاة للمقتحم**» يقال: «**أُقحم أهل البادية**» إذا أجدبوا. فدخلوا بلاد الريف.

«**والهلكة للمتلوّم**» قال الجوهري: «**التلوّم الانتظار والتمكّث**»(٢) **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٣). قوله عليه السلام في رواية (الإرشاد) و(الخلفاء): «**كأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيأكم**».

في (تاريخ الطبري): لمّا همّ أهل العراق بالغدر بمصعب قال لهم قيس بن الهيثم: ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم. والله لقد رأيت سيّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف واحدنا على ألف بعير، وأنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه(٤).

الحجاج ينزل الجند في بيوت غيرهم

وفي (الكامل): أنزل الحجّاج بعد هزيمة أهل العراق بدير الجماجم أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها، وهو أوّل من أنزل الجند في بيوت غيرهم(٥).

قوله عليه السلام أيضاً: «**وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم**» فقتل معاوية من صالحيهم حجر بن عدي، وقتل الحجّاج منهم سعيد بن جبير.

عائشة تلوم معاوية في قتل حجر

ففي (تاريخ الطبري): قالت عائشة لمعاوية: أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣. (٢) صحاح اللغة ٥: ٢٣٤، مادة (لوم).
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٤) تاريخ الإسلام ٥/ ٣٠٣، تاريخ الطبري ٥: ٧، سنة ٧١.
(٥) الكامل ٤: ٤٨٢، سنة ٨٣، والنقل بتصرف يسير.

قال: لست أنا قتلتهم. إنّما قتلهم من شهد عليهم. قالت عائشة: أما والله أن كان ما علمت مسلماً حجاجاً معتمراً.

شهادة القاضي شريح

وفيه: لمّا كتب زياد شهادة شريح بن هاني بإباحة دم حجر كتب شريح إلى معاوية أنّ زيادا كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأنّ شهادتي على حجر أنه ممّن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال. فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه.

يومي منك يا حجر طويل

وفيه: قال الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة – وعدّ منها قتله حجراً – وقال: ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين.

وفيه: قال حجر لمن حضره من أهله لمّا قتله معاوية بمرج عذراء: لا تطلقوا عنّي حديدا ولا تغسلوا عنّي دماً فإنّي أُلاقي معاوية غداً على الجادة، وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشهيد يغسّل؟ حدّثهم حديث حجر، ويقول بلغنا أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر طويل(١).

قتل سعيد بن جبير

وفيه: لمّا أتي الحجّاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب، وقد وضع إحدى رجليه في الغرز أو الركاب. فقال: والله لا أركب حتّى تبوّأ مقعدك من النار اضربوا عنقه. فالتبس الحجّاج عقله مكانه فجعل يقول «**قيودنا قيودنا**» فظنوا أنّه قال القيود الّتي على سعيد بن جبير. فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه، وأخذوا القيود، وقالوا لم يلبث الحجّاج بعد سعيد إلّا نحوا من أربعين.

فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه. فيقول يا عدو الله فيم قتلتني؟

فيقول الحجّاج: «**ما لي ولسعيد**»، وقالوا: لمّا قتل سعيدا فندر رأسه هلّل ثلاثاً(٢).

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٨٨، تاريخ الكوفة: ٣٢٠ ح ٥، تاريخ الطبري ٤: ١٩٠، ٢٠٣ و ٢٠٨، سنة ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٦٢، سنة ٩٤، والنقل بتصرف يسير.

يا أعداء الله قد هلكتم

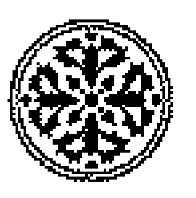
قوله عليه السلام أيضاً «**ويخيفون قرّاءكم**» لمّا قتل جبلة بن زجر من رؤساء القرّاء في جيش ابن الأشعث نادى أهل الشام: يا أعداء الله قد هلكتم وقتل طاغوتكم ولمّا جيء برأسه إلى الحجّاج حمله على رمحين، وقال: يا أهل الشام أبشروا فهذا أوّل الفتح.

زهير بن القين يخطب في أهل الكوفة

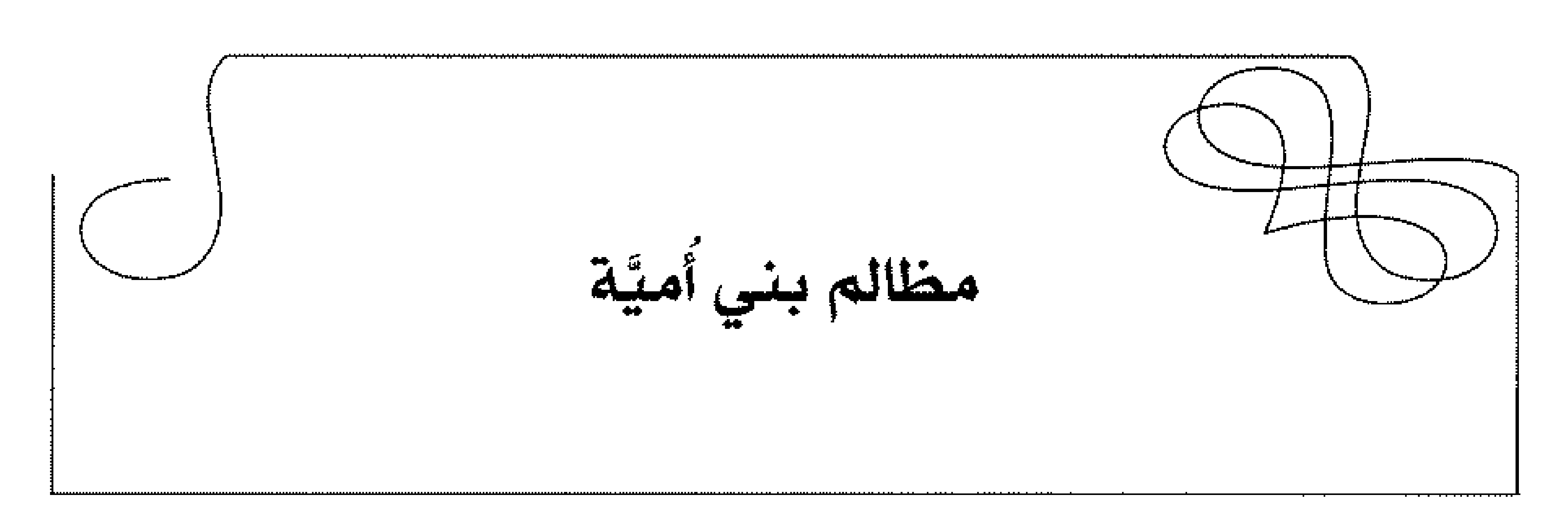
وفيه: عن كثير بن عبد الله الشعبي قال: لمّا زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح. فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، أنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة وعلى دين واحد، وملّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل.

فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أمّة وأنتم أمّة. إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون.

إنّا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد. فإنكم لا تدركون منهما عمر سلطانهما إلّا سوءًا، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم، وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه» قال: فسبوه، وأثنوا على عبيد الله ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتّى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله سلماً[١].



(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، سنة ٦١.



مظالم بني أُميّة

«فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَر ولَا وَبَر إِلّا وأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً وأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً فَيَوْمَئِذ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ ولَا فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ وسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَل ومَشْرَباً بِمَشْرَب مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ومَشَارِبِ الصَّبِرِ والْمَقِرِ ولِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ودِثَارِ السَّيْفِ وإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وزَوَامِلُ الْآثَامِ فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا ولَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ».

من الخطبة (١٥٦)

شرح قوله عليه السلام

«فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا وأدخله الظلمة ترحة» أي: حزناً.

«وأولجوا» أي: أدخلوا.

«فيه نقمة» أي: مكروهاً، والكلام نظير ما مر في العنوان (٢١) «وحتّى لا يبقى بيت مدر، ولا وبر إلّا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم»[(١)] وبيت مدر ووبر كناية عن الجميع لأنّ الناس رجلان ذوبيت مدر، وذوبيت وبر، بل لم يبقوا بيتاً شريفاً، ولا مكاناً منيفاً إلّا وأدخلوا بسببه على الناس ترحة ونقمة.

فهدموا الكعبة مرّتين واستخفّوا بمسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فجعلوه مربط خيولهم.

«فيومئذ لا يبقى لكم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[(٢)] ولأنّ الخطاب للناس لا لبني أُميّة.

---

(١) مرّ في العنوان (٢١) من هذ الفصل والحديث في نهج البلاغة ١: ١٩٠، الخطبة ٩٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، أيضاً «لكم».

«**في السماء عاذر**» لتجاوزهم في العتو والطغيان.

«**ولا في الأرض ناصر**» لوصول أذاهم إلى البرّ والفاجر.

وورد مثله في معاوية خاصة كما ورد في بني أُميّة عامة. ففي (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قلت للحسن عليه السلام: أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك ماءة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس. فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّي سمعت عليّاً عليه السلام يقول:

الإمام الحسن عليه السلام يتحدّث عن معاوية

سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأمّة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية - إلى أن قال:

قال عليه السلام: أبشر يا سفيان فإنّي سمعت عليّاً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّهم من أمّتي كهاتين - يعني السبابتين - أو كهاتين - يعني السبابة والوسطى أحدهما تفضل على الأخرى، أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البر والفاجر حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله[1].

عودة إلى تفسير قوله عليه السلام

«**أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده**» هكذا في (المصرية) والصواب: (غير ورده) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، وإصفاؤهم بالأمر غير أهله لأنّ أهل الأمر إنّما كانوا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وإيرادهم الأمر غير ورده لكونه عليه السلام مع المعصومين من عترته أهل الذكر الّذين قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وأولي الأمر الّذين قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[4] والمراد أنّ الله

---

(١) شرح الأخبار: ٣/ ٥٨١، ح ١٣٦٢ والبحار: ٤٤/ ٦٠ ح ٧ وشرح أبي الحديد: ١٦/ ٤٥، مقاتل الطالبيين: ٤٤.

(٢) البحار: ٣١/ ٢٥٤٦، نهج البلاغة: ٢/ ٥٤، ح ١٥٨، لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، مثل المصرية أيضاً.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٣.

تعالى سلّط عليهم بني أُميّة بفعلهم يوم السقيفة حيث تركوه عليه السلام، واعترف بذلك ابن عمر لمّا رأى مروان على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله مع إنكاره على سلمان يوم السقيفة إنكاره عليهم[1].

رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم

وروى محمّد بن يعقوب في (روضته): أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالمدينة فقال: أيها الأمّة الّتي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها، فأصرّت على ما عرفت، واتّبعت أهواءها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته.

أما والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه. لتنهّجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام. فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام. فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدّت عليكم أبواب العلم. فقلتم بأهوائكم واختلفتم في دينكم. فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم - إلى أن قال:

رويداً. عمّا قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم، والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لقد علمتم أنّي صاحبكم والّذي به أُمرتم. وأنّي عالمكم والّذي بعلمه نجاتكم، ووصيّ نبيّكم، وخيرة ربكم، ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم. فعن قليل رويدا ينزل بكم ما وعدتم وما نزل بالأمم قبلكم[2]. . . .

انتقام السّفاح من بني أُمية

«وسينتقم الله ممّن ظلم مأكلاً بمأكل، ومشرباً بمشرب من مطاعم» متعلق بقوله **«مأكلا»**.

«العلقم» يقال للحنظل، وكلّ شيء مرّ علقم.

«ومشارب» متعلق بقوله **«ومشربا»**.

---

(١) رواه الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٩٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ١١/ ٢٩٧ باختصار، والبحار: ٢٨/ ٢٤١ باختصار، رواه الكليني في الكافي ٨: ٣٢، ضمن الخطبة الطالوتية.

«**الصبر**» بالفتح فالكسر: دواء مرّ، ولا يسكن إلّا في ضرورة الشعر. قال الراجز: أمرّ من صبر ومقر وحضض[١].

«**والمقر**» هو أيضاً بالفتح فالكسر وبمعناه. وقال المنصور لأبي مسلم لمّا قتله:

[البحر السريع]

اشرب بكأس كنت تسقي بها   أمرّ في الحلق من الْعَلْقَمِ

«**ولباس**» عطف على مأكلاً.

«**شعار الخوف**» والشعار ما ولي الجسد من اللباس.

«**ودثار السيف**» والدثار كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار.

وفي (المروج): لمّا اتي السفاح برأس مروان بن محمّد آخر الاموية قال: الحمد لله الّذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك. ثمّ قال: ما ابالي متى طرقني الموت. قد قتلت بالحسين عليه السلام وبني أبيه من بني أُميّة مئتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي ثم تمثل:

[البحر البسيط التام]

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم   ولا دماؤهم للغيظ تَرْوِيْنِي[٢]

«**وإنّما هم مطايا**» جمع المطية، وفي (الصحاح): قال الأصمعي: المطية: الّتي تمطّ في سيرها وهو مأخوذ من المطو: أي: المدّ[٣]... قلت: الصواب: أنّ المطية مأخوذ من المطا بمعنى الظهر، أي: ما له ظهر يركب أويحمل عليه. قال ابن دريد: «المطا الظهر وأصله الواو ويثنى مطوين، ومنه اشتقاق المطية»[٤] والمد معنى المطط لا المطا.

قال ابن دريد: «مطّ الشيء يمطه مطّاً إذا مدّه، ومنه قولهم مط الرجل حاجبيه، وخده إذا تكبر. وكذلك مطّ أصابعه إذا مدّها، وخاطب بها. وأحسب أنّ التمطي من هذا، وكأنّ أصله التمطط. فقالوا: التمطي كما قالوا تقضي البازي وما أشبهه[٥]... وبالجملة التمطي بمعنى المدّ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾[٦] وكما في قول الشاعر

(١) في المصادر: «خطظ»، صحاح اللغة: ٢/٧٠٧، أورده لسان العرب ٤: ٤٤٢، مادة (صبر).
(٢) مروج الذهب ٣: ٢٥٧.
(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٤٩٤، مادة (مطا) ولسان العرب: ١٥/ ٢٨٥.
(٤) جمهرة اللغة ٣: ١١٨.
(٥) جمهرة اللغة ١: ١٠٩.
(٦) سورة القيامة، الآية: ٣٣.

في وصف ليل استطاله: **[البحر الخفيف]**

كلّما قلت قد تقضّى تمطّى حالك اللون دامسا يحموما[1]

لا المطية والتمطي قد عرفت كون الأصل فيه التمطط ظاهراً.

«**الخطيئات**» هكذا في النسخ[2]، ولعل الأصل فيه «**الخطايا**» فإنه الأنسب بالمطايا.

«**وزوامل**» جمع الزاملة: بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه، وطعامه عليه تقول: ركب الراحلة وحمل على الزاملة.

«**الآثام**» بالمدّ جمع الإثم أي: الذنب، وأمّا الأثام بدون المدّ فجزاء الإثم وكون بني أُميّة مطايا الخطايا، وزوامل الآثام أمر معلوم.

عبدالله بن مروان يقص قصته وقصة ملك النوبة

وفي (المروج): بعث المنصور إلى عبد الله بن مروان بن محمّد وكان في من هرب إلى أرض النوبة فأخذ وحبس فأحضر من الحبس، وقال له:

قصّ عليّ قصّتك وقصّة ملك النوبة. قال: قدمت إلى النوبة فأقمت بها ثلاثاً.

فأتاني ملكها. فقعد على الأرض وقد أعددت له فراشاً فقلت له: ما منعك من القعود على فراشنا؟ فقال: لأنّي ملك وحقّ لكلّ ملك أن يتواضع لعظمة الله عزّ وجلّ إذ رفعه الله. ثمّ قال: لم تشربون الخمر، وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟

فقلت: اجترأ على ذلك عبيدنا، وأتباعنا. قال: فلم تطأون الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيدنا، وأتباعنا لجهلهم.

قال: فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرّم عليكم في كتابكم، ودينكم؟ فقلت: ذهب منّا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا.

فلبسوا ذلك على الكره منّا. فأطرق إلى الأرض يقلب يده مرة وينكت في الأرض أخرى ويقول: عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع رأسه. فقال: ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم الله، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم في ما ملكتم. فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم،

---

(١) أورده أساس البلاغة: ٤٣٢، مادة (مطى).

(٢) كذا في نهج البلاغة ٢: ٥٤، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤.

وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب، وأنتم ببلدي فينالني معكم فتزوّد ما احتجت إليه، وارحل عن أرضي[١]. . . .

وفي (عيون القتيبي): قال زيد بن أسلم: رأيت طارقاً وهو والٍ لبعض الخلفاء من بني أُميّة على المدينة يدعو بالغداء. فيتغدى على منبر النبيّ ﷺ ويكون فيه العظم الممخّ فينكته على رمانة المنبر فيأكله[٢].

«**فأقسم ثمّ أقسم لتنخمنّها أُميّة من بعدي كما تلفظ النخامة**» في (الجمهرة):

«**النخاعة، والنخامة واحد وهو ما يطرح الإنسان من فيه، ولفظه: أي: رماه من فيه**[٣].

في (عيون ابن قتيبة): قال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي: كنت مع مروان بن محمّد بالزاب. فقال: من هذا الّذي يقاتلني؟ قلت: عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العباس - إلى أن قال:

فقال: يا ليت عليّ بن أبي طالب في الخيل تقاتلني. إنّ عليّاً وأولاده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام[٤].

«**ثمّ لا تذوقها، ولا تطعم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولا تتطعّم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥].

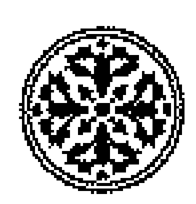
«**بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان**» أي: ما اختلف الليل والنهار يقال: لا أفعله ما اختلف الجديدان، وما اختلف الاجدّان.

إن لله جنوداً من عسل

وفي السير: بعث صالح بن علي العباسي عامراً بن إسماعيل لطلب مروان بن محمّد إلى بوصير مصر. فهرب بين يديه في نفر يسير. فانتهوا في غبش الصبح إلى قنطرة هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور إلّا على القنطرة، وعامر من ورائهم. فصادف مروان على القنطرة بغالاً عليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتّى أدركه عامر فقتله. فقال صالح بن

(١) مروج الذهب ٣: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير وتاريخ ابن خلدون: ١: ٢٠٧.
(٢) عيون الأخبار ٢: ٣٨.
(٣) جمهرة اللغة ٢: ٢٣٥.
(٤) عيون الأخبار ١: ٢٠٥، والنقل بتلخيص.
(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، «ولا تطعم».

عليّ «**إنّ لله جنوداً من عسل**». وقالوا أيضاً: وقف مروان يوم الزاب وأمر بالأموال فأخرجت، وقال للناس: اصبروا وقاتلوا، وهذه الأموال لكم. فجعل ناس يصيبون من ذاك المال، ويشتغلون به عن الحرب. فقال مروان لابنه: سر في أصحابك، وامنع من يتعرّض لأخذه هذا المال. فتنادى الناس: الهزيمة الهزيمة، فانهزموا، وركب أصحاب عبد الله بن عليّ أكتافهم.





نهاية الأمويين على يد العباسيين

«مِنْهَا افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ولَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ولَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ولَا حِدَابُ أَرْضٍ يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ويُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ والتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ». من الخطبة (١٦٤)

الخطبة برواية ثانية في روضة الكليني

أقول: رواه (روضة الكليني، وإرشاد المفيد) جزء خطبة «إنّ الله تعالى لم يقصم جبّاري دهر» وفي الأوّل: **«ووا أسفاً من فعلات شيعتي من بعد قرب مودتها اليوم كيف يستذلّ بعدي بعضها بعضاً، وكيف يقتل بعضها بعضاً،**

المتشتتة غداً عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته. كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله وله الحمد سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبني أُميّة كما يجمع قزع الخريف. يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاماً كركام السحاب. ثمّ يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين سيل العرم حيث بعث عليه فارة فلم يثبت عليه أكمة، ولم يردّ سننه رضّ طود، يذعذعهم الله في بطون أودية، ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن بهم قوماً في ديار قوم، تشريداً لبني أُميّة، ولكيلا يغتصبوا ما غصبوا. يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طيّ الجنادل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون. فو الّذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليكوننّ ذلك، وكأنّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم، وايم الله ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو والتمكين

في البلاد، كما تذوب الألية على النار. من مات منهم مات ضالاً، وإلى الله عزّ وجلّ يقضي منهم من درج، ويتوب الله عزّ وجلّ على من تاب، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتت لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله عزّ وجلّ الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً»[١].

الخطبة برواية ثالثة في إرشاد المفيد

وفي الثاني: «**ويا أسفاً أسفاً يكلم القلب، ويدمن الكرب من فعلات شيعتنا بعد مهلكي، على قرب مودّتها وتأشب ألفتها كيف يقتل بعضها بعضاً، وتحور ألفتها بغضاً. فللّه الأسرة المتزحزحة غدا عن الأصل، المخيّمة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته، المتوكّفة الروح من غير مطلعه، كلّ حزب منهم معتصم بغصن، آخذ به، أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله وله الحمد سيجمعهم كقزع الخريف، ويؤلّف بينهم، ويجعلهم ركاماً كركام السحاب.**

يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم إليها كسيل العرم، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تمنع منه أكمة، ولم يردّ ركن طود سننه، يغرسهم الله في بطون أودية، ويسلكهم ينابيع في الأرض، ينفي بهم عن حرمات قوم، ويمكّن لهم في ديار قوم، لكي يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طي الجندل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون، والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليذوبنّ ما في أيديهم من بعد التمكّن في البلاد، والعلو على العباد، كما يذوب القار والآنك في النار، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد الشتيت، لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً»[٢].

الشيعة بعده عليه السلام بين ثابت على الحق ومشتتين بين غلاة ومنحرفين

«افترقوا بعد ألفتهم، وتشتّتوا عن أصلهم» قد ظهر ممّا نقلنا من (الإرشاد والروض): أنّ مراده عليه السلام افتراق شيعته بعده، وأنّ الثابتين منهم على الحق من التمسك بعترته المعصومين الّذين هم بمنزلته في الاتّصال بالمبدأ، وكونه حبل الله بينه وبين الخلق، قليلون. فمنهم فرقة صارت غلاة، وفرقة صارت كيسانية، وفرقة صارت زيدية، وفرقة ناووسية، وفرقة فطحية، وفرقة واقفية، ومن الكيسانية العباسية الراوندية.

---

(١) الكافي ٨: ٦٤ شرح أصول الكافي: ١١/ ٤٠٣، بحار الأنوار: ٣١/ ٥٥٥، (مستدرك نهج البلاغة) مصباح البلاغة: ٢/ ٥٦.

(٢) الكافي: ٨/ ٦٦ باختصار وشرح أصول الكافي: ١١/ ٤٠٤ باختصار، الارشاد: ١٥٥.

ففي (المروج): «**الّذي ذهب إليه من تأخّر من الراوندية عن جملة الكيسانية القائلة بإمامة محمّد بن الحنفية - وهم الحريانية أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة العباسية، وكان يلقّب بحريان - أنّ ابن الحنفية هو الإمام بعد علي عليه السلام** وأنّ ابن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم، وأبو هاشم أوصى إلى عليّ بن عبد الله بن العباس. فأوصى عليّ بن عبد الله إلى ابنه محمّد بن علي، وأوصى ابنه محمّد إلى ابنه إبراهيم المقتول بحرّان، وأوصى إبراهيم إلى أخيه السفاح.

وقالت الراوندية: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قبض وأحق الناس بالإمامة بعده العباس لأنّه عمّه، وأنّ الناس اغتصبوه إلى أنّ ردّه الله إليهم وتبرّأوا من أبي بكر وعمر، وأجازوا بيعة عليّ عليه السلام بإجازة العباس لها لقوله له: «**هلم يابن أخي إلى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان**»[١].

«**فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه**» قال ابن أبي الحديد: أي: يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه بعدي من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله أينما سلكوا سلكوا معهم[٢].

قلت: قد عرفت من رواية (الروضة والإرشاد) أنّ المراد به فرق الشيعة غير المحقّة من الكيسانية والزيدية، وغيرهما، لقوله عليه السلام قبل الكلام:

«**المتشتتة غداً عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤملة الفتح من غير جهته**» ثمّ قال: «**كلّ حزب منهم آخذ بغصن، أينما مال الغصن مال معه**».

«**على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة**» أي: أنّ شيعتي، وإن يصيروا فرقاً متشتتة، ويحصل بينهم البغضاء، والعداوة بحيث يقتل بعضهم بعضاً إلّا أنّ الله تعالى يجعلهم أمّة واحدة فيجمعهم على إزالة الملك عن بني أُميّة، وإن كانوا أخطأوا في عدم التمسك بإمام الحق.

جواب الإمام الصادق عليه السلام على رسالة أبي سلمة الخلّال

وفي (المروج) لمّا قتل إبراهيم الإمام خاف أبو سلمة الوزير انتقاض الأمر، وفساده عليه - أي في الدعوة العباسية - فبعث بمحمّد بن عبد الرحمن بن أسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام وإلى عبد الله بن الحسن المثنى، يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه. ويجتهد في بيعة أهل

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣٨ و ٢٣٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦٤٩.

خراسان له، وقال للرسول: ألعجل العجل، فلا تكونن كوافد عاد. فقدم المدينة على أبي عبد الله عليه السلام: فلقيه ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبي سلمة، ودفع إليه كتابه. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: وما أنا وأبو سلمة، وأبو سلمة شيعة لغيري؟ قال له: إنّي رسول تقرأ كتابه، وتجيبه بما رأيت. فدعا أبو عبد الله عليه السلام بسراج ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة: فوضعه على السراج حتّى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت ثمّ أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت: [البحر الطويل]

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تَحْطُبُ

انصرف عبد الله من عنده عليه السلام مغضباً

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن. فدفع إليه الكتاب فقبّله، وقرأه وابتهج. فلمّا كان غد ذلك اليوم الّذي وصل إليه الكتاب، ركب حماراً حتّى أتى منزل أبي عبد اللّه عليه السلام فقال عليه السلام: أمر ما أتى بك؟ قال: نعم هو أجلُّ من أن يوصف. هذا كتاب أبي سلمة يدعوني، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فقال عليه السلام له: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أأنت بعثت أبا مسلم إلى أهل خراسان وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟

فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام، وقال: إنّما يريد القوم ابني محمّداً لأنه مهديّ هذه الأمّة. فقال أبوعبد اللّه عليه السلام: والله ما هذا إلّا نصح منّي لك، ولقد كتب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك. فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه. فانصرف عبد الله من عنده عليه السلام مغضباً، ولم ينصرف رسول أبي سلمة إليه إلى أن بويع السفاح(١)....

وكان محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس عيّن من شيعتهم اثني عشر نقيباً للدعوة إليهم(٢).

لا تكلموا الناس إلا رمزاً

هذا، وفي (العقد): كان أبو مسلم يقول لقوّاده إذا أخرجهم: «**لا تكلّموا الناس إلّا رمزاً، ولا تلحظوهم إلّا شزراً لتمتلئ صدورهم من هيبتكم**»(٣).

(١) مروج الذهب ٣: ٢٥٣، ٢٥٥، والنقل بتلخيص.
(٢) رواه ابن الأثير في الكامل ٥: ٥٣، سنة ١٠٠.
(٣) العقد الفريد ٥: ٢٠٩.

عودة لشرح كلامه عليه السلام

«**كما تجتمع قزع الخريف**» أي: كما تجتمع قطع السحاب المتفرّق في الخريف ولمّا كان الخريف. أوّل الشتاء يكون السحاب فيه متفرّقاً غير متراكم ولا مطبق، ثمّ يجتمع بعد بعضه إلى بعض.

«**يؤلّف الله بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السحاب**» السحاب المتراكم سحاب بعضه فوق بعض.

«**ثمّ يفتح لهم أبواباً**» إلى نيل مقصدهم.

«**يسيلون**» استعارة من سيل الماء.

«**من مستثارهم**» أي: موضع ثورانهم وهو خراسان فإنّ مبدأ دعوة دعاة العباسية كان بها.

«**كسيل الجنّتين**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾(١).

«**حيث لم تسلم عليه**» أي: على ذاك السيل.

«**قارة**» بالتخفيف. الأكمة الصلبة ذات حجارة كما في (الجمهرة)(٢)، وجمعها قارات والقور. قال: **[مجزوء البحر الرجز]**

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... قد درست غير رماد مكفور(٣)

«**ولم تثبت عليه أكمة**» أي: تلّ. وقالوا: لا تبل على أكمة، ولا تفش سرّك إلى أمة.

«**ولم يردّ سننه**» بالفتح، أي: وجهه، وطريقته.

«**رصّ**»: **أي: تلاصق.**

«**طود**» أي: جبل عظيم.

«**ولا حداب أرض**» أي: مرتفعاتها. قال تعالى: - ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾(٤).

«**يذعذعهم الله**» أي: يفرّقهم الله.

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٢) جمهرة اللغة ٢: ٤٠٩.
(٣) أورده لسان العرب ٥: ١٢٢، مادة (قور).
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

«**في بطون أوديته**» جمع الوادي.

«**ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض**» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١) إلّا أنّ ينابيع في كلامه عليه السلام استعارة.

بدء الدعوة العبّاسية في خراسان

ثمّ كلامه عليه السلام من قوله«**على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة**» إلى قوله هنا «**ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض**» من غريب التعبير عن بدء دعوة العباسية بعد سنة المائة إلى تشكيل سلطنتهم في سنة (١٣٢) ولا يكاد تعجّبي ينقضي منه من حسن تعبيره، وكمال انطباق إخباره عليه السلام على ما وقع.

ففي (كامل الجزري): وجّه محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس في سنه الماءة الدعاة في الآفاق، وسببه أنّه كان ينزل الحميمة - أرض الشراة - من أعمال بلقاء الشام. فسار أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية إلى سليمان بن عبد الملك. فرأى من علمه وفصاحته ما حسده، وخافه. فوضع عليه في طريقه من سمّه في لبن. فلمّا أحسّ بالشرّ قصد الحميمة، ونزل على محمّد وأعلمه أنّ الأمر صائر إلى ولده، وعرّفه ما يعمل به، وكان أمر شيعته بقصده بعده. فلمّا مات قصدوه وبايعوه، ودعوا الناس إليه فوجّه ميسرة إلى العراق، ومحمّداً بن خنيس، وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمّد الصادق - وحيان العطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان فانصرفوا بكتب من استجاب لهم، واختار أبو محمّد الصادق لمحمّد بن علي اثني عشر نقيباً: سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبي معيط، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة، وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى بني حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة. واختار سبعين رجلاً وكتب لهم محمّد بن علي كتاباً يكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها.

وفيه: وفي سنة (١٠٢) وجّه ميسرة رسله من العراق إلى خراسان فظهر أمر الدعاة بها. فقيل لسعيد خذيّة: إنّ هاهنا قوما ظهر منهم كلام قبيح.

فبعث فأتي بهم. فقالوا: نحن تجّار. قال: فما هذا الّذي يحكى عنكم؟ قالوا: لا

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١.

ندري. إنّ لنا في تجارتنا شغلاً عن هذا. فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاء ناس أكثرهم من ربيعة واليمن. فقالوا: نحن نعرفهم. فخلّى سبيلهم.

وفيه: وفي سنة (١٠٥) قيل: قدم بكير بن ماهان الكوفة من السند، ومعه أربع لبنات من فضة، ولبنة من ذهب. فلقي أبا عكرمة، وجمعاً آخر من الدعاة.

فذكروا له أمر الدعوة. فقبلها وأنفق ما معه عليهم، ومات ميسرة. فأقامه محمّد بن عليّ مقامه.

وفيه: وفي سنة (١٠٧) قيل: وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة، وعدّة من شيعتهم دعاة إلى خراسان. فوشي بهم إلى أسد بن عبد الله. فأتي بأبي عكرمة ومحمّد بن خنيس، وعامة أصحابه. فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبهم، ونجا عمّار العبادي. فأقبل إلى بكير. فأخبره فكتب بكير إلى محمّد بن علي، فأجابه: «**الحمد لله الّذي صدّق دعوتكم، وبقيت منكم قتلى ستقتل**».

وفيه: وفي سنة (١١٨) وجّه بكير بن ماهان عمّاراً بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس. فنزل مرو، وغيّر اسمه وتسمّى بخداش.

وفيه: وفي سنة (١٢٦) وجّه إبراهيم بن محمّد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان، وبعث معه بالسيرة، والوصية. فقدم مرو، وجمع النقباء والدعاة فنعي إليهم محمّد بن علي، ودعاهم إلى ابنه إبراهيم، ودفع إليه كتابه فقبلوه، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم الإمام.

وفيه: وفي سنة (١٢٧) توجّه سليمان بن كثير، ولاهز بن قرمط، وقحطبة إلى مكّة، فلقوا إبراهيم الإمام، وأوصلوا إلى مولى له عشرين ألف دينار، وماءَتي ألف درهم، ومسكاً، ومتاعاً كثيراً، وكان معهم أبو مسلم، وقال له: هذا مولاك.

وفيه أيضاً: كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم الإمام أنّه في ألموت، وأنّه استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان. فكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام، وكتب إلى أهل خراسان أنّه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان. فدفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، وخمس أموالهم.

أبو مسلم في خراسان

وفيه: وفي سنة (١٢٨) وجّه إبراهيم الإمام أبا مسلم – وعمره تسع عشرة سنة – إلى خراسان وكتب إليهم: «**إنّي قد أمّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك**» وقال لأبي

مسلم، وإنّك رجل منّا أهل البيت احفظ وصيتي. انظر هذا الحيّ من يمن. فالزمهم، واسكن بين أظهرهم. فإنّ الله لا يتمّ هذا الأمر إلّا بهم، واتّهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنّهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيّما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به منّي[1].

وفيه: كان أبو مسلم يختلف إلى إبراهيم الإمام، وكتب في سنة (١٢٩) إلى أبي مسلم يستدعيه ليسأله عن أخبار الناس. فسار مع سبعين من النقباء.

فلمّا صاروا بالدانقان من خراسان عرض له كامل. فسأله عن مقصده. فقال: الحجّ ثمّ خلا به أبو مسلم. فدعاه فأجابه ثمّ سار إلى نسا فدخل قرية منها فقيل له إنّه سعي هنا إلى العامل برجلين. قيل: إنّهما داعيان، فأخذا وأخذ الأحجم وغيلان، وغالب، ومهاجر. فتنكب الطريق، وأتاه أسيد الخزاعي. فسأله عن الأخبار. فقال: قدم الأزهر، وعبد الملك بن سعد بكتب الإمام إليك فخلّفا الكتب عندي، وأخذا. فأتاه بالكتب ثمّ سار حتّى أتى قومس، وعليها بيهس العجلي فقال لهم: أين تريدون. قالوا: الحج وأتاه ثمة كتاب إبراهيم إليه، وإلى سليمان بن كثير يقول لأبي مسلم فيه: إنّي قد بعثت إليك براية النصر. فارجع من حيث لقيك كتابي، ووجّه قحطبة بما معه من الأموال والعروض. فلمّا كانوا بنيسابور عرض لهم صاحب المسلحة. فسألهم عن حالهم. فقالوا: أردنا الحج. فبلغنا عن الطريق شيء خفناه، فأمر المفضل السلمي بإزعاجهم.

فخلا به أبو مسلم، وعرض عليه أمرهم فأجابه، وأقام عندهم حتّى ارتحلوا على مهل. فقدم أبو مسلم مرو. فدفع كتاب إبراهيم إلى سليمان بن كثير يأمره فيه بإظهار الدعوة. فنصبوا أبا مسلم، وقالوا رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى من قرب منهم ومن بعد. ممّن أجابهم. فأمروه بإظهار أمرهم. فنزل أبو مسلم قرية من قرى مرو، يقال لها «فنين» على أبي الحكم النقيب، ووجّه منها أبا داود النقيب وعمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ. فأمرهما بإظهار الدعوة في شهر رمضان ووجّه نصر بن صبيح التميمي، وشريك بن غضبي التميمي إلى مرو الروذ بإظهار الدعوة في شهر رمضان، ووجّه أبا عاصم بن سليم إلى الطالقان، ووجّه الجهم بن عطية

(١) روى هذه الحكايات ابن الأثير في الكامل ٥: ٥٣ و ١٠٠ و ١٢٥ و ١٣٦ و ١٩٦ و ٣٠٨ و ٣٣٩ و ٣٤٧، والنقل بتلخيص.

إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة في رمضان لخمس بقين منه فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى. فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، ومن شغله منهم عدوّهم. فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثمّ تحوّل أبو مسلم من عند أبي الحكم. فنزل قرية سفيدنج. فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي لليلتين خلتا من رمضان، والكرماني، وشيبان يقاتلان نصر بن سيار، فبثّ أبو مسلم دعاته في الناس وأظهر أمره. فأتاه في ليلة واحدة أهل ستّين قرية، فلمّا كان خمس بقين من رمضان عقد اللواء الّذي بعث به إبراهيم الإمام، الّذي يدعى الظل، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية الّتي بعث بها إليه، الّتي تدعى السحاب، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعا وهو يتلو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١). ولبس السواد هو وسليمان بن كثير، وإخوة سليمان، ومواليه، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيدنج، وأوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان، وكانت علامتهم فتجمعوا إليه حين أصبحوا معدّين، وتأوّل السحاب أنّ السحاب يطبق الأرض، والظل أنّ الأرض كما لا تخلو من ظل كذلك من خليفة عباسي إلى آخر الدهر، وقدم على أبي مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان أوّل من قدم عليه أهل التقادم مع أبي الوضّاح في تسعماءَة راجل وأربعة فرسان، ومن أهل هرمزفرة جماعة، وقدم أهل التقادم مع محرز الجوباني في ألف وثلاثماءَة راجل، وستّة عشر فارساً فيهم من الدعاة أبو العباس المروزي. فجعل أهل التقادم يكبّرون من ناحيتهم ويجيبهم أهل التقادم بالتكبير. فدخلوا عسكر أبي مسلم بسفيدنج بعد يومين، وحصّن أبو مسلم حصن سفيدنج، ورمّه، وسدّ دروبها.

فلمّا حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلّي به وبالشيعة، ونصب له منبراً بالعسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة ويصلّون بالأذان والإقامة وأمر أيضاً أبو مسلم سليمان بن كثير بستّ تكبيرات تباعاً ثم يقرأ، ويركع بالسابعة، ويكبّر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً. ثمّ يقرأ ويركع بالسادسة، ويفتح الخطبة بالتكبير، ويختمها بالقرآن وكان بنو أُميّة يكبّرون في الأولى أربع تكبيرات، وفي الثانية ثلاث تكبيرات.

فلمّا قضى سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى الطعام قد أعدّه لهم. فأكلوا مستبشرين، وكان أبو مسلم، وهو في الخندق، إذا كتب إلى نصر بن سيّار يكتب: «**للأمير نصر**».

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.

فلمّا قوي بدأ بنفسه، وكتب «أمّا بعد فإنّ الله تعالى عيّر أقواماً في القرآن فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[1] فتعاظم نصر الكتاب وكسر له إحدى عينيه، وقال: هذا كتاب ما له جواب[2].

نصر يوجه يزيد لمحاربة أبي مسلم

وفيه: وجّه نصر بعد ثمانية عشر شهراً من ظهور أبي مسلم وهو بسفيدنج مولى له يقال له يزيد لمحاربته. فوجّه أبو مسلم إليه مالك بن الهيثم الخزاعي. فالتقوا بقرية الين. فدعاهم مالك إلى الرضا من آل الرسول.

فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك، وهوفي نحو ماءتين من أوّل النهار إلى العصر، وقدم على أبي مسلم صالح الضبي، وإبراهيم بن زيد، وزياد بن عيسى. فسيّرهم إلى مالك. فقوي بهم، وكان قدومهم مع العصر. فقال مولى نصر: إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم إمدادهم. فاحملوا على القوم. فحملوا. فحمل عبد الله الطائي على مولى نصر. فأسره، وانهزم أصحابه. فأرسل به إلى أبي مسلم، ومعه رؤوس القتلى فنصب الرؤوس، وأحسن إلى مولى نصر، وعالجه حتّى اندمل جراحه، وقال له: إن شئت أن تقيم معنا فقد أرشدك الله، تحاربنا وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً، وأعطنا عهد الله أنك لا تكذب علينا، وأن تقول فينا ما رأيت فرجع إلى مولاه. فقال أبومسلم لأصحابه: إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح. فما نحن عندهم على الإسلام وكذلك كان عندهم يرجفون عليهم بعبادة الأوثان واستحلال الأموال والدماء والفروج.

فلمّا قدم مولى نصر على نصر قال له نصر: لا مرحباً بك فوالله ما استبقاك القوم إلّا ليتخذوك حجّة علينا. فقال له مولاه: هو والله ما ظننت، وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم، وأنا أقول: إنّهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة، ويتلون القرآن، ويذكرون الله كثيراً، ويدعون إلى ولاية رسول الله ﷺ، وما أحسب أمرهم إلّا سيعلو، ولولا أنك مولاي لما رجعت إليك، ولأقمت معهم، فهذا أوّل قتال كان بينهم[3].

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٢) الكامل ٦/ ٥٣٥، ٣٦٠ سنة ١٢٩، والنقل بتلخيص.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٣/ ١١٨ بتفاوت، الكامل ٥: ٣٦٠، سنة ١٢٩، والنقل بتلخيص.

سياسة أبي مسلم في جمع الأنصار

وفيه - بعد ذكر قتال نصر بن سيار عامل مروان على خراسان والكرماني: ولمّا استيقن أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه، وأنه لا مدد لهم. جعل يكتب إلى شيبان ويقول للرسول: إجعل طريقك على مضر، فإنّهم سيأخذون كتبك. فكانوا يأخذونها فيقرأون ما فيها: «**إنّي رأيت اليمن لا وفاء لهم، ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تظهر إليهم. فإنّي أرجوأن يريك الله في اليمانية ما تحبّ، ولئن بقيت لا ادع لهم شعراً ولا ظفراً**» ويرسل رسولاً آخر بكتاب آخر فيه ذكر مضر بمثل ذلك، ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتّى صار هوى الفريقين معه.

ثمّ جعل يكتب إلى نصر، وإلى الكرماني «**إنّ الإمام أوصاني بكم، ولست أعدو رأيه فيكم**» وكتب إلى الكور بإظهار الأمر. فكان أوّل من سوّد أسد الخزاعي بنسا، ومقاتل وابن غزوان، وسوّد أهل ابيورد، وأهل مرو الروذ، وقرى مرو، وأقبل أبو مسلم حتّى نزل بين خندق الكرماني، وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكرماني أنّي معك. فقبل فانضمّ إليه. فاشتدّ ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرماني: ويحك لا تغترّ، فوالله إنّي لخائف منه عليك، وعلى أصحابك. فادخل مرو. نكتب بيننا كتاباً بالصلح وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم فدخل الكرماني منزله، وأقام أبو مسلم في العسكر، وخرج الكرماني حتّى وقف في الرحبة في مائة فارس، وأرسل إلى نصر: اخرج لنكتب الصلح، فرأى نصر من الكرماني غرّة. فوجّه إليه ابن الحارث في نحو من ثلاثماءة فطعن الكرماني في خاصرته فخرّ عن دابته، فقتله نصر وصلبه، وصلب معه سمكه. وأقبل ابنه علي، وقد جمع جمعاً كثيراً، فصار إلى أبي مسلم فقاتلوا نصرا حتّى أخرجوه من دار الإمارة. فمال إلى بعض دور مرو.

نصر يكتب إلى مروان يعلمه حال أبي مسلم

وأقبل أبو مسلم حتّى دخل مرو، وسلّم عليه ابن الكرماني بالإمرة وقال: مرني بأمرك. فقال: أقم حتّى آمرك، ولمّا كان أبو مسلم نزل بين الخندقين كتب نصر إلى مروان يعلمه حال أبي مسلم وكتب: [البحر الوافر]

أرى بين الرماد وميض نارٍ وأخشى أن يكون له ضَرَامُ
فإنّ النار بالعودين تذكى وأنّ الحرب مبدأها كَلَامُ
فقلت من التعجّب ليت شعري أأيقاظ أُميّة أم نِيَامُ؟

فكتب إليه مروان «**إنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فاحسم الثلول قبلك**» فقال نصر: أمّا صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده(١).

وفيه: في سنة (١٣٠) انتقض صلح عرب خراسان على حرب أبي مسلم بمكائد أبي مسلم. فبعث نصر إليه يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبعث أصحاب ابن الكرماني - وهم ربيعة واليمن - إلى أبي مسلم بمثل ذلك.

فراسلوه بذلك أيّاماً فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتّى يختار أحدهما. ففعلوا وأمر أبو مسلم الشيعة أن تختار ربيعة واليمن. فإنّ الشيطان في مضر وهم أصحاب مروان وعمّاله، وقتلة يحيى. فقدم الوفدان فجلس أبو مسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلاً. فقال لهم: لتختاروا أحد الفريقين. فقام سليمان بن كثير فتكلم وكان خطيبا مفوّها فاختار ابن الكرماني وأصحابه. ثمّ قام أبو منصور النقيب فاختارهم. ثمّ قام مرثد السلمي فقال: «**إنّ مضر قتلة آل النبيّ ﷺ** وأعوان بني أُميّة وشيعة مروان الجعدي، ودماؤنا في أعناقهم وأموالنا في أيديهم، ونصر عامل مروان يدعو له على منبره، ويسمّيه أمير المؤمنين، ونحن نبرأ إلى الله من أن يكون نصر على هدى، وقد اخترنا ابن الكرماني» فقال السبعون: القول ما قال مرثد، فنهض وفد نصر عليهم الكآبة، ورجع وفد ابن الكرماني منصورين، ورجع أبو مسلم من ألين إلى الماخوان، وأمر الشيعة أن يبنوا المساكن.

ثمّ أرسل ابن الكرماني إليه ليدخل مدينة مرو من ناحيته، وليدخل هو وعشيرته من الناحية الأخرى. فبعث إليه أبو مسلم: إنّي لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي، ولكن ادخل أنت فأنشب الحرب مع أصحاب نصر. ففعل وبعث أبو مسلم شبل النقيب في خيل. فدخلوها ونزلوا بقصر بخارا خداه، وبعث إلى أبي مسلم ليدخل إليهم. فسار من الماخوان، وعلى مقدّمته أسيد الخزاعي، وعلى ميمنته مالك الخزاعي، وعلى ميسرته القاسم التميمي فدخل والفريقان يقتتلان. فأمرهما بالكفّ وهو يتلو: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾(٢) ومضى، إلى قصر الأمارة، وأرسل إلى الفريقين أن كفّوا.

ففعلوا، وصفت له مرو. فأمر بأخذ البيعة من الجند وكانت البيعة: أبايعكم على

(١) مدينة المعاجز: ٧/ ٢٧٠ بتفاوت، البحار: ٢١/ ٧٠ بتفاوت، الكامل ٥: ٣٦٤، سنة ١٢٩ والنقل بتلخيص.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٥.

كتاب الله وسنّة نبيّه والطاعة للرضا من أهل بيته، وعليكم بذلك عهد الله، وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله، وعلى ألّا تسألوا رزقاً ولا طعماً حتّى يبتدئكم به ولاتكم».

ثمّ أرسل أبو مسلم إلى نصر لاهزاً في جماعة يدعوه إلى البيعة. فقرأ لاهز ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾[1] الآية، فخرج نصر من خلف حجرته مع ابنه تميم وامرأته هراباً. فسار أبو مسلم إلى معسكره وأخذ ثقات أصحابه، وصناديدهم فكتّفهم، وكان فيهم سالم بن أحور صاحب شرطته، والبختري كاتبه، وابنان له، ويونس بن عبدويه، ومحمّد بن قطن، ومجاهد بن يحيى.

أبو مسلم والكرماني في طلب نصر

فاستوثق منهم بالحديد، وسار أبو مسلم وابن الكرماني في طلب نصر ليلتهما. فادركا امرأته قد خلّفها وسار. فرجع أبو مسلم، وسأل: ما الّذي ارتاب به نصر حتّى هرب؟ قالوا: لا ندري. قال: فهل تكلم أحد؟ قالوا: تلا لاهز: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ فقال له أبو مسلم: تدغل في الدين! فقتله، واستشار أبا طلحة في أصحاب نصر. فقال: اجعل سوطك السيف، وسجنك القبر فقتلهم، وكانوا أربعة وعشرين[2].

وفيه بعد ذكر فتح أبي مسلم لأبيورد، وبلخ، وقتله شيبان الخارجي مع عدّة من بكر بن وائل الّذين كانوا يقاتلونه، وعلى الكرماني الّذي كان أيضاً يقاتله وقد كان أمره أن يسمّي خواصّه ليولّيهم. فسمّاهم فقتلهم جميعاً، وبعد ذلك بعث العمال على البلاد. فاستعمل سباع الأزدي على سمرقند، وأبا داود على طخارستان، ومحمّداً بن الأشعث على الطبسين، وجعل مالكاً بن الهيثم على شرطته، ووجّه قحطبة مع عدّة من القواد إلى طوس. فهزمهم، وكان من مات في الزحام أكثر ممّن قتل. فبلغ عدّة القتلى بضعة عشر ألفاً، ووجّه علي بن معقل في عشرة آلاف مع قحطبة ليسير إلى تميم بن نصر، فسار قحطبة إلى السودقان، وهو معسكر تميم. فقتل تميم، واستبيح عسكره، وكان عدّة من معه ثلاثين ألفاً[3].

وفيه: بعث ابن هبيرة عامل مروان على العراق نباتة بن حنظلة إلى نصر لنصره فسار نصر - وكان هرب إلى قومس - معه إلى جرجان، وخندقوا عليهم. فأقبل قحطبة إليهم، وقال لجنده أهل خراسان: أتدرون إلى من تسيرون، ومن تقاتلون؟ إنّما تقاتلون بقية قوم

(١) سورة القصص، الآية: ٢٠.
(٢) الكامل ٥: ٣٧٨، ٣٨٢، سنة ١٣٠، والنقل بتلخيص.
(٣) الكامل ٥: ٣٨٥ و ٣٨٦، سنة ١٣٠، والنقل بتلخيص.

أحرقوا بيت الله. فنزل قحطبة بأزاء نباتة في أهل الشام في عدّة لم ير الناس مثلها. فلمّا رأوهم أهل خراسان هابوهم حتّى تكلّموا بذلك. فقام فيهم قحطبة، وقال: هذه البلاد كانت لآبائكم، وكانوا ينصرون على عدوّهم لعدلهم حتّى بدّلوا. فسلّط الله عليهم أذل أمّة كانت في الأرض عندهم. فغلبوهم على بلادهم، وكانوا بذلك يحكمون بالعدل.

ثمّ بدّلوا وأخافوا عترة النبيّ ﷺ: فسلّطكم عليهم وقد عهد إليّ الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة فينصركم الله عليهم، وأخبرنا أنكم تنصرون هذا اليوم من هذا الشهر. فاقتتلوا فقتل نباتة، وقتل من أهل الشام عشرة آلاف، وبعث برأس نباتة إلى أبي مسلم، وبلغ قحطبة بعد قتل نباتة أنّ أهل جرجان يريدون الخروج عليه، فقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً.

ولمّا بلغ حبيب النهشلي، ومن معه بالري من أهل الشام، توجّه قحطبة إليه هربوا. فدخلها، وكتب إلى أبي مسلم بذلك. فأمره بأخذ أملاكهم(١).

وفيه: كتب أبو مسلم إلى أصبهبد طبرستان يدعوه إلى الطاعة وأداء الخراج فأجابه، وكتب إلى المصمغان صاحب دنباوند كذلك. فأجابه إنّما أنت خارجي أمرك سينقضي، ثمّ بعث قحطبة بعد تمكنه ابنه الحسن من الري إلى همدان فهرب منها مالك بن أدهم، ومن بها من أهل الشام، وخراسان إلى نهاوند، ولمّا بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان بعث ابنه داود، وعامر بن ضبارة وكان يقال لعسكره عسكر العساكر فالتقوا هم وقحطبة بنواحي أصبهان وكان عسكر قحطبة عشرين ألفاً، وعسكر ابن ضبارة ماءة ألف، وقيل: خمسين وماءة ألف. فقتل داود، وانهزم ابن ضبارة، وأصابوا عسكره، وأخذوا منه ما لا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل، وما رؤي عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر كأنّه مدينة وكان فيه من البرابط، والطنابير، والمزامير، والخمر ما لا يحصى ثمّ توجّه قحطبة إلى نهاوند وقد كان قد بعث ابنه قبل إليها فحاصرها، ودعا من بنهاوند من أهل خراسان إلى الأمان فأبوا وأهل الشام فأجابوا. ففتحوا الباب. فسألوهم أهل خراسان. فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم، فخرج رؤساء أهل خراسان فأمر قحطبة بضرب أعناقهم، وخلّى سبيل أهل الشام، وبعث قحطبة إلى حلوان.

فهرب عامله، ووجّه أربعة آلاف مع قائدين إلى شهرزور وبها عثمان بن سفيان. فقتل أو هرب وغنم عسكره(٢).

---

(١) الكامل ٥: ٣٨٧ و ٣٩٦، سنة ١٣٠ و ١٣١، والنقل بتلخيص.
(٢) الكامل ٥: ٣٩٧، ٤٠١، سنة ١٣١، والنقل بتلخيص.

وفيه ولمّا سمع ابن هبيرة بهزيمة ابنه في حلوان من قحطبة خرج من الكوفة في عدد لا يحصى يريده. فأقبل قحطبة نحو الكوفة ليأخذها. فرجع ابن هبيرة لئلا يسبقه قحطبة إلى الكوفة، والفريقان يسيران على جانبي الفرات، ونزل قحطبة الجبارية، وقاتل عسكر ابن هبيرة. فانهزموا، وفقد قحطبة وبحثوا عنه. فقيل: إنه لمّا كان عبر الفرات ضربه معن بن زائدة على حبل عاتقه. فسقط في الماء فأخرجوه فقال: إذا أنا متّ فشدّوا يدي، وألقوني في الماء لئلا يعلم الناس بقتلي. وقال: إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمّد أبو سلمة.

فسلّموا إليه الأمر. فلحق ابن هبيرة بواسط، وترك عسكره وما فيه من الأموال والسلاح، وقام مقام قحطبة ابنه الحسن، وخرج إلى الكوفة، وقد كان محمّد بن خالد القسري خرج قبل على عامل ابن هبيرة مسوّداً. فدخلها الحسن بن قحطبة. فاستخرجوا أبا سلمة الوزير. فبعث أبوسلمة الحسن إلى واسط لقتال ابن هبيرة، واستعمل القسري على الكوفة، ووجّه حميد بن قحطبة إلى المدائن، وبعث المسيّب بن زهير، وخالد بن برمك إلى دير قنّى، وبعث المهلّبي، وشراحيل إلى عين التمر، وبسّاماً إلى الأهواز وعليها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فقاتله وهزمه بسام فخرج عبد الواحد، وبعث إلى البصرة سفيان المهلّبي وكان عليها سلم بن قتيبة ولحق به عبد الواحد. فانهزم سفيان، ولم يزل سلم بالبصرة حتّى قتل ابن هبيرة(١).

إبراهيم الإمام ينعى نفسه إلى أهل بيته

وفيه: لمّا أخذ رسول مروان إبراهيم الإمام من الحميمة نعى نفسه إلى أهل بيته، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمّد السفاح وبالطاعة له، وأوصى إليه، وجعله الخليفة بعده. فسار السفاح وأهل بيته منهم المنصور، وابنا إبراهيم أخيه عبد الوهاب ومحمّد، وأعمامه داود، وعيسى، وصالح، وإسماعيل، وعبد الله، وعبد الصمد بنو علي بن عبد الله بن العباس وابن عمّه داود، وابن أخي عيسى بن موسى، ويحيى بن جعفر بن تمام بن عباس حتّى قدموا الكوفة، وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة وأراد أن يحوّل الأمر إلى آل أبي طالب لمّا بلغه موت إبراهيم وكان إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا حتّى دخل أبو حميد الحميري من حمام أعين يريد الكناسة، فلقي خادماً لإبراهيم. فقال له: ما فعل إبراهيم؟

(١) الكامل ٥: ٤٠٣، ٤٠٧، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص.

وصية إبراهيم الإمام لأخيه أبي العباس السفّاح

قال: قتله مروان وأوصى إلى أخيه أبي العباس، وقدم الكوفة مع عامة أهل بيته. فانطلق به إليهم فقال: من الخليفة؟ فقال: داود بن علي هذا وأشار إلى أبي العباس فسلّم عليه بالخلافة ثمّ رجع فاتفق رأي جماعة من القوّاد على أن يلقوه. فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم، وعبد الحميد بن ربعي، وسلمة بن محمّد، وإبراهيم بن سلمة، وعبد الله الطائي، وإسحاق بن إبراهيم، وشراحيل، وعبد الله بن بسام، وأبو حميد، وسليمان بن الأسود، ومحمّد بن الحصين إليه، وسلّموا عليه بالخلافة. فركب أبو سلمة إليه.

فسلّم بالخلافة. فقال له أبو حميد: على رغم أنفك يا ماص بظر أمّه. فقال له السفاح: مه، وأمر أبا سلمة بالعود إلى معسكره، وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل من سنة (١٣٢) فلبسوا السلاح، واصطفّوا لخروج السفّاح. فركب مع أهل بيته إلى دار الإمارة ثمّ خرج إلى المسجد. فخطب وصلّى الجمعة ثمّ صعد المنبر حين بويع له بالخلافة.

أوّل خطبة لأبي العباس السفّاح

فقام في أعلاه، وصعد عمّه داود. فقام دونه. فخطبهم السفاح، إلى أن قال:

وخصّنا برحم النبيّ ﷺ وقرابته. إلى أن قال:

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[(٣)]، وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٤)]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[(٥)]، فأعلمهم الله تعالى فضلنا وأوجب عليهم حقّنا ومودّتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا إلى أن قال: ثمّ وثب بنو حرب وبنو مروان فأنبذوها، وتداولوها. فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها بما أملى الله لهم حينا. فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقّنا وتدارك بنا أمّتنا، إلى أن قال: وختم بنا كما افتتح بنا - إلى أن قال:

فاستعدوا فأنا السفّاح المبيح والثائر المنيح وكان موعوكا فجلس على المنبر، وقام

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

عمّه داود على مراقي المنبر. فقال: الحمد لله الّذي أهلك عدوّنا، وأصار إلينا ميراثنا من نبيّنا. الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه إلى أهل بيت نبيّكم. إنّا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقّنا، والغضب لبني عمّنا، وما كرهنا من أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتدّ علينا سوء سيرة بني أُميّة فيكم واستنزالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم. مغانمكم عليكم، لكم ذمة الله، وذمة نبيّه، وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة والخاصة بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله تبّاً تبّاً لبني حرب وبني مروان، آثروا في مدّتهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية. فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشّوا بالجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنّتهم في البلاد، وخرجوا في أعنّة المعاصي، وركضوا في ميدان الغي، جهلاً لاستدراج الله، وأمناً لمكره، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزّقوا كلّ ممزّق فبعداً للقوم الظالمين، وأزالنا الله من مروان، وقد غرّه بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتّى عثر. ظن عدو الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكائده، ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحا ضلاله - إلى أن قال:

إنّ الخليفة إنّما عاد إلى المنبر بعد الصلاة لأنّه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنّما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك - إلى أن قال: ألا وإنّه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن محمّد وأشار بيده إلى السفاح(١).

«**يأخذ بهم من قوم حقوق قوم**» في (المروج): قال ابن دأب: دعاني الهادي العباسي في وقت من اللّيل لم تجر العادة أنه يدعوني في مثله. فدخلت إليه فإذا هو جالس في بيت صغير شتوي، وقدّامه جزء صغير ينظر فيه. فقال: يا عيسى إنّي أرقت في هذه اللّيلة، وتداعت إليّ الخواطر، واشتملت عليّ الهموم، وهاج لي ما جرت إليه بنو أُميّة من بني حرب، وبني مروان في سفك دمائنا، فقلت: هذا عبد الله بن عليّ قد قتل منهم على نهر أبي فطرس فلاناً وفلاناً، حتّى أتيت على تسمية من قتل منهم، وهذا عبد الصمد بن عليّ

(١) الكامل ٥: ٤٠٩، ٤١٥، سنة ١٣٢. والنقل بتلخيص.

قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن عليّ، وهو القائل لسفك دمائهم: [البحر الكامل]

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها أخذي بثاري من بني مَرْوانِ
من آل حرب ليت شيخي شاهد سفكي دماء بني أبي سُفْيَانِ

فسرّ والله الهادي وظهرت، منه أريحيّة[1].

عبدالله بن علي يفتتح الشام ويقتل مروان بن محمد

وفي (عيون القتيبي): لمّا افتتح عبد الله بن علي الشام، وقتل مروان بن محمّد قال لأبي عون، ومن معه من أهل خراسان: إنّ لي في بقية آل مروان تدبيراً. فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكمل عدّه. ثمّ بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا، وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء. فحضر منهم ثمانون رجلاً. فصاروا إلى بابه، ومعهم رجل من كلب قد ولدهم. ثمّ أذن لهم فدخلوا. فقال الآذن للكلبي: ممّن أنت. قال: من كلب، وقد ولدتهم. قال له: انصرف ودع القوم.

فأبى أن يفعل وقال: إنّي خالهم ومنهم. فلمّا استقر بهم المجلس خرج رسول، وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل. فأيقن القوم بالهلكة. ثمّ خرج الثانية. فقال: أين الحسين بن علي؟ ليدخل. ثمّ خرج الثالثة. فقال. أين زيد بن علي؟ ثمّ خرج الرابعة. فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثمّ قال: إئذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقا فأومأ إليه أن ارتفع فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين: اجلسوا، وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد - إلى أن قال:

ثمّ قال لأهل خراسان: «دهيد» فشدخوهم بالعمد حتّى سالت أدمغتهم وقام الكلبي. فقال: أيّها الناس أنا رجل من كلب لست منهم. فقال: [البحر البسيط التام]

ويدخل رأسه لم يدنه أحد بين القرينين حتّى لزّه الْقَرْنُ

شدة انتقام العباسيين من الأمويين

ثمّ قال: «دهيد» فشدخ الكلبي معهم. ثمّ التفت إلى الغمر. فقال له: لا خير لك في الحياة بعدهم. قال: أجل. فقتل. ثمّ دعا ببراذع فألقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع، ودعا بغدائه. فأكل فوقهم وإنّ أنين بعضهم لم يهدأ حتّى فرغ ثمّ قال:

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٢٨، والنقل بتصرف يسير.

ما تهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين عليه السلام إلّا يومي هذا، وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم، وأغنم أهل خراسان أموالهم. ثمّ صلبوا في بستانه، وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان. فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف. فقيل له: لوأمرت بردّ هذا الباب. فقال: والله لرائحتها أحبّ إليّ، وأطيب من رائحة المسك. ثمّ قال: [البحر الكامل]

حسبت أُميّة أن سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وَحُسَيْنُها
كلا ورب محمّد وإلهه حتّى تباح سهولها وَحُزُونُها
وتذلّ ذلّ حليلة لحليلها بالمشرفي وتسترد دُيُونُها[1]

المنصور في بغداد يسمع من ولد عمرو بن حزم

وفي (تاريخ الطبري): جلس المنصور للمدنيّين ببغداد مجلساً عاماً وكان وفد إليه منهم جماعة فقال: لينتسب كلّ من دخل. فدخل عليه شاب من ولد عمرو بن حزم. فانتسب ثمّ قال: قال الأحوص فينا شعراً منعنا أموالنا من أجله منذ ستّين سنة. قال له المنصور: انشدنيه فأنشده: [البحر البسيط التام]

لا تأوين لحزمي رأيت به فقراً وإن ألقي الحزميُّ في النَّارِ
الناخسين بمروان بذي خشب والداخلين على عثمان في الدَّارِ

وقال له: مدح بقصيدته الّتي فيها الشعر الوليد بن عبد الملك. فلمّا أنشده وبلغ البيت قال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم. فأمر باستصفاء أموالهم، فقال له المنصور: لا جرم تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به. ثمّ قال لأبي أيوب: هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لعنائه إلينا. ثمّ أمر أن يكتب إلى عمّاله أن يردّ ضياع آل حزم عليهم، ويعطوا غلاتها في كلّ سنة من ضياع بني أُميّة، وتقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم، وفّر على ورثته، فانصرف بما لم ينصرف به أحد[2].

ما قاله ابن عياش للسّفاح

«**ويمكّن لقوم في ديار قوم**» في (الكامل): قال ابن عياش للسفّاح: الحمد لله الّذي أبدلنا بحمار الجزيرة، وابن أمة النخع ابن عم النبيّ صلى الله عليه وآله وابن عبد المطلب. قال ذلك لأنّ أمّ مروان بن محمّد كانت أمة كردية لإبراهيم بن الأشتر أخذها محمّد بن مروان يوم قتل إبراهيم بن الأشتر. فولدت مروان وكان مروان أيضاً يلقّب بالجعدي لأنّه تعلّم مذهبه

(١) عيون الأخبار ١: ٢٠٦، ٢٠٨، والنقل بتلخيص.
(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٢٧، سنة ١٥٨، والنقل بتصرف يسير.

في القول بخلق القرآن والقدر من الجعد بن درهم، وقيل: إنّ الجعد كان زنديقاً قال لميمون بن مهران: لشاة قباد أحبّ إليّ ممّا تدين به فكانوا يذمّون مروان بنسبته إليه[١].

المهدي العباسي يمحو اسم الوليد

وفي (تاريخ الطبري): دخل المهدي مسجد النبيّ ﷺ فرفع رأسه. فنظر في الكتاب الّذي في المسجد بالفسافسا. فإذا فيه «**ممّا أمر به الوليد بن عبد الملك**» فقال: وإنّي لأرى اسم الوليد في مسجد النبيّ ﷺ إلى اليوم.

فدعا بكرسي فألقي له في صحن المسجد، وقال: ما أنا ببارح حتّى يمحى اسم الوليد ويكتب اسمي مكانه، وأمر أن يحضر العمّال والسلاليم، وما يحتاج إليه، فلم يبرح حتّى غيّر وكتب اسمه[٢].

«**وايم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلو والتمكين، كما تذوب الألية**» بفتح الهمزة والياء، والمراد ألية الشاة.

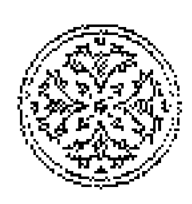
ما حصل عند المنصور

«**على النار**» في (المروج): اجتمع عند المنصور عيسى بن علي، وعيسى بن موسى ومحمّد بن عليّ، وصالح بن علي، وقثم بن العبّاس، ومحمّد بن جعفر، ومحمّد بن إبراهيم. فذكروا خلفاء بني أُميّة والسبب الّذي به سلبوا عزّهم. فقال له صالح بن علي: إنّ عبد الله بن مروان لمّا دخل أرض النوبة هارباً في من اتّبعه سأله ملك النوبة عن السبب الّذي به زالت نعمتهم وكان في حبس المنصور. فإن رأيت أن تدعو به من الحبس وتسأله. فاحضره. فقال له: قصّ عليّ قصّتك مع ملك النوبة إلى أن قال: فقال لي ملك النوبة لم تشربون الخمر وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟

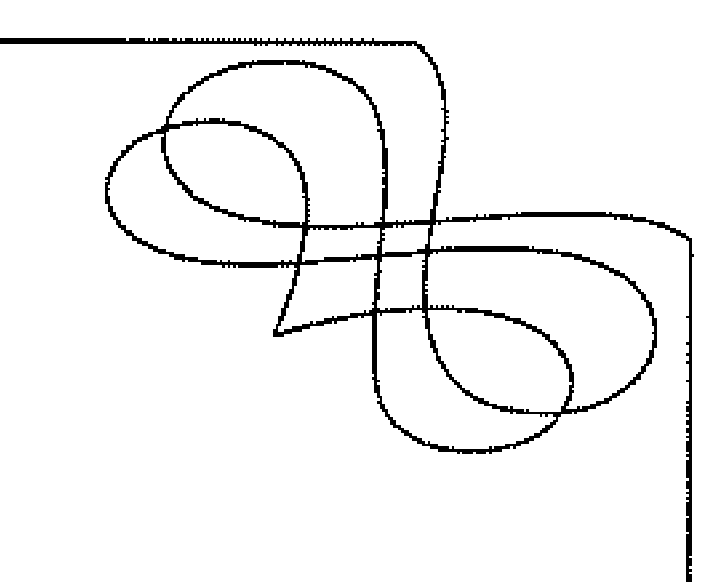
فقلت: اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا. قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم، والفساد محرّم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب، وهو محرّم عليكم في دينكم؟ فقلت: ذهب منّا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا. فلبسوا ذلك على الكره منّا، فأطرق إلى الأرض يقلّب يده مرّة، وينكث في الأرض أخرى، ويقول «**عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا**» ثمّ رفع

(١) الكامل ٥: ٤٢٨ و ٤٢٩، سنة ١٣٢، والنقل بالمعنى.
(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٩، سنة ١٦٩، والنقل بتصرف يسير.

رأسه وقال: ليس كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم الله، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم في ما ملكتم. فسلبكم الله العزّ، وألبسكم الذلّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم. فتزوّد وارحل عن أرضي، ففعلت. فتعجب المنصور، ورقّ له وهمّ بإطلاقه. فأعلمه عيسى بن علي أنّ في عنقه بيعة له فأعاده إلى الحبس[1].



(١) مروج الذهب ٣: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.



ملك بني أمية لذَّة عاجلة ونهاية ماحقة

منها: «حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ولَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا ولَا سَيْفُهَا وكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً». الخطبة (٨٥)

أقول: قال ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة طويلة قد حذف الرضي رضي الله عنه منها كثيراً، ومن جملتها: «أما والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يرون الّذي ينتظرون حتّى يهلك المتمنّون، ويضمحل المحلّون، ويتثبّت المؤمنون، وقليل ما يكون، والله واللّه لا ترون الّذي تنتظرون حتّى لا تدعون الله إلّا إشارة بأيديكم، وإيماضاً بحواجبكم، وحتّى لا تملكون من الأرض إلّا مواضع أقدامكم، وحتّى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم. فيومئذ ينصرني الله بملائكته، ومن كتب على قلبه الإيمان، والّذي نفس عليّ بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقاً أوتدفع عنّا ضيما إلّا صرعتهم البليّة حتّى تقوم عصابة شهدت مع محمد بدراً، لا يؤدى قتيلهم، ولا يداوى جريحهم ولا ينعش صريعهم». قال المفسرون هم الملائكة(١).

تفسير قوله عليه السلام

«حتّى يظن الظانّ أنّ الدنيا معقولة» أي: مشدودة.

«على بني أمّية» قال ابن همام السلولي في معاوية بن يزيد: [البحر الوافر]

تلقّفها يزيد عن أبيه ... فخذها يا معاوي عن يَزِيْدَا

فإن دنياكم بكم اطمأنّت ... فأولوا أهلها خلقاً شَدِيْدَا

«تمنحهم» أي: تعطيهم الدنيا، وفي (الصحاح) المنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها. ثمّ يردّها عليك(٢).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٢/ ١٣٣.

(٢) البحار ٤٣/ ٢٨٤ ح ٤٩، ولسان العرب: ٥/ ٦٠٧، صحاح اللغة ١: ٤٠٨، مادة (منح).

«**درها**» أي: لبنها.

«**وتوردهم**» من إيراد الماء. وفي (الصحاح): الورد خلاف الصدر، والورد أيضاً، والورّاد وهم الّذين يردون الماء(١).

«**صفوها**» من صفا الماء.

«**ولا يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها**»: **الكلام إلى هنا جزء ظنّ الظانّ**.

«**وكذب الظانّ لذلك**» فإنّ الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء.

وفي (الكشّي) وغيره: كان سالم بن أبي حفصة مختفياً بالكوفة من بني أُميّة. فلمّا بويع السفّاح خرج من الكوفة محرماً. فلم يزل يلبي قائلاً: «لبيك قاصم بني أُميّة لبيك» حتّى أناخ بالبيت(٢)، وقال الكميت: **[البحر الوافر]**

رمى المقدار نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سُمُوْدَا

فردّ شعورهن السود بيضاً ... وردّ خدودهنّ البيض سُوْدَا

«**بل هي مجّة**» في (الصحاح): مجاجة الشيء أيضاً عصارته، والمجاج والمجاجة الريق الّذي تمجّه من فيك(٣).

ثوب ابنة عبد الملك بن مروان

«**من لذيذ العيش**» في (خلفاء ابن قتيبة): عمل عبد الملك بن مروان ثوباً لابنته فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز منسوجا بالذهب، منظوما بالدر والياقوت، أنفق عليه مائة ألف دينار(٤).

«**يتطعّمونها**» أي: يذوقونها. يقال: تطعّم تطعّم أي: ذق حتّى تشتهي وتأكل.

«**برهة**» بالضم والفتح أي: مدّة.

«**ثمّ يلفظونها**» من قولهم لفظ الشيء من فمه أي: رماه.

---

(١) صحاح اللغة: ٢/ ٥٤٩، مادة (ورد)، لسان العرب: ٣/ ٤٥٧.

(٢) رواه الكشي في معرفة الرجال، اختياره: ٢٣٦، والذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ١١٠ واختيار معرفة الرجال: ٢/ ٥٠٤ ح ٤٢٨، وأعيان الشيعة ٧/ ١٧٦.

(٣) صحاح اللغة ١: ٣٤٠، مادة (مجج).

(٤) الإمامة والسياسة ٢: ١١٦.

حُلُم سليمان بن هشام بن عبد الملك

«**جملة**» أي: كلا. في (تاريخ الطبري): كان سليمان بن هشام بن عبد الملك يشرب حذاء رصافة أبيه في آخر أيام الناقص، ويغنّيه حكم الوادي بشعر العرجي، فتوسّد يده فأنبته فزعاً ونبّه نديمه، وقال له: رأيت كأنّي في مسجد دمشق، وكأنّ رجلاً في يده خنجر، وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات: **[البحر الكامل]**

أبني أُميّة قد دنا تشتيتكم وذهاب ملككم وأن لا يَرْجِعُ[(١)]

كان ملك بني أمية ألف شهر

وفي (المروج): كان جميع ملك بني أُميّة ألف شهر كاملة لا يزيد ولا ينقص ملك معاوية عشرين سنة. ويزيد ثلاث سنين وثمانية أشهر ويومين، ومعاوية بن يزيد شهراً واحد وعشر يوماً، وعمر سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، ويزيد أربع سنين وثلاثة أيّام، وهشام تسع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وتسعة أيّام، والوليد بن يزيد سنة وثلاثة أشهر، ويزيد بن الوليد شهرين وعشرة أيّام، ومروان بن محمّد خمس سنين، وشهرين، وعشرة أيّام إلى البيعة مع السفاح، والجملة تسعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً يوضع من ذلك أيّام الحسن عليه السلام خمسة أشهر وعشرة أيّام، وتوضع أيّام ابن الزبير إلى قتله سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيّام، وأسقطنا أيّام إبراهيم بن الوليد فيهم كإسقاط إبراهيم بن المهدي في العباسية فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر. يكون ذلك ألف شهر سواء، وقد ذكر قوم أنّ تأويل قوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[(٢)] ما ذكرناه من أيّامهم[(٣)].

هذا، وفي (عيون القتيبي): أخذ عبد الله بن علي أسيراً من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه. فلمّا رفع السيف ليضرب به ضرط الشامي.

فضحك عبد الله، وقال له: اذهب فأنت عتيق أستك. فالتفت إليه وقال له: أصلح الله الأمير رأيت ضرطة قط أنجت من الموت غير هذه؟ قال: لا، قال: هذا والله الإدبار، قال: وكيف ذاك؟ قال: ما ظنك بنا وكنّا ندفع الموت بأسنّتنا. فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا[(٤)].

---

(١) لم يروه الطبري في تاريخه بل رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ٢٢٧.
(٢) سورة القدر، الآية: ٣.
(٣) مروج الذهب ٣: ٢٣٤، ٢٣٥، والنقل بتصرف يسير.
(٤) عيون الأخبار ١: ٩٩.



فتنة بني أمية فتنة عمياء مظلمة

«أَلَا وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوء بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وتَخْبِطُ بِيَدِهَا وتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وتَمْنَعُ دَرَّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَو غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ولَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ إِنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ والصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وقِطَعاً جاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ولَا عَلَمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاة ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاة ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً ويَسُوقُهُمْ عُنْفاً ويَسْقِيهِمْ بِكَأْس مُصَبَّرَة لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ولَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَو يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ولَوقَدْرَ جَزْرِ جَزُور لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي». من الخطبة (٩١)

خطبته عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان

أقول: قال ابن أبي الحديد: ذكر هذه الخطبة جماعة من أهل السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي رحمة الله - إلى أن قال - ومنها في ذكر بني أُميّة: «**يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع الله** عزّ وجلّ جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها. ألا وإنّكم مدركوها.

فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البلية وتحلّ بكم النقمة»[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨/ ١٧٩، وشرح إحقاق الحق: ٨/ ١٦٦، الغارات ٢/ ٦٧٧، موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ١١/ ١٢٣ ح ٥٨٦٦.

«ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُميّة» ففتنوا الناس حتّى أن أمير المؤمنين عليه السلام الّذي ولايته جزء الدين كولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

شدّة بغض بني أمية لعلي عليه السلام

وتكون التصلية عليه السلام في الصلاة شرط قبولها، تقول أهل حران كما في (المروج) لا صلاة إلّا بلعن أبي تراب، وأقاموا بعد إزالة سبّه عن المنابر يوم الجمعة على سبّه حتّى ظهر أمر بني العباس[2]. ويقول جدّ الأصمعي للحجّاج: إنّ أبي عقّني. فسمّاني عليّاً[3]. وقال هشام الكلبي: قال أبي: أدركت بني أود وهم يعلّمون أبناءهم وخدمهم سبّ عليّ عليه السلام.

وعن الكلبي: دخل رجل من بني أود على الحجّاج. فأغلظ له. فقال له: لا تقل هكذا، فلا لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلّا ونحن نعتدّ بمثلها. قال:

وما مناقبكم؟ قال: ما شهد منّا مع أبي تراب مشاهده إلّا رجل واحد فأسقطه ذلك عندنا وأخمله، فما له عندنا قدر، وما أراد منّا رجل قطّ أن يتزوّج امرأة إلّا سأل عنها هل تحبّ أبا تراب أوتذكره بخير؟ فإن قيل: إنّها تفعل ذلك لم يتزوّجها، وما ولد فينا ذكر. فسمّي عليّاً ولا حسناً ولا حسينا، ولا ولدت فينا جارية فسمّيت فاطمة، ونذرت منّا إمرأة حين أقبل الحسين إلى العراق إن قتل أن تنحر عشر جزر. فلمّا قتل وفت بنذرها، ودعي رجل منّا إلى البراءة من عليّ ولعنه. فقال: نعم وأزيدكم حسناً وحسيناً[4] [5].

«عمّت خطّتها» البر والفاجر. وفي (الصحاح): الخطّة بالكسر:

الأرض يختطّها الرجل لنفسه وهو أن يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنّه قد اختارها ليبنيها داراً، ومنه خطط الكوفة والبصرة، والخطة بالضم: الأمر والقصّة. قال تأبط شرّاً:

[البحر الطويل]

هما خطّتا إمّا أسار ومنّة وإمّا دم والقتل بالحرّ أجْدَرُ

وفي حديث قيله «أن يفصل الخطّة، وينتصر من وراء الحجزة» وقولهم «قبّح الله معزى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥. (٢) مروج الذهب ٣: ٢٤٥.

(٣) روى هذا المعنى ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٥٦، شرح الخطبة ٥٧.

(٤) رواه ابن طاوس في فرحة الغري: ٢٢، والنقل بتصرف يسير.

(٥) أسقط الشارح هنا شرح فقرة «فإنها فتنة عمياء مظلمة».

خيرها خطّة» قال الأصمعي: خطّة اسم عنز وكانت عنز سوء، والخطّة أيضاً اسم من الخط كالنقطة من النقط[١].

كتاب معاوية إلى عمّاله

«**وخصّت بليّتها**»: روى المدائني في (كتاب أحداثه): أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن: برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، وأهل ولايته، والّذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم[٢].

«**وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها**» هكذا في (النسخ)[٣]، والصواب: (أصاب البلاء. . .) لأنّ الكلام كالبيان لقوله عليه السلام: «**وخصّت بليّتها**» فلا وجه للعطف.

«**وايم الله**» بفتح الهمزة وكسرها، والأصل أيمن الله من اليمين بمعنى القسم.

لتجدنّ بني أُمية لكم أرباب سوء بعدي

«**لتجدنّ بني أُميّة لكم أرباب سوء بعدي**» فكانوا يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمة ويقولون فرّوا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وكانوا إذا أبصروا آخيّة في دار يطالبون صاحبها بصدقة حيوانه، ولو كان بيع أو هلك وكانوا يختمون في أعناق المسلمين كما توسم الخيل، وينقشون في أكفّهم علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة.

وفي (كامل الجزري): كان أهل إفريقية أطوع أهل البلدان إلى زمن هشام، وكانوا يقولون: لا تخالف الأئمة بما تجني العمّال. فقال لهم أهل العراق الّذين دبّوا فيهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: نختبرهم. فخرج منهم ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً. فقدموا على هشام. فلم يؤذن لهم. فدخلوا على الأبرش فقالوا له: «**أبلغ الخليفة أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده. فإذا غنمنا نفلهم وحرمنا، ويقول: هذا أخلص لجهادكم، وإذا حاصرنا**

---

(١) تهذيب الكمال: ٣٥/ ٣٧٩ بتفاوت، وغريب الحديث: ٣/ ٥٢، ولسان العرب ٥١/ ٣٣١، صحاح اللغة ٣: ٨٧٢، مادة (خطط).

(٢) رواه عن أحداث المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨، والنقل بتقطيع.

(٣) لفظ نهج البلاغة ١: ١٨٣، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨ أيضاً. . . «وأصاب».

مدينة قدّمنا، وأخّرهم ويقول: هذا ازدياد في الأجر. ثمّ إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض للخليفة. فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك. ثمّ إنّهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا. فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون. فأحببنا أن نعلم أعن رأي الخليفة هذا؟» فطال عليهم المقام، ونفدت نفقاتهم فرجعوا[1]...

«**كالناب**» في (الصحاح): الناب: المسنّة من النوق يقال: سمّيت لطول نابها، والجمع النيب، وفي المثل: «**لا أفعل ذلك ما حنّت النيب**»[2].

«**الضروس**» في (الصحاح): الضرس العضّ الشديد بالأضراس، والأسنان كلّها إناث إلّا الأضراس والأنياب، وناقة ضروس تعضّ حالبها، ومنه قولهم: هي بجنّ ضراسها، أي: بحدثان نتاجها. وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها. قال بشر: **[البحر الطويل]**

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشي الضراء رَقِيْبُها[3]

«**تعذم**» أي: تعضّ.

«**بفيها**» أي: فمها.

«**وتخبط بيدها**» يقال: خبط البعير الأرض بيده. أي: ضربها.

«**وتزبن برجلها**» في (الصحاح): زبنت الناقة: إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب، وناقة زبون تضرب حالبها وتدفعه[4].

«**وتمنع درّها**» أي: جريان لبنها، وكذلك كان بني أُميّة، وفي (كامل المبرد): قالوا: ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحّى بنو مروان بالمروّة يوم العقر. يعني يوم قتل بني المهلب[5].

«**لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم**» في (تاريخ الطبري): كان خالد القسري لمّا كان والياً على مكّة من قبل الوليد بن عبد الملك يقول،

---

(١) الكامل ٣: ٩٢، سنة ٢٧، والنقل بتصرف يسير وتاريخ الطبري: ٣/ ٣١٣ بتفاوت وفي المصادر «رأي أمير المؤمنين».

(٢) البحار: ٢٠/ ٢٦٦، ح ١٩، شرح أبي الحديد: ٧/ ٥٥ باختصار، صحاح اللغة ١: ٢٣٠، مادة (نيب).

(٣) صحاح اللغة ٢: ٩٣٩، مادة (ضرس).

(٤) صحاح اللغة ٥: ٢١٣٠، مادة (زبن).

(٥) معجم ما استعجم: ٣/ ٩٥٠ بتفاوت، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ٢٦ ح ٧ بتفاوت، كامل المبرد ٨: ١٤٣.

وكان الحجّاج كتب إلى الوليد أنّ من قبلي من مرّاق أهل العراق، لجأوا إلى المدينة ومكّة، وذلك وهن. فكتب الوليد إليه أشر عليّ برجلين لهما. فكتب يشير إليه بعثمان بن حيان للمدينة، وخالد القسري لمكّة. فعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة واستعمل عثمان عليها، واستعمل خالداً على مكّة: أيّها الناس إنّكم بأعظم بلاد الله حرمة. ثمّ كتب على عباده حجّة، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإيّاكم والشبهات. فإنّي والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلّا صلبته في الحرم. إنّ الله جعل الخلافة منه بالموضع الّذي جعلها فسلّموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت. إنّه لا أرى في ما كتب به الخليفة أو رآه إلّا إمضاءه واعلموا أنّه بلغني أنّ قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم، ويقيمون في بلادكم، فإيّاكم أن تنزلوا أحداً ممّن تعلمون أنّه زائغ عن الجماعة. فإنّي لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلّا هدمت منزله، والله لو أعلم أنّ هذه الوحش الّتي تأمن في الحرم، لو نطقت لم تقرّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم. فلا يسكن الحرم مخالف للجماعة[1].

«**ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا كانتصار**» هكذا في (المصرية) الصواب: (إلّا مثل انتصار) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية)[2].

أخذ البيعة ليزيد

«**العبد من ربه**» ومرّ في (٢١) عنه عليه السلام «**وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه**»[3] **أخذ مسلم بن عقبة بعد غلبته على المدينة ونهبها، وقتله من قتل ممّن حاربه من البقية البيعة على أنّهم عبد قنّ ليزيد.**

«**والصاحب من مستصحبه**» لا بدّ له أن يطيعه لأنّه تابع له، وهو رئيس عليه. فلمّا أمر معاوية خطباءه أن يخطبوا لاستخلاف يزيد قام رجل من الأزد، وقال: أنت أمير المؤمنين وأشار إلى معاوية فإذا متّ فهذا وأشار إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه فقال له معاوية: اقعد فأنت من أخطب الناس. فقال ابن همام السلولي: **[البحر الوافر]**

فإن تأتسوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مُؤمِنِيْنَا

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٦ و ٢٤٣، لسنة ٩٣ و ٩١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) كذا في شرح الخوئي ٣: ١٤٤، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨ مثل المصرية أيضاً.

(٣) شرح الأخبار: ٢/ ٤٠ بتفاوت، والبحار: ٣١/ ٥٤٥ ح ٤٨، جمع الزوائد: ٩/ ١٩١ باختصار، نهج البلاغة ١: ١٩١، الخطبة ٩٨، والمعجم الكبير: ٣/ ١٠٢ تفاوت.

فيا لهفاً لو أنّ لنا ألوفاً ... ولكن لا نعود كما عُنِيْنَا
إذن لضربتم حتّى تعودوا ... بمكّة تلعقون بها السَّخِيْنَا

«ترد عليكم فتنتهم شوهاء» أي: قبيحة.

«مخشيّة» أي: مخوفة.

«وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى» سمّي ملك من ملوك اليمن ذا المنار لأنه ضرب المنار على طريقه ليهتدي بها إذا رجع.

«ولا علم يرى» في (الصحاح): العلم العلامة، والجبل قال جرير «**إذا قطعن علماً بدا علم**»[1].

في (البيان) قام الوليد بن عتبة بعد معاوية يدعوالناس إلى بيعة يزيد:

فرأى روح بن زنباع إبطاءهم. فقال: أيّها الناس إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب، ولكن إلى قريش، ونحن أبناء الطعن والطاعون، وفضلات الموت[2].

الوليد بن عبد الملك جبار عنيد

وفي (تاريخ الطبري): خطب الوليد بن عبد الملك لمّا ولّي (وكان جبّاراً عنيداً) فقال: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الّذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه[3]. . . .

«نحن أهل البيت منها بمنجاة» المنجاة: كالنجوة المكان المرتفع الّذي تظن أنّه نجاؤك لا يعلوه السيل، وجمعها المناجي. قال أبوبثينة الباهلي: **[البحر الوافر]**

فهل تأوي الى المنجاة إنّي ... أخاف عليك معتلج السُّيُولِ

وقال الراعي: **[البحر الطويل]**

بأسحم من نوء الذراعين أتأقت ... مسايله حتّى بلغن الْمَناجِيَا

وقال آخر: **[البحر الطويل]**

ألم تر يا النعمان كان بنجوة ... من الشرّ لوأنّ امرءًا كان نَاجِيَا[4]

---

(١) جامع البيان: ٢٧/ ١٧٤ ح ٢٥٥٤٦، ومعجم البلدان: ٤٠/ ٢١٤٧، لسان العرب ١٢/ ٤٢٠، صحاح اللغة ٥: ١٩٩٠، مادة (علم).

(٢) البيان والتبين ١: ٤٠٢، والنقل بتلخيص.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤، سنة ٨٦ الكامل في التاريخ: ٤/ ٥٢٣ بتقديم (وكان جباراً عنيداً).

(٤) أورده الشاهدين الأوّلين أساس البلاغة: ٤٤٨، مادة (نجا)، والأخير لسان العرب ١٥: ٣٠٥، مادة (نجا).

أللهم أره حرمة أوليائك عندك

«**ولسنا فيها بدعاة**» روى (الخرائج): عن الباقر عليه السلام أنّ عبد الملك كان يطوف بالبيت، وعليّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه فلا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام. فجلس مكانه، وقال: ردّوه إليّ فردّوه. فقال له: يا علي بن الحسين إنّي لست قاتل أبيك. فما يمنعك من المصير إليّ.

فقال عليه السلام: إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه آخرته. فإن أحببت أن تكون كهو فكن. فقال: كلا، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين عليه السلام وبسط رداءه وقال: «**اللّهم أره حرمة أوليائك عندك**» فإذا رداؤه درراً يكاد شعاعها يخطف الأبصار، ثمّ قال له: «**من تكون هذه حرمته عند ربه يحتاج إلى دنياك؟ ثمّ قال: اللّهم خذها فما لي فيها حاجة**»[1].

علي بن الحسين عليه السلام وحمله إلى الشام

وفي (حلية أبي نعيم): قال الزهري: شهدت عليّاً بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك إلى الشام. فأثقله حديداً. فما لبثنا إلّا أربع ليال حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة. فما وجدوه. فقالوا: إنّا نراه متبوعاً، إلى أن قال:

فقال لي عبد الملك: قد جاءني عليّ بن الحسين يوم فقده الأعوان. فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت له: أقم عندي. فقال: لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال الزهري فقلت له: ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ أنّه مشغول بنفسه. فقال: حبذا شغل شغله، فنعم ما شغله[2].

«**ثمّ يفرّجها**» أي: فتنة بني أُميّة.

«**الله عنكم كتفريج الأديم**» أي: ككشف الجلد يعني عن اللحم حتّى ينتفع به.

«**بمن يسومهم خسفاً**» أي: يعطيهم ذلاً وهواناً. قال الشاعر: **[البحر الطويل]**

إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة وَالظُّلْمُ

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٢٣٢.

(٢) نوادر المعجزات: ١٢٧، بتفاوت، البحار: ٤٦/ ١٢٣ ح ١٥ باختلاف يسير، تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٧٣، حلية الأولياء ٢: ١٣٥، والنقل بتلخيص.

وقال آخر: [البحر الطويل]

وطعنهم الأعداء شزراً وإنّما يسام ويقنى الخسف من لم يُطَاعِنِ(١)

«ويسوقهم عنفاً» أي: سوقاً شديداً.

«ويسقيهم بكأس مصبّرة» أي: فيها الصبر، وهودواء مرّ. وفي (الصحاح): أدهقت الكأس إلى أصبارها وأصمارها أي: إلى رأسها. قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدّة بكمالها، قيل: لقيها بأصبارها(٢).

«لا يعطيهم إلّا السيف، ولا يحلسهم» أي: لا يلبسهم من «أحلست البعير» أي: ألبسته الحلس، وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

«إلّا الخوف فعند ذلك» أي: في ذاك الزمان.

«تودّ قريش» بنو أُميّة وغيرهم.

«بالدنيا وما فيها» أي: بإعطاء الدنيا وما فيها.

«لو يرونني» وفي (ابن ميثم)(٣) لورأوني «مقاما واحدا» أي: مرّة واحدة.

«ولو قدر جزر» أي: نحر.

«جزور» أي: إبل.

«لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني» هكذا في (المصرية) والصواب: (فلا يعطوننيه) كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم)(٤).

وعن المازني لم يصح عندنا أنّ عليّاً عليه السلام تكلّم بشيء من الشعر غير هذين البيتين:

[البحر البسيط التام]

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني ولا وجدّك ما برّوا ولا ظَفِرُوا

فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم بذات روقين لا يعفولها أَثَرُ

إخبار عن انقراض بني أمية

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم

---

(١) أوردهما أساس البلاغة: ٢٢٥، مادة (سوم).

(٢) لسان العرب: ٤١/ ٤٤١، وتاج العروس: ٧/ ٧٣، صحاح اللغة ٢: ٧٠٧، مادة (صبر).

(٣) لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨، مثل المصرية.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٩ مثل المصرية.

خسفاً . . » إخبار عن ظهور المسوّدة وانقراض ملك بني أُميّة، ووقع الأمر بموجب إخباره عليه السلام حتّى لقد صدقه قوله عليه السلام «**فعند ذلك تود قريش لويرونني . .**» فإنّ أرباب السيرة كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمّد قال يوم الزاب لمّا شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بإزائه في صف خراسان:

لوددت أنّ علياً بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى[1].

إخبار بالقائم عليه السلام

قلت: بل قوله عليه السلام : «**ثمّ يفرّجها الله. . .**» إخبار بالقائم عليه السلام من عترته عليه السلام فبظهوره يفرّج الله عن الناس، وأما بظهور المسودة فأيّ فرج كان للناس، ولم تكن شدّة ملك بني العباس أقلّ من شدّة ملك بني أُميّة.

كما أنّ ما ذكره في تفسير قوله عليه السلام : «**فعند ذلك تودّ قريش**» من كلام مروان بن محمّد خبط أيضاً لأنّ مروان تمنّى أن يكون في قباله أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه أخبر في الملاحم أنّه عليه السلام كولده لم يكن له حظ في ملك مستقر. فلا يسلبه ملكه بخلاف بني العباس. فأخبر فيها أنّهم يأخذون الملك منهم، ويملكون أكثر منهم.

وممّا يوضح أنّ المراد بمن يفرّج الله به، القائم، وأنّ قريشاً يتمنون أمير المؤمنين عليه السلام لو يرونه حتّى يملّكوه الأمر لا كيوم السقيفة ويوم الشورى - وقد كانوا أجمعوا فيهما على الحيلولة بينه عليه السلام وبين الأمر - ويكفّ القائم عليه السلام عن قتلهم، ما رواه النعماني في غيبته مسنداً عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بأبي ابن خيرة الإماء يعني القائم من ولده عليه السلام يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة، ولا يعطيهم إلّا السيف هرجاً. فعند ذلك تتمنّى فجرة قريش لوأنّ لها مقاماً منّي بالدنيا وما فيها لا غفر لها لا نكف عنهم حتى يرضى الله[2].

وما رواه ابن أبي الحديد نفسه - فقال ذكر الخطبة أصحاب السير، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي، ومنها - «**فأنظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإماء لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر حتّى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله ببني أُميّة حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً** ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ

---

(١) بحار الأنور: ٣٤/ ١٢٣ ح ٩٥١، مستدرك سفينة البحار: ٨/ ٦٢، شرح ابن أبي الحديد ٧/ ٥٧.
(٢) غيبة النعماني: ١٥١.

﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[1].

وأما قول ابن أبي الحديد بعد هذه الزيادة: «والمراد بابن خيرة الإماء المهدي من ولده عليه السلام وبني أُميّة الّذين يقتلهم السفياني من ولد أبي سفيان الموعود به في الخبر، وليس ما قلت هنا مخالفاً لما قلت قبل من أنّ الوعد إنّما هو بالسفاح، وعمّه عبد الله بن علي، والمسودة. فإنّ ما مرّ قبل تفسير ما نقله الرضي من كلامه عليه السلام وما قلته هنا تفسير الزيادة من كلامه عليه السلام [2] فخطأ.

فإنّ الأصل في ما نقله الرضي، وما نقله هو، وسمّاه زيادة، واحد، وإنّما اختلفت ألفاظ الرواية باختلاف الرواة، وبالجملة لم يكن ببني العباس فرج للناس بل حرج، وإن كانوا انتقموا من بني أُميّة.

ولوكان ابن أبي الحديد قال في ما نقله من الزيادة أيضاً من قوله عليه السلام في ذكر بني أُميّة: «**يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً، وبدعاً إلى أن يضع الله عزّ وجلّ** جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها»[3]: أنّ الله تعالى وضع جبروتها، وكسر عمدها، ونزع أوتادها ببني العباس لكان أصاب.

وفي (كامل المبرد): دخل شبل مولى بني هاشم على عبد الله بن علي، وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أُميّة على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال: **[البحر الخفيف]**

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني الْعَبّاسِ
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وَيَاسِ
لا تقيلنّ عبد شمس عثاراً ... واقطعن كلّ رقلة وَأَوَاسِي
ذلّها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحزّ الْمَوَاسِي

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد، وبسطت عليهم البسط، وجلس عليها ودعا بالطعام، وإنّه ليسمع أنينهم حتّى ماتوا جميعاً[4].

---

(١) التبيان: ٨/ ٣٦١ وتفسير الميزان ١٦/ ٣٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩، والنقل بالمعنى.
(٣) نهج السعادة: ٢/ ٤٤٢، والمصنف: ٨/ ٦٩٩ ح ٨١، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩ وبحار الأنوار ٣٤/ ١١٨.
(٤) كامل المبرد ٨: ١٣٤، والنقل بتلخيص، أعيان الشيعة ٧/ ١٩٠.

العباسيّون ينبشون قبور خلفاء بني أمية

وفي (المروج): حكى الهيثم بن عدي عن عمرو بن هاني قال: خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أُميّة في أيّام السفاح. فانتهينا إلى قبر هشام.

فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلّا خثمة أنفه. فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطاً ثمّ أحرقه، واستخرجنا سليمان من أرض دابق. فلم نجد منه شيئاً إلّا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أُميّة وكانت قبورهم بقنّسرين ثم انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك. فما وجدنا في قبره قليلاً ولا كثيراً، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلّا شؤون رأسه. ثمّ احتفرنا عن يزيد بن معاوية. فما وجدنا فيه إلّا عظماً واحداً أو وجدنا مع لحده خطّاً أسود كأنّما خطّ بالرماد في طول لحده. ثمّ اتّبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا منهم[١].

وفي (الكامل): ونبش قبر معاوية فلم يجدوا فيه إلّا خيطاً مثل الهباء. قيل ضرب عبد الله بن علي جسد هشام ثمانين سوطاً لقذفه زيد بن علي.

الكلاب في البصرة تأكل أجساد بني أمية

وفي (كامل الجزري) أيضاً قتل سليمان بن علي بالبصرة أيضاً جماعة من بني أُميّة عليهم الثياب الموشية المرتفعة، وأمر بهم فجرّوا بأرجلهم، فألقوا على الطريق فأكلهم الكلاب. فلمّا رأى بنو أُميّة ذلك اشتدّ خوفهم، وتشتت شملهم، واختفى من قدر على الاختفاء[٢].

مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين

وفي (بلاغات البغدادي): قال أبوالخطاب الأزدي: لمّا قتل مروان بن محمّد هجم عامر بن إسماعيل على الكنيسة الّتي فيها بنات مروان ونساؤه، وقد أغلقن الأبواب دونهنّ فصحن وولولن. فأخذ الخصي الموكّل بهنّ فسئل عن أمره فقال: أمرني مروان أن أضرب رقاب بناته وجواريه إذا قتل. فجيء بابنتي مروان إلى عامر. فأمر بوضع رأس مروان في حجر ابنته الكبرى، وقال لها عامر: معذرة إنّما فعلت هذا بك بما فعلتم برأس يحيى بن زيد إذ وضع في حجر أمّه، والبادئ أظلم. ثمّ وجّه عامر بهما، وبجواري مروان إلى صالح بن علي.

(١) وفيات الأعيان: ٦/ ١١٠ وأعيان الشيعة: ٧/ ١٢٢ الكنى والألقاب: ١/ ٢٣٤ مروج الذهب ٣: ٢٠٧، والنقل بتصرف يسير وشرح ابن أبي الحديد ٧/ ١٣١.

(٢) الكامل ٥: ٤٣٠ و ٤٣١، سنة ١٣٢.

فقالت له الكبرى: نحن بنات أخيك فليسعنا عدلك. قال: إذن لا نستبقي منكم أحداً رجلاً ولا امرأة. ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخي إبراهيم في محبس حرّان؟ ألم يقتل هشام زيدا وصلبه، وأمر بقتل امرأته. فقتلها يوسف بن عمر صبرا؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بخراسان، وأحرق جثته وخشبته؟[١].

وفي (المعجم) قال ابن فرّوخ المكّي: **[البحر الكامل]**

أمست نساء بني أُميّة أيّما ... وبناتهم بمضيعة أيْتَامُ[٢]

هذا، وأمّا قوله عليه السلام في الزيادة التي نقلها ابن أبي الحديد:

«ألا وإنّكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البلية، وتحل بكم النقمة»[٣].

والظاهر أنّ المراد: انصروا أهل بيتي الّذين هم أصحاب رايات بدر وحنين لأنّهم منّي، وأنا كنت صاحب رايات بدر وحنين، وإن مالأتم عليهم عدوّهم يبتلون هم بالقتل وتحل بكم نقمة الله لعملكم.

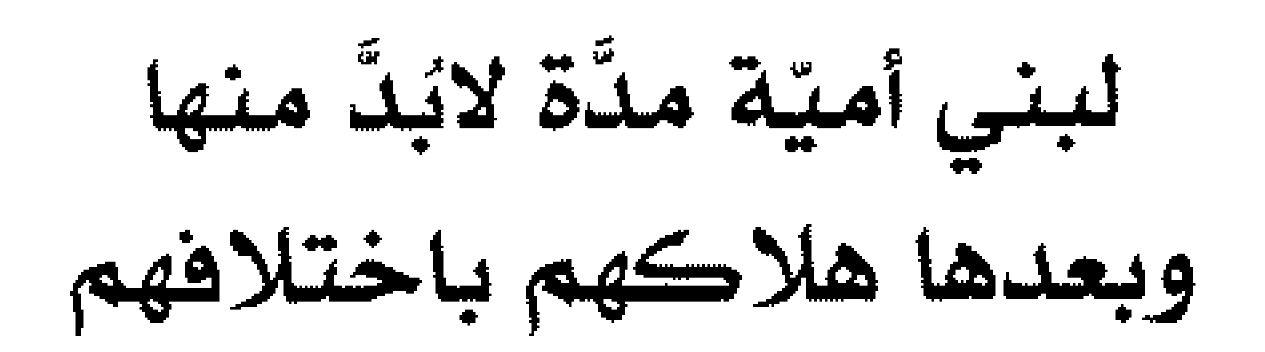
وأشار عليه السلام في ذلك إلى عملهم مع ابنه الحسين عليه السلام يوضح ذلك ما رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) عن سعيد بن وهب قال:

بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول: **«هاهنا هاهنا»** فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام: **«ثقل لآل محمّد عليه السلام ينزل** ها هنا فويل لهم منكم، وويل لكم منهم» فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم الى النار»[٤].

---

(١) بلاغات النساء: ٢٠٠، والنقل بتصرف يسير.
(٢) معجم الأدباء ١١: ١٨٠.
(٣) الغارات: ٢/ ٦٧٨ البحار: ٣٤/ ١١٨ شرح أبي الحديد ٧/ ٥٨ شرح إحقاق الحق ٨/ ١٦٦، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.
(٤) وقعة صفين: ١٤١ بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٢٠، نهج السعادة ٢/ ١٣١ وشرح أبي الحديد: ٣/ ١٧١، شرح إحقاق الحق ٨/ ١٤٢.



لبني أميّة مدّة لابُدَّ منها وبعدها هلاكهم باختلافهم

وقال عليه السلام: «إنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ ولَوقَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ». الحكمة (٤٦٤)

والمرود هنا مفعل من الإرواد وهوالإمهال والإنظار وهذا من أفصح الكلام وأغربه فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

أقول: وفي غريب حديثه عليه السلام كما رواه ابن قتيبة وقد نقله ابن أبي الحديد في فصل غريب الكتاب «**إنّ بني أُميّة لا يزالون يطعنون في مسجل ضلالة، ولهم في الأرض أجل حتّى يهريقوا الدم الحرام في الشهر الحرام، والله لكأنّي إلى غرنوق من قريش يتشحّط في دمه. فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم في الأرض عاذر ولم يبق لهم ملك على وجه الأرض**».

قال ابن قتيبة: قوله عليه السلام «**في مسجل ضلالة**» من قولك «**ركب فلان مسجله**» إذا جدّ في أمر هو فيه، والغرنوق القرشي الّذي قتلوه فانقضى أمرهم والغرنوق الشاب هوإبراهيم الإمام، قيل: قتل بالسيف، وقيل: خنق في جراب فيه نورة وقوله عليه السلام: «**يتشحّط في دمه**» يشيّد الأوّل[1].

ما رواه ابن الأشعث

«**إنّ لبني أُميّة مروداً يجرون فيه**» في (تاريخ الطبري): لمّا دخل عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث كرمان بعد انهزامه في وقعة الزاوية بالبصرة تلقّاه عمرو بن لقيط العبدي وكان عامله عليها فهيّأ له نزلاً. فنزل. فقال له شيخ من عبد القيس: والله لقد بلغنا عنك يابن الأشعث أن قد كنت جباناً. فقال:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦٣، شرح الغريب ٩، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٣٧، والنقل بتصرف يسير. تهذيب الأحكام: ٦/ ١٤٣ ح ٢٤٥ باختصار، مدينة المعاجز: ٤/ ٧٨ وبحار الأنوار ١٩/ ٢٥٧ باختصار وتفاوت.

والله ما جبنت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيل، ولقد قاتلت فارسا. وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتّى لا أجد مقاتلا، ولا أرى معي مقاتلاً، ولكنّي زاولت ملكاً مؤجّلاً[1].

رؤيا النبي ﷺ في بني أمية وأفعالهم بعد وفاته ﷺ

وروى في أوّل الصحيفة مسنداً عن متوكّل بن هارون الثقفي البلخي قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهومتوجّه إلى خراسان. فقلت له: إنّي رأيت الناس إلى ابن عمّك جعفر بن محمّد عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك. فقال:

إنّ عمّي محمّداً بن علي، وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت. قال: فلمّا قتل يحيى صرت إلى المدينة. فلقيت أبا عبد اللّه عليه السلام. فقال لي: كيف قال لك يحيى؟ إنّ أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ أخذته نعسة، وهو على منبره. فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى. فاستوى جالساً والحزن يعرف في وجهه. فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[2] يعني بني أُميّة فقال النبيّ ﷺ: يا جبرئيل، أعلى عهدي يكونون؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك. فتلبث بذلك عشراً ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثمّ لا بدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثمّ ملك الفراعنة، وأنزل تعالى في ذلك ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾[3] يملكها بنو أُميّة ليس فيها ليلة القدر.

فأطلع الله نبيّه ﷺ أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأمّة، وملكها طول هذه المدّة. فلوطاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، وأخبر الله نبيّه ﷺ بما يلقى أهل بيته، وأهل مودّتهم وشيعتهم في أيّامهم وملكهم، وأنزل تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[4]، نعمة الله محمّد وأهل بيته، حبّهم إيمان يدخل الجنّة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار. فأسرّ النبيّ ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٧٢، سنة ٨٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.
(٣) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.
(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

ذلك إلى عليّ عليه السلام وأهل بيته. ثمّ قال الصادق عليه السلام ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلّا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشعثنا[١].

ها هم بنو أمية وأفعالهم

«**ولو قد اختلفوا في ما بينهم**» واختلافهم الشديد كان زمن خلافة الوليد بن يزيد.

وفي (تاريخ الطبري): ضرب ابن عمّه سليمان بن هشام ماءَة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرّبه إلى عمان. فحبسه بها، وحبس يزيد بن هشام لمّا أراد البيعة لابنيه، وأخذ جارية لآل الوليد عمه. فكلّمه عمر بن الوليد فيها. فقال: لا أردّها. فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك. فرماه بنوالوليد وبنو هشام عميه بالكفر، وغشيان أمهات أولاد أبيه، وقالوا: اتّخذ مائة جامعة، وكتب على كلّ جامعة اسم رجل من بني أُميّة ليقتله بها ورموه بالزندقة، وكان أشدّهم فيه قولا يزيد بن الوليد - وكان يظهر النسك - فحمل الناس على الفتك به[٢].

فقتل في سنة (١٢٦) ثمّ بويع يزيد واضطرب حبل بني مروان. فوثب أهل حمص على العباس بن الوليد فهدموا داره وانتهبوها وسلبوا حرمه، وحبسوا بنيه.

اختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية

ووقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية، وأظهر الكرماني فيها الخلاف لنصر بن سيّار. واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة، وأظهر مروان بن محمّد الخلاف على يزيد طالباً بدم الوليد. فمات يزيد في آخر يوم من السنة ثمّ قام مقامه أخوه إبراهيم بن الوليد لكنّه لم يتمّ أمره، وكان يسلّم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة، وجمعة لا بالخلافة ولا بالإمرة حتّى قدم مروان بن محمّد. فخلعه، وقتل عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك. فبايع الناس مروان بن محمّد. ثمّ خالف سليمان بن هشام مروان ونصب الحرب فحاربه مروان وهزمه، وقتل ابنه إبراهيم بن سليمان وهرب سليمان إلى الضحّاك الخارجي.

وأمّا أصل اختلافهم فمن زمان عمر بن عبد العزيز. فلما قيل لسليمان اجعله ولي

---

(١) الصحيفة السجادية: ٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكامل ٥/ ٢٨٠ بتفاوت، البداية والنهاية: ١٠/ ١٠ باختلاف يسير، تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٩، لسنة ١٢٦ والنقل بتصرف يسير.

عهدك فإنّه رجل صالح قال: إن ولّيته ولم أولّ أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركه بنوعبد الملك يلي عليهم إلّا أن يجعل أحدهم بعده. فجعل يزيد بعده، ومع ذلك لم يجترئ أن يسمّيه. فأخذ بيعتهم على طاعة من ولاه في كتاب عهده، ولمّا سمع هشام بعد سليمان بكونه عمر، نادى: لا نبايعه أبداً.

فحمله الموكّل بأخذ البيعة على البيعة كرهاً. ولّي عمر سنة (٩٩) وقام الدعاة سنة مائة فبعث محمّد بن علي العباسي رجلاً إلى العراق وثلاثة رجال إلى خراسان للدعوة تلك السنة.

«**ثمّ كادتهم**» من الكيد. أي: مكرتهم.

«**الضباع**» جمع الضبع، وخصّها عليه السلام بالذكر لأنّها ممّا يضرب المثل بحمقها فقالوا «**أحمق من الضبع**»[١] وقالوا «**ما يخفى هذا على الضبع**»[٢] والمراد دعاة بني العباس، وفي رأسهم أبو مسلم.

عِتَّابُ المنصور لأبي مسلم

وفي (تاريخ الطبري): أنّ المنصور لمّا عاتب أبا مسلم لمّا أراد قتله، وقال له: فعلت وفعلت، قال أبومسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي. قال له المنصور: لوكانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها إنّما عملت ما عملت في دولتنا[٣].

وفيه أيضاً: قال المنصور للسفاح: أطعني واقتل أبا مسلم. فوالله إنّ في رأسه لغدرة. فقال: يا أخي قد عرفت بلاءه، وما كان منه. فقال المنصور: إنّما كان بدولتنا، والله لوبعث سنوراً لقام مقامه، وبلغ ما بلغ في هذه الدولة[٤].

«**لغلبتهم**» وقال العباس بن الوليد لمّا وقع الاختلاف بينهم وخرج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد: «**إنّي لأظنّ أنّ الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان**» ثمّ تمثّل:

[البحر البسيط التام]

إنّي أعيذكم بالله من فتن   مثل الجبال تسامى ثمّ تَنْدَفِعُ

---

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٢٧٦، أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٢٢٥، والزمخشري في المستقصى ١: ٧٥.

(٢) أورده المدائني في مجمع الأمثال ٢: ٢٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٣٨، سنة ١٣٧ والكامل: ٥/ ٤٧٦ بتفاوت.

(٤) وفي المصدر «بعثتُ»، تاريخ الطبري ٦: ١١٩، سنة ١٣٦ الكامل: ٥/ ٤٥٨، الإمامة والسياسة: ٢/ ١٣٢.

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم إنّ الذئاب إذا ما ألحمت رَتَعُوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فثمّ لا حسرة تغني ولا جَزَعُ

وصية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية

وفي (العقد): لمّا نزل الموت بأبي هاشم بن محمّد بن الحنفية لمّا سمّه سليمان قال لمحمّد بن علي بن عبد الله بن العباس: إنّي ميّت، وأنت صاحب هذا الأمر، وولدك القائم به ثمّ أخوه من بعده، والله ليتمّنّ الله هذا الأمر حتّى تخرج الرايات السود من خراسان ثمّ ليغلبنّ ما بين حضرموت، وأقصى إفريقيّة، وما بين عانة، وأقصى فرغانة. فعليك بهؤلاء الشيعة، واستوص بهم الخير.

فهم دعاتك، وأنصارك، ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لا سيما مرو، واستبطن هذا الحي من اليمن. فإنّ كلّ ملك لا يقوم به فمصيره إلى انتقاض.

وانظر هذا الحي من ربيعة فإنّهم معهم في كلّ أمر. وانظر هذا الحي من قيس وتميم فأقصهم إلّا من عصم الله منهم، وذلك قليل، ثم مرهم أن يرجعوا.

فليجعلوا اثني عشر نقيباً وبعدهم سبعين نقيباً. فإنّ الله لم يصلح أمر بني إسرائيل إلّا بهم، وقد فعل ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله. فإذا مضت سنة الحمار فوجّه رسلك في خراسان منهم من يقتل، ومنهم من ينجوحتّى يظهر الله دعوتكم.

فقال محمّد لأبي هاشم: وما سنة الحمار؟ قال: إنّ الله لم يمض ماءَة سنة من نبوّة قط إلّا انتقض أمرها لقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ﴾[1].

ثم قدم الشيعة على محمّد بن علي فأخبروه أنّهم حبسوا بخراسان في السجن، وكان يخدمهم فيه غلام من السرّاجين ما رأوا قط مثل عقله وظرفه، ومحبّته في أهل بيت النبيّ يقال له أبومسلم. فقال: أحرّ أم عبد. قالوا: أمّا عيسى فيزعم أنّه عبد، وأمّا هوفيزعم أنّه حرّ. قال: فاشتروه واعتقوه، واجعلوه بينكم إذ رضيتموه. فلمّا انقضت الماءَة سنة بعث محمّد رسله إلى خراسان. فغرسوا بها غرساً، وأبومسلم المقدّم عليهم، وثارت الفتنة في خراسان بين المضرية واليمنية فتمكن أبومسلم، وفرّق رسله في كور خراسان يدعوالناس إلى آل الرسول عليهم السلام فأجابوه[2].

---

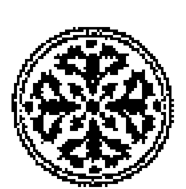
(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٢) العقد الفريد ٥: ٢٠٥ و ٢٠٦. والنقل بتصرف يسير.

قول المصنّف: «**والمرود هنا مفعل من الإرواد**» بمعنى أنّه اسم مكان.

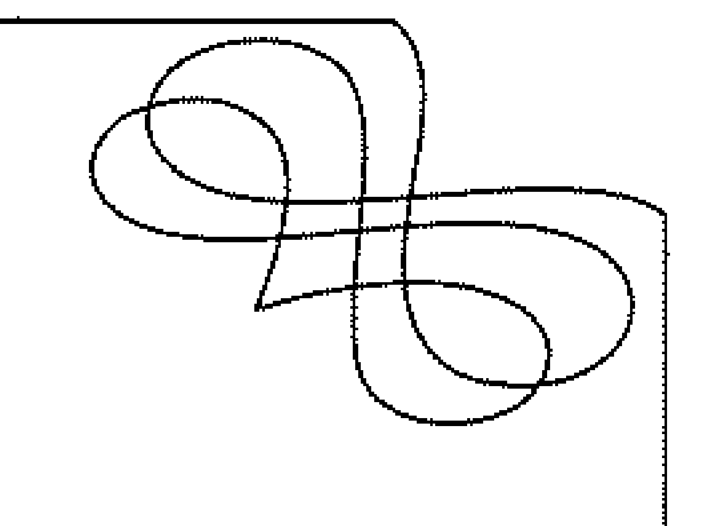
فإنّ غير الثلاثي المجرد اسم مكانه بلفظ اسم مفعوله. فيكون بضم الميم، وأما المرود بكسرها فهي حديدة مشدودة بالرسن إذا دار المهر دار معه يقال «**دار المهر في المرود**» قال عباس بن مرداس: **[البحر الطويل]**

على شخص الأبصار تسمع بينها   إذا هي جالت في مراودها عَزْفَا[1]

أي: صهيلاً.



(١) السيرة النبوية ٤/ ٩١٠، أورده أساس البلاغة: ١٨٤، مادة (رود).



مصير أصحابه عليه السلام
من بعده بمخالفهم له

مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ: «وقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ويُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ولَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ويَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ولَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ وقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ وكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وعَنْكُمْ تَصْدُرُ وإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ويَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وايْمُ اللهِ لَو فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ».

من الخطبة (١٠٤)

«فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ».

ومن الخطبة (١٠٣)

قول المصنّف: «**ومنها في خطاب أصحابه**» هكذا في (المصرية)، وفي (ابن أبي الحديد والخطية) «**منها في خطاب أصحابه**» ومن الغريب أنّ في نسختي، من (ابن ميثم) بدله «**ومن خطبة له** عليه السلام»[1].

مخاطبة أصحابه عليه السلام
ممن أسلموا نواحيهم إلى جيوش معاوية

قوله عليه السلام «**وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة، إلى قوله: وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون**» أي: تستنكفون. قال ابن أبي الحديد: الكلام خطاب لأصحابه الّذين أسلموا نواحيهم إلى جيوش معاوية يقول عليه السلام

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٥ مثل المصرية.

لهم: إنّ الله أكرمكم بالإسلام، وبلغتم بذلك منزلة أكرم بها إماءكم ومن كان مظنّة المهانة، ووصل بها جيرانكم أي: من التجأ إليكم من مُعاهد وذمّي حتّى عصم دماءهم وأموالهم، ويعظّمكم من لا فضل لكم عليه كالروم والحبشة، ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة كالملوك الّذين في أقاصي البلاد كالهند والصين بأنّكم تقهرون الأمم بالنصر السماوي.

قيل: إنّ العرب لمّا عبرت دجلة إلى القصر الأبيض بالمدائن عبرتها في أيّام مدّها - وهي كالبحر الزاخر - على خيولها، وبأيديها رماحها. فهربت الفرس بعد رمي شديد منهم للعرب، والعرب يقدمون. فقال فلّاح نبطي بيده مسحاته يفتح الماء إلى زرعه لأسوار معروف بالبأس: أمثلكم في سلاحكم يهرب من هؤلاء الخاسرين؟ فقال له: أقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد ثمّ قال: انظر الآن. ثمّ رمى بعض العرب المارّين عليه عشرين سهما لم يصبه بسهم. فقال له: أعلمت أنّ القوم مصنوع لهم. ثم قال عليه السلام: ما لكم لا تغضبون وأنتم ترون عهود الله منقوضة[1]....

قلت: على ما ذكره يكون الكلام منقطعا غير مجتمع، والصواب أن يقال: إنّه عليه السلام قال لهم إذ بلغتم من كرامة الله تعالى لكم بدين الاسلام تلك المنزلة الّتي وصفها عليه السلام بتلك الأوصاف الأربعة فلم ترون عهود الله منقوضة ولا تغضبون مع أنّكم عن نقض ذمم آبائكم تأنفون؟ هل يكون الله تعالى عندكم أقلّ من آبائكم؟ وهل آباؤكم في أنفسكم أجلّ من الله عزّ وجلّ وهوالّذي منّ عليكم بما منّ؟.

لم تحفظ وصية النبي ﷺ بابن بنته الحسين عليه السلام

وصدق صلوات الله عليه يقتل الحسين ابن بنت الرسول ﷺ ومن أنزل تعالى فيه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، وأنزل فيه ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[3] ويقول النبيّ ﷺ فيه «إنّه سيّد شباب أهل الجنّة وريحانتي من الدنيا»[4]،

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٠٥ بتفاوت، البحار: ٣٤/ ١٠٧ بتفاوت، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣. (٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٤) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» والآخر «هما ريحانتاي من الدنيا» أخرجهما جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق عديدة في ترجمة الحسين عليه السلام: ٣٦ - ٥٩ ح ٥٨ - ٨٢.

وتسبى أخواته وبناته بمرأى منهم ومسمع. فيصمتون كأن لم يقع شيء، ويستجير عبيد الله ذاك الرجس النجس الخبيث المخبث بعد قتل يزيد بهم فيمنعون منه لئلا تخفر ذمّتهم.

قيس بن سعد بن عبادة يأنف من نقض عهد أبيه

هذا، وممّن أنف من نقض عهد أبيه وإن كان ذا حميّة في الدين أيضاً في حياته عليه السلام وبعده كأبيه قيس بن سعد بن عبادة. فكان أبوه قسّم أمواله بين ولده قبل خروجه إلى الشام. ثمّ ولد بعده له ولد. فأراد أبوبكر وعمر أن ينقضا ما فعله سعد لأنّه لم يبايعهما، وإلّا فلم يكن للولد سهم بعد التقسيم، فخلّى قيس نصيبه لذاك الولد لئلا ينقض عمل أبيه.

الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه

وفي (كامل المبرد): وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جواداً شريفاً فاستجارت امرأة من بني جعفر بن كلاب بقبره لئلا يسمّيها الفرزدق ويسبّها لمّا هجا بني جعفر بن كلاب فلم يذكر لها اسماً ولا نسباً، وقال: [البحر الطويل]

عجوز تصلّي الخمس عاذت بغالب ... فلا والّذي عاذت به لا أَضِيْرُها

ولمّا ولّى الحجّاج تميم بن زيد القيني السند دخل البصرة. فجعل يخرج من أهلها من شاء، جاءت عجوز الى الفرزدق، فقالت: إنّي استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات. فقال لها: وما شأنك؟ فقالت: إنّ تميم بن زيد خرج بابن لي معه ولا قرّة لعيني، ولا كاسب لي غيره. فقال لها: وما اسم ابنك. فقالت: خنيس. فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض من شخص: [البحر الطويل]

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يخفى عليّ جَوابُها
وهب لي خنيسا واحتسب فيه منّة ... لعبرة أمّ ما يسوغ شَرابُها
أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها تُرابُها
وقد علم الأقوام أنك ماجد ... وليث إذا ما الحرب شبّ شَبابُها

فلمّا ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم. فقال: أحبيش أم خنيس؟

ثمّ قال: انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا. فأصيب ستّة ما بين حبيش وخنيس فوجّه بهم إليه.

وظلع مكاتب لبني منقر بمكاتبته. فأتى قبر غالب أيضاً فاستجار به وأخذ منه حصيات. فشدّهن في عمامته. ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال: إنّي قد قلت شعرا.

فقال: هاته. فقال: [البحر الطويل]

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى أو أن أردّ على قَسْرِ
بقبر امرئ تقرى المئين عظامه ولم يك إلّا غالباً ميّت يُقْري
فقال لي استقدم إمامك إنّما فكاكك أن تلقى الفرزدق بِالْمِصْرِ

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: لهذم. فقال: يا لهذم حكمك مسمّطاً.

قال: ناقة كوماء سوداء الحدقة. قال: يا جارية اطرحي إلينا حبلاً. ثمّ قال: يا لهذم اخرج بنا إلى المربد. فألقه في عنق ما شئت. فتخيّر العبد على عينه. ثمّ رمى بالحبل في عنق ناقة، وجاء صاحبها. فقال له الفرزدق: اغد عليّ في ثمنها.

فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتّى إذا نفذ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدق: يا لهذم قبّح الله أخسرنا صفقة[1].

لا تردّن أبياتنا بأخيك هذا

وروى أنّ رجلاً من السواقط من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة، ومعه أخ له. فكتب له عمير بن سلمى أنّه له جار وكان أخوهذا الكلابي جميلاً فقال له قرين أخوعمير: لا تردّنّ أبياتنا بأخيك هذا. فرآه بعد بين أبياتهم فقتله وكان عمير غائباً فأتى الكلابي قبر سلمى أبي عمير وقرين، فاستجار به، وقال أبياتاً. فلجأ قرين إلى قتادة بن مسلم من بني حنيفة فحمل قتادة إلى الكلابي ديات متضاعفة، وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك. فأبى الكلابي أن يقبل. فلجأ قرين إلى خاله السمين بن عبد الله. فلم يمنع منه عميراً. فأخذه عمير فمضى به حتّى قطع الوادي. فربطه إلى نخلة، وقال للكلابي: أمّا إذ أبيت إلّا قتله، فأمهل حتّى أقطع الوادي، وارتحل عن جواري. فلا خير لك فيه فقتله الكلابي. ففي ذلك يقول عمير: [البحر الطويل]

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تجير مَقابِرُهُ

«**وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع. فمكّنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون في الشبهات**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «**بالشبهات**» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٠/ ٨٤، كامل المبرد ٤: ٢٤٠ - ٢٤٣، والنقل بتلخيص.
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٢٢١، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٥ أيضاً نحو المصرية.

«**ويسيرون في الشهوات**» قال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام أنّ الأحكام الشرعية كانت إليكم ترد منّي، ومن تعليمي إيّاكم، ومن تثقيفي لكم.

ثمّ تصدر عنكم إلى من تعلّمونه إيّاها من أتباعكم وتلامذتكم ثمّ يرجع إليكم بأن يتعلّمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء الأتباع(١) . . . .

بنو أمية يصلّون بالناس سكارى

قلت: هوأيضاً بلا ربط، وإنّما المراد إنّكم كنتم موارد أمور الله، ومصادرها، ومراجعها، حيث إنّكم أنتم المعتقدون بالإسلام. فمكّنتم الظلمة أعداء الإسلام ومن دخل في الإسلام كرها فصاروا بذلكم مراجع ومصادر. والعجب من الناس رأوا أيّام عثمان بني أُميّة يصلّون بالناس سكارى ويتّخذون عباد الله خولاً، ودين الله دغلاً ودخلاً لم يساعدوا أمير المؤمنين عليه السلام في أيّامه مع كونه عليه السلام يحملهم على المحجّة البيضاء، والصراط المستقيم، والدين القيّم وكان فاروقهم بذلك عارفاً ومعترفاً بل خذلوه عليه السلام وعملوا أعمالاً صارت سبباً لتقوية معاوية عدو الدين ولعين النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأغرب من هذا أنّهم رأوا معاوية ويزيد، وما عليه بنو أُميّة من الكفر والعتوّ، ومع ذلك ألقوا أمورهم إلى عبد الملك.

سَنُّوا زيارة قبر مصعب لما أمر البويهيون بإقامة مراسم عزاء الحسين عليه السلام

وأعجب من ذلك أنّهم غدروا بمصعب في حياته وإن لم يكن هو خيراً من عبد الملك حتّى أنّه قتل آلافاً من الناس صبراً لم يكن جرمهم إلّا أنّهم انتصروا لابن بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله وقتلوا قاتليه حتّى قال له ابن عمر: لوكانوا من أغنام أبيك ما حلّ لك قتلهم وعيّنوا بعده يوماً لإقامة مراسم العزاء له، وسنّوا زيارة قبره. فعلوا ذلك لمّا أمر معزّ الدولة الديلمي في بغداد بإقامة مراسم العزاء للحسين عليه السلام في يوم قتله عاشوراء، أداء لبعض حقّه، حيث إنّه أحيى الإسلام بجهاده، وإنّما اختاروه عناداً مع النبيّ صلى الله عليه وآله حيث إنّه هو الّذي قتل أنصار أهل بيته. أُفّ لهم. فكلّهم قتلة آل الرسول صلى الله عليه وآله لكن لا غرو فلازم صحّة خلافة صدّيقهم ذلك.

«**وايم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب**» في (كامل المبرد): نظر الحجّاج. فإذا جلّ من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٧٨.

خرج عليه مع ابن الأشعث من الفقهاء وغيرهم من الموالي. فأحبّ أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويخلّطهم بأهل القرى والأنباط. فقال:

إنما الموالي علوج

إنّما الموالي علوج، وإنّما أتى بهم من القرى. فقراهم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار، وإقرار العرب بها، وأمر بأن ينقش على يد كلّ إنسان منهم اسم قريته، وطالت ولايته. فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم، وفسدت طبائعهم إلى أن قال:

وردّ (سليمان بن عبد الملك بعد الحجّاج) المنقوشين. فرجعوا في صورة الأنباط. ففي ذلك يقول الراجز: **[مجزوء البحر الرجز]**

جارية لم تدر ما سوق الإبل ... أخرجها الحجّاج من كنّ وَظِلّْ
لو كان بدر حاضراً وابن حمل ... ما نقشت كفاك في جلد جَمَلْ[1]

إشارة لقيام دولة بني العباس وهزيمة مروان

«**لجمعكم الله لشرّ يوم لهم**» بقيام دعاة بني العباس من سنة الماءة عليهم، ولمّا قاتل عبد الله بن علي، مروان بن محمّد بالزاب، نادى عبد اللّه: يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم وأمر الناس بالنزول. فنزلوا، وأشرعوا الرماح. فجعل أهل الشام يتأخّرون كأنّهم يدفعون، وقال مروان لقضاعة: انزلوا. فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا. فأرسل إلى السكاسك أن احملوا. فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا. فأرسل إلى السكون أن احملوا. فقالوا: قل لغطفان فليحملوا. فقال لصاحب شرطته: انزل. قال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضا. قال: أما والله لأسوءنّك. قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك، ثمّ انهزم أهل الشام وانهزم مروان، وقطع الجسر. فكان من غرق يومئذ أكثر ممّن قتل.

فكان في من غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وأمر عبد الله بن علي، فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى. فكان في من أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك. فقال عبد الله بن علي ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[2] وحوى عبد الله عسكر مروان بما فيه فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً، ولمّا بلغ السفّاح أمر عبد الله ومروان قال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[3] . . . .

---

(١) كامل المبرد ٥: ١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٠.
(٣) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٩، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص. والآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

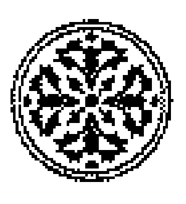
وفي (تاريخ الطبري): كان مروان لمّا لقيه أهل خراسان لا يدبّر شيئاً إلّا كان فيه الخلل والفساد. فأمر بأموال فأخرجت. فقال للناس: اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم. فجعل ناس منهم يصيبون من ذلك المال. فأرسلوا إليه أنّ الناس قد مالوا على هذا المال، ولا نأمنهم أن يذهبوا به. فأرسل إلى ابنه عبد اللّه: سر في أصحابك إلى مؤخّر عسكرك. فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم. فمال عبد الله برايته وأصحابه. فقال الناس: الهزيمة، فانهزموا، ومضى مروان منهزما من بلد إلى بلد حتّى انتهى إلى بوصير فبيّته عامر بن إسماعيل وشعبة، ومعهما خيل الموصل. فقتلوه بها، وهرب ابناه عبد الله ليلة بيّت إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء، قاتلتهم الحبشة فقتلوا عبد الله، وأفلت عبيد الله في عدّة، وقتل عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس اثنين وسبعين رجلاً من بني أُميّة في سنة (١٣٢) وقتل داود بن علي من كان أخذ من بني أُميّة بمكّة والمدينة في سنة (١٣٣)[١].

هذا، وأغرب ابن ميثم في شرح قوله عليه السلام: «وايم الله لوفرّقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم» فقال: الكلام تحذير لهم، وإنذار ربما سيكون من بني أُميّة من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم، وكنّى باليوم عن مدّة خلافتهم الّتي كانت شرّ الأوقات على الإسلام وأهله، وإنّما نسب التفريق إليهم والجمع إلى الله تقريراً لما سينزل به قدره من ابتلاء الخلق بهم فإنّهم لوفرّقوهم في أطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفرّق عن لحوق قدر الله لهم، ولم يمنعهم من نزوله بجميعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني أُميّة، وشرورها[٢]... وهو كما ترى خبط عجيب.

قوله عليه السلام في الثاني «فاقسم بالله يا بني أُميّة عمّا قليل» بانقضاء ثمانين سنة مدّة ملكهم.

«**لتعرفنّها**» أي: الخلافة والسلطنة الّتي تقتلون الناس عليها.

«**في أيدي غيركم، وفي دار عدوّكم**» بني العباس.



(١) تاريخ الطبري ٦: ٩٠/ ١١٠، سنة ١٣٢ و ١٣٣، والنقل بتصرف يسير.
(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٦.



الفتنة المتصلة من بعده عليه السلام

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ إقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وإحْذَرُوا بَوائِقَ النِّقْمَةِ وتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وإعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وظُهُورِ كَمِينِهَا وإنْتِصَابِ قُطْبِهَا ومَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّة وتَؤولُ إِلَى فَظَاعَة جَلِيَّة شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وآثَارُهَا كَآثَارِ اَلسِّلَامِ يَتَوَارَثُهَا اَلظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّة ويَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَة مُرِيحَة، وعَنْ قَلِيل يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ والْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ ويَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ اَلرَّجُوفِ والْقَاصِمَةِ اَلزَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ إسْتِقَامَة وتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَة وتَخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا وتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ ومَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ قَدِ إضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ وتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ وتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِبِمِسْحَلِهَا وتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ ويَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا اَلرُّكْبَانُ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ وتَحْلُبُ عَبِيطَ اَلدِّمَاءِ وتَثْلِمُ مَنَارَ اَلدِّينِ وتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ ويُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ كَاشِفَةٌ عَنْ سَاق تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ ويُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وظَاعِنُهَا مُقِيمٌ».

منها: «بَيْنَ قَتِيل مَطْلُول وخَائِف مُسْتَجِير يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وبِغُرُورِ الإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلَامَ الْبِدَعِ وإلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ اَلطَّاعَةِ وإقْدَمُوا عَلَى اَللهِ مَظْلُومِينَ ولَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وإتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ومَهَابِطَ الْعُدْوَانِ ولَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ اَلطَّاعَةِ».

من الخطبة (١٤٩)

أقول: أشار عليه السلام إلى فتن بعده عليه السلام متّصلة من بني أُميّة السفيانية، والمروانية، ومن بني العباس، ومن بعدهم.

شرح قوله عليه السلام

«**ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض**» أي: أهداف.

«**بلايا قد اقتربت**» هو شاهد ما قلنا، ويبطل قول ابن أبي الحديد أنّ الكلام إشارة إلى ملحمة في آخر الزمان[١].

«**فاتقوا سكرات النعمة**» ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧﴾[٢] ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[٣]. وبنو اسرائيل سكروا بالنعمة بعد نجاتهم من فرعون. فكانوا يقتلون أنبياء الله، وعبدوا العجل كما قال لهم موسى لما قالوا له ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾[٤] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٥] وكذلك هذه الأمّة سلكوا مسلكهم حذوالنعل بالنعل بعد بسط النعمة عليهم، فكانوا يقتلون أهل بيت نبيّهم، ويتّخذون العجل إماماً دون حجّة الله.

«**واحذروا بوائق**» جمع البائقة: الداهية.

«**النقمة**» أي: نقمة الله فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين[٦] فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون. أونرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون. فاستمسك بالّذي أوحى إليك إنّك على صراط مستقيم[٧].

«**وتثبّتوا**» أي: تأنّوا.

«**في قتام**» أي: غبار.

«**العشوة**» أي: الالتباس والحيرة، وفي (الصحاح): أوطأتني عَشوة وعُشوة، أي: أمراً ملتبساً، وذلك إذا أخبرته بما أوقعته به في حيرة أو بلية، ومضى من الليل عشوة بالفتح، هوما بين أوّله إلى ربعه يقال: أخذت عليهم بالعشوة أي: بالسواد من الليل[٨].

«**اعوجاج الفتنة**» أي: اعوجاج الأمور يحصل من الفتنة. فيجب التثبت حتّى ترجع إلى الاستقامة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٢١ والبحار: ٣٢/ ٢٤٩ ح ١٩٦.
(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.
(٧) سورة الزخرف، الآيات: ٤١، ٤٣.
(٨) صحاح اللغة ٦: ٢٤٣٧، مادة (عشا) والبحار ٥١/ ١٢٥ ولسان العرب ١٥/ ٦٠ بتفاوت.

«**عند طلوع جنينها**» أي: مستورها.

«**وظهور كمينها**» أي: خفيها.

«**وانتصاب قطبها**» في (الصحاح): يجوز في قطب الرحى الفتح والضم والكسر(١).

«**ومدار**» أي: دوران.

«**رحاها تبدو**» أي: تظهر تلك الفتنة.

«**في مدارج خفيّة**» جمع المدرجة أي: المذهب والمسلك. قال الشاعر في سيف:

[البحر الطويل]

ترى أثره في صفحتيه كأنّه مدارج شبثان لهنّ هَمِيْمُ(٢)

«**وتؤول**» أي: ترجع.

«**إلى فظاعة**» أي: شناعة.

«**جليّة**» أي: واضحة. يمكن أن يكون إشارة إلى جعلهم سبّه عليه السلام سنّة، وسبّه عليه السلام كسبّ الله تعالى.

«**شبابها**» من شبّ الفرس يشبّ ويشبّ شباباً وشبيباً إذا قمص ولعب، وأما الشباب بالفتح: فجمع شاب والحداثة أيضاً.

«**كشباب الغلام**» تقول «المرء في شبابه كالمهر في شبابه».

«**وآثارها كآثار السّلام**» جمع السلمة أي: الحجارة، وفي المثل: «**أكتم للسرّ من السّلام**»(٣).

«**تتوارثها الظلمة بالعهود**» بعهد الأوّل إلى الآخر أوبالمعاهدة بينهم بتفويضها إلى صاحبه في حياته حتّى يردّها إليه بعد وفاته.

استخلاف معاوية ليزيد

ويمكن أن يكون الكلام إشارة إلى استخلاف معاوية ليزيد، وهوأوّل من عهد إلى ابنه من المتقدّمين عليه، وأخذ عهود الناس بذلك. وكانت فظاعته جليّة لكون ابنه سكّيرا خمّيرا حتّى أنكر ذلك عليه بنو أُميّة أنفسهم.

ففي (خلفاء بني قتيبة): أنّ معاوية لمّا كتب إلى مروان وكان عامله على المدينة أن يبايع ليزيد فأجابه مروان أنّ قريشاً قومك يأبون ذلك.

(١) صحاح اللغة ١: ٢٠٤، مادة (قطب). (٢) أورده لسان العرب ٢: ٢٦٨، مادة (درج).
(٣) أورده الزمخشري في أساس البلاغة: ٢١٨، مادة (سلم).

فعزله، جاء إليه في أخواله من بني كنانة، وقال له: يابن أبي سفيان اهدأ من تأمير الصبيان(١).

وفيه - بعد ذكر قدوم معاوية المدينة بنفسه لأخذ البيعة لابنه، ودخوله على عائشة - فقال لها: إنّ أمر يزيد قضاء من الله، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكّد الناس بيعته في أعناقهم، وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم. فعلمت عائشة أنّه سيمضي على أمره، إلى أن قال: بعد ذكر حضور الحسين عليه السلام مع ابن عباس مجلسه، ووصف معاوية له عليه السلام يزيد فقال عليه السلام لمعاوية: «**وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمّة محمّد** صلى الله عليه وآله تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أوتخبر عمّا مما كان احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبّق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي(٢).

مواقف متعددة وغريبة إلا على يزيد

وفيه: إنّ عثمان بن محمّد الثقفي أقبل من قبل يزيد واليا على المدينة ومكّة، والموسم. فلمّا استوى على المنبر بمكّة رعف. فقال رجل مستقبله: جئت والله بالدم فتلقّاه رجل آخر بعمامته. فقال: مه والله عمّ الناس. ثمّ قام يخطب. فتناول عصالها شعبتان. فقال: مه شعب والله أمر الناس(٣).

وفيه - بعد ذكر غلبة مسلم بن عقبة من قبل يزيد على المدينة - دعا بني أسد وكان عليهم حنقا. فقال: أتبايعون ليزيد ولم استخلف عليكم بعده على أنّ أموالكم ودماءكم وأنفسكم خول له يقضي فيها ما شاء؟(٤).

وفيه: دخل شامي في الحرّة على امرأة، ومعها صبي لها. فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً. فقال: والله لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا. فقالت له: ويحك إنّه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب الرسول صلى الله عليه وآله ولقد بايعت

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٧٥، ١٧٦.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٨٣ و ١٨٦.
(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٧٦ وقاموس الرجال ١١/ ١١٣.
(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٥٨/ ١٠٧ بتفاوت، الإمامة والسياسة ١: ٢١٤.

الرسول ﷺ معه يوم بيعة الشجرة. قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها. فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض[١].

مكاتبة بين محمد بن أبي بكر ومعاوية

«**أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأوّلهم**» ولمّا كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية: «**قد رأيتك تسامي عليّاً** عليه السلام وأنت أنت وهوهوالمبرز السابق في كلّ خير، وأنت أنت اللعين ابن اللعين» كتب إليه «**كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرّزا علينا، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا واتّسقا. ثمّ دعواه إلى أنفسهم. فأبطأ عنهما، وتلكّأ عليهما. فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضا. فخذ حذرك يابن أبي بكر تقصر عن أن تساوي من أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده. فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً. فأبوك أسسّه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب، وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك. فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أو دع**»[٢].

عودة لمضمون الخطبة

«**يتنافسون**» أي: يرغبون.

«**في دنيا دنيّة، ويتكالبون**» أي: يتنازعون كالكلاب.

«**على جيفة مريحة**» من أراح الشيء أي: وجد ريحه، وفى الخبر الدنيا جيفة، وطالبها كالكلاب[٣].

«**عن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود. فيتزايلون**» أي: يتباينون.

«**بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ

---

(١) الانتصار: ٨/ ١٨٩ بتقديم، وجواهر التاريخ: ٣/ ٣٢٠ بتقديم، الإمامة والسياسة ١: ٢١٥. والنقل بتقطيع.

(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨، ١٢١، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١١، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٣، والنقل بتقطيع.

(٣) رواه الكاشاني في المحجّة البيضاء ٥: ٣٧٠، والنقل بالمعنى.

ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[1] وإلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[2].

ذكر عليه السلام قوله: «**عن قليل يتبرّأ التابع**» إلخ استطراداً لئلا يبجحوا بأعمالهم، ولا يحسبوا كون ذلك كمالاً لهم، لا أنّه عليه السلام انتقل من ذكر الملاحم.

«**ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف**» أي: الجائية بالاضطراب، والتزلزل، ومن أسماء البحر الرجّاف لاضطراب أمواجه، والمراد بالفتنة الرجوف فتنة بني العباس وراياتهم السود الطالعة من خراسان.

«**والقاصمة**» أي: الكاسرة.

«**الزحوف**» والزحوف تعبير عجيب عن رفع أمر بني العباس قليلاً قليلاً حتى وصل إلى نيلهم الخلافة، فيقال: زحف الدباء إذا مضى قدماً. والزحف سهم يقع دون الغرض ثمّ يصل إليه. وزحف الصبي إذا مشى على الأرض على يديه ورجليه، والزحوف من النوق الّتي تجرّ رجليها إذا مشت.

«**فتزيغ قلوب**» عن عترته المعصومين عليهم السلام.

«**بعد استقامة، وتضلّ رجال**» من شيعته.

«**بعد سلامة**» أي: بعد سلامتها قبل تلك الفتنة من الضلال.

إختلاف الأهواء بين الزيدية والعباسية

«**وتختلف الأهواء عند هجومها**» زيدية وعباسية، وفي (المروج): والزيدية في عصرهم كانوا ثماني فرق: أوّلها المعروفة بالجارودية أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي. قالوا: الإمامة مقصورة في ولد الحسن والحسين، والثانية معروفة بالمرثية، والثالثة بالابرقية، والرابعة باليعقوبية:

أصحاب يعقوب بن عليّ الكوفي، والخامسة بالعقبية، والسادسة بالأبترية أصحاب

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٥، ١٦٧.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

كثير الأبتر، والحسن بن صالح، والسابعة بالجريرية أصحاب سليمان بن جرير، والثامنة باليمانية أصحاب محمّد بن اليمان الكوفي، وكانت فرق أهل الإمامة على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثاً وثلاثين فرقة، وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضي الحسن العسكري عليه السلام، وما قالت الكيسانية، وما تباينت فيه، وغيرها من سائر طوائف الشيعة، وهم ثلاث وسبعون فرقة، والغلاة أيضاً ثماني فرق المحمدية أربع، والعلوية أربع(١).

وفيه: الراوندية شيعة العباسيّين القائلة بأنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله عمّه العبّاس، وأجازوا بيعة عليّ عليه السلام بإجازة العباس لها، وصنّفوا في ذلك كتباً، ومنها كتاب (إمامة ولد العباس) الّذي صنّفه الجاحظ، لهم يذكر فيه فعل أبي بكر في فدك، والّذي ذهب إليه من تأخّر منهم، وهم أصحاب أبي مسلم أنّ الإمام بعد عليّ عليه السلام وهومحمّد بن الحنفية، وبعده ابنه أبوهاشم، وبعده علي بن عبد الله بن العباس لكونه وصيّه، وبعده ابنه إبراهيم، وبعده أخوه السفاح، وهكذا(٢).

عودة إلى تفسير قوله عليه السلام

«**وتلتبس**» أي: تشتبه وتختلط.

«**الآراء عند نجومها**» أي: ظهورها وطلوعها يقال: نجم السنّ، نجم القرن، نجم النبت.

«**من أشرف لها**» أي: نصب لها.

«**قصمته**» أي: كسرته. الظاهر إشارة إلى من بيّض، وخرج على العباسيّين المسودة.

«**ومن سعى فيها**» كأبي سلمة، وأبي مسلم.

«**حطمته**» أي: دقّته. والحطمة اسم من أسماء جهنّم لأنّها تحطم ما تلقى، ويقال رجل حُطم وحطمة إذا كان قليل الرحمة للماشية، وفي المثل «شرّ الرعاء الحطمة»(٣) وقال الراجز: **[مجزوء البحر الرجز]**

قد لفّها الليل بسوّاق حطم»(٤)

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٣٦، ٢٣٨، والنقل بالمعنى.

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢١٢ تاريخ مدينة دمشق ١٩/ ٢٠١، تهذيب الكمال ٤/ ٤٨٣، أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٣٦٣، والزمخشري في المستقصى ٢: ١٢٩.

(٤) أورده أساس البلاغة: ٨٨، مادة (حطم)، ولسان العرب ١٢ :١٣٨، مادة (حطم) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٥١ التبيان ٣/ ٤٢١ تفسير نور الثقلين ١/ ٥٨٤ ح ١٥.

والحطام ما تكسر من اليبيس.

«**يتكادمون**» أي: يتعاضّون. فالكدم العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار.

«**تكادم الحمر**» جمع الحمار.

«**في العانة**» في (الجمهرة): العانة: القطعة من حمير الوحش خاصة وسمّيت عانة الإنسان تشبيها بذلك[١]... ولعلّه إشارة إلى قتل أبي مسلم لأبي سلمة.

«قد اضطرب معقود الحبل» أي: حبل الإمامة بكونهم اثني عشر عيّنهم النبيّ صلى الله عليه وآله.

«**وعمي وجه الأمر**» بأنّ الإمام من كان معصوما كالنبيّ صلى الله عليه وآله لكونه خليفة.

غاض الكرام وفاض اللئام

«**تغيض**» من غاض الماء قلّ ونضب. يقال غاض الكرام، وفاض اللئام.

«**فيها الحكمة**» الظاهر كونه بالتحريك كونه جمع الحاكم بقرينة بعده «الظلمة».

«**وتنطق فيها الظلمة**» فسكت أبوعبد الله الصادق أحد الحكمة من العترة الطاهرة، وزعيم الإمامة ذاك اليوم، ونطق الظلمة ولد محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس، فقال السفّاح في خطبته لمّا بويع«**وضعنا الله من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع. فقال تعالى في ما أنزل من محكم القرآن** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢] وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم[٣].

وقال داود بن علي في خطبة ذاك اليوم: الآن طلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحقّ في نصابه في أهل بيت نبيّكم[٤].

«**وتدقّ أهل البدو**» أي: البادية.

«**بمسحلها**» أي: مبردها. يقال سحلت الشيء أي: سحقته، وسحلت الرياح الأرض: كشطت أدمتها.

---

(١) جمهرة اللغة ٣: ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٦/ ٢٠٢ باختصار، رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٢، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص الكامل ٥/ ٤١٢ باختصار.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٣، سنة ١٣٢ الكامل ٥/ ٤١٣ باختصار.

«**وترضّهم**» أي: تدقّهم.

«**بكلكلها**» في (الصحاح): الكلكل والكلكال الصدر[١].

«**يضيع في غبارها الوحدان**» جمع الواحد.

«**ويهلك في طريقها الركبان**» في (الصحاح): الركب أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والجمع أركب «والركبة بالتحريك أقل من الركب» والأركوب بالضم أكثر من الركب والركبان الجماعة منهم[٢].

خروج المعتصم إلى القاطول

وفي (تاريخ الطبري): في سنة (٢٢٠) خرج المعتصم إلى القاطول، وكان سبب خروجه أن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا في أرباضها، وذلك أنّهم كانوا عجماً جفاة يركبون الدواب. فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها. فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي. فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم. فربما هلك من الجراح بعضهم. فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم، وتأذّت بهم العامة.

فذكر أنّه رُئي المعتصم راكباً منصرفاً من المصلّى في يوم عيد أضحى أو فطر فلمّا صار في مربعة الحرشي نظر الى شيخ قد قام إليه. فقال له: يا أبا اسحاق فابتدره الجند ليضربوه. فأشار إليهم المعتصم. فكفّهم عنه. فقال للشيخ: ما لك؟ قال: لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا والمعتصم يسمع ذلك كلّه ثمّ دخل داره. فلم ير راكباً إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد ثمّ لم يرجع إلى منزله ببغداد، وصرف وجه دابّته إلى ناحية القاطول[٣]. . . .

«**ترد بمرّ القضاء**» أي: الحكم.

في (تاريخ الطبري): أخذ المنصور في سنة (١٥٣) الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول، وكانوا في ما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل.

---

(١) صحاح اللغة ٥: ١٨١٢، مادة (كلل).

(٢) سبل الهدى والرشاد ٤/ ١٣٠ بتفاوت، لسان العرب: ١/ ٤٢٩ بتفاوت، صحاح اللغة ١: ١٣٩، مادة (ركب).

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٢٣٢، سنة ٢٢٠، والنقل بتصرف يسير.

فقال أبو دلامة: **[البحر الطويل]**

وكـنّـا نـرجّـي مـن إمـام زيـادة فزاد الإمام المصطفى في الْقَلانِسِ
تـراهـا عـلـى هـام الـرجـال كـأنّـهـا دنـان يـهـود جـلـلـت بِـالْـبَـرانِـسِ[1]

كيف بنى المنصور العباسي سور الكوفة؟!

وفيه: لمّا أراد المنصور الأمر ببناء سور الكوفة، وبحفر خندق لها أمر بقسمة خمسة دراهم خمسة دراهم على أهل الكوفة وأراد بذلك علم عددهم.

فلمّا عرف عددهم أمر بجبايتهم من كلّ إنسان أربعين درهماً أربعين درهماً فجبوا. فأمر بإنفاق ما جبي على السور، وحفر الخنادق. فقال شاعرهم: **[مجزوء البحر الرمل]**

يـا لـقـومـي مـا لـقـيـنـا مـن أمـيـر الْـمُـؤْمِـنِـيْـنَـا
قـسـم الـخـمـسـة فـيـنـا وجـبـانـا الأَرْبَـعِـيْـنَـا[2]

وفي (المقاتل): عن عليّ بن الجعد قال: رأيت أهل الكوفة أيّام أخذوا بلبس السواد حتّى أنّ البقالين إن كان أحدهم ليضع الثوب بالأنقاس (أي: المداد الّذي يكتب به) ثمّ يلبسه[3].

«**وتحلب عبيط الدماء**» أي: خالصها، وطريّها. فقتل أبومسلم في سبيل الدولة العباسية ستماءَة ألف صبراً غير من قتله في حروبه.

وقتل عبد الله بن علي لمّا خرج على المنصور نحواً من سبعة عشر ألفاً من أصحابه من أهل خراسان خشي ألّا يناصحوه أمر صاحب شرطة، فقتلهم وقتل في حروب المنصور ما لا يحصى.

أيسر الأبناء

وفي (المقاتل): كان المنصور إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أمر سالما بطلبه. فكان يمهل حتّى إذا غسق الليل، وهدأ الناس، نصب سلّما على منزل الرجل فطرقه في بيته فيقتله. ويأخذ خاتمه. فقيل لابنه العباس بن سالم: لولم يورثك أبوك إلّا خواتيم من قتل من أهل الكوفة لكنت أيسر الأبناء[4].

(١) تاريخ الإسلام: ٩/ ٣٥٦، والبداية والنهاية: ١٠/ ١١٨، تاريخ الطبري ٦: ٢٩٦، سنة ١٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ٦: ٢٩٨، سنة ١٥٥، والنقل بتصرف يسير.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٨ والإنتصار: ٩/ ٢٤٠، مقاتل الطالبيين: ٢١٣.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٢١٣.

«**وتثلم**» أي: توجد تلك الفتنة الخلل.

«**منار الدين**» وفي (الصحاح): المنار: علم الطريق[١].

ما قاله الكاظم عليه السلام لصفوان الجمّال

«**وتنقض عقد اليقين تهرب منها الأكياس**» وفي (رجال الكشّي) عن صفوان الجمّال قال لي الكاظم عليه السلام: كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحدا إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون - قلت: والله ما كريته أشراً ولا بطراً، ولا لصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكّة ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني. فقال: أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم.

قال: أتحب بقاءهم حتّى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وقود النار، قال: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها[٢].

وفاء الأعوان للظالمين؟!

«**وتدبّرها الارجاس**» في (المروج): قال المنصور يوماً بعد قتل محمّد وإبراهيم، لجلسائه: تالله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجّاج لبني مروان. فقام المسيب بن زهير الضبي. فقال: ما سبقنا الحجّاج بأمر تخلفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبيّنا، وقد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك وفعلنا ذلك. فهل نصحناك أم لا؟ قال له: اجلس لا جلست[٣].

«**مرعاد مبراق**» كناية عن التهديد والوعيد.

«**كاشفة عن ساق**» كناية عن الشدّة. قال الشاعر: **[مجزوء البحر الرجز]**

في سنة قد كشفت عن ساقها[٤]

المنصور أول ناصبي في العباسيين

وقال تعالى في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٥] «تقطّع فيها الأرحام،

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٣٩، مادة (نور) مصباح البلاغة: ٢/ ٢١١، بحار الأنوار: ٢/ ١٧٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ١٤/ ٤٣١ ح ٣٠١٠، واختيار معرفة الرجال: ٤٤٠ ح ٨٢٨، والنقل بتصرف يسير، البحار: ٧٢/ ٣٧٦، باختصار.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٩٨ أعيان الشيعة: ٢/ ١٧٩ بتفاوت.

(٤) أورده أساس البلاغة: ٢٢٥، مادة (سوق) فتح الباري: ١٣/ ٣٥٩ بتفاوت وتفسير الثعلبي: ١٠/ ١٩.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٢.

ويفارق عليها الإسلام» كان المنصور مرعاداً مبراقاً. فتهدّد أهل الكوفة لكونهم شيعة بإخراب ديارهم ومحوآثارهم، وتقطّع فيه الأرحام.

فكان أوّل من ناصب من العباسيّة للطالبيّة، وكانوا قبل تابعين لهم يجمع بينهما الهاشميّة، وفارق الإسلام حيث إنّه سبّ الأئمة عليهم السلام وقتل من أولادهم ما لا يحصى.

المنصور يخطب في أهل خراسان

ففي (المروج): لمّا أخذ المنصور عبد الله بن الحسن، وأهل بيته صعد المنبر بالهاشميّة، وقال: يا أهل خراسان أنتم شيعتنا، ولوبايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منّا. إنّ ولد أبي طالب تركناهم والخلافة فلم نعرض لهم بقليل ولا كثير. فقام فيها علي. فما أفلح وحكّم الحكمين. فاختلفت عليه الأمّة، وافترقت الكلمة ثمّ وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه. ثمّ قام بعده الحسن فما كان برجل عرضت عليه الأموال. فقبلها، ودسّ إليه معاوية أنّي أجعلك ولي عهدي. فخلعه وانسلخ له ممّا كان فيه، وسلّمه إليه، وأقبل على النساء يتزوّج اليوم واحدة، ويطلّق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتّى مات على فراشه. ثمّ قام من بعده الحسين فخدعه أهل العراق[1]... ويقال له في الحسن عليه السلام: من كان له أمير جند مثل عمّك عبيد الله بن العباس لا بدّ أن يترك الأمر.

وصية المنصور لما عزم على الحج لولده المهدي

وفي (تاريخ الطبري): أن المنصور لمّا عزم على الحجّ دعا ريطة بنت السفاح امرأة ابنه المهدي وكان المهدي بالري فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، ووكّد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها أحداً إلّا المهدي إذا صح عندها موته. فإذا صحّ اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتّى يفتحا الخزانة. فلمّا قدم المهدي من الري دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته أنّ أباه تقدّم إليها ألّا يفتحه حتّى يصحّ عنده موته.

فلمّا انتهى إلى المهدي موته، وولي الخلافة فتح الباب، ومعه ريطة. فإذا أزج أي سرداب كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب، ومشايخ عدّة كثيرة فارتاع المهدي وأمر فحفرت لهم حفيرة، فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان[2].

---

(١) نشأة الشيعة الإمامية: ١٨٩ باختصار، مروج الذهب ٣: ٣٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الفاطمة المعصومة ١٠٥ وفي المصدر «ارتاع»، تاريخ الطبري ٦: ٣٤٤، سنة ١٥٩، والنقل بتصرف يسير.

«بريّها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بريئها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[(١)].

«سقيم وظاعنها» أي: مرتحلها.

«مقيم» وإنّما حكم عليه السلام بكون بريئها سقيماً، وظاعنها مقيماً بمعنى عموم الفتنة، وعدم نجاة أحد منها أو لأنّ الظلمة كزياد، والحجّاج، وغيرهما كانوا يأخذون البريء من الجناية بالسقيم بها، والمقيم بالمرتحل.

«بين قتيل مطلول» أي: مهدور دمه. قال الشاعر: **[البحر السريع]**

دماؤهم ليس لها طالب مطلولة مثل دم الْعَذْرَةِ

أيضاً: **[البحر الكامل]**

تلكم هريرة ما تجف دموعها أهرير ليس أبوك بِالْمَطْلُولِ[(٢)]

«وخائف مستجير» وكأنّ الفصل إشارة إلى حرب الأمين والمأمون وما نزل ببغداد.

قيام الحرب بين الأمين والمأمون

ففي (المروج) لمّا نزل طاهر بن الحسين بباب الأنبار، حاصر بغداد، وغادى القتال وراوحه حتّى خربت الديار، وعفت الآثار، وغلت الأسعار، وقاتل الأخ أخاه، والابن أباه هؤلاء أمينيّة، وهؤلاء مأمونيّة، وهدمت المنازل، وأحرقت الديار، وانتهبت الأموال، وذلك في سنة (١٩٦) فقيل في ذلك: **[البحر الطويل]**

تقطّعت الأرحام بين العشائر وأسلمهم أهل التقى وَالْبَصَائِرِ
فذاك انتقام الله من خلقه بهم لما ارتكبوه من ركوب الْكَبَائِرِ
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة ولا نحن أصلحنا فساد السَّرائِرِ
ولم نستمع من واعظ ومذكر فينجع فينا وعظ ناهٍ وَآمِرِ
فلا فاجر للبرّ يحفظ حرمة ولا يستطيع البرّ دفعا لِفَاجِرِ
تراهم كأمثال الذئاب رأت دَماً فأمّته لا تلوي على زجر زَاجِرِ
وأصبح فسّاق القبائل بينهم تشدّ على أقرانها بِالْخَنَاجِرِ
فنبكي لقتلى من صديق ومن أخ كريم ومن جار شفيق مُجَاوِرِ

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٩، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٢١ مثل المصرية أيضاً.
(٢) أورده الأول لسان العرب ١١: ٤٠٥، مادة (طلّ) والثاني أساس البلاغة: ٢٨٣، مادة (طلّ).

ووالدة تبكي بحزن على ابنها فيبكي لها من رحمة كلّ طَائِرِ
وذات حليل أصبحت وهي أيّم وتبكي عليه بالدموع الْبَوادِرِ
وإبراز ربّات الخدور حواسراً خرجنْ بلا خمر ولا بِمَآزِرِ
تراها حيارى ليس تعرف مذهباً نوافر أمثال الظباء النَّوافِرِ
وآبت لإحراق وهدم منازل وقتل وانهاب اللّهى والذَّخائِرِ
كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً وملهى رأته عين لاه وَنَاظِرِ
بلى هكذا كانت فأذهب حُسْنَها وبدّد منها الشمل حكم الْمَقَادِرِ
وحلّ بهم ما حلّ بالناس قبلهم فأضحوا أحاديثاً لبادٍ وحاضرِ

إلى أن قال: ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهراً، وضاقت بغداد بأهلها، وتعطّلت المساجد، وتركت الصلاة، ونزل بها ما لم ينزل قط مذ بناها المنصور إلى أن قال:

ولمّا ضاق بالأمين الأمر أمر قائدا من قوّاده يقال له ذريح وقرن معه آخر يعرف بالهرش أن يتبع أصحاب الأموال والذخائر من أهل الملّة، وغيرهم فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة، فهرب الناس بعلّة الحجّ.

فقال علي الأعمى: [البحر الرمل]

أظهروا الحجّ وما يبغونه بل من الهرش يريدون الْهَرَبْ
كم أناس أصبحوا في غبطة ركض اللّيل عليهم بِالْعَطَبْ

إلى أن قال: وثارت العراة ذات يوم في نحو ماءَة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس على رؤوسها، ونفخوا في القصب وقرون البقر، وزحفوا من مواضع كثيرة. فبعث إليهم طاهر بعدّة قوّاد، وأمراء من وجوه كثيرة، واشتد الجلاد، وكثر القتل، وكانت للعراة على المأمونية إلى الظهر وكان يوم الإثنين ثمّ ثارت المأمونية على العراة من أصحاب الأمين. ففرّق منهم وقتل وأحرق نحوعشرة آلاف. ففي ذلك يقول الأعمى:

[البحر الخفيف]

بالأمير طاهر بن الحسين صبّحونا صبيحة الإِثْنَيْنِ
جمعوا جمعهم فثار إليهم كلّ صلب القناة وَالسَّاعِدَيْنِ
يا قتيل العراة ملقى على الشـ ط تطأه الخيول في الْجَانِبَيْنِ
ما الّذي كان في يديك إذا ما أصـ طلح النَّاسُ آية الْخِلَّتَيْنِ
أوزير أم قائد بل بعيد أنت من ذين موضع الْفَرْقَدَيْنِ

كم بصير غداً بعينين كي ينـ ظر ما حالهم فراح بِعَيْنِ

واشتدّ الأمر بالأمين فباع ما في خزائنه سرّاً، وفرّق ذلك أرزاقاً في من معه ولم يبق عنده ما يعطيهم. فقال: وددت أن الله قتل الفريقين أمّا هؤلاء فيريدون مالي، وأما أولئك فيريدون نفسي[١]..

عودة إلى شرح الخطبة

«**يختلون**» أي: يخدعون.

«**بعقد**» بالضم جمع عقدة.

«**الأيمان**» بالفتح جمع اليمين أي: القسم.

«**وبغرور الإيمان**» بالكسر مصدر آمن.

«**فلا تكونوا أنصاب**» جمع النصب بفتحتين، والنصب بضمتين أي: ما نصب فعبد من دون الله.

وفي (الأساس) الأنصاب: حجارة تنصب تصبّ عليها دماء الذبائح، وتعبد[٢].

«**الفتن**» جمع الفتنة.

«**وأعلام**» جمع العلم بالتحريك، وفي الصحاح العلم العلامة، والجبل والراية[٣].

«**البدع**» جمع البدعة أي: إدخال ما ليس من الدين في الدين.

«**والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة**» قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٤].

«**وبنيت**» عطف على «عقد».

«**عليه أركان الطاعة**» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٥].

«**وأقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين**» فالمظلوم لا لوم عليه، والظالم

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٧٠ باختصار وتفاوت مروج الذهب ٢: ٤٠٠، ٤٠٩، والنقل بتصرف، الكامل ٦/ ٢٧٧.
(٢) أساس البلاغة: ٤٥٨، مادة (نصب) فتح الباري: ٨/ ٢٠٨.
(٣) صحاح اللغة ٥: ١٩٩٠، مادة (علم) عون المعبود ٤/ ٣ بتأخير.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

لا نجاة له ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ . . . أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴿٣٣﴾﴾[٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[٣] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[٥].

ونظير كلامه عليه السلام هذا مع كلامه الآخر كما روي «اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف، ولا تختر أن تكون غالباً وأنت ظالم»[٦].

«واتّقوا مدارج» أي: مسالك. قال الشاعر في وصف سيف: **[البحر الطويل]**

ترى أثره في صفحتيه كأنه ... مدارج شبثان لهن هميم[٧]

أي مسالك أحناش ذوات أرجل كثيرة لهنّ دبيب.

«الشيطان ومهابط العدوان» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٩].

عفة البطن وعفة الفرج

«ولا تدخلوا بطونكم لعق» في (الصحاح): اللعقة اسم ما تأخذه الملعقة، واللعق اللحس باللسان[١٠].

«الحرام» قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أكثر ما تلج به أمّتي النار الأجوفان البطن والفرج. وقال رجل للباقر عليه السلام: إني ضعيف العمل. قليل الصيام، ولكنّي أرجوألا آكل إلّا حلالاً.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٣١، ٣٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣.
(٥) سورة الفجر، الآية: ١٤.
(٦) رواه ابن أبي الحديد في زوائد البلاغة: ٥٢٣ ح ٢٧ شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٥٨ ح ٢٧.
(٧) أورده لسان العرب ٢: ٢٦٨، مادة (درج).
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٩) سورة النور، الآية: ٢١.
(١٠) صحاح اللغة ٤: ١٥٥٠، مادة (لعق) والنقل بالمعنى.

فقال عليه السلام: أيّ الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج[١].

«**فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية**» ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[٢].

من همّ بالسيئة فلا يعملها

وفي (الكافي): عن الصادق عليه السلام من همّ بسيّئة فلا يعملها فإنّه ربما عمل العبد السيّئة. فيراه الربّ فيقول: وعزّتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً، وعن الكاظم عليه السلام إنّ الله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله. فلولا بهائم رتّع، وصبية رضّع، وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّاً.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال الفاضحة ولا تأمنن البيات، وقد عملت السيّئات.

وعن الرضا عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى.

وعن الكاظم عليه السلام: كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون.

وعن الصادق عليه السلام: يقول تعالى: إذا عصاني من عرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

وعنه عليه السلام: تعوّذوا بالله من سطوات الله بالليل والنهار. قيل له: وما سطوات الله؟ قال: الأخذ على المعاصي.

وعن الباقر عليه السلام: اتّقوا المحقّرات من الذنوب. فإنّ لها طالباً، يقول أحدكم اذنب وأستغفر. إن الله تعالى يقول: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٤] [٥].

---

(١) رواهما الكليني في الكافي ٢: ٧٩ ح ٤ و ٥ شرح أصول الكافي: ٢٥٢ ح ٤ والبحار: ٦٨/ ٢٦٩ ح ٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٩. (٣) سورة يس، الآية: ١٢.

(٤) هذه الأحاديث في الكافي ٢: ٢٦٩ ٢٧٦ ح ٦ و ١٠ و ١٧ و ٢١ و ٢٦ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١. والحديث الخامس الذي رواه الشارح عن الكاظم عليه السلام روي في المصدر عن الرضا عليه السلام. والآية ١٦ من سورة لقمان.

(٥) أسقط الشارح شرح فقرة «وسهل لكم سبيل الطاعة».

من علامات آخر الزمان

منها : «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوب عُمْيٍ وآذَان صُمٍّ وأَلْسِنَة بُكْم مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ومَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ ولَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ اَلثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ والصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدِ إِنْجَابَتِ اَلسَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ ووَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وأَسْفَرَتِ اَلسَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاح وأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاح ونُسَّاكاً بِلَا صَلَاح وتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاح وأَيْقَاظاً نُوَّماً وشُهُوداً غُيَّباً ونَاظِرَةً عَمْيَاءَ وسَامِعَةً صَمَّاءَ ونَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى اَلضِّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ أَونُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الأَدِيمِ وتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ وتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ إِسْتِخْلَاصَ اَلطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ وتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ ومِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وأَنَّى تُؤْفَكُونَ فلِكُلِّ أَجَل كِتابٌ ولِكُلِّ غَيْبَة إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ وإِسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ ولْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ولْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ولْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ وقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ورَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ وقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ وصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ وهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُوم وتَوَاخَى اَلنَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ وتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ وتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً والْمَطَرُ قَيْظاً وتَفِيضُ اَللِّئَامُ فَيْضاً وتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً وكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ اَلزَّمَانِ ذِئَاباً وسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً وأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً وفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وغَارَ

الصِّدْقُ وفَاضَ الْكَذِبُ واُسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وتَشَاجَرَ اَلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ وصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً والْعَفَافُ عَجَباً ولُبِسَ الإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً». من الخطبة (١٠٦)

قول المصنّف: «ومنها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منها) وإن كانت قبلها اخرى كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

«طبيب دوّار بطبّه» في (الجمهرة): رجل طبّ بالشيء حذق به، ومنه اشتقاق الطبيب، ومن أمثالهم «من حبّ طبّ» أي: تأنّى لأموره، وتلطّف لها[2].

كان عليه السلام كطبيب دوّار لعلاج أمراض النفوس

وكان عليه السلام كطبيب دوّار لعلاج أمراض الأرواح. فكان يعظ من شهده شفاهاً، ومن غاب عنه كتاباً، وكان عليه السلام يعظ الناس عموماً وخصوصاً ليلاً ونهاراً.

من مواعظه عليه السلام العامة نهاراً

ومن مواعظه العامة نهارا أنّه عليه السلام كان كلّ بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه وكان لها طرفان، وكانت تسمّى السبية، فيقف على سوق فينادي: **يا معشر التّجار قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و﴿أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3] ثمّ يقول:** [البحر البسيط التام]

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم وَالْعَارُ
تبقى عواقب سوء في مغبّتها ... لا خير في لذّة من بعدها النّارُ[4]

من مواعظه عليه السلام في الليل

ومن مواعظه الليلية عموماً أنّه عليه السلام كان بعد العشاء لمّا كان بالكوفة يقبل بوجهه على الناس في المسجد، ويذكّرهم بهذه الكلمات ثلاث مرّات:

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣. لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٤٠ مثل المصرية.
(٢) جمهرة اللغة ١: ٣٤. (٣) سورة هود، الآية: ٨٥.
(٤) رواه الصدوق في أماليه: ٤٠٢ ح ٦، المجلس ٧٥، والمفيد في أماليه: ١٩٧، ح ٣١، المجلس ٢٣، والكليني في الكافي ٥: ١٥١ ح ٣.

تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل. فما التعرّج على الدنيا بعد نداء فيها بالرحيل. تجهّزوا رحمكم الله، وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد وهوالتقوى، واعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد، وممرّكم على الصراط، والهول الأعظم أمامكم، في طريقكم عقبة كؤودة، ومنازل مخوفة مهولة لا بدّ لكم من الممرّ عليها والوقوف بها. فإمّا برحمة من الله ونجاة من هولها، وعظم خطرها، وفظاعة منظرها، وشدّة مختبرها، وإمّا بهلكة ليس بعدها انجبار(١).

تجواله عليه السلام في الأسواق

وفي الخبر: كان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو دالّ يرشد الضال، ويعين الضعيف (ويمسك الشسوع بيده. فيناول الرجل الشسع) ويمرّ بالبيّاع والبقّال. فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

«**قد أحكم**» والأصل فيه حكمة اللجام الّتي تحيط بالحنك تقول منه «حكمت الدابة وأحكمتها».

«**مراهمه**» جمع المرهم، ما يوضع على الجراحة. قال في (الصحاح):

المرهم معرّب، ولكن في (الجمهرة) الرهمة، والجمع رهام: الدفعة اللينة من المطر، ومنه اشتقاق المرهم للينه(٣).

«**وأحمى**» من قولهم أحميت الحديد في النار.

«**مواسمه**» جمع الميسم ما يحمى به، وفي (الصحاح): أصل الياء واو.

فإن شئت قلت في جمعه مياسم على اللفظ، وإن شئت قلت مواسم على الأصل(٤).

روي أنّ حبابة الوالبية قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاع الجرّي والمار ماهي، والزّمار، ويقول لهم: يا بيّاع مسوخ بني

---

(١) روضة الواعظين ٤٤٥، الإرشاد: ١/ ٢٣٤ باختصار، بحار الأنوار ٧/ ١٢٩ رواه الصدوق في أماليه: ٤٠٢ ح ٧، المجلس ٧٥، والمفيد في أماليه: ١٩٨ ح ٣٢، المجلس ٢٣.

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٢٦٨. والآية ٨٣ من سورة القصص.

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٩٣٩، مادة (رهم)، وجمهرة اللغة ٢: ٤١٧.

(٤) لسان العرب ١٢/ ٦٣٦، صحاح اللغة ٥: ٢٠٥١، مادة (وسم).

إسرائيل، وجند بني مروان، فقام إليه فرات بن أحنف. فقال: يا أمير المؤمنين وما جند بني مروان؟ فقال: أقوام حلقوا اللّحى، وفتلوا الشوارب[١].

يأتي الطبيب المرضى

«**يضع ذلك حيث الحاجة إليه**» قال ابن أبي الحديد: يقال: رؤي المسيح خارجاً من بيت مومسة. فقيل له: يا سيدنا أمثلك يكون ها هنا؟ فقال: إنّما يأتي الطبيب المرضى[٢].

هذا، وفي (شعراء القتيبي): رأى دريد بن الصّمّة الخنساء تهنأ الإبل.

فقال فيها أبياتاً منها: **[البحر الكامل]**

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم هاني أنيق جَرِبِ
متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النَّقَبِ[٣]

النبي المنذر صلى الله عليه وآله والهادي علي عليه السلام

«**من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بكم**» حيث إنّه عليه السلام الهادي، وفي تفسير الثعلبي لمّا نزل ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[٤]، وضع النبيّ صلى الله عليه وآله يده على صدره، وقال: «**أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب عليّ** عليه السلام وقال:

وأنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي» وفي (مناقب السروي) صنّف ابن عقده كتابا في نزول الآية فيه عليه السلام [٥].

«متّبع» كذا في (المصرية)، والصواب: (متتبع) كما في (ابن أبي الحديد) وابن ميثم والخطية)[٦].

الإمام عليه السلام يصف دواء الذنوب

«**بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة**» قال الخوئي: روى بعض القدماء في أصل له عن عمّار قال: بينا أنا أمشي بأرض الكوفة إذ رأيت أمير المؤمنين عليه السلام جالساً، وعنده جماعة من الناس، وهويصف لكلّ إنسان ما يصلح له. فقلت له: يا أمير المؤمنين أيوجد

---

(١) رواه الكليني في الكافي ١: ٣٤٦ ح ٣، والصدوق في كمال الدين ٢: ٥٣٦، ح ١.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣. (٣) الشعر والشعراء: ١٢٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٧.
(٥) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٨١ بحار الأنوار: ٣٥/ ٣٩٩ ح ٧، مناقب السروي ٣: ٨٣ و ٨٤.
(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤٠ مثل المصرية.

عندك دواء الذنوب. فقال: نعم اجلس فجثوت على ركبتيّ حتّى تفرّق عنه الناس. ثمّ أقبل عليّ وقال: خذ دواء أقول لك. قلت: قل يا أمير المؤمنين قال: عليك بورق الفقر، وعروق الصبر، وهليلج الكتمان، وبليلج الرضا، وغاريقون الفكر، وسقمونيا الأحزان، واشربه بماء الأجفان، واغله في طبخير القلق، وضعه تحت ميزاب الفرق، وصفّه بمنخل الأرق، واشربه على الحرق. فذاك دواؤك، وشفاؤك يا عليل(١).

«**لم يستضيئوا بأضواء الحكمة**» كأنّ في هذا الكلام إلى قوله: «**والصخور القاسية**» سقطا حيث إنّ سياقه مخالف لسابقه.

«**ولم يقدحوا**» من قدحت النار.

«**بزناد**» بالكسر جمع الزند، العود الّذي تقدح به النار.

«**العلوم الثاقبة**» أي: المضيئة.

«**فهم في ذلك كالأنعام السائمة**» أي: المرسلة، والراعية.

«**والصخور**» أي: الحجارة العظام.

«**القاسية**» أي: الصلبة.

«**قد انجابت**» أي: انكشفت.

«**السرائر لأهل البصائر**» الظاهر أنّ المراد بقوله عليه السلام قد انجابت السرائر لأهل البصائر، انكشاف سرائر المتقدّمين عليه لأهل المعرفة، ومن كان ذا بصيرة.

جوابه عليه السلام لعبد الرحمن بن أبي ليلى

روى الثقفي عن المسعودي، عن محمّد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان عن أبي محمّد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني، أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا أكان بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك. إنّا كنّا نقول: لورجعت إليكم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول. أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟

---

(١) شرح الخوئي ٣: ٢١٢.

فإنّ قلت ذلك فعلام نصبك النبيّ ﷺ بعد حجّة الوداع فقال: «**أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه**» وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولّاهم؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن إنّ الله تعالى قبض نبيّه ﷺ وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله إليّ عهد لوخزمتموني بأنفي لأقررت إلى أن قال: فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

[البحر الطويل]

لعمري لقد أيقظت من كان نائما وأسمعت من كانت له أُذُنَانِ[1]

«**ووضحت محجّة الحق**» في (الصحاح): المحجّة: جادّة الطريق[2].

«**لخابطها**» أي: خابط المحجّة من قولهم خبط عشواء أي: ناقة في بصرها ضعف تضرب بيدها الأرض لا تتوقى شيئاً. ومن قولهم «**ما أدري أيّ خابط ليل هو**» يعني: أيّ الناس هو.

«**وأسفرت**» أي: كشفت.

«**الساعة**» أي: القيامة.

«**عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسّمها**» أي: متفرّسها. يقال: توسمت فيه الخير أي: تفرّسته.

«**ما لي أراكم أشباحاً**» أي: أجسادا.

«**بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح**» أي: أشخاص وأجسام.

«**ونسّاكا**» أي: عبّاداً.

«**بلا صلاح وتجّارا بلا أرباح**» حيث يحبطون عباداتهم.

من قال: لا إلّه إلا الله مخلصاً دخل الجنة

ففي (ثواب الأعمال) عن حذيفة: لا يزال «لا إلّه إلا الله» تردّ غضب الربّ تعالى عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم ثمّ قالوها ردّت عليهم، وقيل: كذبتم ولستم بها صادقين.

---

(١) رواه عنه المفيد في أماليه: ٢٢٣ ح ٢، المجلس ٢٦.

(٢) صحاح اللغة ١: ٣٠٤، مادة (حجج) نهج البلاغة: ٢٠٧/١ باختصار، والبحار: ٢٤٠/٣٤ باختصار.

وعن زيد بن أرقم قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من قال لا إِلّه إلّا الله مخلصا دخل الجنّة.

وإخلاصه بها أن تحجزه لا إِلّه إلّا الله عمّا حرّم الله.

حديث الإمام الرضا عليه السلام لأهل نيسابور

وعن إسحاق بن راهويه قال: لمّا وافى أبوالحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له:

يابن رسول الله ترحل عنا، ولا تحدّثنا بحديث نستفيده منك وقد كان قعد في العمارية فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي عن آبائه عليهم السلام واحداً بعد واحد عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى «لا إِلّه إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» فلمّا مرّت الراحلة نادى: بشروطها، وأنا من شروطها[1].

ثواب التسبيح بِـ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وعن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال لا إِلّه إلّا الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنّة. فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنّة لكثير. قال: نعم، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[2].

«وأيقاظاً نوّماً» قال الفرزدق: **[البحر الكامل]**

يستيقظون إلى نهاق حميرهم ... وتنام أعينهم عن الأَوْتَارِ

من شروحات خطبته عليه السلام

«وشهوداً غيّباً» يقال لصلاة المغرب صلاة الشاهد لأنّها يصلّيها الغائب كما يصليها الشاهد.

«وناظرة عمياء» غيّر عليه السلام خطابه من الجمع في قوله «أشباحاً» إلى قوله «وشهوداً» إلى صيغة المفرد المؤنث بإرادة الطائفة تفنّنا.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢١/٢٠ ح ٣ و ٤ و ١ والعروة الوثقى: ١/ ٢٣٠ بتفاوت.

(٢) الآمالي: ٥٠٧، والبحار: ٨/ ١٨٧، ثواب الأعمال: ٢٦ ح ٣. والآية ٣٣ من سورة محمّد.

«وسامعة صمّاء» فمن سمع، ولم يجب يكن كالأصم.

«وناطقة بكماء» أي: خرساء، والأصل في قوله عليه السلام «وناظرة عمياء وسامعة صمّاء وناطقة بكماء» قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(١) ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢).

«رأيت ضلالة» هكذا في (المصرية) بلفظ الفعل والفاعل والمفعول، والصواب: «راية ضلالة» بلفظ مضاف، ومضاف إليه كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)(٣).

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «راية ضلالة» إلخ كلام منقطع عمّا قبله، لأنّ الرضي رضي الله عنه كان يلتقط الفصول الّتي في الطبقة العلياء في الفصاحة من كلامه عليه السلام فيذكرها، ويتخطّى ما قبلها، وما بعدها، وهو عليه السلام يذكر هاهنا ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفياني وغيره(٤).

قلت: الرضي رضي عنه الله وإن كان ينتخب من كلامه عليه السلام إلّا أنّ الانتخاب بدون التنبيه خارج عن القاعدة، وكيف وقد نبّه في هذه الخطبة مرّتين على الالتقاط.

فقال أوّلاً بعد ذكر كلامه عليه السلام في التوحيد «منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله ...، وثانياً «منها، طبيب دوّار بطبه»(٥) ...، والصواب أن يقال: إنّ الخطبة لمّا كانت في الملاحم كما صرّح به في أوّل كلامه، وكتب الملاحم لا تخلومن التصحيف غالباً، نقل ما وجد فيها، وإلّا فالقطع ليس مختصاً به ظاهراً. فقد عرفت استظهار قطع قوله «لم يستضيئوا» إلى قوله «القاسية» وكذلك قوله «قد انجابت» إلى قوله «لمتوسمها» وكذلك قوله «ما لي» إلى قوله «بكماء».

في كلامه عليه السلام إشارة إلى فتن آخر الزمان

وكيف كان فما ذكره من كلامه عليه السلام إشارة إلى فتن آخر الزمان من السفياني وغيره غير بعيد. فروى النعماني عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٧١.
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥، وفي بعض نسخ شرح ابن ميثم ٣: ٤٥.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥.
(٥) البحار: ٣٤/ ٢٤٠ باختصار، ميزان الحكمة: ٢/ ١٧٢٧ باختصار، نهج البلاغة ١: ٢٠٦ و ٢٠٧، الخطبة ١٠٦.

من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: خروج السفياني واليماني، والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس في الرايات راية أهدى من اليماني لأنّه يدعوإلى صاحبكم.

في علامات ظهور القائم عليه السلام

وعنه عليه السلام للقائم عليه السلام خمس علامات: **السفياني، واليماني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء**[٢].

«**قد قامت على قطبها**» روى النعماني في علامات ظهور القائم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا بدّ من رحى تطحن. فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عسفاً، خاملاً أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم أصحاب السبال سود ثيابهم أصحاب رايات سود. ويل لمن ناوأهم يقتلونهم هرجاً. والله لكأنّي أنظر إليهم، وإلى أفعالهم، وما يلقى الفجّار منهم، والأعراب الجفاة يسلّطهم الله عليهم بلا رحمة. فيقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾[٣].

«**وتفرّقت بشعبها**» في (الصحاح): الشعب: ما تشعب من قبائل العرب، والعجم[٤].

. «**تكيلكم بصاعها**» أي: تعمل معكم كيف شاءت، وأما قولهم «**كايلناهم صاعاً بصاع**» فمعناه كافأناهم.

«**وتخبطكم**» في (الصحاح): خبط البعير الأرض بيده خبطاً ضربها، وخبطت الشجرة خبطاً إذا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها[٥].

«**بباعها**» في (الصحاح): الباع قدر مدّ اليدين[٦]...، ويقال: «**ما بيعت هذه الثياب حتّى بيعت**» الأوّل من البيع، والثاني من البوع أصل الباع أي: حتّى قدّرت بالباع.

(١) أخرجه محمد بن النعمان المفيد في الإرشاد: ٣٥٨ ولم أجده في غيبة النعماني.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٠ ح ٧، والبحار: ٥٢/ ٢٠٤، أخرجها النعماني في الغيبة: ١٧١ و١٦٩.
(٣) غيبة النعماني: ١٧١، والآية ٤٦ من سورة فصّلت.
(٤) صحاح اللغة ١: ١٥٥، مادة (شعب).
(٥) صحاح اللغة ٣: ١١٢١، مادة (خبط).
(٦) صحاح اللغة ٣: ١١٨٨، مادة (بوع).

السّفياني

«**قائدها خارج من الملّة قائم على الضلّة**» روى النعماني عن الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّ السفياني لم يعبد الله قط، ولم ير مكة ولا المدينة قط، يقول: يا رب ثاري والنار[١].

وروى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام قال: إنّك لورأيت السفياني لرأيت أخبث الناس إلى أن قال: وقد بلغ من خبثه أنّه يدفن أمّ ولد له وهي حيّة مخافة أن تدلّ عليه[٢].

«**فلا يبقى يومئذ منكم إلّا ثفالة كثفالة القدر**» وهي ما استقر تحته. يقال في الماء والدواء والمرق «علا صفوه ورسب ثفله».

«**أو نفاضة كنفاضة العكم**» في (الصحاح): العكم بالكسر العدل، وهما عكمان والعكم أيضاً نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، والنفاضة ما سقط عن النفض يقال: نفضت الثوب والشجر إذا حرّكته لينتفض[٣].

روى النعماني مسنداً عن الأصبغ عنه عليه السلام قال: والّذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتّى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتّى يسمّى بعضكم بعضاً كذا بين، وحتّى لا يبقى منكم (على هذا الأمر) كالكحل في العين، والملح في الطعام (وهوأقلّ الزاد) وسأضرب لكم مثلاً وهومثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه ثمّ أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله. ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس. فأخرجه، ونقّاه، وطيّبه ثم أعاده الى البيت فتركه ما شاء الله ثم عاد اليه فإذا هوقد اصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلّا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً[٤].

وعن الحارث الأعور عنه عليه السلام: يملك السفياني قدر حمل امرأة تسعة أشهر يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلّا طوائف من المقيمين على الحقّ يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرار حتّى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به، وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٥].

---

(١) البحار: ٥٢/ ٢٥٤ ح ١٤٦، غيبة النعماني: ٢٠٧.
(٢) أخرجه الصدوق في كمال الدين ٢: ٦٥١ ح ١٠ والبحار: ٥٢/ ٢٠٦، ح ٣٧.
(٣) صحاح اللغة ٥: ١٩٨٩ و ٣: ١١٠٩، مادة (عكم ونفض).
(٤) غيبة النعماني: ١٤٠ البحار: ٥٢/ ١١٦ بتفاوت.
(٥) غيبة النعماني: ٢٠٦، والآية ٥١ من سورة سبأ وكتاب الفتن: ١٦٥ باختصار.

«**تعرككم**» أي: تدلككم.

«**عرك الأديم**» أي: الجلد. قال زهير: «فتعرككم عرك الرحى بثفالها»(١).

«**وتدوسكم**» أي: تضغطكم بأقدامها.

«**دوس الحصيد**» يقال حصدت الزرع فهو محصود وحصيد.

«**وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الحبّة البطينة من بين هزيل الحب**» هكذا في (المصرية)، وفيها سقط والأصل: «**استخلاص الطير الحبة...**» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)(٢)، ولأنّ الحبّة لا تستخلص بنفسها.

روى (الاكمال) عن محمّد بن مسلم، وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب ثلثا الناس. فقيل له: إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى. فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي(٣).

مهدي أهل البيت أمرُهُ أبين من الشمس

«**أين تذهب بكم المذاهب**» جمع المذهب أي: السيور المموّهة بالذهب.

«**وتتيه بكم**» أي: توقعكم في التيه والحيرة.

«**الغياهب**» جمع الغيهب أي: الظلمة.

«**وتخدعكم الكواذب**» جمع الكاذبة، وفي الأمثال «كذب العير وإن كان برح»(٤) «كذبتك الظهائر»(٥).

«**ومن أين تؤتون، وأنّى**» أي: كيف.

«**تؤفكون**» في (الصحاح): قال أبوزيد: المأفوك المأفون، وهوالضعيف العقل والرأي وقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾(٦). قال مجاهد: يؤفن عنه من أفن(٧)....

(١) لسان العرب: ٩/ ٣٠١، وتاج العروس: ١٢/ ٤٥٨، أورده لسان العرب ١٠: ٤٦٥، مادة (عرك).
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥. لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤١ مثل المصرية أيضاً.
(٣) كمال الدين ٢: ٦٥٥ ح ٣٩ بحار الأنور ١٥/ ٢٠٧ ح ٤٤.
(٤) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٦٣ لسان العرب: ١/ ٧٠٧.
(٥) هذا كلام عمر أورده الزمخشري في الأساس: ٣٨٩، مادة (كذب)، وابن الأثير في النهاية ٤: ١٥٨، مادة (كذب).
(٦) سورة الذاريات، الآية: ٩.
(٧) صحاح اللغة ٤: ١٥٧٣، مادة (أفك) ولسان العرب: ١٠/ ٣٩١، تاج العروس: ١٣/ ٥٠٨.

والمراد من قوله عليه السلام: «أين تذهب بكم المذاهب...» أنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله والمعصومين من العترة معلومون. فكيف يوقعكم بنوالعباس في الالتباس، أوأنّ مهدي أهل البيت أمره أبين من الشمس ينادى باسمه من السماء فكيف تنخدعون برجال يدّعون مقامه أوأنّ ظهور المهدي حتم فكيف تيأسون منه ويمكن إرادة الجميع.

«**فلكلّ أجل كتاب**» قال ابن أبي الحديد: أظنّه منقطعاً عمّا قبله مثل قوله «راية ضلالة»[1]. قلت: بل اتّصاله معلوم. فإنّه عليه السلام لمّا قال قبل: أين تذهب بكم المذاهب في اليأس من أهل البيت عليهم السلام وقيام قائمهم عليه السلام أردفه بهذا الكلام بأنّ لكلّ أجل كتاب لا بدّ من الانتهاء إليه.

لكل غيبة إياب

«**ولكلّ غيبة إياب**» قال ابن أبي الحديد: استثنى عبيد بن الأبرص من العموم الموت فقال: **[مجزوء البحر البسيط]**

وكلّ ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يَؤُوبُ

وهو رأي زنادقة العرب. فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام وهو ثاني صاحب الشريعة الّتي جاءت بعود الموتى فإنّه لا يستثني، ويحمّق عبيداً في استثنائه[2].

قلت: كلام ابن أبي الحديد، كلام مختل منحلّ، فإنّ عبيداً وإن كان جاهلياً ليس في مقام إنكار البعث، بل مراده أنّ الغائبين بالسفر يرجعون في الدنيا إلى أوطانهم وأهاليهم، وأما الغائب بالموت فلا يرجع إلى أهله أبداً، وهو كلام يقوله الملحد والموحّد، وكيف وبيته من قصيدة من أحد المعلّقات السبع، وكلّها حكم فقبله: **[مجزوء البحر البسيط]**

وكلّ ذي نعمة مخلوسها وكلّ ذي أمل مَكْذُوْبُ
وكلّ ذي إبل موروثها وكلّ ذي سلب مَسْلُوْبُ

وبعده: **[مجزوء البحر البسيط]**

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخضع الأريب

بل الظاهر من أبياته أنّه وإن كان جاهلياً إلّا أنّه كان موحداً. ففي القصيدة كما في شعراء ابن قتيبة: **[مجزوء البحر البسيط]**

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يَخِيْبُ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥.
(٢) الشعر والشعراء: ٨٥.

والله لــيـــس لـــه شـــريـــك عـــلّام مـــا أخــفــت الْـقُـلُـوْبُ

وعود الموتى في القيامة لم يقل به الإسلام قط بل جميع الشرائع من آدم إلى الخاتم.

المقصود هو ظهور المهدي عليه السلام

كما أنّ مراده عليه السلام من قوله «ولكلّ غيبة إياب» ليس البعث بل ظهور المهدي عليه السلام بعد غيبته. ففسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١) بظهوره عليه السلام بعد غيبته، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لولم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(٢).

ونقل النعماني عن ابن عقدة روايته مسنداً: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوماً لحذيفة، والّذي نفس عليّ بيده لا تزال هذه الأمّة بعد قتل الحسين ابني في ضلال وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف في الدين، وتبديل لما أنزل تعالى في كتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، واختلال وقياس مشتبهات، وترك محكمات حتّى تنسلخ من الإسلام، وتدخل في العمى والتلدد والتكسع، ما لك يا بني أُميّة لا هديت يا بني أُميّة، وما لك يا بني فلان لك الاتعاس. فما في بني فلان إلّا ظالم معتد متمرّد على الله بالمعاصي، قتّال لولدي، هتّاك لستر حرمتي.

فلا تزال هذه الأمّة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا، منغمس في بحار الهلكات، وفي أودية الدماء حتّى إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس وباح الناس بفقده أوبقتله أوبموته، اطلعت الفتنة، ونزلت البلية، والتحمت العصبية، وغلا الناس في دينهم، وأجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة، والإمامة باطلة، وتحجّ حجيج الناس في تلك السنة من شيعة علي، وتواصيهم التمكن والتجسس عن خلق الخلف. فلا يرى له أثر، ولا يعرف له خلف. فعند ذلك سبّت شيعة علي. سبّتها أعداؤها، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها حتّى إذا بقيت الأمّة، وتدلّهت وأكثرت في قولها أنّ الحجة هالكة، والإمامة باطلة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤: ١٠٦ ح ٤٢٨٢، والترمذي في سننه ٤: ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١، وجمع كثير غيرهما بفرق بين الألفاظ.

علي عليه السلام ربّاني هذه الأمّة

فوربّ عليّ أنّ حجّتها عليها قائمة، ماشية في طرقاتها. داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة ترى، ولا ترى إلى وقت الوعد، ونادى المنادي من السماء ذلك يوم سرور ولد عليّ وشيعة عليّ(١).

«**فاستمعوه من ربّانيّكم**» قال ابن أبي الحديد في وصف الحسن البصري لأمير المؤمنين عليه السلام: «**كان والله ربّاني هذه الأمّة وذا فضلها، وذا قرابتها، وذا سابقتها**»(٢).

قلت: وفي وصفه له عليه السلام أيضاً: «كان عليّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه، كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة، والفقه والرأي والصحبة، والنجدة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إنّ علياً عليه السلام كان في أمره علياً»(٣).

«**وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف**» أي: صاح.

إن علياً عليه السلام مني وأنا من علي

«**بكم**» روى (مناقب الكنجي الشافعي)، عن عمران بن حصين قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله جيشاً، واستعمل عليهم علياً عليه السلام. فمضى في السرية. فأصاب جارية فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله على أن يخبروا النبيّ صلى الله عليه وآله. فلمّا قدموا قام أحد الأربعة، وقال: ألم تر علياً صنع كذا وكذا.

فأعرض عنه النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قام الثاني فقال: فأعرض عنه. ثمّ الثالث فأعرض عنه. ثمّ قام الرابع فأقبل عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه ثمّ قال: ما تريدون من عليّ ما تريدون من عليّ إنّ علياً منّي، وأنا من عليّ، وهووليّ كلّ مؤمن بعدي فلا تخالفوه في حكمه. ورواه أحمد بن حنبل في (فضائله)(٤).

«**وليصدق رائد أهله**» هو كالمثل. ففي (الصحاح): الرائد الّذي يرسل في طلب الكلأ يقال لا يكذب الرائد أهله»(٥).

---

(١) غيبة النعماني: ٩٤، والنقل بتصرف يسير البحار: ٢٨/ ٧٢ ومعجم أحاديث المهدي (عجل): ٣/ ٧٣.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٦ ذخائر العقبى: ٧٩ بتفاوت.
(٣) هذا تأليف بين حديثين أخرج الأول ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٤٧، والثاني رواه ابن أبي الحديد في شرحه.
(٤) كفاية الطالب: ٤٢، والنقل بتلخيص.
(٥) صحاح اللغة ١: ٤٧٥، مادة (ورد) والبحار: ١٨/ ١٩٨ ح ٣٠.

«**وليجمع شمله**» الشمل يجيء لاجتماع الأمر وتفرقه. يقال فرّق الله شمله وجمع الله شمله والمراد هنا الثاني.

«**وليحضر ذهنه**» لأهمّية الأمر فمع الغفلة تحصل الهلكة.

«**فلقد فلق**» أي: شقّ.

«**لكم الأمر فلق الخرزة**» بالراء ثمّ الزاي الدرّة، وفي (الصحاح): خرزات الملك جواهر تاجه، ويقال: كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ليعلم عدد سنيّ ملكه قال لبيد: يذكر الحارث بن أبي شمر الغسّاني: **[البحر الطويل]**

رعى خرزات الملك عشرين حجّة وعشرين حتى فاد والشيب شَامِلُ

ونقله (الأساس): «ستين حجّة»[١].

«**وقرفه**» أي: قشره.

علي عليه السلام هادٍ مهدي

«**قرف الصمغة**» قال الجوهري في المثل: «تركته على مثل مقرف الصمغة» وذلك إذا لم تترك له شيئاً لأنّها تقتلع من شجرتها حتّى لا تبقى عليها علقة[٢].

والفاعل في قوله عليه السلام «فلق» و «وقرفه» ضمير ربّانيكم، والمراد نفسه عليه السلام. روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف عليّاً؟ قال: إن تولوا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم[٣].

عودة لشرح قوله عليه السلام

«**فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه**» جمع المأخذ أي: جميع ما يلزمه، ويمكنه أخذه. ثمّ الظاهر أنّه وقع قبله سقط كما عرفته في قوله: «راية ضلالة» كما لا يخفى.

«**وركب الجهل مراكبه**» كناية عن جمع أسباب الجهل.

«**وعظمت الطاغية**» أي: طغيان الباغين، وفي الأساس «هو طاغية جبّار عنيد»[٤].

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٧٣ و ٨٧٤، مادة (خرز)، وأساس البلاغة: ١٠٦، مادة (خرز) ولسان العرب: ٣/ ٣٤٠.

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٣٢٣، مادة (صمغ) لسان العرب: ٨/ ٤٤١، مجمع البحرين ٢/ ٦٣٦.

(٣) كفاية الطالب: ٦٧ وكتاب الأربعين: ٥٢ البحار: ٣٤/ ٣٢٣.

(٤) أساس البلاغة: ٢٨١، مادة (طغى).

«**وقلّت الداعية**» أي: من يدعو إلى الحقّ، وفي (الأساس): «دع داعي اللبن». وداعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده، والداعية تدعو المادة[١].

«**وصال الدهر**» أي: حمل في الحرب.

«**صيال السبع العقور**» من عقره أي: جرحه. قيل يقال للخمر العقار بالضم لأنّها تعقر العقل أي: تجرحه.

«**وهدر**» من هدر البعير أي: ردّد صوته في حنجرته.

«**فنيق الباطل**» أي: فحله. قال ابن دريد: «**الفنيق الفحل من الإبل**» قال الشاعر الأعشى: «**بزيافة كالفنيق القطم...**»[٢] وقول الجوهري: الفنيق الفحل المكرم[٣] بلا وجه.

«**بعد كظوم**» من كظم البعير كظوما إذا أمسكه عن الجرّة.

«**وتواخى الناس**» أي: صاروا إخوانا.

«**على الفجور**» والفسوق.

«**وتهاجروا على الدين**» أي: تقاطعوا عليه، وقد أمروا فيهما بالعكس.

«**وتحابّوا**» أي: أحبّ كلّ واحد منهم صاحبه.

«**على الكذب، وتباغضوا**» أي: أبغض كلّ منهم صاحبه.

«**على الصدق**» وقد أمروا بالضدّ فيهما.

«**فإذا كان ذلك، كان الولد غيظاً**» لأبويه، وكان الحقّ أن يكون قرّة عين لهما.

«**والمطر قيظاً**» أي: في عين الصيف، وشدّة حرارته. فلا يكون مثمراً بل مضراً.

«**وتفيض اللئام فيضاً**» أي: كثروا بلا حصر من فاض الماء فيضاً أي: كثر حتّى سال على ضفة الوادي.

«**وتغيض الكرام غيضا**» أي: قلّوا حتّى لا يوجدوا، من غاض الماء غيضا: قلّ ونضب.

---

(١) أساس البلاغة: ١٣١، مادة (دعو) والصحاح: ٦/ ٢٣٣٧ بتفاوت.

(٢) جمهرة اللغة ٣: ١٥٥ خزانة الأدب: ٤/ ٤٠٧.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٥٤٥، مادة فنق اللمعة البيضاء: ٦٣٢ بتفاوت النهاية في غريب الحديث بتفاوت ٣/ ٤٧٦ بتفاوت.

قصة الذمّي مع محمد بن منتشر الهمداني

وفي (كامل المبرد): قال محمّد بن منتشر الهمداني، دفع إليّ الحجّاج رجلاً ذمّيا وأمرني بالتشديد عليه، والاستخراج منه. فلمّا انطلقت به قال: إنّ لك لشرفاً وديناً، وإنّي لا أعطي على القسر شيئاً فارفق بي. ففعلت فأدّى إليّ في أسبوع خمسماءَة ألف. فبلغ ذلك الحجّاج. فأغضبه فانتزعه من يدي، ودفعه إلى الّذي كان يتولّى لهم العذاب. فدقّ يديه ورجليه، ولم يعطه شيئاً، وإنّي لسائر يوماً في السوق إذ صاح بي يا محمّد. فالتفتّ فإذا أنا به معترضاً على حمار مدقوق اليدين، والرجلين. فخفت الحجّاج أن آتيه فملت إليه. فقال: إنّك وليت منّي ما ولي هؤلاء. فرفقت بي، وأحسنت إليّ، وإنّهم صنعوا بي ما ترى ولي خمسماءَة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت إليّ فقلت: ما كنت لآخذ على معروفي أجراً، ولا لأرزئك على هذه الحالة شيئاً. قال: فأمّا إذ أبيت فاسمع منّي حديثاً حدّثني به بعض أهل دينك عن نبيّكم أنّه قال: «إذا رضي الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته، وجعل المال في سمحائهم، واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته، وجعل المال في بخلائهم واستعمل عليهم أشرارهم. فصرت إلى الحجّاج فألفيته جالساً على فراشه، والسيف مصلت بيده. فقال: ادن فدنوت شيئاً. ثمّ قال: ادن فدنوت شيئاً، ثمّ قال في الثالثة: ادن لا أبا لك. فقلت: ما لي إلى الدنو من حاجة، وفي يدي الأمير ما أرى، فضحك وأغمد سيفه، وقال: اجلس. ما كان من حديث الخبيث؟

فقلت: والله ما غششتك مذ استنصحتني، ولا كذبتك مذ استخبرتني، ولا خنتك مذ ائتمنتني، ثمّ حدّثته. فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الّذي كان المال عنده أعرض عنّي بوجهه، وأومأ إليّ بأن لا تسمّه. ثمّ قال: إنّ للخبيث نفساً، وقد سمع الأحاديث[1].

الشاعر المهزمي وابن ثوابة

هذا، وفي (تاريخ بغداد): استقبل أبو هفّان المهزمي الشاعر - وكان على حمار مكار - ابن ثوابة. فقال له ابن ثوابة: تركب حمير الكراء. فأجابه من ساعته: **[البحر المتقارب]**

ركبت حمير الكراء ... لقلّة من يُغْتَرَى
لأنّ ذوي المكرمات ... قد غيّبوا في الثَّرَى

فقال له ابن ثوابة: قلت هذا البيت في وقتك هذا. قال: لا قلته غداً[2].

---

(١) كامل المبرد ٣: ١٧٤، والنقل بتصرف يسير، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن ٢/ ٤٣.
(٢) لم أجده في تاريخ بغداد.

عندما تصبح الناس ذئاباً

«**وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً**» في (حياة الحيوان للدميري) قال الشاعر: **[البحر الخفيف]**

ليت شعري كيف الخلاص من النا س وقد أصبحوا ذئاب اغتِداءِ

قلت: **[مجزوء البحر البسيط]**

لمّا بلاهم صدق خبري رضي الله عن أبي الدَّرْدَاءِ

أشار إلى قول أبي الدرداء. إيّاكم ومعاشرة الناس، فإنّهم ما ركبوا قلب امرىء إلّا غيّروه، ولا جواداً إلّا عقروه، ولا بعيراً إلّا أدبروه، والذئب إذا كدّه الجوع عوى. فتجتمع له الذئاب، ويقف بعضها إلى بعض. فمن ولّى منها وثب إليه الباقون وأكلوه، وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه، عوى عواء استغاثة. فتسمعه الذئاب. فتقبل على الإنسان إقبالاً واحداً، وهم سواء في الحرص على أكله. فإن أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزّقوه، وتركوا الإنسان. وعاتب بعضهم صديقه - وكان أعان عليه - فقال: **[البحر الطويل]**

وكنت كذئب السوء لمّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة لمّا أراد قتله: **[البحر المتقارب]**

وقالوا هي الخمر تكنّى الطلا كما الذئب يكنى أبا جُعْدَةِ

أي: تظهر لي الإكرام، وأنت تريد قتلي كما أنّ الخمرة وإن سمّيت طلاء ففعلها قبيح، وإنّ الذئب وإن كنّي أبا جعدة أي: أبا الشاة ففعله قبيح[1].

زمان الذئب

«**وسلاطينه سباعاً وأوساطه أكّالا وفقراؤه أمواتاً**» روى (الروضة): أنّ حمران بن أعين قال للباقر عليه السلام: لوحدّثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به.

فقال عليه السلام إنّ رجلاً كان في ما مضى من العلماء، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه، ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه، ويسأله، ويأخذ عنه. فحضر الرجل الموت فدعا ابنه. فقال: يا بنيّ إنّك كنت تزهد في ما عندي، وتقلّ رغبتك فيه، ولم تكن تسألني عن شيء، ولي جار قد كان يأتيني ويسألني، ويأخذ منّي، ويحفظ عنّي، فإن

(١) حياة الحيوان ١: ٣٥٩ و ٣٦١، والنقل بتصرف يسير.

احتجت إلى شيء فائته وعرّفه جاره فهلك الرجل، وبقي ابنه، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا. فسأل عن الرجل. فقيل له: قد هلك. فقال الملك: هل ترك ولدا؟ فقيل له: نعم ترك إبناً. فقال: إيتوني به. فبعث إليه. فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك، وما عندي علم، ولئن سألني عن شيء لأفتضحن، فذكر ما كان أوصاه أبوه. فأتى ذاك الرجل، وقال له: إنّ الملك قد بعث إليّ يسألني، ولست أدري فيم بعث به إليّ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء.

فقال الرجل: ولكنّي أدري في ما بعث به إليك. فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك. فقال: نعم. فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له.

فقال له: إنّ الملك يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا. فقل له: إنّ هذا زمان الذئب. فأتى الغلام الملك. فقال له الملك: لم أرسلت إليك؟ قال: تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أيّ زمان هذا؟ قال له: صدقت. فقل أيّ زمان هذا؟ قال:

زمان الذئب. فأمر الملك بجائزة. فقبضها الغلام وانصرف، وأبى أن يفي لصاحبه، وقال لعلّي لا أنفد هذا المال حتّى أهلك، ولعلّي لا أُسأل عن مثل هذا الّذي سئلت عنه.

زمان الكبش

فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا. فبعث إليه يدعوه. فندم على ما صنع وقال: والله ما عندي علم آتيه به، وما أدري كيف أصنع بصاحبي، وقد غدرت به ثمّ قال: لآتينّه، ولأعتذرنّ إليه، ولأحلفنّ له فلعلّه يخبرني. فأتاه فقال: إنّي صنعت الّذي صنعت، ولم أفِ لك، وتفرّق ما كان في يدي وأنا أوثق لك ألّا يخرج لي شيء إلّا كان بيني وبينك، وقد بعث إليّ الملك، ولست أدري عمّ يسألني. فقال، إنّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا. فقل له: إنّ هذا زمان الكبش. فأتى الملك. فقال له: لم بعثت إليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤيا، وإنّك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا؟ فقال له: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال، زمان الكبش. فأمر له بصلة. فقبضها، وانصرف، وتدبر في أن يفي أم لا. فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة أن لا يفعل ثمّ قال: لعلّي لا احتاج إليه بعد هذه المرّة أبداً.

فأجمع على الغدر.

زمان الميزان

فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا. فبعث إليه. فندم، وقال بعد غدر مرّتين: كيف أصنع؟ ثمّ أجمع رأيه على إتيانه. فأتاه وناشده الله تعالى وأخبره انّ هذه المرّة يفي له، ولا

يغدر. فقال: يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا. فإذا سألك فأخبره أنّه زمان الميزان. فأتى الملك، فقال له: لم بعثت إليك؟ قال: رأيت رؤيا تريد أن تسألني أيّ زمان هذا؟ فقال: صدقت. فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال: زمان الميزان، فأمر له بصلة فانطلق بها إلى الرجل فوضعها بين يديه، وقال: جئتك بما خرج لي فقاسمنيه. فقال له العالم: إنّ الزمان الأوّل كان زمان الذئب، وانّك كنت من الذئاب، وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل، وكذلك أنت تهمّ ولا تفي، وهذا زمان الميزان، وكنت فيه على الوفاء. فاقبض مالك لا حاجة لي فيه(١).

«**وغار**» من غار الماء: إذا نضب، وذهب في الأرض.

الصّدّيق والكذّاب

«**الصدق، وفاض الكذب**» في (الكافي): عن النبيّ ﷺ ما يزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صدّيقا، وما يزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذّاباً(٢).

«**واستعملت المودّة باللسان، وتشاجرت**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وتشاجر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)(٣).

«**الناس بالقلوب**» في (الكافي): عن الصادق عليه السلام من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة، وله لسانان من نار(٤).

«**وصار الفسوق نسباً**» قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾(٥).

قاتل عمّار بالباب

وفي (الاستيعاب) في أبي الغادية الجهني قاتل عمّار كان أبوالغادية إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: «**قاتل عمّار بالباب**»، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجب عند أهل العلم قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ثمّ قتل عمّارا. ومثله في (معارف ابن قتيبة) وزاد: قال ربيعة بن كلثوم: قال أبي:

---

(١) الكافي ٨: ٣٦٢ ح ٥٥٢، والنقل بتصرف يسير.
(٢) الكافي ٢: ٣٣٨ ح ٢، شرح أصول الكافي: ٩/ ٣٩٨ ح٢. وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٥٠ ح ١٦٢٢٥.
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤١ مثل المصرية.
(٤) الكافي ٢: ٣٤٣ ح ١، ثواب الأعمال: ٢٦٩، وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٥٦ ح ١٦٢٤١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

حدّثني أبوالغادية قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنّ الحق يومئذ لمع عمّار» قال أبي: فما رأيت شيخاً أضلّ منه يروي أنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول ما قال ثمّ ضرب عنق عمّار[١].

التهتك في عصرنا الحاضر

«**والعفاف عجباً**» لندرة المتعفّفين فإذا رأوا عفيفاً تعجّبوا منه، وينطبق جميع ما قاله عليه السلام على عصرنا في الغاية لا سيما الفقرة الأخيرة. فإنّه لكثرة النساء المتكشفات، وكثر نظر الرجال إليهنّ إذا رأوا امرأة عفيفة تتستر أورجلاً عفيفا لا ينظر استغربوه.

«**ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً**» فيعكسون ويبدّلون أحكامه، يحلّلون حرامه، ويحرّمون حلاله، وينكرون معروفه، ويعرفون منكره، ويعطّلون حدوده، ويتعدّون حدوده بحيث لو كان النبيّ صلى الله عليه وآله حيّاً لبدأ بقتالهم قبل قتال الكفار. فثقيف قالوا: تجارتنا من الربا، ولم نقدر على تركه فنزل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢].

رؤياك تدل على آخر الزمان يا جابر

هذا، وعن بعض كتب المناقب القديمة: جاء جابر الأنصاري إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بأبي أنت وأمّي رأيت رؤيا هالتني. فقال عليه السلام: ما الّذي رأيت؟ فقال: رأيت كان ثيرانا سمانا تشرب من لبن عجاجيل هزال، ورأيت دوابّاً سماناً لكلّ دابّة رأسان تأكل بالرأسين، ولا تروث، ورأيت أحواضاً يابسة قد نبتت فيها أخشبة خضر، ورأيت المرضى يعودون الأصحاء، ورأيت ثوباً أبيض معلقاً من السماء الى الأرض، والناس يقطّعون منه قطعة قطعة، ورأيت طائرين في بيت مظلم يتكلّمان بكلام فصيح، ورأيت طاستين إحداهما ذهب، والأخرى رصاص، ورجل واقف بينهما يغرف من الرصاص، يفرغ في الذهب، فلا الرصاص ينقص منه، ولا الذهب يمتليء.

فقال عليه السلام: رؤياك هذه تدلّ على آخر الزمان أما الثيران السمان الّتي تشرب ألبان العجاجيل الهزال. فإنّها سلاطينهم يأخذون أموال الفقراء والمساكين ليستغنوا. فلا يستغنون أبداً، وأما الدوابّ الّتي لكلّ واحدة رأسان تأكل بهما ولا تروث فإنّها أغنياء آخر الزمان يجمعون المال من حلال وحرام، ولا يخرجون الزكاة، وأما الأحواض اليابسة

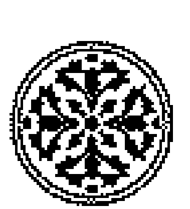
---

(١) الاستيعاب ٣: ١٥١، والمعارف ٢٥٧، وقاموس الرجال: ١١/ ٤٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.

فهم العلماء، وأمّا الأخشبة الخضر فهي علومهم الّتي لا يعملون بها، وأما المرضى الّذين يعودون الأصحّاء، فإنّهم فقراء آخر الزمان يذهبون إلى الأغنياء يسألونهم، فلا يعطونهم شيئاً، وذلك أكبر المرض، وأما الثوب المعلق من السماء إلى الأرض، فهودين الإسلام طاهر مطهر بيّن، فإذا كان آخر الزمان وقعت الأهواء والبدع بين الناس فترى مع كلّ واحد منهم شيئاً من الإسلام يستتر به، وأما الطائران اللّذان رأيتهما في بيت مظلم يتكلّمان بكلام فصيح أحدهما الوفاء، والآخر الأمانة. فإذا كان آخر الزمان قلّ الوفاء، وقلّت الأمانة حتّى لا تبين، ويكون مثل بيت مظلم فلا وفاء حينئذ ولا أمانة، وأمّا الطاستان. فالرصاص الدنيا، والذهب الآخرة، والرجل الواقف بينهما ملك الموت يحمل من الدنيا إلى الآخرة يقبض الأرواح. فلا الدنيا تفنى، ولا الآخرة تمتلىء إلى الوقت المعلوم، وهوالقيامة.

يا جابر قال النبيّ ﷺ: ليأتينّ على الناس زمان تقصر فيه المروة، وتدقّ فيه الأخلاق، وتستغني الرجال بالرجال، والنساء بالنساء. فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب[(١)].



(١) لم أجد موضع نقله.

يأتي زمان يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً

وقال عليه السلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ ولَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ ولَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ يَعُدُّونَ اَلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً والْعِبَادَةَ إسْتِطَالَةً عَلَى اَلنَّاسِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ وإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ وتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ». الحكمة (١٠٢)

زمان تسلط النساء والإماء وتأمير الصبيان

أقول: رواه (روضة الكافي عن عدّته)، عن سهل، عن موسى بن عمر الصيقل عن أبي شعيب المحاملي، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليأتينّ على الناس زمان يظرّف فيه الفاجر، ويقرّب فيه الماجن، ويضعف فيه المنصف» فقيل له: متى ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: «إذا تسلطنّ النساء، وسلّطن الإماء، وأُمّر الصبيان»[1].

وقال ابن أبي الحديد: هومن باب الإخبار بالغيوب، وإحدى آياته عليه السلام والمعجزات المختص بها دون الصحابة[2].

زمان الماحل مقرّب، والفاجر مظرّف، والمنصف مضعّف

«يأتي على الناس زمان لا يقرّب فيه إلّا الماحل» أي: الساعي إلى السلطان والماكر والكائد.

«ولا يظرّف فيه إلّا الفاجر، ولا يضعّف فيه إلّا المنصف» وكأنّه إخبار بزمن المتوكّل.

---

(١) الكافي ٨: ٦٩ ح ٢٥، والنقل بتقطيع، شرح أصول الكافي: ١١/ ٢٣ ح ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٥، البحار: ٤١/ ٣٣١ ح ٥١ مستدرك سفينة البحار: ٤/ ٣١١.

ففي (المعجم): حدّث الجهشياري عن وهب بن سليمان قال: كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع وكان رجلاً بليغا، ولم يكن له في الخراج تقدم، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدّما في الكتابة فقال للمتوكّل: قلّدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وهولا يحسن قليلاً ولا كثيراً وطعن عليه طعناً قبيحاً فقال المتوكل: في غد أجمع بينكما، واتّصل الخبر بإبراهيم. فأيقن بحلول المكروه، وعلم أنّه لا يفي بأحمد في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته، وحضر أحمد. فقال له المتوكّل: قد حضر إبراهيم، وحضرت، ومن أجلكم قعدت فهات اذكر ما كنت فيه أمس. فقال أحمد: أيّ شيء أذكر عنه. فإنّه لا يعرف أسماء عمّاله في النواحي، ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم، وحمل من حمل منهم ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي الّتي تقلّدها، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا، كذا ألفاً، واختلّت ناحية كذا في العمارة وأطال في هذه الأمور فالتفت المتوكّل إلى إبراهيم. فقال: ما سكوتك. فقال: جوابي في بيتي شعر قلتهما. فإن أذن الخليفة أنشدتهما. فقال: هات فأنشده: **[البحر الخفيف]**

ردّ قولي وصدّق الأقوالا وأطاع الوشاة وَالْعُذَّالَا
أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الْهِلَالَا

فقال المتوكل: زه زه. أحسنت. ائتوني بمن يعمل لحناً في هذا، وهاتوا ما نأكل، وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخلعوا على إبراهيم. فخلع عليه وانصرف إلى منزله، قال وهب: فمكث إبراهيم يومه مغموماً. فقلت له: هذا يوم سرور وجذل بما جدّد الله لك من الانتصار على خصمك. فقال يا بني! الحق أولى بمثلي وأشبه. إنّي لم أدفع أحمد بحجّة، ولا كذب في شيء ممّا ذكر، ولا أنا ممّن يعشره في الخراج، كما أنّه لا يعشرني في البلاغة، وإنّما فلجت برطانة ومخرقة أفلا أبكي فضلاً أن اغتم من زمان يدفع ذلك كلّه[1]؟

البحتري ينشد المتوكل

وفي (المروج): أنشد البحتري، المتوكّل قصيدته الّتي أوّلها: **[مجزوء البحر الكامل]**

عن أيّ ثغر تبتسم وبأيّ طرف تَحْتَكِمْ

فلمّا انتهى مشى القهقرى للانصراف. فوثب أبوالعنبس. فقال للمتوكّل:

---

(١) معجم الأدباء ١: ١٩٤، والنقل بتصرف يسير.

تأمر بردّه. فقد والله عارضته في قصيدته هذه. فأمر بردّه.

فأنشد أبو العنبس: [مجزوء البحر الكامل]

مــن أيّ ســلــح تــلــتــقــم وبــأيّ كــفّ تَــلْــتَــطِــمْ
أدخــلــت رأس الــبــحــتــري أبــي عــبــادة فــي الــرَّحِــمْ

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم. فضحك المتوكّل حتّى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى، وقال: يدفع إلى أبي العنبس عشرة آلاف درهم.

فقال الفتح يا سيّدي، البحتري الّذي هجي، واسمع المكروه ينصرف خائبا.

قال: ويدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم. قال: يا سيدي وهذا البصري الّذي أشخصناه من بلده وكان الفتح أشخص المبرد من البصرة لوقوع الاختلاف في تأويل آية لا يشركهم في ما حصّلوه. قال: ويدفع إليه عشرة آلاف درهم.

فانصرفوا كلّهم في شفاعة الهزل، ولم ينفع البحتري جده واجتهاده وحزمه.

كان حماري أعقل من القضاة

ثمّ قال المتوكّل لأبي العنبس: أخبرني عن حمارك ووفاته، وما كان شعره في الرؤيا الّتي أريتها. قال: نعم. كان حماري أعقل من القضاة، ولم يكن له جرية ولا زلّة. فاعتلّ على غفلة. فمات منها فرأيته في ما يرى النائم. فقلت له: يا حماري ألم أبرّد لك الماء، وأنقّ لك الشعير، وأحسن إليك جهدي. فلم متّ على غفلة وما خبرك؟ قال: نعم. لمّا كان في اليوم الّذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلّمه في كذا وكذا مرّت بي أتان حسناء. فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي فعشقتها، واشتدّ وجدي بها. فمتّ كمدا متأسفا. فقلت له: يا حماري فهل قلت في ذلك شعرا؟ قال: نعم، وأنشدني: [مجزوء البحر الرمل]

هــام قــلــبــي بــأتــان عــنــد بــاب الــصَّــيْــدَلانِــي
تــيّــمــتــنــي يــوم رحــنــا بــثــنــايــاهــا الْــحِــسَــانِ
وبــخــدّيــن أســيــلــي ن كــلــون الــشَّــنْــقَــرانِــي
فــبــهــا مــتّ ولــو عــشــ ت إذن طــال هَــوانِــي

فقلت: يا حماري ما الشنقراني؟ فقال: هذا من غريب الحمير، فطرب المتوكّل وأمر الملهين، والمغنّين أن يغنّوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح في ذلك اليوم فرحاً لم ير مثله فيه، وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته(١).

(١) مروج الذهب ٤: ١٠٩، والنقل بتصرف يسير.

لهو المتوكِّل

وفي (الأغاني): كان أبوالعبر العباسي من ولد عبد الصمد بن علي مستوياً إلى أن ولي المتوكّل الخلافة. فترك الجد، وعدل إلى الحمق، وقد نيّف على الخمسين، وكان المتوكّل يرمي به في المنجنيق إلى الماء، وعليه قميص حرير. فإذا علا في الهواء صاح الطريق الطريق. ثمّ يقع في الماء فيخرجه السبّاح وكان المتوكّل يجلسه على الزلاقة فينحدر فيها حتّى يقع في البركة. ثم يطرح الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك. ففي ذلك يقول: **[البحر المتقارب]**

ويــأمــر بــي الْــمَــلَــكْ فــيــطــرحــنــي فــي الــبُــرَكْ
ويــصــطــادنــي بِــالــشَّــبَــكْ كــأنّــي مــن الــسَّــمَــكْ[1]

وفيه: قال أبوالعميس الصيمري في دار المتوكّل لأبي العبر: ايش يحملك على هذا السخف؟ فقال: يا كشخان أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت، وأنت تركت العلم، وصنعت في الرقاعة نيّفا وثلاثين كتاباً لو نفق العقل أكنت تقدّم على البحتري، وقد قال في المتوكّل بالأمس: **[مجزوء البحر الكامل]**

عــن أي ثــغــر تَــبْــتَــسِــمْ وبــأيّ طــرف تَــحْــتَــكِــمْ

فلمّا خرجت أنت عليه وقلت: **[مجزوء البحر الكامل]**

فــي أيّ ســلــح تَــرْتَــطِــمْ وبــأيّ كــف تَــلْــتَــقِــمْ
أدخــلــت رأســك فــي الــرّحِــمْ وعــلــمــت أنــك تَــنْــهَــزِمْ

فاعطيت الجائزة وحرم، وقرّبت وابعد.

قال: وخرج أبوالعبر إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة في آجامهم. فسمعه بعض الكوفيّين يقول في عليّ عليه السلام قولاً قبيحاً. فقتله في بعض الآجام وغرقه فيها، وكان شديد البغض لعليّ عليه السلام وله في العلويّين هجاء قبيح[2].

المجون في قصر المتوكل

وفي (تاريخ الطبري): قال مروان بن أبي الجنوب: أنشدت المتوكّل شعراً ذكرت الرافضة فيه. فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليّ أربع خلع في دار العامة، وأمر

(١) الأغاني ٢٣: ١٩٧ و ٢٠١، والنقل بتصرف يسير.
(٢) الأغاني ٢٣: ١٩٨ و ٢٠٤، والنقل بتصرف يسير.

لي بثلاثة آلاف دينار، فنثرت على رأسي وأمر ابنه المنتصر وسعد الايتاخي يلقطانها لي، ولا أمسّ منها شيئاً فجمعاها لي(١).

وقلنا: كأنّه إخبار بزمن المتوكّل حيث كان له خصوصية في هذا كما عرفت من سيرته حتّى أنّه صنّف له الكتب في المجون. وقال في (المروج): «لم يكن أحد ممّن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك، والهزل مما قد استفاض من الناس تركه إلّا المتوكّل. فإنّه السابق إلى ذلك، والمحدث له، وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتّبعه فيها الأغلب من خواصه، وأكثر رعيته. فلم يكن في وزرائه، والمتقدّمين من كتّابه وقوّاده من يوصف بجود ولا إفضال، أو يتعالى عن مجون وطرب»(٢). وإلّا فكان ما قاله عليه السلام في أزمنة بعده عليه السلام أيام باقي العباسيّين، وأيام بني أُميّة له عمومية.

لا أستحل هجاء آل أبي طالب

وفي (الأغاني): عاتب أبان اللاحقي البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه. فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: اريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة. فقالوا: إنّ لذلك مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم، به يحظى، وعليه يعطى. فاسلكه حتّى نفعل. قال: لا أستحلّ ذلك. قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلّا بما لا يحلّ؟ فقال أبان: **[البحر الطويل]**

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... أُعمّ بما قد قلته العجم وَالْعَرَبْ
أعمّ رسول الله أقرب زلفة ... لديه أم ابن العم في رتبة النَّسَبْ؟

وهي طويلة. فقال الفضل: ما يرد على الرشيد اليوم شيء أعجب من أبياتك فركب فأنشدها الرشيد. فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ثمّ اتّصل به، وخصّ به(٣). وفي الامويّين كان الوليد بن يزيد أشبههم بالمتوكّل.

مجون الوليد بن يزيد

ففي (تاريخ الطبري): لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيّار بخراسان يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير، وأباريق ذهب وفضّة، وأن يجمع له كلّ صنّاجة بخراسان يقدر عليها.

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٧ سنة ٢٤٧، والنقل بتصرف يسير.
(٢) مروج الذهب ٤: ٤.
(٣) تاريخ الطبري ٥٥: ٥٣٣، سنة ١٢٥، والنقل بتلخيص.

وفي (الأغاني): كان حمّاد الراوية، ومطيع بن أياس، وعمّار ذي كناز يتنادمون وكلّهم كان متّهماً بالزندقة. قال حمّاد: استقدمني الوليد فجعلت أنشده. فلا يهشّ حتّى جرى ذكر عمّار ذي كناز. فعرفه وسأل عنه وما ظننت أنّ شعر عمار شيء يراد أويعبأ به فقال: هل عندك شيء من شعره؟ فقلت: نعم أحفظ قصيدة له فأنشدته: [مجزوء البحر الخفيف]

حـبـذا أنـت يـا سـلا ... مـة الـعـيـن حـبّـذَا
اشـتـهـي مـنـك مـنـك ... مـنـك مـكـانـاً مُـجَـنْـبَـذَا
مـفـعـمـاً فـي قـبـالـه ... بـيـن ركـنـيـن رُبَّـذا
مـدغـمـا ذا مـنـاكـب ... حـسـن الـقـد مُـحْـتَـذَى
رابـيـاً ذا مـجـسّـة ... أخـنـسـا قـد تَـقَـنْـفَـذَا
لـم تـر الـعـيـن مـثـلـه ... فـي مـنـام ولا كَـذَا
تـامـكـاً كـالـسـنـا ... م إذ بـذّ عـنـه مـقـذّذَا
مـلء كـفّـي ضـجـيـعـهـا ... نـال مـنـهـا تَـفَـخُّـذَا
لـوتـأمـلـتـه دهـشـت ... وعـايـنـت جَـهْـبَـذَا
طـيـب الـعـرف والـمـجـ ... سّـة ذا الـلـمـس هَـرْبَـذَا
فـأجـا فـيـه فـيـه ... بـأيـر كـمـثـل ذَا
لـيـت أيـري ولـيـت حـر ... ك جـمـيـعـاً تَـأُخُـذَا
فـآخـذ ذا بـشـعـر ذَا ... وأخـذ ذا بـقـعـر ذَا

فضحك الوليد حتّى سقط على قفاه، وصفق بيديه ورجليه، وأمر بالشراب فأحضر، وأكرّر الأبيات، وهويشرب ويصفق، وأمر لي بحلّتين، وثلاثين ألف درهم. ثمّ قال: ما فعل عمّار؟ قلت: حيّ كميّت قد غشي بصره، وضعف جسمه لا حراك به، فأمر له بعشرة آلاف درهم. فقلت له: ألا أخبر الخليفة بشيء يفعله لا ضرر عليه، وهوأحبّ إلى عمّار من الدنيا بحذافيرها.

قال: وما ذاك؟ قلت: إنّه لا يزال ينصرف من الحانات، وهوسكران فيرفعه الشرط. فيضرب الحد، فقد قطّع بالسياط، ولا يدع الشراب. فكتب إلى عامله بالعراق ألّا يرفع إليه أحد من الحرس عماراً في سكر ولا غيره إلّا ضرب الرافع له حدّين، وأطلق عماراً(١).

«يعدّون الصدقة فيه غرماً» ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً(٢).

---

(١) يوجد قريب منه في الأغاني ٧: ٥٦. (٢) سورة التوبة، الآية: ٩٨.

«**وصلة الرحم منّا، والعبادة استطالة على الناس**» حيث إنّه ليس صلتهم وعبادتهم كصدقتهم لله تعالى بل للرّياء والسمعة.

«**فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء**» هكذا في (المصرية) والصواب: بمشورة الإماء كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

إمارة الصبيان

«**وإمارة الصبيان، وتدبير الخصيان**» بالكسر جمع الخصيّ أي: من سلّ خصيتاه، والكلام إشارة إلى خلافة المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكّل بايعوه، وله ثلاث عشرة سنة.

ولقد كان الصادق عليه السلام أخبر عبد الله بن الحسن لمّا كان يدّعي الأمر لابنه محمّد بأنّ الأمر للسفاح ثمّ لأخيه المنصور ثمّ لبنيه حتّى يناله صبيانهم ويشاور فيه نساؤهم، ولذا كان المنصور لمّا خرج محمّد وإبراهيم عليه، وخاف من غلبتهما يقول: أين ما وعدنا جعفر؟[2].

ففي (مقاتل أبي الفرج) عن أبي الحجّاج الجمّال قال: إنّي لقائم على رأس المنصور، وهويسألني عن مخرج محمّد إذ بلغه أنّ عيسى بن موسى (وكان من قبله يقاتل محمّداً) هزم وكان متكئا فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه، وقال: كلّا. فأين لعب صبياننا بها على المنابر، ومشاورة النساء[3].

وفيه: عن حفص بن حكيم قال: إنّ المنصور وجل من أمر إبراهيم حتّى جعل يقول: ويلك يا ربيع فكيف، ولم ينلها أبناؤنا. فأين إمارة الصبيان[4]؟

وقال الجزري بعد ذكر قتل المقتدر، ورفع رأسه على خشبة، وترك جنازته مكشوف العورة: إنّ المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكّم فيها النساء والخدم[5].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٥، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٩١ مثل المصرية أيضاً.
(٢) رواه أبو الفرج في المقاتل: ١٧٢.
(٣) مقاتل الطالبيين: ١٨٤ - ١٨٥، تاريخ الطبري: ٦/ ٢٢٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٩٦.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٢٣١، معالم المدرستين: ٢/ ٣٢٧، وأعيان الشيعة: ٢/ ١٧٩.
(٥) الكامل ٨: ٢٤٣، سنة ٣٢٠، الكليني والكافي ٢٥٢.

حين يصبح الرأي والهوى مكان القرآن والهدى يظهر إمام الورى

ومن خطبة له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم:

«يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ منها: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا حُلْواً رَضَاعُهَا عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا أَلَا وَفِي غَدٍ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ». الخطبة (١٣٦)

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم» هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١] والملاحم: جمع الملحمة، الوقعة العظيمة في الفتنة.

قوله عليه السلام «يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى» قال ابن أبي الحديد: أشار عليه السلام إلى إمام يخلقه الله في آخر الزمان[٢]... قلت: بل يظهره الله في آخر الزمان، وكون ذاك الإمام العاشر من ولده عليه السلام والثاني عشر من الأئمّة الإثني عشر من ضروريات مذهب الإماميّة، كيف لا وقد تواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام عند الخاصة والعامة أنّه قال لكميل في كلام طويل «**اللّهمّ بلى لا تخلوالأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته**»[٣] «وهو لا ينطبق إلّا على

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٨ مثل المصرية.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦.
(٣) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٣٧، ضمن الحكمة ١٤٧، الخصال: ١٨٧ ح ٢٥٧، كمال الدين وتمام النعمة: ١٣٩ ح ٧.

مذهبنا، وقد اعترف به ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السلام ذاك كما مرّ في الإمامة العامة[١].

قائم أهل البيت «عج» يقسّم بالسويّة ويعدل في الرعيّة

وروى النعماني عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسويّة، وعدل في الرعية. فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وإنّما سمّي المهدي مهديا لأنّه يهدي إلى أمر خفي يستخرج التوراة، وسائر كتب الله تعالى من غار، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن[٢].

«ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي» روى النعماني مسنداً عن حبّة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كأنّي أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلّمون الناس القرآن كما أنزل. أما إنّ قائمنا إذا قام كسره وسوّى قبلته.

وعن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كأنّي بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلّمون الناس القرآن كما أنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أوليس هوهذا كما أنزل؟ فقال: لا. محي منه من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبولهب إلّا ازراء على رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه عمّه[٣].

أصحاب الرأي لبني أمية وبني العباس

هذا، وعنون (معارف ابن قتيبة) أصحاب الرأي، وعدّ فيهم ابن أبي ليلى القاضي. قال: ولي القضاء لبني أُميّة، وبني العباس، وكان فقيها مفتيا بالرأي وعدّ فيهم الأوزاعي، وسفيان الثوري.

قال: وأوصى إلى عمارة بن يوسف في كتبه فمحاها وأحرقها، وزفر صاحب الرأي وربيعة الرأي وعدّ مالك بن أنس قال: وحمل بمالك ثلاث سنين وعدّ أبا حنيفة وقال: قيل فيه: **[البحر الوافر]**

إذا ذو الرأي خاصم عن قياس وجاء ببدعة هنة سَخِيْفَهْ

---

(١) مرّ في العنوان ١ من الفصل السابع.

(٢) غيبة النعماني: ١٥٧، خصائص الأئمة: ٥٥ والبحار: ٥٢/ ٣٥١ ح ١٠٣.

(٣) غيبة النعماني: ٢١٧، ٢١٨ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ٢/ ٢٤٧.

أتيناهم بقول الله فيها وآثار مبرّزة شريفة
فكم من فرج محصنة عفيف أحلّ حرامه بأبي حنيفة

وعدّ فيهم أبا يوسف القاضي.

قال: كان صاحب حديث ثمّ لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي، وعدّ فيهم محمّد بن الحسن الشيباني. قال: جالس أبا حنيفة وسمع منه، ونظر في الرأي. فغلب عليه، وعرف به[1]. وفي (القاموس):

«**ربيعة الرأي شيخ مالك، وهلال الرأي من أعيان الحنفية**»[2].

ما معنى: قامت الحرب على ساق

«(منها) **حتى تقوم الحرب بكم على ساق**» أي: تقيمكم الحرب على ساق والقيام على ساق كناية عن الجد. كما أنّ الكشف عن الساق كناية عن الشدّة.

«**بادياً**» وفي نسخة من (ابن أبي الحديد) «بادية» وهوالأصحّ. فبعده «مملوة»[3].

ظهور النواجذ هو المبالغة في الضحك

«**نواجذها**» جمع الناجذ. قال الجوهري «للإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء، ويسمّى ضرس الحلم لأنّه ينبت بعد البلوغ، وكمال العقل يقال: ضحك حتّى بدت نواجذه»[4].

وفي (النهاية): في حديث عليّ عليه السلام: «إنّ الملكين قاعدان على ناجذي العبد يكتبان» يعني سنّيه الضاحكين بين الناس والأضراس[5].

وفي (الأساس): أبدى ناجذه إذا بالغ في ضحكه أوغضبه، ومن المجاز أبدلت الحرب ناجذيها. قال بشر: **[البحر الوافر]**

إذا ما الحرب أبدت ناجذيها غداة الروع والتقت الجُمُوْعُ[6]

---

(١) المعارف: ٤٠٩، ٥٠٠، والنقل بتلخيص.
(٢) القاموس المحيط ٤: ٣٣٢، مادة (رأي).
(٣) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦ «بادياً».
(٤) صحاح اللغة ٢: ٥٧١، مادة (نجذ).
(٥) النهاية ٥: ٢٠، مادة (نجذ)، لسان العرب: ٣/ ٥١٣.
(٦) أساس البلاغة: ٤٤٧، مادة (نجذ).

وفي (الجمهرة): النواجذ أقاصي الأضراس، وهي أربعة تنبت بعد أن يشب الإنسان، وتسمّيها العامة أضراس العقل، وكذلك تسمّيها الفرس «خرد دندان» وقال قوم: بل النواجذ الضواحك، واحتجّوا بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله «ضحك حتّى بدت نواجذه» وتلك النواجذ لا يبديها الضحك[١]. . . ، والمفهوم منه خلط الجوهري، كما أنّ الظاهر وهم الزمخشري في كون «أبدى ناجذيه» للمبالغة في الغضب والشعر أعم كقوله عليه السلام بل هوظاهر في الأوّل بقرينة بعده.

ليلى الأخيلية وعبد الملك

هذا، وفي (الشعراء): دخلت ليلى الأخيلية وقد أسنّت على عبد الملك فقال لها: ما رأى توبة فيك حين عشقك. قالت: ما رأى الناس فيك حين جعلوك خليفة، فضحك حتّى بدت له سنّ سوداء كان يخفيها[٢].

«**مملوءة أخلافها**» جمع الخلف بالكسر، وهوالضرع.

«**حلوا رضاعها**» كحلولبن الأمهات عند الأطفال.

«**علقما**» أي: مرّا والأصل في العلقم: شجر مرّ، فقيل لكلّ مرّ.

لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد واختلاف بين الناس

«**عاقبتها**» روى النعماني عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريا بن شيبان، عن يوسف بن كليب، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن عاصم بن حميد الحنّاط عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في خبر: لا يقوم القائم عليه السلام إلّا على خوف شديد، وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتّت في دينهم، وتغيّر من حالهم حتّى يتمنّى المتمنّي الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا، وخروجه إذا خرج عند الإياس، والقنوط، فيا طوبى لمن أدركه، وكان من أنصاره - إلى أن قال: يقوم بأمر جديد، وسنّة جديدة، وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلّا القتل[٣].

الحرب في تعريف عمرو بن معد يكرب

هذا، وفي (شعراء ابن قتيبة): سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ٧٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) لم أجده في الشعر والشعراء.

(٣) غيبة النعماني ١٥٤.

الحرب. فقال: مرّة المذاق إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف فيها تلف، وهي كما قال الشاعر: **[البحر الكامل]**

الـحـرب أوّل مـا تـكـون فـتـيّـة تـسـعـى بـزيـنـتـهـا لـكـلّ جَـهُـولِ
حتّى إذا استعرت وشبّ ضرامها عـادت عـجـوزا غـيـر ذات حَـلِـيْـلِ
شـمـطـاء جـزّت رأسـهـا وتـنـكّـرت مـكـروهـة لـلـشـم وَالـتَّـقْـبِـيْـلِ[1]

«**ألا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون**» صدّر الخبر الّذي أراد عليه السلام بيانه بكلمة «**ألا**» وعرّضه بجملة «**وسيأتي...**» دلالة على عظمه وأهميته.

«**يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها**» قال ابن أبي الحديد:

هذا كلام منقطع عمّا قبله، وقد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمرة فذكر عليه السلام أنّ الوالي يعني الإمام الذي يخلقه الله في آخر الزمان يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم[2].

قلت: لم يعلم انقطاعه، ولوأراد الرضي عليه السلام قطع الكلام لقال: «منها» كما قال هنا «منها: **حتّى تقوم الحرب...**» وكما قال بعد «**منها**»: «كأنّي به قد نعق بالشام...» لكن الظاهر كون الكلام مصحّفا وأنّ الأصل: «يأخذ الوالي غير عمّالها على مساوئ أعمالها».

إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها

فروى (العلل والعيون): أنّ أبا الصلت الهروي قال للرضا عليه السلام: ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنّ القائم عليه السلام إذا خرج قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام: هوكذلك. قال: فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3] ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولوأنّ رجلاً قتل في المشرق. فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله تعالى شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم. قال: بأيّ شيء يبدأ القائم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة و. يقطع أيديهم لأنّهم سرّاق بيت الله تعالى[4].

---

(١) الشعر والشعراء: ١٣٨.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٨، والبحار ٣١/ ٥٥١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٨.
(٤) علل الشرائع ١: ٢٩٩ ح ١، وعيون الأخبار ١: ٢١٢ ح ٥.

«**وتخرج له الأرض من أفاليذ**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أفاليذ) بدون «من» كما في الثلاثة[١]، وهي جمع فلذة أي: قطعة.

«**كبدها**» وفي الخبر «إنّ من أشراط الساعة أن ترمي الأرض بأفلاذ كبدها»[٢].

كرامته عليه السلام عند الله وعدله

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «وتخرج له الأرض من أفاليذ كبدها» كناية عن الكنوز الّتي تظهر للقائم عليه السلام بالأمر وقد جاء ذكر ذلك في خبر مرفوع، ولفظه: «وقاءت له الأرض أفلاذ كبدها» وقد فسّر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٣] بذلك في بعض التفاسير[٤].

قلت: وفي خبر عن الباقر عليه السلام يجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها. فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله تعالى فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجورا وشرّا[٥].

هذا، وفي (تاريخ الطبري): أنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أصابوا راوية لقريش فأتوا بهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في بدر. فقال صلى الله عليه وآله: لهم: من فيهم من أشراف قريش؟ قالوا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأبوالبختري بن هشام وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي والنضر بن حارث، وزمعة بن الأسود، وأُميّة بن خلف، ونبيه، ومنبه ابنا الحجّاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله على الناس. فقال: هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[٦].

«**وتلقي إليه سلماً مقاليدها**» أي: مفاتيحها، ومثله الأقلاد جمع الإقليد قال الشاعر:

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ١٦٩ مثل المصرية.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده وابن أبي شيبة في مسنده وابن حبّان في صحيحه، عنهم المطالب العالية وذيله ٤: ٣٥٣ ح ٤٥٨٣، وغيرهم والنقل بالمعنى.

(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٨.

(٥) أخرجه النعماني في الغيبة: ١٥٧، علل الشرائع للصدوق: ١/ ١٦١ ح ٣ بتفاوت.

(٦) تاريخ الطبري ٢: ١٤٢، سنة ٢، والنقل بتلخيص، شرح ابن أبي الحديد: ١٤/ ١١٦ والكامل: ٢/ ١٢٠ والبداية والنهاية: ٣/ ٣٢٤.

[البحر الطويل]

وأعطته بالأقلاد كلّ قبيلة ومدّت إليه بالركاب الْجَحَاجِحِ(١)

وفي (تفسير غريب القرآن للسجستاني): مقاليد: جمع مقليد، ومقلاد ومقلد ويقال: هوجمع لا واحد له من لفظه، وهي الإقليد أيضاً الواحد أقليد.

وفي الجمهرة: الإقليد المفتاح فارسي معرّب، والأقاليد والمقاليد المفاتيح، ولم يتكلّم فيها الأصمعي، وقال غيره: واحد المقاليد مقلد، ومقليد، وواحد الأقاليد إقليد(٢).

في خبر عليّ بن عقبة عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، وارتفع في أيّامه الجور، وآمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾(٣) وحكم بين الناس بحكم داود، وحكم محمد ﷺ فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته(٤). . . .

خروج القائم عليه السلام من مكة

وروى (الإكمال): عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحملنّ أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران عليه السلام وهووقر بعير. فلا ينزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعا شبع، ومن كان ظمآناً روي ورويت دوابهم حتّى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة(٥).

يصنع كما صنع النبي ﷺ

«**فيريكم كيف عدل السيرة**» روى النعماني عن عبد الله بن عطا قال: سألت شيخاً من الفقهاء يعني أبا عبد اللّه عليه السلام عن سيرة المهدي عليه السلام فقال: يصنع كما صنع النبيّ ﷺ يهدم ما كان قبله كما هدم النبيّ ﷺ أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً(٦).

(١) أورده أساس البلاغة: ٣٧٥، مادة (قلد).
(٢) جمهرة اللغة: ٢/ ٣٩٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٤) رواه المفيد في الإرشاد: ٣٦٤.
(٥) كمال الدين ٢: ٦٧٠ ح ١٧.
(٦) غيبة النعماني: ١٥٢.

يدعو الناس إلى نفسه ويسير فيهم بسنة النبي صلى الله عليه وآله

وفي (الإرشاد): وأمّا سيرة القائم عليه السلام عند قيامه. فروى المفضّل عن الصادق عليه السلام إذا أذن الله تعالى للقائم عليه السلام في الخروج صعد المنبر. فدعا الناس إلى نفسه، وناشدهم باللّه، ودعاهم إلى حقّه، وأن يسير فيهم بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله. فيبعث الله تعالى جبرئيل حتّى يأتيه. فينزل على الحطيم يقول: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام فيقول جبرئيل: أنا أوّل من يبايعك ابسط يدك. فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثماءة، وبضعة عشر رجلاً. فيبايعونه ويقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف نفس. ثمّ يسير منها إلى المدينة.

يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه

وروى أبوبصير عنه عليه السلام قال: إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الّذي كان فيه.

وروى عليّ بن عقبة عن أبيه عنه عليه السلام قال: إنّ دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)].

يهدم في الكوفة أربعة مساجد ويهدم الشُّرف

«**ويحيي ميّت الكتاب والسنّة**» روى النعماني عن أبي جعفر عليه السلام قال:

كأنّني بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلّا رجل منّا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه، حتّى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنّة رسول الله[(٢)].

وروى محمّد بن النعمان عنه عليه السلام قال: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلّا هدمها، وجعلها جماء، ووسّع الطريق الأعظم، وكسر كلّ جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنيف والميازيب إلى الطرقات، ولا يترك بدعة إلّا أزالها، ولا سنّة إلّا أقامها.

---

(١) الإرشاد: ٣٦٣ - ٣٦٥، والنقل بتقطيع. والآيتان: ١٢٨ من سورة الأعراف و٨٣ من سورة القصص وروضة الواعظين: ٢٦٥.

(٢) غيبة النعماني ١٥٨ والبحار: ٥٢/ ٣٥٢ ح ١٠٦، مكيال المكارم: ١/ ٩٨٠.

وعنه عليه السلام إذا قام القائم عليه السلام ضرب فساطيط، ويعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنّه يخالف فيه التأليف[١].

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمهدي عليه السلام

وممّا أخبر عليه السلام بالمهدي عليه السلام ما رواه النعماني عن الأصبغ قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم فوجدته مفكّراً ينكت في الأرض. فقلت: يا أمير المؤمنين أرغبة منك فيها؟ فقال لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا ساعة قط، ولكن فكري في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هوالمهدي الّذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون. فقلت: يا أمير المؤمنين فكم تكون تلك الحيرة والغيبة؟ فقال: سبت من الدهر. فقلت: إن هذا لكائن؟ فقال: نعم. كما أنّه مخلوق.

قلت: أدرك ذلك الزمان؟ قال: قال: أنّى لك يا أصبغ بهذا الأمر. أولئك خيار هذه الأمة مع أبرار هذه العترة. قلت: نعم ما يكون بعد ذلك؟ قال: ثمّ يفعل الله ما يشاء فإنّ له إرادات، وغايات، ونهايات[٢].

وروى أيضاً: أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نبئنا بمهديكم هذا. فقال: «إذا درج الدارجون، وقلّ المؤمنون، وذهب المجليون، فهناك» فقال: يا أمير المؤمنين ممّن الرجل؟ قال: من بني هاشم من ذروة طود العرب، وبحر مفيضها إذا وردت ومجفوأهلها إذا أتت، ومعدن صفوتها إذا تكدّرت. لا يجبن إذا المنايا هلعت، ولا يجوز إذا المنون اكتنفت، ولا ينكل إذا الكماة اصطرعت. مشمر مغلولب ظفر ضرغامة. حصد مخدش ذكر، سيف من سيوف الله، رأس قتم، بسق رأسه في باذخ السؤدد، وغارز مجده في أكرم المحتد. فلا يصرفنّك عن تبعته صارف عارض، ينوص إلى الفتنة كلّ مناص، إن قال فشرّ قائل، وإن سكت فذو دعائر.

ثمّ رجع إلى صفة المهدي عليه السلام فقال: أوسعكم كهفاً وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً. اللّهم فاجعل بعثه خروجا من الغمّة، واجمع به شمل الأمّة فإن خار الله لك فاعزم - إلى أن قال -:

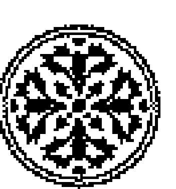
---

(١) الإرشاد: ٣٦٥.

(٢) غيبة النعماني: ٤١ وأيضاً الكافي ١: ٣٣٨ ح ٧، الإمامة والتبصرة: ١٢١ ح ١١٥، وكمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٩ ح ١، البحار: ٥١/١١٨.

هاه - وأومأ إلى صدره - شوقاً إلى رؤيته[١].

وروى ابن بابويه مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام أنّ عمر قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا بن أبي طالب أخبرني عن المهدي ما اسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا. إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ لا أحدّث باسمه حتّى يبعثه الله تعالى، وهوممّا استودع الله تعالى رسوله في علمه[٢].



(١) غيبة النعماني: ١٤٣.

(٢) أخرجه الصدوق في كمال الدين ٢: ٦٤٨ ح ٣، الإمامة والتبصرة: ١١٧ ح ١١١ والبحار: ٥١/ ٣٣ ح ١٣.

ذكر شيءٍ مِنْ اخْتِيَارِ غَرِيْبِ كَلامِهِ عليه السلام المُحْتَاجِ إِلَى التَّفْسِيْرِ

«فِي حَدِيْثِه عليه السلام : فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ».

هو يعسوب الدين

(اليعسوب: السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذ والقزع: قطع الغيم التي لا ماء فيها).

قول المصنّف: (فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير) ذكر في فصله تسعة عناوين، وفسّرها، ونقل ابن أبي الحديد عن أبي عبيد، وعن ابن قتيبة مقداراً من كلامه عليه السلام الغريب بالمناسبة من شاء راجعه[١].

هذا، وما نقلنا من كلام المصنّف على ما في (المصرية) وصدّقه ابن ميثم ولكن في (ابن أبي الحديد) بدله «ومن كلامه عليه السلام المتضمن ألفاظاً من الغريب يحتاج إلى تفسير»[٢]. ولعلّه نقله بالمعنى.

«**فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين**» قال في (الجمهرة): في باب ما جاء على يفعول «**يعسوب**» دويبة شبيهة بالجرادة لا تضمّ جناحيها إذا سقطت، ويعسوب النحل: الذكر العظيم منها الّذي تتبعه، وكثر ذلك حتّى سمّوا كل رئيس يعسوبا[٣].

«**بذنبه**» واحد الأذناب، والمراد بذلك وقت ظهور القائم عليه السلام شبهه عليه السلام بملك النحل يضرب ذنبه في موضع فيجتمع عليه النحل.

«**فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف**» قال في (النهاية): «**وما في السماء قزعة**»

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٦٥.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.
(٣) جمهرة اللغة ٣: ٣٨٤.

أي: قطعة من الغيم، ومنه حديث عليّ عليه السلام فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف[(١)].

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان: الخبر من أخبار ملاحمه التي كان يخبر بها عليه السلام وهويذكر فيه المهدي عليه السلام» [(٢)] قلت: وروى النعماني مسنداً عن الأحنف بن قيس قال: دخلت على عليّ عليه السلام في حاجة لي. فجاء ابن الكوّا. وشبث بن ربعي فاستأذنّا عليه. فقال لي عليّ عليه السلام: إن شئت فائذن لهما فإنّك أنت بدأت بالحاجة.

قلت: يا أمير المؤمنين فاذن لهما. فلمّا دخلا قال لهما عليّ عليه السلام: ما حملكما على أن خرجتما عليّ بحروراء؟ قالا: أحببنا أن نأمن منْ الغضب. قال:

ويحكما وهل في ولايتي غضب؟ أويكون الغضب حتّى يكون من البلاء كذا وكذا ثم يجتمعون قزعاً كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة.

صحابة الإمام المهدي «عج»

وعن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أذن للامام عليه السلام دعا الله باسمه العبراني. فأُتيحت له صحابته الثلاثماءَة والثلاثة عشر قزع كقزع الخريف. فهم أصحاب الألوية منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكّة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه، واسم أبيه، وحليته ونسبه. قلت: جعلت فداك أيّهم أعظم إيماناً؟ قال: الّذي يسير في السحاب نهاراً، وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[(٣)].

وفي (فتن نعيم بن حماد) من العامة عن أبي جعفر عليه السلام قال: يظهر المهدي بمكّة عند العشاء، ومعه راية النبيّ صلى الله عليه وآله وقميصه، وسيفه. فيظهر في ثلاثماءَة، وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف، رهبان بالليل أسد بالنهار[(٤)]. . . .

هذا، وممّا ورد عنه عليه السلام من الغريب في ذكر القائم عليه السلام أيضاً ما رواه النعماني مسنداً عن الأصبغ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّ بين يدي القائم عليه السلام سنين خدّاعة

---

(١) النهاية ٤: ٥٩، مادة (قزع). (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.

(٣) غيبة النعماني: ٢١٢، ٢١٣. والآية ١٤٨ من سورة البقرة.

(٤) شرح إحقاق الحق: ١٣/ ٣٤١، رواه عن فتن نعيم بن حماد بن طاوس في الملاحم: ٦٤، والسيوطي في العرف الوردي: ١٤٤، والنقل بتقطيع.

يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويقرّب فيها الماحل وفي حديث وينطق فيها الرويبضة، قلت: وما الرويبضة، وما الماحل؟ قال: أوما تقرأون القرآن ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[1] يريد المكر[2]. . . ، وفيه سقط.

وفي النهاية في حديث أشراط الساعة وأن ينطق الرويبضة في أمر العامة، قيل وما الرويبضة يا رسول الله ﷺ فقال: الرجل التافه ينطق في أمر العامة[3].

وما رواه أبوعبيد في (غريبه): أنّ الأشعث قال له عليه السلام وهو على المنبر غلبتنا عليك هذه الحمراء. فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة - إلى أن قال -:

والله ليضربنّكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بدءاً[4].

قول المصنّف: «اليعسوب السيّد العظيم المالك لأمور الناس» ما قاله بيان للمراد من يعسوب الدين، وإلّا فقد عرفت أنّ الأصل في اليعسوب ملك النحل.

«يومئذ» إشارة إلى المشار إليه في قوله عليه السلام «فإذا كان ذلك».

«**والقزع: قطع الغيم الّتي لا ماء فيها**» قال ابن أبي الحديد: لا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء بل القزع قطع من السحاب رقيقه سواء كان فيها ماء أوَ لم يكن الواحدة قزعه بالفتح، وإنّما غرّه قول الشاعر يصف جيشا بالقلّة والخفة «كان دعالة قزع الهجام» وليس يدلّ ذلك على ما ذكره لأنّ الشاعر أراد المبالغة. فإنّ الجهام الّذي لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرّقة خفيفة كان ذكره أبلغ في ما يريده من التشبيه[5].

قلت: لم يحتج إلى هذا التطويل، وكان يكفيه أن يقول: إنّ الشاعر أضاف القزع إلى الجهام «أي: **سحاب لا ماء فيه**» فلم أضفت معنى المضاف إليه على معنى المضاف.

ثمّ كما لا يشترط في القزع أن تكون قطعاً من السحاب بلا ماء كما قال المصنّف لا يشترط فيها أن تكون قطعاً رقيقة كما قال ابن أبي الحديد، وإنّما غرّه قول الجوهري، وهو وهم من الجوهري. فلم يقل ذلك غيره بل أطلقوا، الأزهري وابن دريد، والفيومي، والفيروز آبادي، والزمخشري، والجزري.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.
(٢) غيبة النعماني: ١٨٦.
(٣) أسد الغابة ٢: ١٥٨، مادة (ربض).
(٤) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٣: ٤٨٤، والثقفي في الغارات ٢: ٤٩٨، والمبرد في الكامل ٤: ١٩٦ ميزان الحكمة: ١/ ٣٥٥.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.

ففي (الجمهرة): «القزع قطع الغيم المتفرقة في السماء» وفي (المصباح): «**القزع: القطع من السحاب المتفرقة الواحدة قزعة مثل قصب وقصبة**». قال الأزهري: «كلّ شيء يكون قطعا متفرّقة فهوقزع» وفي (القاموس): «والقزع محركة قطع من السحاب الواحدة بهاء» ومثله في (النهاية)[1].

هذا، وفي (القاموس): في المثل «كما تجمع قزع الخريف» لا في الحديث كما توهم الجوهري[2].

قلت: بل الوهم منه، فقد ورد في الحديث وهوالعنوان وقد ورد من طريقهم وبه صرح في (النهاية) الّذي هذا فنه وموضوع كتابه وقد عرفت نصّه وقد عرفت أنّ نعيم بن حمّاد من رجالهم أيضاً رواه في (فتنه) فضلاً عن رواية النعماني منّا ذلك في خبرين بل ورد الكلام عنه عليه السلام بهذا اللفظ في شيعة بني العباس حين يجتمعون لاستئصال بني أُميّة أيضاً كما عرفته في العنوان (٢٤) من الفصل[3].

المتوكل يستفسر عن غريب اللغة

هذا، وفي (المعجم): كان المتوكّل يروي صدراً من الأخبار والأنساب، ويمتحن من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة فقال للمبرد، وبندار بن لرة الاصبهاني: ما معنى هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر وهو «**ركبت الدجوجي، وأمامي قبيلة. فنزلت ثمّ شربت الصباح. فمررت، وليس أمامي الإنجيم فركضت أمامي النحوص والمسحل والعمرد. فقنصت ثمّ عطفت ورائي إلى قلّوب. فلم أزل به حتّى أذقته الحمام. ثمّ رجعت ورائي، فلم أزل أمارس الأغضف في قتله. فحمل عليّ، وحملت عليه حتّى خرّ صريعاً**».

فلم يعلما معناها فاستمهلاه، وراجع المبرد دفاتره حتّى وجده في أخبار الأعراب فباكر إليه. فرواه وفسّره له وقال: «الدجوجي» الناقة السوداء، و «القبيلة» صخرة على بئر و «النحوص» الأتان الوحشية الحائل، و «المسحل» امام الحمر الوحشية كاليعسوب في النحل، و «العمرّد» الأسد و«القلّوب» الذئب و «الأغضف» الأسد المتثني أوالذي استرخت أجفافه العليا غضباً وكبراً[4].

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١٢٦٥، مادة (قزع)، وتهذيب اللغة ١: ١٨٤، وجمهرة اللغة ٣: ٦، والمصباح ٢: ١٨٤، والقاموس ٣: ٦٨، والأساس: ٣٦٥، والنهاية ٤: ٥٩.

(٢) لفظ القاموس ٣: ٦٨، مادة (قزع) وفي كلام علي عليه السلام: كما يجتمع قزع الخريف لا في الحديث كما توهم الجوهري.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٣٥، الخطبة ١٤٨.

(٤) معجم الأدباء ٧: ١٣٠.



لا تستعجلوا الخروج فإنه كائن مُرصد

ومِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم:

«وأَخَذُوا يَمِيناً وشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ وتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوكَائِنٌ مُرْصَدٌ ولَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ومَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُود ودُنُومِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَلَا ومَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ويَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً ويُعْتِقَ رِقّاً ويَصْدَعَ شَعْباً ويَشْعَبَ صَدْعاً فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ ولَوتَابَعَ نَظَرَهُ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ ويُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ويُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

منها: وطَالَ الأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ويَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ حَتَّى إِذَا اِخْلَوْلَقَ الأَجَلُ واِسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ واِشْتَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ اِنْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ ودَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ». الخطبة (١٤٨)

ذكر الملاحم

قول المصنّف: «في الملاحم» هكذا في (المصرية)، والصواب: «يومئ فيها إلى الملاحم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1].

قوله عليه السلام «وأخذوا يميناً وشمالاً» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢١٣ مثل المصرية.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

وروى (الروضة): أنّ سعيداً بن يسار، والحارث بن مغيرة، ومنصور الصيقل وردوا على الصادق عليه السلام. فقال لهم: الحمد لله الّذي ذهب الناس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة، وفرقة خوارج، وفرقة قدرية، وسميتم أنتم الترابية، اما والله ما هوإلّا الله، وحده لا شريك له، ورسوله، وآل رسوله، وشيعتهم، وما كان سوى ذلك فلا. كان عليّ عليه السلام والله أولى الناس بالناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[(١)].

«**ظعناً في مسالك الغيّ، وتركا لمذاهب الرشد**» الأصل فيه قوله تعالى:

﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[(٢)].

«**فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد**» الظاهر أنّ مراده عليه السلام استعجال الشيعة لقيام القائم عليه السلام.

يا مهزم كذب الوقاتون

فروى النعماني: أنّ مهزم الأسدي قال للصادق عليه السلام جعلت فداك متى هذا الأمر الذي ننتظره، متى هو؟ فقال عليه السلام: يا مهزم كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون[(٣)].

وروى: أنّ الصادق عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[(٤)]: هو أمرنا أمر الله تعالى لا نستعجل به. يؤيّده ثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنون والرعب.

وعن الباقر عليه السلام: «اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض»[(٥)].

وعن الصادق عليه السلام: «هلكت المحاضير. قيل: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن على أوتادها. كونوا أحلاس بيوتكم. فإنّ الفتنة على من أثارها. وإنّهم لا يريدونكم بجائحة إلّا أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض لهم»[(٦)].

---

(١) الكافي ٨: ٣٣٣ ح ٥٢٠ و ٨٠ ح ٣٦، وشرح أصول الكافي: ١٢/ ٤٧٢ ح ٥٢٠، أعيان الشيعة ٤/ ٣٧٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٣) غيبة النعماني ١٩٨ و ١٣١، الإمامة والتبصرة: ٣٩ والكافي: ١/ ٣٦٨ ح ٢.
(٤) سورة النحل، الآية: ١.
(٥) مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٧ ح ١٢٣٧٣.
(٦) غيبة النعماني: ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، البحار: ٥٢/ ١٣٨.

راية النبي ﷺ لا ينشرها بعد علي عليه السلام إلا المهدي (عج)

وعنه عليه السلام: لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة نشر راية النبيّ ﷺ فتزلزلت أقدامهم. فما اصفرّت الشمس حتّى قالوا: آمنّا يا بن أبي طالب. فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسرى، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا موليّاً، ومن ألقى سلاحه فهوآمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ولمّا كان يوم صفين سألوه نشر الراية. فأبى عليهم. فتحمّلوا عليه بالحسن والحسين عليهما السلام وعمّار، فقال: للحسن يا بني إنّ للقوم مدّة يبلغونها، وإنّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلّا القائم عليه السلام. وفي خبر أنّ تلك الراية كانت من ورق الجنّة نزل بها جبرئيل يوم بدر(١).

قول كثير من الناس: لو كان من آل محمد ﷺ لرحم

وَرُوِيَ أنّ إبراهيم بن هليل قال لأبي الحسن عليه السلام: مات أبي على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى، أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال له: أنت تعجل. فقال أي: والله أعجل، وما لي لا أعجل، وقد بلغت من السن ما قد ترى. فقال: أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتّى تميّزوا(٢).

«**فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه**» روى النعماني: أنّ الباقر عليه السلام قال: لويعلم الناس ما يصنع القائم عليه السلام إذا خرج، لأحبّ أكثرهم ألّا يروه ممّا يقتل من الناس. أما إنّه لا يبدأ إلّا بقريش. فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف حتّى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمّد لوكان من آل محمّد لرحم(٣).

«**وما أقرب اليوم من تباشير غد**» أي: أوائله، قال الزمخشري: «**كأنها جمع تبشير وهو مصدر بشر**»(٤) إلّا أنّهم قالوا إنّ المصدر لا يثنّى ولا يجمع، وإنّما قال عليه السلام: «ما أقرب اليوم من تباشير غد» حيث إنّ اليوم متّصل بآخره إلى أوائل الغد، وهونظير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(٥).

«**يا قوم هذا إبّان**» بالكسر والتشديد الوقت.

«**ورود كلّ موعد**» هكذا في (المصرية) والصواب: (موعود) كما (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)(٦).

---

(١) غيبة النعماني: ٢٠٨ و ٢٠٩.
(٢) غيبة النعماني: ١٣٩.
(٣) غيبة النعماني: ١٥٣.
(٤) أساس البلاغة: ٢٣، مادة (بشر).
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨١.
(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢١٣ موعد.

دنوّ يوم القيامة وظهور الفتن التي تظهر أمامها

«**ودنو من طلعة ما لا تعرفون**» قال ابن أبي الحديد: أي: دنا وقت القيامة، وظهور الفتن التي تظهر أمامها، وإبّان الشيء بالكسر والتشديد وقته وزمانه، وكنّى عن تلك الأهوال بقوله: ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون، لأن تلك الملاحم والآثار الهائلة غير معهود مثلها نحودابّة الأرض، والدجّال وفتنته وما يظهر على يده من المخاريق والأمور الموهمة، وواقعة السفياني[1].

قلت: بل مراده عليه السلام فتن تأتي بعده من بني أُميّة، وبني العباس إلى علامات القائم عليه السلام لأنّ قوله عليه السلام: «هذا إبّان...» يدلّ على أنّ حين خاطبهم بهذا الكلام صار زمان ما وعدهم، وقرب ما أخبرهم.

روى النعماني: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: «إنّ من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجومنها إلّا النؤمة»[2].

وروى أنّه عليه السلام قال: لا يقوم القائم عليه السلام حتّى تفقأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة في السماء، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض، حتّى يظهر فيهم أقوام لا خلاق لهم يدعون لولدي، وهم برءاء من ولدي تلك عصابة ردّية لا خلاق لهم. على الأشرار مسلّطة، وللجبابرة مفتّنة، وللملوك مبيرة، تظهر في سواد الكوفة يقدمهم رجل أسود اللون والقلب، رثّ الدين، لا خلاق له، مهجن زنيم عتل تداولته أيدي العواهر من الامّهات من شر نسل، لا سقاها الله المطر من سنة إظهار غيب المتغيب من ولدي صاحب الراية الحمراء، والعلم الأخضر، أيّ يوم للمجنبين بين الأنبار وهيت ذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراة، وخراب دار الفراعنة، ومسكن الجبابرة، ومأوى الولاة الظلمة، وأُمّ البلاء، وأخت العار تلك وربّ عليّ، بغداد.

ألا لعنة الله على العصابة من بني أُميّة، وبني فلان الخؤونة الّذين يقتلون الطيّبين من ولدي لا يراقبون فيهم ذمّتي، ولا يخافون الله في ما يفعلونه بحرمتي. إنّ لبني العباس يوم الطموح، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلى، والويل لشيعة ولد العباس من الحرب الّتي يفتح من نهاوند، والدينور، تلك حرب صعاليك شيعة عليّ يقدّمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبيّ صلى الله عليه وآله منعوت موصوف باعتدال الخلق، وحسن الخلق، ونضارة اللون، له

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.

(٢) غيبة النعماني: ٩٢، البحار: ٧٢/ ٧٠، ح ٩ باختصار، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٦٦٩ باختلاف يسير.

في صوته ضحك، وفي أشفاره وفي عنقه سطح، فرق الشعر مفلّج الثنايا، على فرسه كبدر التمام تجلّى عنه الغمام. يسير بعصابة خير عصابة، آوت وتقرّبت ودانت الله بدين. تلك الأبطال من العرب الّذين يلحقون حرب الكريهة والدبرة يومئذ على الأعداء. إنّ للعدويوم ذلك، الصيلم والاستئصال(١).

وروى أنّه عليه السلام قال: لا تنفك هذه الشيعة حتّى تكون بمنزلة المعز لا يدري الحاس على أيّها يضع يده. فليس لهم شرف يشرّفونه، ولا سناد يستندون إليه في أمورهم(٢).

وروى أنّه عليه السلام قال: يأتيكم بعد الخمسين والماءة أمراء كفرة، وأمناء خونة وعرفاء فسقة. فتكثر التجار، وتقلّ الأرباح، ويفشوالربا، ويكثر أولاد الزنا، وتتناكر المعارف، وتعمر السباخ، وتعظم الأهلّة، وتستكفي النساء بالنساء، والرجال بالرجال. قال: فقام إليه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين وكيف نصنع في ذلك الزمان؟ فقال: الهرب الهرب. فإنّه لا يزال عدل الله مبسوطاً على هذه الأمّة ما لم يمل قرّاؤهم إلى إمرائهم، وما لم يزل أبرارهم ينهى فجّارهم. فإن لم يفعلوا ثم استنفروا. فقالوا: لا إلّه إلّا الله قال الله في عرشه: كذبتم لستم بها صادقين(٣).

وروى أنّ ابن الكوّا سأله عليه السلام عن الغضب. فقال عليه السلام: هيهات الغضب هيهات، موتات فيهن موتات، وراكب الذعلبة، وما راكب الذعلبة؟ مختلط جوفها بوضينها يخبرهم بخبر فيقتلونه ثمّ الغضب عند ذلك(٤).

الفتن التي تحدث بعده عليه السلام قبل قيام القائم عليه السلام

وروى أنّه عليه السلام حدّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم. فقال الحسين عليه السلام يا أمير المؤمنين: متى يطهّر الله الأرض من الظالمين؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل بعد ذكر بني أُميّة وبني العباس إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كرمان، وملتان، وحاز جزيرة بني كاوان، وقام منّا قائم بجيلان، واجابته الأبر والديلم، وظهرت لولدي رايات الترك متفرّقات في الأقطار والخبات وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت

(١) غيبة النعماني: ٩٦ والنقل بتصرف يسير إلزام الناصب: ٢/ ١١٣.
(٢) غيبة النعماني: ١٢٧، بحار الأنوار: ٥١/ ١١٤، ح ١٢ باختلاف يسير في كلمة (الحاس) = (الخابس).
(٣) غيبة النعماني: ١٦٦.
(٤) غيبة النعماني: ١٧٩، البحار: ٥٢/ ٢٤٠ ح ١٠٨.

البصرة، وقام أمير الأمراء، - إلى أن قال -: إذا جهّزت الألوف وصفّت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر، ويهلك الكافر، ثمّ يقوم القائم المأمول والامام المجهول. له الشرف والفضل هومن ولدك يا حسين، لا ابن مثله يظهر بين الركبتين في دريسين باليين، يظهر على الثقلين، ولا يترك في الأرض دمين[١]. . . .

ويمكن أن يريد عليه السلام بقوله «هذا إبّان ورود كلّ موعود» الفتن الّتي حدثت بعده عليه السلام من بني أُميّة، وبني العباس، وغيرهما، ويقوله: «ودنومن طلعة ما لا تعرفون» الخوارق الّتي قبل قيام القائم.

انتظروا الفرج من ثلاث

فروى النعماني: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾[٢] فقال: انتظروا الفرج من ثلاث. قيل: وما هنّ؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان. قيل: وما الفزعة؟ فقال: أوما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[٣] هي آية تُخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان.

وروى عن الصادق عليه السلام قال: العام الّذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب. قيل: وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر، ويد بارزة.

عذاب الخزي في الحياة الدنيا

وروى أنّ أبا بصير سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[٤] ما هو عذاب خزي الدنيا. فقال: وأيّ خزي أخزى من أن يكون الرجل في بيته وحجاله، ومع إخوانه، وسط عياله إذ شقّ أهله الجيوب عليه، وصرخوا. فيقول الناس: ما هذا؟ فيقال: مسخ فلان الساعة قال: قبل قيام القائم أوبعده؟ قال: بل قبله.

وينادي المنادي من السماء باسم القائم عليه السلام

وعن الباقر عليه السلام: شيئان يكونان قبل القائم عليه السلام لم يكونا منذ أهبط الله آدم عليه السلام أبداً، وذلك أنّ الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان، والقمر آخره وزاد في خبر آخر وعنده يسقط حساب المنجّمين.

---

(١) غيبة النعماني: ١٨٣.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٤.
(٤) سورة يونس، الآية: ٩٨.

وعنه عليه السلام إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردى العظيم تطلع ثلاثة أيّام أوسبعة. فتوقعوا فرج آل محمّد صلى الله عليه وآله إن شاء الله، ثمّ قال: الصيحة لا تكون إلّا في شهر رمضان، لأنّ شهر رمضان شهر الله، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام إلى هذا الخلق، ثمّ قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام.

فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب[1]. . . .

«**ألا ومن أدركها منّا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحلّ فيها ربقا**» في (الصحاح): الربق بالكسر حبل فيه عدّة عرى تشدّ به البهم، الواحدة من العرى: ربقة، وفي الحديث: خلع ربقة الإسلام من عنقه[2].

«**ويعتق رقّاً**» بالكسر أي: مملوكاً.

«**ويصدع شعباً**» في (الصحاح): الصدع: الشق، وصدعت الشيء: أظهرته[3].

«**ويشعب صدعاً**» في (الصحاح): الشعب الصدع في الشيء وإصلاحه، وشعبته فرّقته، وجمعته تقول التأم شعبهم: إذا اجتمعوا بعد التفرّق، وتفرّق شعبهم إذا تفرّقوا بعد الإجتماع قال الطرماح: «**شتّ شعب الحي بعد التيام**»[4].

قال ابن أبي الحديد: أراد عليه السلام بقوله: «من أدركها منّا» يسري في ظلمات هذه الفتن بسراج منير وهو المهدي واتّباع الكتاب والسنّة، ويحذوفيها يقتفي، ويتّبع مثال الصالحين ليحلّ في هذه الفتن وربقاً: أي: حبلاً معقوداً، ويعتق رقّاً: أي: يستفك أسرى، وينقذ مظلومين من أيدي ظالمين، ويصدع شعبا: أي: يفرّق جماعة من جماعات الضلال، ويشعب صدعاً يجمع ما تفرّق من كلمة أهل الهدى[5].

قلت: لم يعلم أنّه عليه السلام أراد بقوله المهدي عليه السلام بالخصوص بل الظاهر أنّه عليه السلام أراد جميع عترته المعصومين. فقلنا: إنّه عليه السلام أخبر بجملة ما يحدث بعد عصره من فتن بني أُميّة، وبني العباس، وغيرهما إلى ظهور المهدي عليه السلام وهوالظاهر من قوله «منّا» بلفظ العموم، فهونظير قوله عليه السلام في موضع آخر«**نحن أهل البيت منها بمنجاة**»[6].

---

(١) غيبة النعماني: ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٠ و ١٨٢. (٢) صحاح اللغة ٤: ١٤٨٠، مادة (ربق).
(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٤١ - ١٢٤٢، مادة (صدع).
(٤) صحاح اللغة ١: ١٥٦، مادة (شعب). (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.
(٦) نهج البلاغة ١: ١٨٤، ضمن الخطبة ٩١، الغارات: ٢/ ٢٧٧ باختصار، بحار الأنوار: ٣٤/ ١١٧، شرح ابن أبي الحديد: ٧/ ٥٦، مع الشرح.

وصدق عليه السلام . فجميع المعصومين من عترته عليه السلام كانوا كما وصف عليه السلام مثله في أيّام الثلاثة يسيرون في الفتن بسراج منير، ويحذون على مثال الصالحين فيحلّون في تلك الفتن ربقاً، ويعتقون رقاً، ويصدعون شعباً ويشعبون صدعاً.

ما حدّث به الربيع حاجب المنصور

روى (الكافي): أنّ الربيع حاجب المنصور قال له وهوفي الطواف: إنّ فلاناً مولاك مات البارحة. فقطع فلان مولاك رأسه بعد موته. فاستشاط وغضب. فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى، وعدّة معه من القضاة والفقهاء: ما تقولون في هذا فكلّ منهم قال: ما عندي في هذا شيء. فجعل يقول أقتله أم لا؟

فقيل له: قد قدم الساعة جعفر بن محمّد عليه السلام وقد دخل المسعى. فإن كان عند أحد شيء فعنده. فقال للربيع: اذهب إليه. فقل له: أجبنا في كذا وكذا.

فقال عليه السلام له: قد ترى شغل ما أنا فيه، وقبلك الفقهاء. فسلهم. فقال: قد سألهم، ولم يكن عندهم فيه شيء. فقال عليه السلام: قل: له عليه ماءَة دينار. فأبلغه فقالوا له:

فسله كيف صار عليه ماءَة دينار. فقال عليه السلام في النطفة عشرون، وفي العلقة عشرون، وفي المضعفة عشرون، وفي العظم عشرون، وفي اللحم عشرون.

ثمّ أنشأناه خلقاً آخر، وهذا هوميّت بمنزلته قبل أن ينفخ فيه الروح في بطن أمّه جنيناً فأخبر المنصور بالجواب فأعجب الفقهاء ذلك. فقالوا: ارجع إليه.

فسله الدنانير لمن هي لورثته أم لا؟ فقال عليه السلام: ليس لورثته شيء إنّما هذا شيء أتى إليه في بدنه بعد موته يحجّ بها عنه أويتصدّق بها عنه أوتصير في سبيل من سبل الخير وفي خبر آخر قال عليه السلام: ديّة الجنين لورثته دون هذا لأنّ الجنين أمر مستقبل مرجو نفعه وهذا قد مضى وذهبت منفعته[1].

الإمام الصادق عليه السلام يحكم في قضية عصت على المنصور

وروي عن عمر بن أبي المقدام قال: كنت شاهداً عند البيت الحرام، ورجل ينادي بأبي جعفر المنصور وهويطوف إنّ هذين الرجلين طرقا أخي ليلاً فأخرجاه من منزله. فلم يرجع إليّ، والله ما أدري ما صنعوا به. فقال لهما: وافياني غداً صلاة العصر في هذا المكان. فوافوه من الغد، وحضر ذاك الوقت أبوعبد الله عليه السلام. فقال المنصور له عليه السلام

(١) الكافي٧: ٣٤٧ و ٣٤٩ ح ١ و ٤، والنقل بتصرف يسير.

وهوقابض على يده: اقض بينهم. فقال: أنت اقض بينهم. فقال: بحقّي إلّا قضيت. فخرج عليه السلام فطرح له مصلّى قصب. فجلس عليه. ثمّ جاء الخصماء. فجلسوا قدامه. فقال: ما تقول؟

فقال: يا بن رسول الله إنّ هذين طرقا أخي ليلاً. فأخرجاه من منزله. فوالله ما رجع إليّ، ووالله ما أدري ما صنعا به. فقال: ما تقولان؟ قالا: كلّمناه ثمّ رجع إلى منزله. فقال أبوعبد الله عليه السلام: يا غلام اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كلّ من طرق رجلاً بالليل. فأخرجه من منزله. فهو له ضامن إلّا أن يقيم البيّنة أنّه قد ردّه إلى منزله» يا غلام نحّ هذا الواحد منهما. فاضرب عنقه. فقال: يا بن رسول الله ما أنا قتلته، ولكنّي أمسكته ثمّ جاء هذا فوجأه فقتله. فقال عليه السلام أنا ابن رسول الله يا غلام نحّ هذا، واضرب عنق الآخر. فقال: يا بن رسول الله، والله ما عذّبته، ولكنّي قتلته بضربة واحدة. فأمر أخاه فضرب عنقه ثمّ أمر بالآخر فضرب جنبيه، وحبسه في السجن، ووقّع على رأسه يحبس عمره، ويضرب كلّ سنة خمسين جلدة(١).

أنفذ أمرك فالقول قوله

وروى الصدوق عن وصي علي بن السري قال: قلت للكاظم عليه السلام: إنّه أوصى إليّ، وإنّ ابنه جعفراً وقع على أمّ ولد له. فأمرني أن أخرجه من الميراث. فقال لي: أخرجه إن كان صادقاً. فسيصيبه خبل. فقدّمني ابنه إلى أبي يوسف القاضي. فقال له: أنا جعفر بن علي السري، وهذا وصيّ أبي فمره أن يدفع إليّ ميراثي من أبي. فقال: ما تقول؟ قلت: نعم هذا ابن علي بن السري، وأنا وصيّ أبيه، قال: فادفع إليه ماله. فقلت له: إنّي أريد أن أكلمك. قال: فادن. فدنوت حيث لا يسمع أحد كلامي. فقلت له: هذا وقع على أم ولد أبيه فأمرني أن لا أورّثه شيئاً. فأتيت موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة. فأخبرته، وسألته. فأمرني أن أخرجه. فقال: الله إنّ أبا الحسن أمرك. فقلت: نعم، فاستحلفني ثلاثاً ثمّ قال لي: «أنفذ ما أمرك فالقول قوله». قال الوصيّ فأصابه الخبل بعد ذلك(٢).

وجعفر الوارد في الخبر هوجعيفران الموسوس المعروف، وأبوه علي بن أصفر بن السري، روى (الأغاني): في جعيفران أنّ أباه كان دهقان الكرخ ببغداد وكان يتشيّع.

---

(١) الكافي ٧: ٢٨٧ ح ٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٤: ١٦٣ ح ١، والكليني في الكافي ٧: ٦١ ح ١٥، والطوسي في التهذيب ٩: ٢٣٥ ح ١٠، وفي الاستبصار ٤: ١٣٩ ح ٢، والنقل بتصرف يسير.

فظهر على ابنه أنّه أتى سرية له. فحجّ وشكا ذلك إلى موسى بن جعفر عليه السلام. فقال له: إن كنت صادقاً فليس يموت حتّى يفقد عقله، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك. فقدم فطرده، وسأل الفقهاء عن حيلة حتّى يخرجه عن ميراثه، فدلّوه على سبيل فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلمّا مات حاز الوصيّ ميراثه. فاستعدى جعيفران عليه أبا يوسف القاضي. فسأل جعيفران البيّنة على نسبه، وعلى تركة أبيه. فأقام، وأحضر الوصي بيّنة يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه. فلم ير أبويوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورّثه. فكتب الوصي رقعة بما أفتى به موسى بن جعفر عليه السلام فلمّا قرأها أبويوسف دعا الوصي، واستحلفه أنّه قد صدق في ذلك فحلف باليمين الغموس. فقال له: اغد عليّ مع صاحبك. فلمّا حضرا حكم أبويوسف للوصي على جعيفران. فلمّا أمضى الحكم عليه، وسوس جعيفران، واختلط منذ يومئذ[1]. قلت: الظاهر أنّه عليه السلام أمر عليّاً بقطع جعفر من ميراثه لعلمه بكونه من الزنا لا لمجرد زناه بسرية أبيه.

فروى (الأغاني): أنّ جعيفران اطلّع يوماً في الجبّ. فرأى وجهه. فقال:

[البحر المضارع]

ما جعفر لأبيه ولا له بِشَبِيْهِ
أضحى لقوم كثير فكلّهم يَدَّعِيْهِ
هذا يقول بنيّ وذا يخاصم فِيْهِ
والأمّ تضحك منهم لعلمها بِأَبِيْهِ[2]

فالقول بعدم إرث كلّ من زنى بأمّ ولد أبيه كما مال إليه ابن بابويه مشكل، ولم يكن عترته عليهم السلام يدخلون في أمر من أمور خلفاء الجور حتّى أنّ المأمون مع كونه أعلمهم، وأعدلهم، وجعله الرضا عليه السلام ولي عهده شرط عليه السلام في قبول الولاية ألّا يتصرّف في شيء من أموره.

مبايعة المأمون بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام

ففي (مروج المسعودي): أنّ المأمون أمر في سنة ماءَتين بإحصاء ولد العباس من رجالهم، ونسائهم، وصغيرهم، وكبيرهم. فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً، وأمر بجمع خواص الأولياء، وأخبرهم أنّه نظر في ولد العباس، وولد علي. فلم يجد في وقته أحداً

(١) الأغاني ٢٠: ١٨٨.
(٢) الأغاني ٢٠: ١٩٥.

أفضل، ولا أحقّ بالأمر من علي بن موسى فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم(١) . . . .

وفي (عيون ابن بابويه): عن ياسر الخادم، والريّان بن الصلت، وصالح بن سعيد الكاتب الراشدي قالوا: لمّا انقضى أمر المخلوع، واستوى أمر المأمون كتب الى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان فاعتلّ عليه الرضا عليه السلام بعلل كثيرة. فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتّى علم الرضا عليه السلام أنّه لا يكفّ عنه. فخرج حتّى وافى مرو. فعرض عليه أن يتقلّد الإمرة والخلافة، فأبى الرضا عليه السلام وجرت في هذه مخاطبات كثيرة، وبقوا في ذلك نحواً من شهرين كلّ ذلك يأبى الرضا عليه السلام فلمّا كثر الخطاب في هذا. قال المأمون: فولاية العهد قال: على أن لا آمر، ولا أنهى، ولا أقضي، ولا اغيّر شيئاً(٢) . . . .

وفي (مقاتل أبي الفرج): بعد ذكر حمل الرضا عليه السلام إلى خراسان وجّه المأمون إلى الفضل بن سهل. فأعلمه أنّه يريد العقد، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك. فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه ويعرّفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه. فقال له: إنّي عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فأرسلهما إليه.

فعرضا ذلك عليه فأبى - إلى أن قال -:

قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إن خالفت. ثمّ دعا به المأمون.

فخاطبه في ذلك. فامتنع. فقال له: إن عمر جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بدّ من قبول ذلك فأجابه - إلى أن قال -:

وأمر المأمون ابنه العباس. فبايع له أوّل الناس. فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم. فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة. فقال له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع فبايعه الناس - إلى أن قال -:

قال المأمون للرضا عليه السلام: قم فاخطب الناس. فقام: وقال بعد حمد الله تعالى «إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حقّ به. فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم» ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس - إلى أن قال -:

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤٤٠، ٤٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢: ١٤٧ ح ٢١، والنقل بتلخيص.

سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة ويقول:

«**اللّهمّ وأصلح ولي عهد المسلمين عليّاً بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب**: [البحر الرمل]

ستّة آباؤهم ما هم هم ... خير من يشرب من صوب الْغَمَامِ

وفاة الرضا عليه السلام ودفنه

إلى أن قال: ومات الرضا عليه السلام فحضره المأمون قبل أن يحفر قبره وأمر أن يحفر إلى جانب أبيه. قال أبوالصلت: ثمّ أقبل المأمون علينا. فقال: حدّثني صاحب هذا النعش أنّه يحفر له قبر فيظهر فيه ماء وسمك. احفروا فحفروا. فلمّا انتهوا إلى اللحد نبع ماء، وظهر فيه سمك ثمّ غاض الماء. فدفن فيه الرضا عليه السلام [1].

إستتار المهدي عليه السلام

«**في سترة عن الناس**» قال ابن أبي الحديد: يدلّ على استتار المهدي عليه السلام وليس تصريحاً بقول الإمامية لأنّه يمكن أن يخلق في آخر الزمان، ويكون مستتراً مدّة ثمّ يظهر[2].

قلت: لم يعلم إرادة المهدي عليه السلام به بالخصوص وإلّا فالإماميّة يكفيهم في مذهبهم قوله عليه السلام المتواتر: «**لا تخلوا الأرض لله من قائم بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً**». كما أقر به في ما مرّ[3]، فيمكن أن يريد به كون مقام الإمام مستوراً عن الناس لعجزهم عن إدراكه.

الإمامة أجل قدراً من أن يقيمها الناس باختيارهم

قال الرضا عليه السلام: إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أوينالوها بآرائهم، أويقيموا إماما باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله تعالى بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وشاد بها ذكره. فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل عليه السلام

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٥، ٣٨٠، وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣١٠ ح ٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، والنقل بالمعنى.

(٣) مر في العنوان (١) من الفصل السابع وهو في نهج البلاغة ٤: ٣٧، الحكمة ١٤٧.

مسرورا بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ﴾ قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) فأبطلت هذه الآية امامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة(٢)....

«لا يبصر القائف أثره» في (الصحاح): القائف الّذي يعرف الآثار يقال قفت أثره إذا اتّبعته مثل قفوت أثره، قال القطامي: [البحر الطويل]

كذبت عليك لا تزال تقوفني ... كما قاف آثار الوسيقة قائِفُ(٣)

«ولو تابع نظره» أي: كرّره كقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾(٤).

«ثمّ ليشحذنّ» بلفظ المجهول من شحذت السكين أي: حددته.

«فيها قوم شحذ القين» أي: الحدّاد.

«النصل» أي: حديد السيف والسكّين.

فتنة لا يبقى فيها إلا نحن وشيعتنا

روى النعماني أنّ الباقر عليه السلام قال لأصحابه: إنّ حديثكم هذا لتشمئزّ منه قلوب رجال. فانبذوه إليهم نبذاً. فمن أقرّ به فزيدوه، ومن أنكر فذروه. إنّه لا بدّ من أن تكون فتنة يسقط فها كلّ بطانة ووليجة، حتّى يسقط فيها من يشقّ الشعرة بشعرتين حتّى لا يبقى إلّا نحن وشيعتنا(٥).

«تجلى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير في مسامعهم» ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(٦).

«ويغبقون» بلفظ المجهول، والغبوق الشرب بالعشي تقول غبقته فاغتبق.

«كاس» قال ابن الأعرابي: لا تسمّى الكأس كأسا إلّا وفيها الشراب(٧).

«الحكمة» أي: اتقان الأمور، والأصل فيها حكمة اللّجام، وهي ما أحاط بالحنك.

«بعد الصبوح» الشرب في الصباح، والغبوق، والصبوح بكأس الحكمة استعارة كقول

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) رواه الصدوق في عيون الأخبار ١: ١٧١ ح ١.
(٣) صحاح اللغة ٤: ١٤١٨، مادة (قوف).
(٤) سورة الملك، الآيتان، ٣، ٤.
(٥) غيبة النعماني: ١٣٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٧) لسان العرب ٦: ١٨٩، مادة (كأس)، الصحاح: ٣/ ٩٦٩ مادة (كأس).

زرقاء اليمامة لمّا سئلت عن سبب قوّة عينيها «**كنت أكحلهما بصبوح من صبر، وغبوق من أثمد**».

ها هم شيعتنا

عن الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل الناس بكفّه، وإن مات جوعاً. قيل له: أين نطلبهم؟ قال: اطلبهم في أطراف الأرض، أولئك الخشن عيشهم، المنتقلة ديارهم الّذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوّجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. أولئك الّذين في أموالهم يتواسون، وفي قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهواؤهم، وإن اختلفت بهم البلدان[1].

(منها) «**وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير**» ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3] ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[4] ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[5].

في معنى اخلولق

«**حتّى إذا اخلولق الأجل**» أي: قرب كثيراً. قال الجزري: هذا البناء للمبالغة وهو افعوعل كاغدودق، واعشوشب، وفي خطبة ابن الزبير «إنّ الموت قد تغشّاكم سحابه، وأحدق بكم ربابه، واخلولق بعد تفرّق» وفي (الصحاح):

«**اخلولق السحاب أي: استوى، ويقال صار خليقاً للمطر. واخلولق الرسم أي: استوى بالأرض**» وفي (القاموس): «اخلولق السحاب استوى وصار خليقا للمطر، والرسم استوى بالأرض ومتن الفرس أملس»[6].

هذا ولم نقف على ذكر «اخلولق» في غير (النهاية)، و(القاموس)، والمفهوم منها عدم

(١) رواه النعماني في الغيبة: ١٣٦، الكافي: ٢/٢٣٨ ح ٢٧.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦. (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٤. (٥) سورة النحل، الآية: ١١٢.
(٦) النهاية ٢: ٧٢، مادة (خلق)، وصحاح اللغة ٤: ١٤٧٢، مادة (خلق). والقاموس ٣: ٢٢٩، مادة (خلق).

استعمالها ناقصة، وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن مالك في أفعال المقاربة «**وألزموا اخلولق أن مثل حرى**» وقوله: **[مجزوء البحر الرجز]**

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد   غنى بأن يفعل عن ثان فَقَدْ[1]

والظاهر أنّه أخذه من سيبويه.

ففي شرح ابنه قال سيبويه: تقول «عسيت أن تفعل كذا» فإنّ هاهنا بمنزلتها في «**قاربت أن تفعل**» وبمنزلة دنوت أن تفعل، واخلولقت السماء أن تمطر[2]. إلّا أنّ الظاهر أنّه خلط بين المعنى، والاستعمال.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول الخوئي: «قول ابن ميثم معنى اخلولق صار خليقاً ليس بشيء. فإنّه في ما إذا كان ناقصة في مثل اخلولقت السماء أن تمطر لا هنا فإنّه تامة بمعنى قرب»[3].

«**واستراح قوم إلى الفتن**» هكذا في (النسخ)[4]، ولا يبعد أن يكون «**إلى الفتن**» محرّف «**في الفتن**».

إجلسوا في بيوتكم

روى النعماني عن أبي بكر الحضرمي قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام حين ظهرت الرايات السود بخراسان. فقلنا: ما ترى؟ فقال: اجلسوا في بيوتكم. فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح[5].

«**وأشالوا**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (واشتالوا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[6].

قال ابن أبي الحديد: «يقال شال فلان كذا أي: رفعه، واشتال افتعل هو في نفسه»[7] قلت: بل شال لازم قال ابن دريد «شال هوإذا ارتفع، واشلته أنا إذا رفعته»[8] ويقال شال

(١) شرح الألفية لابن عقيل: ١٢٤ و ١٢٨.
(٢) شرح ابن ناظم: ٧٩.
(٣) شرح الخوئي ٤: ١٦٣، وشرح ابن ميثم: ٣: ٢١٦، والنقل بالمعنى.
(٤) نهج البلاغة ٣: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٥.
(٥) غيبة النعماني: ١٣١.
(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢١٥ مثل المصرية.
(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.
(٨) جمهرة اللغة ١: ٢٣٥.

الميزان إذا ارتفعت إحدى كفّتيه، وشال ذنبها إذا ارتفع، وقال الراجز: **[مجزوء البحر الرجز]**

تـأبّـري يـا خـيـرة الـفـسـيـل   تـأبـرّي مـن حـنـذ فَـشُـولِـي

وقال الأخطل في جرير: **[البحر الكامل]**

وإذا وضـعـت أبـاك فـي مـيـزانـهـم   رجـحـوا وشـال أبـوك فـي الْـمِـيْـزَانِ

وقال النمر بن تولب في فرس: **[البحر الوافر]**

جـمـوم الـسـد شـائـلـة الـذنـابـى   تـخـال بـيـاض غـرّتـهـا سِـراجَـا[١]

بل ظاهر (الصحاح): عكس ما قال. فقال: «**شالت الناقة بذنبها تشوله واشتالته أي: رفعته**»[٢] فعدّى شال بالباء، وعدّى اشتال بالنفس لكن الظاهر أنّه رأى «**وأشالته**» فقرأه «**واشتالته**» ولا ريب في أنّ أشال متعدّ. قال: **[مجزوء البحر الرجز]**

ءأبـلـي تـأكـلـهـا مـصـنّـاً   خـافـض سـنّ ومـشـيـل سِـنَّـا[٣]

ومن الغريب أنّ (القاموس): قال: «شالت الناقة بذنبها شولاً وشولاناً، وأشالته رفعته. فشال الذنب نفسه، لازم متعد»[٤] فلا يلزم ممّا ذكر إلّا كون شال لازماً.

«عن لقاح حربهم» في (الصحاح): ألقح الفحل الناقة (أي: أحبلها) ولقحت الناقة بالكسر لقحاً، ولقاحاً بالفتح، واللقاح بالكسر الإبل بأعيانها الواحدة لقوح وهي الحلوب[٥].

المهادنة في الحرب

قال ابن أبي الحديد: معنى قوله عليه السلام «واشتالوا عن لقاح حربهم» رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة مهادنة[٦].

قلت: من المحتمل أن يكون المعنى أن تولّد حربهم صار قريباً كناقة صار وضعها قريباً. قال الجوهري: الشول النوق الّتي خفّ لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية[٧]...، وقال الشاعر: **[مجزوء البحر الرجز]**

حـتّـى إذا مـا الـعـشـر عـنـهـا شَـوَّلَا[٨]

---

(١) أورد هذا الشواهد لسان العرب ١١: ٣٧٤ و ٣٧٥، مادة (شول).
(٢) صحاح اللغة ٥: ١٧٤١ مادة (شول).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) القاموس ٣: ٤٠٤ مادة (شول).
(٥) صحاح اللغة ١: ٤٠١ مادة (لقح).
(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.
(٧) صحاح اللغة ٥: ١٧٤٢، مادة (شول).
(٨) أورده لسان العرب ١١: ٣٧٥، مادة (شول).

«**ولم يمنّوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق**» قال ابن أبي الحديد: لم يمنّوا هذا جواب قوله حتى إذا، والضمير في يمنّوا راجع إلى العارفين الذين تقدم ذكرهم(١).

قلت: بل حال من قوله «واستراح قوم» ولا يصحّ أن يكون جواباً لأنّ عدم منّتهم على الله بصبرهم، وعدم عدّ بذل أنفسهم في الحق عظيماً كانا من الابتداء لا بعد اخليلاق الأجل، وإنّما الجواب «حملوا» كما يأتي.

«حتّى» هكذا في (النسخ)(٢)، ولا يبعد أن يكون مصحف (وحتّى) حتّى يكون عطفاً على«حتّى» الأولى.

«**إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء**» والمراد صيرورة وقت ظهور المهدي عليه السلام. روى النعماني عن الصادق عليه السلام أنّ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٣)، نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه.

نزول هذه الآية بالقائم عليه السلام وأصحابه

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾(٤) نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد(٥).

«**حملوا بصائرهم على أسيافهم**» روى النعماني عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾(٦) قال: الله يعرفهم ولكن نزلت في القائم عليه السلام يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هووأصحابه خبطاً(٧).

وروى عن أبان بن تغلب قال: كنت مع جعفر بن محمّد عليه السلام في مسجد مكّة وهوآخذ بيدي. فقال: يا أبان سيأتي الله بثلاثماءة وثلاثة عشر رجلاً في مسجدكم هذا. يعلم أهل مكّة أنّه لم يخلق آباؤهم، ولا أجدادهم بعد، عليهم السيوف، مكتوب على كلّ سيف اسم الرجل، واسم أبيه، وحليته، ونسبه، ثم يأمر منادياً فينادي، هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان لا يسأل على ذلك بيّنة(٨).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧.
(٢) نهج البلاغة ٢: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٦.
(٣) سورة النور، الآية ٥٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.
(٥) غيبة النعماني: ١٦٠.
(٦) سورة الرحمن، الآية: ٤١.
(٧) غيبة النعماني: ١٦٠.
(٨) غيبة النعماني: ٢١٤.

هذا، وفي (الصحاح): قال أبوزيد: البصيرة من الدم ما كان على الأرض والجدية ما لزق بالجسد، وقال الأصمعي: البصيرة: شيء من الدم يستدلّ به على الرمية[١].

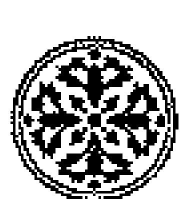
وفي (الجمهرة): البصيرة: القطعة من الدم تستدير على الأرض أوعلى الثوب كالترس الصغير، وأنشد بيت الأسعر: [البحر الكامل]

جاؤوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتِدواى

ويروى: راحوا[٢].

«**ودانوا لربهم بأمر واعظهم**» روى النعماني عن الباقر عليه السلام: كأنّي بدينكم هذا لا يزال مولّيا يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلّا رجل منّا أهل البيت عليهم السلام.

فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتّى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].



(١) صحاح اللغة ٢: ٥٩٢، مادة (بصر).
(٢) جمهرة اللغة ١: ٢٥٩.
(٣) غيبة النعماني: ١٥٨.

لو تعلمون ما أعلم مما طُوِي عنكم غيبُه

«لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ولَا خَالِفَ عَلَيْهَا ولَهَمَّتْ كُلَّ إمْرِيءٍ نَفْسُهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ولَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ وأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ وتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ولَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوأَحَقُّ بِي مِنْكُمْ قَوْمٌ واللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَةِ وأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ والْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ. الخطبة (١١٤)

تفسير قوله عليه السلام

«**ولو**» في (المصرية) «لو» وليس بصواب».

«**تعلمون ما أعلم**» من استيلاء الجبابرة عليكم عقوبة من الله تعالى في وهنكم في أمر الله تعالى في حقّه عليه السلام يوم السقيفة، ويوم الشورى، ويوم رفع المصاحف، وأيام غارات معاوية إلى أن ينجرّ إلى تسلّط الحجّاج عليهم، وقد أفصح عليه السلام عنه في ذيل كلامه بعد العنوان.

«**ممّا طوى عنكم غيبه**» وخفي عليكم خبره.

«**إذن لخرجتم إلى الصّعدات**» أي: الطرق، وتركتم البيوت.

«**تبكون على أعمالكم**» قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

«**وتلتدمون**» أي: تضربون صدوركم كالنساء في النياحة.

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

«**على أنفسكم**» أي: على مأتم أنفسكم.

«**ولتركتم أموالكم لا حارس**» أي: حافظ.

«**لها، ولا خالف عليها**» فإنّ الناس إذا غابوا عن أموالهم يخلفون عليها من يحفظها.

«**ولهمّت كلّ امرئ نفسه**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منكم نفسه) كما في الثلاثة[١]. قال ابن أبي الحديد: ويروى «**ولأهمّت**» وهو أصح[٢] قلت: ويشهد لأصحيته لفظ القرآن قال تعالى ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[٣] أي: يكون يومئذ همّ كلّ امرئ نجاة نفسه.

«**لا يلتفت إلى غيرها**» كيوم القيامة.

«**ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمنتم ما حذّرتم**» من أن من أعان ظالما بل لوعذره سلّط الله تعالى عليه قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤].

إنهم أرباب سوء

وفي (خلفاء ابن قتيبة) في طي خطبته عليه السلام لما دعاهم إلى حرب معاوية بعد انقضاء أمر الخوارج، وتركهم له عليه السلام في نفر «والله يا أهل العراق ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلّا ظاهرين عليكم» فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إنّي أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت، وأراهم جادّين في باطلهم، وأراكم وانين في حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لي عاصين، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي لتجدنّهم أرباب سوء.

كأنّهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم.

وكأنّي انظر إليكم تكشّون كشيش الضباب لا تأخذون لله حقّاً، ولا تمنعون له حرمة.

وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم.

وكأنّي أنظر إليكم يحرمونكم، ويحجبونكم، ويدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف، ونزل الخوف لندمتم، وتحسّرتم على

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ١٠٧ مثل المصرية أيضاً.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

تفريطكم في جهاد عدوّكم، وتذكّرتم ما أنتم فيه من الخفض، والعافية حين لا ينفعكم التذكار. فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّاً أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال عليه السلام:

لا تكرهون إمرة معاوية. فإنّ إمرته سلم وعافية. فلوقد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنّها الحنظل. وعداً كان مفعولاً. فأمّا إمرة معاوية فلست أخاف عليكم شرّها، وما بعدها أدهى وأمرّ[١].

«**فتاه**» أي: وقع في الحيرة.

«**عنكم رأيكم**».

«**وتشتّت**» أي: تفرّق.

«**عليكم أمركم، ولوددت**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لوددت) كما في الثلاثة[٢]، ولأنّ المقام مقام الفصل.

ألحقني بمن هو أحق بي منكم

«**أنّ الله فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هوأحقّ بي منكم**» قال ابن أبي الحديد: أي: النبيّ صلى الله عليه وآله والصالحين من أصحابه كحمزة، وجعفر، وأمثالهما ممّن كان عليه السلام يثني عليه[٣]. قلت: وكذلك شيعته العارفون بحقّه كسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، ونظراؤهم.

«**قوم والله ميامين**» جمع ميمون.

«**الرأي مراجيح الحلم**» بالكسر الأناة، وفعله حلم بالضم.

«**مقاويل**» جمع مقوال مبالغة قائل.

أتاكم القطار يحمل النار

«**بالحقّ**» في (سفيانية الجاحظ): كان أبوذر يصرخ كلّ يوم على باب قصر معاوية: «أتاكم القطار يحمل النار. اللّهمّ العن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له»[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢.
(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧، وشرح ابن ميثم ٣: ١٠٧ مثل المصرية أيضاً.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧.
(٤) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥٦، شرح الخطبة ١٢٨.

وفي (طبقات ابن سعد): أنّه قيل له: ألم ينهك عثمان عن الفتيا. فقال أبوذر: والله لو وضعتم الصمصامة على هذا وأشار إلى حلقه على أن أترك كلمة سمعتها من النبيّ صلى الله عليه وآله لأنفذتها قبل أن يكون ذلك[١].

«**متاريك**» جمع متراك مبالغة تارك.

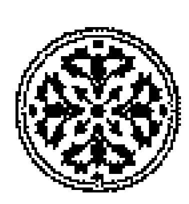
«**للبغي، مضوا قدماً على الطريقة**» بفتحتين أي: أقداماً يأتي للواحد، والتثنية، الجمع، والمذكر، والمؤنث. قال الشاعر «**تمضي إذا زجرت عن سوأة قدماً**»[٢].

«**وأوجفوا**» أي: أسرعوا في السير قال تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[٣].

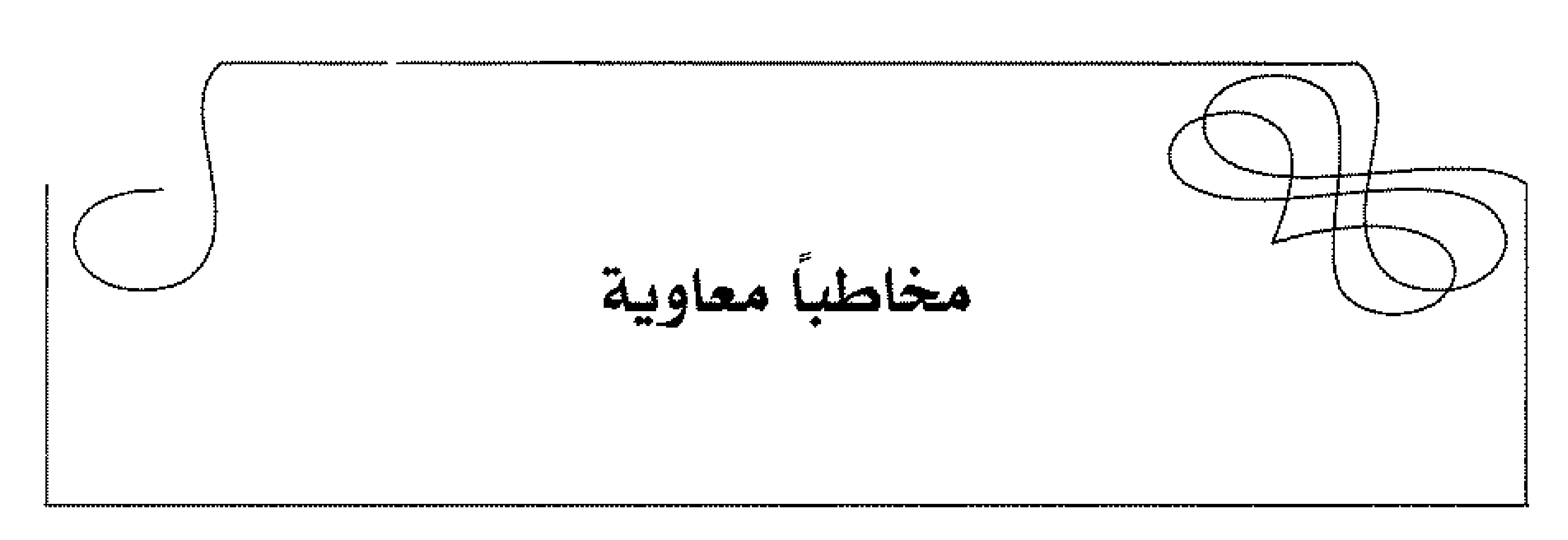
«**على المحجّة**» جادّة الطريق، والمراد سبيل الشريعة.

«**فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة**» أي: الثابتة وفي الديوان: **[البحر الهزج]**

فـقـد أعـرف أقـوامـا ... وإن كـانـوا صَـعـالِـيْـكَـا
مـسـاريـع إلـى الـنـجـدة ... لـلـبـغـي مَـتـارِيْـكَـا[٤]



(١) طبقات ابن سعد ٢: ق ٢: ١١٢.
(٢) أورده لسان العرب ١٢: ٤٧١، مادة (قدم).
(٣) سورة الحشر، الآية: ٦.
(٤) أسقط الشارح شرح فقرة «فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة».



مخاطباً معاوية

«وزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ ولَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ وكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ والْقَضَاءِ الْوَاقِعِ ومَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَومُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ». من الكتاب (١٠)

المسببون لقتل عثمان

«**وزعمت أنك جئت ثائرا بعثمان**» أي: طالباً لدمه.

«**ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان كنت طالبا**» فجميع الناس كانوا يعلمون أنّ المسبب لقتله إنما كان طلحة والزبير، وعائشة، ومن كان معهم. فقال ابن أبي كلاب لعائشة – وكان من أخوالها لما قالت: لأطلبنّ بدم عثمان لمّا سمعت أنّ الناس قتلوه، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام – والله إنّ أوّل من أمال حرف عثمان لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[1].

ولمّا بلغ أصحاب عائشة وطلحة والزبير ذات عرق في مسيرهم إلى البصرة وكان تبعهم مروان، وغيره من بني أُميّة هرباً من أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن معهم سعيد بن العاص. فلقي سعيد، مروان وأصحابه من بني أُميّة فقال لهم كما في (كامل الجزري): أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى منازلكم[2].

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٤٧٧، سنة ٣٦.
(٢) الكامل ٣: ٢٨، سنة ٣٦، أعيان الشيعة: ١/ ٤٥٠.

حيلة قصير مع الزبّاء

«**فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال**» في (تاريخ الطبري): لمّا قتلت الزبّاء جذيمة الأبرش جدع قصير أنفه وأثّر آثارا بظهره، وخرج إلى الزبّاء. فقالت: ما الّذي أرى بك؟ فقال: زعم عمرو بن عدي أنّي غررت خاله، وزيّنت له السير إليك. ففعل بي ما ترين فأقبلت إليك. فأكرمته فلمّا عرف أنّها وثقت به قال لها: إنّ لي بالعراق أموالاً، وطرائف، فابعثيني إليها. فلا طرائف كطرائف العراق - إلى أن قال -:

ثمّ عاد قصير الثالثة إلى العراق. فقال قصير لعمرو بن عدي: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك، وهيئ لهم الغرائر، والمسوح، واحمل كلّ رجلين على بعير في غرارتين، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها ففعل - إلى أن قال -:

فخرجت الزبّاء فرأت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها فقالت:

[مجزوء البحر الرجز]

ما للجمال مشيُها وَئِيْدَا أجندلاً يحملن أم حَدِيْدَا

أم صرفاناً بارداً شَدِيْدَا[1]

قيل: أي: جنس من التمر.

في ذكر ليلة الهرير

«**وكأنّي بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله**» في (صفين نصر بن مزاحم) في طي ذكر ليلة الهرير فقام علي عليه السلام خطيباً ثمّ قال: «**أيّها الناس قد بلغ بكم الأمر، وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر أخرها بأوّلها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ**» فبلغ ذلك معاوية فدعا عَمْراً بن العاص فقال: يا عمرو إنّما هي الليلة حتّى يغدوعلينا عليّ بالفيصل. فما ترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله هويقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهويريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختفلوا، وإن ردّوه

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٤٧، ٤٤٨، والنقل بتصرف يسير.

اختلفوا. ادعهم إلى كتاب الله حكماً في ما بينك وبينهم، فإنّك بالغ به حاجتك في القوم، فإنّي لم أزل اؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف ذلك معاوية. فقال: صدقت[١].

«**وهي**» أي: تلك الدعوة.

«**كافرة**» بالله.

«**جاحدة**» لكتاب الله.

«**أو مبايعة حائدة**» أي: مائلة عن الإسلام.

رفع المصاحف على أطراف الرماح

روى (نصر بن مزاحم): عن تميم بن حذيم قال: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام، وسط الفيلق من حيال موقف معاوية. فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحب العسكر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. وقال أبوجعفر، وأبو الطفيل استقبلوا عليّاً عليه السلام بماءة مصحف، ووضعوا في كلّ مجنبة ماءتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف قال أبوجعفر ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام وقام أبوشريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة. ثمّ نادوا، يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم. فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال عليّ عليه السلام: اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم[٢].

قال ابن أبي الحديد: إنّ قوله عليه السلام: «فكأنّي رأيتك تضجّ من الحرب...» إمّا ان يكون فراسة نبويّة صادقة وهذا عظيم، وإمّا أن يكون إخباراً عن غيب مفصّل وهوأعظم وأعجب، وعلى كلا الأمرين فهوغاية العجب، وقد رأيت له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا وهو:

«أما بعد، فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بمنزلتك الّتي أنت إليها صائر ونحوها سائر. وليس إبطائي عنك إلّا لوقت أنا به مصدّق، وأنت به مكذّب وكأنّي أراك وأنت تضجّ من الحرب، وإخوانك يدعونني خوفا من السيف إلى كتاب هم به كافرون وله جاحدون».

---

(١) وقعة صفين: ٤٧٦.
(٢) وقعة صفين: ٤٧٨.

يابن حرب أولياؤك أولياء الشيطان

ووقفت له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى أوّله: أما بعد. فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحق أساطير، ونبذتموه وراء ظهوركم، وحاولتم إطفاءه بأفواهكم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١) ولعمري لينفذن العلم فيك، وليتمّنّ النور بصغرك، وقماءتك ولتخسأنّ طريداً مدحوراً، أو قتيلاً مثبوراً، ولتجزين بعملك حيث لا ناصر لك، ولا مصرّخ عندك، وقد أسهبت في ذكر عثمان ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك، ولقد تربّصت به الدوائر، وتمنّيت له الأماني طمعاً في ما ظهر منك، ودلّ عليه فعلك. وإنّي لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه، وأكبر من خطيئته.

فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وإنّ قائمه لفي يدي، وقد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس، وفراعنة بني سهم، وجمح وبني مخزوم وأيتمت أبناءهم وأيّمت نساءهم، واذكّرك ما لست له ناسيا، يوم قتلت أخاك حنظلة، وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمرا فجعلت عنقه بين ساقيه رباطا، وطلبتك ففررت، ولك حصاص، فلولا أنّي لا أتبع فارا لجعلتك ثالثهما، وأنا اولي لك بالله ألّية برّة غير فاجرة. لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لأتركنّك مثلا يتمثّل به الناس أبداً، ولأجعجعنّ بك في مناخك حتّى يحكم الله بيني وبينك، وهو خير الحاكمين.

ولئن أنسأ الله في أجلي قليلاً لأغزينّك سرايا المسلمين، ولأنهدنّ إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار. ثمّ لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة، ولا أجيبك إلى طلب وسؤال، ولترجعنّ إلى تحيّرك، وتردّدك وتلدّدك، فقد شاهدت وأبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيّبها حتّى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أوّل من كفر وكذّب بنزوله، ولقد كنت تفرّستها، وآذنتك أنّك فاعلها، وقد مضى منها ما مضى، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى، وأنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب. فاختر لنفسك، وانظر لها، وتداركها، فإنّك إن فرّطت واستمررت على غيّك وغلوائك حتّى ينهد إليك عباد الله، ارتجت عليك الأمور، ومنعت أمراً هو اليوم منك مقبول.

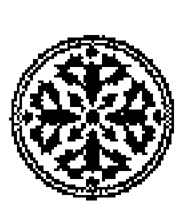
يا بن حرب إنّ لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرّأي، فلا يطمعنّك أهل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

الضلال، ولا يوبقنّك سفه رأي الجهّال. فوالّذي نفس عليّ بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذي الفقار، لتصعقنّ صعقة لا تفيق منها حتّى ينفخ في الصور النفخة الّتي يئست منها ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[1].

قلت: كتابه عليه السلام هذا وإن كان بعد وقوع الأمر إلّا أنّه تضمّن أنّه عليه السلام قال لمعاوية: إنّي أعلمتك قبل بأنّك تفعل ذلك.



(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١٩ و ٤٢٠. والآية ١٢ من سورة الممتحنة.

جهل أهل العراق بقدره وعَدْله وإمامته

ومن خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق:

«أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ ومَاتَ قَيِّمُهَا وطَالَ تَأَيُّمُهَا ووَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا واللهِ مَا أَتَيْتُكُمْ إِخْتِيَاراً ولَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلَّا واللهِ ولَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا ولَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا ويلمّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَن لوكَانَ لَهُ وِعَاءٌ ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين». الخطبة (٦٩)

تحذيره عليه السلام لأهل الكوفة من بني أُمية

أقول: رواه (الإرشاد) مع اختلاف وزيادات. فقال: قال عليه السلام: يا أهل الكوفة أنتم كامّ مجالد حملت فأملصت. فمات قيّمها. فطال تأيّمها، وورثها أبعدها،

والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنم الدنيا لا تبقي ولا تذر، ومن بعده النّهاس الفراس. الجموع المنوع، ثم ليتوارثنكم من بني أُميّة عدّة ما الآخر بأرأف بكم من الأوّل ما خلا رجلاً واحداً، بلاء قضاه الله على هذه الأمّة لا محالة كائن، يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم في جوف حجالكم. نقمة بما ضيّعتم من أموركم، وصلاح أنفسكم ودينكم. يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتّعظ واعتبر. كأنّي بكم تقولون إنّ عليّاً يكذب كما قالت قريش لنبيّها صلى الله عليه وآله، فيا ويلكم أفعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من عبده ووحّده، أم على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره. كلا والله، ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لتعلمن نبأها بعد حين، وذلك إذا صيّركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم[١].

---

(١) الإرشاد ٦: ١٤٨.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» - إلخ - هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن كلام له عليه السلام . . .) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

مخاطبته عليه السلام أهل العراق

قوله: «أما بعد يا أهل العراق» قال الفيروز آبادي: العراق من عبادان إلى موصل طولا، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، سمّيت بها لتواشج عراق النخل، والشجر فيها[٢] . . . .

وعن الأصمعي: أنّها معرّبة إيران شهر[٣]، وقيل معرّبة إيراف بالفاء ومعناه مغيض الماء لأنّ دجلة والفرات وتامرّا تنصب من نواحي أرمينية وبند، من الروم إلى العراق، وبها يقرّ قرارها، وقيل: العراق بمعنى الاستواء.

قال: «سياق من ليس له عراق»[٤] أي: استواء. والعراق مستوية خالية من جبال تعلو، وأودية تنخفض، وقيل: إنّها بمعنى الشاطئ، والعراق على شاطئ دجلة والفرات. وقيل من عراق المزادة لكون العراق بين الريف والبر.

«**فإنّما أنتم**» في ما فعلتم في صفين من الحرب حتّى ظهرت لكم آثار الغلبة، ثمّ انخذلتم بخدعة العدو. ثمّ اختلافكم، وخروج فرقة منكم على وليّكم، وإقراركم بالخسف في غارات العدوعلى بلادكم حتّى صاروا مستولين على بلادكم مضافا إلى استقلالهم في بلادهم.

«**كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت**» أيّام حملها.

«**أملصت**» أي: أسقطت.

«**ومات قيّمها، وطال تأيّمها**» بقاؤها بلا قيّم بموت زوجها.

«**وورثها أبعدها**» حين موتها لعدم زوج وولد لها. ولمّا أراد معاوية أن يبعث جندا لأخذ مصر خطب أهل الشام، وقال: رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه، لقد جاءكم عدوّكم لا يشكّون أنّهم يستأصلون بيضتكم، ويحوزون بلادكم ما كانوا إلّا أنّكم في أيديهم. فردّهم بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفاكم مؤونتهم، وحاكمتموهم إلى الله فحكم

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢ مثل المصرية.
(٢) القاموس المحيط ٣: ٢٦٣، مادة (عرق).
(٣) معجم البلدان ٤: ٩٣.
(٤) أورده معجم البلدان ٤: ٩٣.

لكم عليهم. ثمّ جمع كلمتنا، وأصلح ذات بيننا، وجعلهم أعداء متفرّقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر، ويسفك بعضهم دم بعض.

وقد أخذ ابن كوجك الوراق أوأبوه معنى كلامه عليه السلام «أنتم كالمرأة الحامل» مع أدنى تصرف. فقال: [البحر الطويل]

وما ذات بعل مات عنها فجاءه ... وقد وجدت حملا دوين التَّرائِبِ
بأرض نأت عن والديها كليهما ... تعاورها الورّاث من كلّ جَانِبِ
فلمّا استبان الحمل منها تنهنهوا ... قليلاً وقد دبّوا دبيب الْعَقَارِبِ
فجاءت بمولود غلام فحوّزت ... تراث أبيه الميت دون الْأَقَارِبِ
فلمّا غدا للمال ربّاً ونافست ... لإعجابها فيه عيون الْكَواعِبِ
وأصبح مأمولاً يخاف ويرتجى ... جميل المحيا ذا عذار وَشَارِبِ
اتيح له عبل الذراعين محدر ... جريء على أقرانه غير هَائِبِ
فلم يبق منه غير عظم مجزّر ... وجمجمة ليست بذات ذَوَائِبِ
بأوجع منّي يوم ولّت حدوجهم ... يؤمّ بها الحادون وادي غَبَاغِبِ

كيف استقام الرويّ للشاعر ابن هرمة

هذا، وفي (الأغاني): كان ابن هرمة جالساً على دكان في بني زريق وقال بيتاً ثمّ انقطع عليه الرويّ، وبيته: [البحر الوافر]

فإنّك وأطّراحك وصل سعدى ... لأخرى في مودتها نَكُوْبُ

فمرّت عليه جارية مليحة كان يستحسنها أبداً، ويكلّمها إذا مرّت به فرآها قد ورم وجهها، واذناها. فسألها عن خبرها. فقالت: استعار لي أهلي حليّاً لأروح إلى عرس. فثقبوا أذني لألبسه. فورم وجهي، واذناي كما ترى. فردّوه، ولم أشهد العرس، فاطّرد لابن هرمة الرويّ. فقال: [البحر الوافر]

كثاقبة لحلي مستعار ... بأذنيها فشأنهما الثُّقُوْبُ
فردّت حلي جارتها إليها ... وقد بقيت باذنيها نُدُوْبُ

جئت إليكم سوقاً لا اختياراً

«**أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً**» فاضطر عليه السلام لأمر معاوية أن يأتي من البصرة إلى الكوفة، ولولاه لرجع، وقال ابن أبي الحديد: «لأنّه لولا يوم الجمل

لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق»[1] وهو كما ترى.

«**ولقد بلغني أنكم تقولون عليّ يكذب**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) وليس في (ابن ميثم والخطية) كلمة «عليّ»[2].

«**قاتلكم الله. فعلى من الكذب**» هكذا في (المصرية) والصواب: (أكذب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«**أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه**» قال ابن أبي الحديد: كان عليه السلام كثيراً ما يخبر عن الملاحم، والكائنات، ويؤمئ إلى أمور أخبره بها النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول المنافقون من أصحابه: يكذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله يقولون عنه يكذب. وإذا تأملت أحواله في خلافته كلّها وجدتها هي مختصرة من أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته كأنّها نسخة منتسخة منها في حربه وسلمه، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين[4].

إن أمرنا صعب مستصعب

روى (صاحب الغارات) عن الأعمش عن رجاله. قال: خطب عليّ عليه السلام فقال: «**والله لوأمرتكم فجمعتم من خياركم ماءة ثمّ لو شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلّا حقّاً ثمّ لتخرجن فلتزعمن أنّي أكذب الناس وأفجرهم**».

وروى هووغيره أنّه عليه السلام قال: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلّا ملك مقرّب أونبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان»[5].

دنا خراب العراق

وروى المدائني في (صفّينه) قال: خطب عليّ عليه السلام بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم قال: إذا كثرت فيكم الأخلاط، واستوت الأنباط، دنا خراب العراق. ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار. فإذا غلت فيها الأسعار، وشيّد فيها البنيان، وحكم فيها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.
(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢ مثل المصرية.
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢ مثل المصرية.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.
(٥) الكافي: ١/ ٤٠١ ح ١، رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

الفسّاق، واشتدّ البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلاء، وستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح ويبهت اللبيب. يعاجلون بالسيف صلتاً. وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون. فيا لها من مصيبة حينئذ من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدّة الصريخ، ذلك أمر الله وهوكائن وفناء سريع.

فيابن خيرة الآباء متى تنتظر؟ أبشر بنصر قريب من ربّ رحيم. ألا فويل للمتكبّرين عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين، عصاة ذي العرش العظيم. فبأبي وأمّي من عدّة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة. قد دان حينئذ ظهورهم ولوشئت لأخبرتكم بما يأتي، ويكون من حوادث دهركم، ونوائب زمانكم. وبلايا أيّامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكنّه أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم، ونظرا لكم، علما منّي بما هوكائن، وما يلقون من البلاء الشامل.

ذلك عند تمرّد الأشرار، وطاعة اولي الخسار. ذاك أوان الحتف والدمار. ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم وتشتت أنفسكم، وإنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلّا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج. تتفكهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية. قولكم البهتان، وحديثكم الزور، وأعمالكم الغرور. فعند ذلك لا تأمنون البيات. فيا له من بيات ما أشدّ ظلمته، ومن صائح ما أفظع صوته. ذلك بيات لا يتمنّى صباحه صاحبه. فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعضّكم البلاء كما يعضّ الغارب القتب. يا عجبا كلّ العجب بين جمادى ورجب، من جميع أشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات. ثم قال: سبق القضاء سبق القضاء. قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال فوالله ما نزل عليه السلام عن المنبر حتّى فلج الرجل. فحمل إلى منزله في شق محمل فمات من ليلته.

سلوني قبل أن تفقدوني

وروى المدائني أيضاً: أنّ عليّاً عليه السلام خطب فذكر الملاحم. فقال: سلوني قبل أن تفقدوني. أما والله لتشغرن الفتنة الصمّاء برجلها، وتطافي خطامها. يا لها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل. مقبلة من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة

أوحولها. ذاك إذا استدار الفلك. قلتم مات أو هلك، بأيّ واد سلك. فقال قوم تحت منبره: لله أبوه ما أفصحه كاذباً[١].

وروى صاحب (الغارات) عن المنهال بن عمروعن عبد الله بن الحارث قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلّا وقد أنزل الله فيه قرآناً. فقام إليه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين فما أنزل الله فيك - يريد تكذيبه - فقام الناس يلكزونه في صدره وجنبه. فقال: دعوه. أقرأت سورة هود؟ قال: نعم. قال: أقرأت قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٢] قال: نعم. قال: صاحب البيّنة محمّد صلى الله عليه وآله والتالي الشاهد أنا[٣].

ما روي عن أبي العالية في سماعه عليّاً عليه السلام

قلت: وقال المفيد في (إرشاده): روى عبد العزيز بن صهيب، عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبد الله. قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: أم والله ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم. فقلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال:

احفظ ما أقول لك. والله ليكوننّ ما أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام وليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد. قلت: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبوالعالية: فما أتت علينا جمعة حتّى أخذ مزرع. فقتل وصلب بين الشرفتين وقد كان حدّثني بثالثة فنسيتها[٤].

دعا عليه لتكذيبه فذهب بصره

وعن الطبراني في (أوسطه) وأبي نعيم في (دلائله) عن زاذان، أنّ عليّاً حدّث بحديث. فكذّبه رجل. فقال له عليّ عليه السلام: أدعوعليك إن كنت كاذبا. قال: أُدْعُ. فدعا عليه. فلم يبرح حتّى ذهب بصره[٥].

(١) رواه عن صفّين المدائني، ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٩، ٥٠.
(٢) سورة هود، الآية: ١٧.
(٣) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة، وقاموس الرجال: ١٢/ ١٤ ح٣٦، أعيان الشيعة: ١/ ٣٤٥.
(٤) الإرشاد: ١٧٢، ومدينة المعاجز: ٢/١٧٩ ح ٤٨٢، البحار: ٤١/ ٢٨٦ ح ٥.
(٥) رواه عنهما السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٧٩، وأخرجه أيضاً أحمد في الفضائل والملّا في السيرة، عنهما ذخائر العقبى: ٩٧، وغيرهم.

ثمّ إنّ (ابن أبي الحديد) لم يفد كون أحواله عليه السلام مختصرة من أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله بزمان خلافته عليه السلام بل كان كذلك في خلافته، وفي أيّام الثلاثة.

فعاملوه عليه السلام في أيّامهم معاملتهم النبيّ صلى الله عليه وآله في أوّل أمره، وعاملوه في خلافته عليه السلام معاملتهم النبيّ صلى الله عليه وآله بعد اقتداره حتّى أنّهم كما حجروا النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصية، اضطروه عليه السلام إلى أن يخفي قبره مدّة.

ثمّ كونه عليه السلام أوّل من آمن بالله، وصدق رسوله من البديهيّات، كادّعاء النبيّ صلى الله عليه وآله النبوّة، ومع ذلك شكك إخواننا فيه كما شككوا في يوم الغدير مع كونه من المتواترات كما التزموا في دينهم بالمتناقضات.

«**كلا والله ولكنّها لهجة غبتم عنها**» الظاهر أنّ المراد أنّ إخباره عليه السلام عن الملاحم الّذي أعطاه الله تعالى ليسوا بقابلين لفهمه لعدم استعدادهم، كمن يتكلّم لقوم بغير لغتهم. فلا يفهموه لعدم علمهم بتلك اللغة، يشهد لذلك قوله عليه السلام بعده.

هي لهجة النبي صلى الله عليه وآله شهدت وغبتم

«ولم تكونوا من أهلها» وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يعني بها لهجة النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول شهدت وغبتم، ويمكن أن يعني بها لهجته هوفيقول إنّها لهجة غبتم عن منافعها(١). . وهوكما ترى. هذا، وقد عرفت أنّ (الإرشاد) بدّله بقوله: «**ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء**» ولا يبعد تصحيفه.

«**ويلمّه**» هكذا في (المصرية وابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد): «ويل امه» والأوّل مخففة(٢).

«**كيلا بغير ثمن**» والأصل يكون ما أخبركم من الملاحم كيلا بغير ثمن، ويجوز أن يكون الأصل أكيل لكم كيلا بغير ثمن.

«**لوكان له وعاء**» أي: ظرف حتّى يحفظ.

«**ولتعلمنّ نبأه بعد حين**» أي: إذا وقع ما أخبرتكم به تعلمون صدقي.

واهاً لك أيها التربة

روى (أمالي الصدوق) مسنداً عن هرثمة بن مسلم قال: غزونا مع عليّ عليه السلام صفّين.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩.

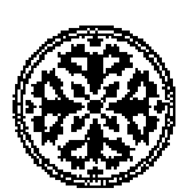
(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

فلمّا انصرفنا نزل كربلاء فصلّى بها الغداة. ثمّ رفع إليه من تربتها فشمّها. ثمّ قال: واها لك أيّها التربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب. فلمّا رجعت أخبرت زوجتي وكانت شيعة لعلي عليه السلام فقالت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقّاً فلمّا قدم الحسين عليه السلام كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله. فلمّا رأيت المنزل، والشجر ذكرت الحديث. فجلست على بعيري. ثمّ صرت إلى الحسين عليه السلام فسلمت عليه فأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام. فقال: معنا أنت أو علينا. فقلت: لا معك ولا عليك. خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد الله. فقال: فَامْضِ لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً فوالّذي نفس حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلّا أكبّه الله لوجهه في جهنّم[1].

أحوال النساء في آخر الزمان

وقد أخبر عليه السلام بالنساء العاريات اللّاتي ظهرن في عصرنا. ففي (الفقيه):

روى الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الزمان واقتراب الساعة وهوشرّ الأزمنة نسوة كاشفات عاريات، متبرجات (خارجات) من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللّذات، مستحلّات للمحرّمات، في جهنّم خالدات[2].



(١) أمالي الصدوق: ١١٧ ح ٦، المجلس ٢٨، مدينة المعاجز: ٢/ ١٧١ ح ٤٧٣، والبحار: ٤٤/ ٢٥٦ ح ٤.

(٢) الفقيه ٣: ٢٤٧ ح ٥، مكارم الأخلاق: ٢٠١، جامع الأحاديث الشيعة: ٢٠/ ٤٥ ح ١٥٣.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

المقدمة ٥

في أخباره عليه السلام عن القرآن والإسلام والمساجد ١٣
ماذا يبقى من القرآن ومن الإسلام؟! ١٣
كيف تصبح المساجد؟! ١٤
النجاة في ألا تخادعوا الله فيخدعكم ١٦
في جهنم رحىً . . . ما طحنها؟! وفي النار مدينة . . . من سكانها؟! ١٦

الموسرون في الزمن العضوض ١٨
حالة الناس في الزمن العضوض . . وكيفية العمل فيه؟! ١٨
ذمّ الشُّح ١٩
نهي عن بيع المضطرين ٢٠

علي عليه السلام على منبر الكوفة يقول: سلوني . . ويخبر عن المستقبل ٢٣
سلوني قبل أن تفقدوني ٢٣
النبي صلى الله عليه وآله يخبر علياً عليه السلام عمّا يجري عليه وعلى ذريته من بعده ٢٤
خطبته عليه السلام في النهروان وإخباره بأنه مقتول ٢٦
كيف فقأ علي عليه السلام عين الفتنة؟! ٢٧
بهتان ابن أبي الحديد في علي عليه السلام والحسن عليه السلام ٢٨
أهل الجمل وصفين والنهروان في الانحراف سواء ٢٩
عجباً لقوم يكبرون سبَّ معاوية ويسكتون عند سبّ علي عليه السلام ٣٠

وماذا عن عائشة! ٣٢
كفر القوم وربّ الكعبة ٣٣
وكثر المدّعون لكلمة سلوني منهم قتادة ٣٤
وإبراهيم بن هشام يقول في مِنى... سلوني؟!! ٣٥
ومقاتل بن سليمان يتطاول ويقول سلوني؟!! ٣٥
وابن الجوزي يقولها أيضاً؟!! ٣٥
ما روي عن غلاظة عمر وجهله بتفسير القرآن ٣٦
ما رواه العلماء في علم علي عليه السلام وأنه الإمام المبين ٣٧
راكبة الجمل ٣٩
إخبار عن موت خالد بن عرفطة وحبيب بن عمار ٣٩
في كتاب علي عليه السلام بنو الحسن عليه السلام لا يملكون ٣٩
علي عليه السلام يحذر عمر بن سعد من مستقبله ٤٠
علي عليه السلام يخبر عن كربلاء ٤٠
إخباره عليه السلام بالحوادث الجارية ٤١
خلفاء بني العباس كان لديهم وريقات من علم علي عليه السلام ٤٥
ثقة ابن الحنفية في مغيّبات أبيه عليه السلام ٤٥
ابن الزبير مصلوب قريش ٤٦
ومن إخبار علي عليه السلام ٤٦
حلم المعتضد ٤٩
حلم القادر ٥٠
الإمام الصادق عليه السلام يُخبر بقيام الدولة العباسيّة ٥١
الرشيد يعلم بفتنة ولديه من الإمام الكاظم عليه السلام ٥٢
أين تذهب الروح عند النوم؟! ٥٣

سعة علم علي عليه السلام ٥٤
الواعظ الجاهل ٥٤
أعمى سأل عن عمياء ٥٦

علي عليه السلام يعلم طرق السماء ٥٧

خاف عليٌّ عليه السلام كفر الناس فلم يَبُحْ بكثير من المغيبات ٥٩

إن عندي من ذلك علماً جماً ٥٩

علي عليه السلام مع الجاثليق النصراني ٥٩

ثمانية نفر من هذه الأمة إمامهم ضب ٦٠

علي عليه السلام يُخبر ربيعة بن أبي شداد بمقتله ٦١

ويروي أبو الجهم العدوي عن علي عليه السلام ٦١

عاش في الإسلام قليلاً، وينعم في جوار الله كثيراً ٦١

أنت متمرّد ٦٢

رجل شديد العداوة لعلي عليه السلام يحمل كتاباً من عائشة ٦٢

الإمرأة السَّلَقْلَقَةُ الجَلِعَة ٦٣

حكمت عليك بالحق الذي علمته ٦٣

قوله عليه السلام في القرامطة ٦٤

الإمام علي عليه السلام يخبر عن هولاكو ودور ابن طاووس في دولته ٦٤

جوابه عليه السلام لتميم بن أُسامة ٦٦

أيقتل الحسين عليه السلام يا براء وأنت حي لا تنصره! ٦٦

علي عليه السلام يُخبر عما يجري في كربلاء ٦٧

علي عليه السلام يُخبر ميثم التمار عن أصله ومصرعه ٦٩

عبيد الله بن زياد يصلب ميثماً كما قال علي عليه السلام ٧٠

الحجّاج يقتل كميل بن زياد ٧١

الحجاج يذبح قنبراً ٧١

زياد بن أبيه يقتل رشيداً الهجري ٧٢

علي عليه السلام يُخبر عن مقتل مزرع بن عبدالله وصلبه ٧٢

علي عليه السلام يحدّث جويرية بقتله ٧٢

إخباره عن حجر بن عدي الكندي وأصحابه وعن عمرو بن الحمق الخزاعي ٧٣

تفسير كلامه عليه السلام والأقوال فيه ٧٣

كلامه عليه السلام حقٌّ لا كذب فيه ٧٦
والله ما مات معاوية ٧٦
ذو الثدية ٧٦
أبو قتادة يخبر عائشة عن معركة النهروان وعائشة تشهد بالحق ٧٧
التمسوا المخدّج ٧٨
عودة لذي الثدية ومقتله ٧٨
والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ٧٨

تخويف أهل النهروان ٨٠
يطلبون منه التوبة بعد الكفر ٨٠
قوله عليه السلام لأهل النهروان: أصابكم حاصبٌ ولا بقي منكم آبر ٨٠
بيعة الخوارج لعبد الله بن وهب ٨٣
قاتل ذي الثدية خير الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ٨٤
تفسير كلام الخطبة ٨٤
علي عليه السلام يشدّ على الخوارج بعد إتمام الحجة عليهم ٨٥
أردتكم على ذلك فعصيتموني ٨٦
خروجُ القوم عليه عليه السلام ٨٧
العجب من الخوارج وتناقضاتهم ٨٨
شرح مقاطع الخطبة ٨٩
بين الخوارج وزياد بن أبيه ٨٩
بين الخوارج وابن زياد ٨٩

لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة ٩٢
لن يبلغوا النّطفة ٩٢
لا يقتل رجل من وراء النهر ٩٣
علي عليه السلام يُخبر عن مكان مقتل الخوارج ٩٣
كلّا ما عبر القوم ٩٤
رواية أخرى عن إخباره بعدم عبور الخوارج ٩٥

شكُّ بعض أصحابه في أقواله ٩٥
قول النبي ﷺ: يهلك في علي عليه السلام محبّ غالٍ ومبغض قالٍ ٩٦
بحثٌ حول الإخبار عن الغيوب وطُرُقه ٩٦

للإضلال مصدران ١ - الشيطان ٢ - النفس الأمارة بالسوء. ١٠٠
مآل الخوارج بعد النهروان ١٠٠
لقد ضرّكم من غرّكم ١٠٠
تفسير قوله عليه السلام ١٠١
الخوارج في زمن بني أمية ١٠٣
الحجاج وشبيب الخارجي وزوجته غزالة ١٠٤
لماذا قاتل الشيعةُ الخوارج بعد أمير المؤمنين عليه السلام؟ ١٠٥
قتال معاوية أولى من قتال الخوارج ١٠٧
لماذا وصّى علي عليه السلام بعدم قتال الخوارج بعده؟! ١٠٨

استطلاع أحوال الملتحقين بالخوارج ١٠٩
أحوال مصقلة بن هبيرة الشيباني ١٠٩
شرح الكلام ١٠٩
ظعنوا يا أمير المؤمنين ١١٠
قصة الملتحقين بالخوارج بعد التحكيم ١١١
قتل الخوارج المسلم أمّنو الكافر ١١٢
كتاب علي عليه السلام إلى زياد بن حفصة ١١٣
كتابه عليه السلام إلى معقل بن قيس ١١٤
قوم مصقلة يكتبون إليه ليعود من صفوف معاوية إلى صفوف علي عليه السلام ١١٦
جواب مصقلة على خطاب قومه ١١٦
معاوية يولّي مصقلة طبرستان ١١٧
قصة بني ناجية ١١٧
أعظم الخيانة خيانة الأمة ١٢٠
تفسير كلامه عليه السلام ١٢١

البصرة... أهلها ومناخها ومستقبلها ١٢٤
الخطبة بروايات متعدِّدة ١٢٥
مدح أهل البصرة ١٢٧
مدح البصرة وأهلها في رواية ابن قتيبة ١٢٨
في وصف البصرة ١٢٩
لا أفلح قوم تدبّرهم امرأة ١٣٠
ما قيل في عائشة ١٣٢
في حرب الجمل ١٣٣
كيف صُرِع الجمل؟! ١٣٤
تفسير كلامه عليه السلام حول البصرة ١٣٧
إخباره عليه السلام حول مستقبل البصرة ١٣٨

الفتن القادمة على البصرة ١٤٤
ما سيقع بعده عليه السلام من الفتن ١٤٤
الويح والويل قبل الغرق ١٤٥
صاحب الزنج وأهل البصرة ١٤٧
تفسير كلامه عليه السلام ١٤٨
قصة صاحب الزنج برواية أخرى ١٥١
عودة إلى تفسير كلامه عليه السلام ١٥٣
كيف انتهت حركة صاحب الزنج؟ ١٥٤

حديثه عن التتار واستهجان أصحابه بهذا العلم ١٥٧
للجاحظ رسالة في الترك (وهم التتار والمغول) ١٥٨
صفة الترك «التتار» ١٥٩
المسعودي يذكر تأثير البيئة فيهم ١٦٠
استعظام المؤرخين لفعل التتار في بلاد الإسلام ١٦٠
أعظم ما ذكر من الحوادث ١٦١
التتر يستولون على البلاد الشرقية للمسلمين ١٦١

جنكيزخان يطلب خوارزمشاه ١٦٢
ابن الأثير يذكرهم في آخر سنة من تاريخه ١٦٣
طريقتهم في القتال ١٦٣
رعب المسلمين من التتار ١٦٥
ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلّم من ذي علم ١٦٧

حديثه عليه السلام عن الكوفة ١٦٩
في وصف الكوفة ١٦٩
في فضل مسجد الكوفة ١٧١
ما حدث لزياد بن أبيه من آية ١٧٢
مصير جبابرة الكوفة وأمرائها ١٧٤
موت زياد وابنه عبيد الله ١٧٥
في المختار ١٧٦
أبو السرايا ١٧٦
من عذيري من أهل الكوفة؟ ١٧٦
إلزموا منازلكم وابقوا على أنفسكم ١٧٧

الإمام ينذر أهل الكوفة بحكومة معاوية عليهم ١٧٨
ظهور أهل باطلها على أهل حقها ١٧٨
وعد الله للصابرين ١٧٨
بطن معاوية ١٧٩
لا أشبع الله بطنه ١٧٩
حكايات بعض الأكولين ١٨٠
بين معاوية وأبي ذر الغفاري ١٨٠
ماذا قال الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية؟! ١٨١
ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله في معاوية؟! ١٨١
عاد الضمير إلى معاوية بالقصد ١٨٢
في مقتل حجر بن عدي ١٨٢

السبّابون لعلي عليه السلام ومخازيهم ١٨٣
سبّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة ١٨٥
كلّما سبُّوه عليه السلام زاد إلى القلوب قرباً ١٨٥
رجال لم يسبّوا عليّاً فقتلوا ١٨٦
ورجال استعملوا التورية في لعن علي عليه السلام خوفاً من القتل ١٨٧
دعه فستكفى ١٨٧
هل تجوز البراءة من علي عليه السلام ؟ ١٨٨
كتاب الحسين عليه السلام إلى معاوية ١٩٠
عدي وأصحابه لما عُرِض عليهم البراءة من علي عليه السلام ١٩١
رشيد الهجري وميثم التمار ١٩٢
معنى قوله عليه السلام : فإني ولدت على الفطرة ١٩٣
معنى قوله عليه السلام : وسبقت إلى الإيمان والهجرة ١٩٤

علي عليه السلام يُخبر عن مروان بن الحكم ١٩٦
من هو الوزغ بن الوزغ ١٩٦
ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله في الحكم بن أبي العاص والد مروان ١٩٧
موقف مروان من الحسين عليه السلام وردود الحسنين عليهما السلام عليه ١٩٨
الحكم يتجسّسُ على النبي صلى الله عليه وآله ١٩٩
مروان في زمن عثمان ١٩٩
لعن مروان ٢٠٠
لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ٢٠١
نحن أخوة يوسف فاعف عنا ٢٠١
أولم يبايعني الوليد بعد قتل عثمان! ٢٠٣
لا حاجة لي فيها، إنها كف يهودية ٢٠٣
يحمل راية ضلال بعدما يشيب صدغاه ٢٠٤
إمارة مروان ونهايته ٢٠٥
عبد الملك أبو الجبابرة الأربعة ٢٠٦

ما أحب أن أكون ذلك الكبش ٢٠٧
ويل لأمة محمد ﷺ من مروان وأولاده ٢٠٧
مروان وولده بنو الزرقاء ٢٠٧
ما هذا الخضوع لمروان؟! ٢٠٨
كتاب معاوية إلى مروان ٢٠٨
رد مروان على معاوية ٢٠٩
ماذا لقيت الأمة من مروان وولده؟! ٢٠٩
بعض أحوال هشام بن عبد الملك ٢١٠
حياة الوليد بن يزيد ٢١١
عمر بن عبد العزيز ٢١١
إخباره عليه السلام عمر بن سعد باختياره النار على الجنة ٢١١
رأس الحسين عليه السلام بين يدي مروان ٢١٢

من هو الضِّلّيل الذي ينعق بالشام ويفحص براياته في ضواحي كوفان ٢١٣

ذكره عليه السلام طرفاً من الملاحم بعد النهروان ٢١٣
ما كان لعبد الملك مع صديقه يوسف ٢١٥
عبد الملك يقتل عُمَرَ الأشدق ٢١٦
مقتل مصعب ٢١٨
خطبة عبد الملك بالنخيلة بعد قتله مصعباً ٢١٩
الحجاج يقتل عبدالله بن الزبير ٢٢٠
عبد الملك يولّي الحجاج على العراق ٢٢١
قانونه الظالم ٢٢١
كتاب الحجاج إلى عبد الرحمن بن الأشعث ٢٢٢
خلع الحجاج ومبايعة أهل البصرة عبد الرحمن ٢٢٢
اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً ٢٢٣
دنا تشتيت بني أمية ٢٢٣
قتل مروان ونهاية بني أميَّة ٢٢٥

خروج الرايات السود من خراسان ٢٢٥
ظلم عاصف ٢٢٦

فرشوا الأرضَ بالرؤوس ٢٢٨
عبد الملك في ضواحي كوفان ٢٢٨
ماذا فعل الحجاج بأهل الكوفة ٢٢٨
كم قتل الحجاج من أصحاب ابن الأشعث؟! ٢٢٩
الحجاج يُلاحق أهل الكوفة في أطراف الأرض ٢٢٩
البيعة لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ٢٣٠
إلحاق حي ربيعة واقصاء حي قيس وتميم ٢٣١

سبب الظلم... وإيثار العاجلة وتأخير الآجلة ٢٣٣
بيان سبب اتباع الناس للمتقدمين عليه عليه السلام ٢٣٣
الخليفة من سار بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ٢٣٤
عبد الملك يمنع أهل الشام من الحج ٢٣٤
إنه أمر غير ممكن ٢٣٥
الحجاج يحرّق كل بيت تخلّف ٢٣٥
أعرابي يتساءل ٢٣٦
خطبة عمّار بن ياسر في صفين ٢٣٦
مخاطبة علي عليه السلام لعمر بن سعد ٢٣٧

الحجاج بن يوسف غلام ثقيف ٢٣٩
الإمام علي عليه السلام يحذر من الحجاج وظلمه قبل ولادته ٢٣٩
الحجاج يقتل أعشى باهلة ٢٤٠
موتٌ فاحش للحجاج ٢٤٠
غلام ثقيف عبد لا يدع لله حرمة إلا هتكها ٢٤١
أبيات ابن الزبير في عبد الملك والحجاج ٢٤٢
عبد الملك يولّي الحجاج العراق ٢٤٣
خطبة الحجاج المشهورة في الكوفة ٢٤٤

لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب ٢٤٦
الحجاج يصف عيوبه ٢٤٦
مخاطبة الحجاج لسليمان بن عبد الملك ٢٤٧
الحسن البصري يدعو على الحجاج ٢٤٧
الحجاج يقتل عميراً بن ضابي ٢٤٧
معركة دير الجماجم وسعي الحجاج في قتل ابن الأشعث ٢٤٨
الحجاج يُفضِّل الخليفة الأموي على رسول الله ﷺ ٢٤٩
اجبار الناس على قراءة عثمان وترك قراءة الآخرين ٢٤٩
انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحيه ٢٤٩
الظلوم الغشوم الحجاج ٢٥٠
على دين من أنت؟! ٢٥٠
العلماء يكفّرون الحجاج ٢٥١
جواب حوار الضبي لعبد الملك ٢٥١
كان أكولاً كمعاوية ٢٥٢
كان ظلوماً جائراً على الناس ٢٥٢
موت إبراهيم التيمي في الحبس ٢٥٣
موت الحجاج وإحصاء أفعاله ٢٥٣
ظلم الحجاج يطال الكلاب ٢٥٣
سوط عمر كان أهيب من سيف الحجاج ٢٥٤
يزجر الزجرة فيفزع أقصى من في المسجد ٢٥٤
ضرب أعناق جميع الأسرى بعد دير الجماجم ٢٥٥
بعثتك رسولاً فصرت وزيراً ٢٥٦
ما جرى لعديل بن فرخ العجلي ٢٥٦
واعجباً من أُخيفش أعيمش ٢٥٧
ما قاله الوليد في الحجاج ٢٥٧
الحجاج عقوبة من الله تعالى للناس لتركهم أهل البيت عليهم السلام ٢٥٧
حبس الجيوش في المغازي بغير عطاء ٢٥٨

ما جاء في تفسير: إيه أبا وَذَحَة ٢٥٨
لماذا شُبِّه الحجاج بالخنفساء؟ ٢٦٠
تسميات للتعظيم وأخرى للتحقير ٢٦٠
الحجاج أبو ودجة ٢٦١
آراء حول هذه الكنية للحجاج ٢٦١
دير الخنافس ٢٦٣
أخس المخلوقات أعزّ الأدوية ٢٦٤
جاء في وصف الخنفساء وكناها ٢٦٤
الحجاج يكتب إلى عبد الملك ينصحه بقتل علي بن الحسين عليه السلام ٢٦٥
أكثر لّذات الحجاج سفك الدماء ٢٦٥
الحجاج هو ابن شيطان ذي الردهة ٢٦٦
توبيخ عبد الملك للحجاج ٢٦٦
أخبرني عنك يابن اللخناء؟ ٢٦٧
شدّة طاعة الحجاج للأمويين ٢٦٧

شدّة فسقهم وظلمهم ٢٦٩
فسق خالد القسري ٢٦٩
فخر هاشم على بني أمية ٢٧٠
ها هم بنو أُمية ٢٧٠
فسق يزيد بن معاوية ٢٧١
فسق الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٢٧١
ما قيل في يزيد بن معاوية ٢٧٤
ألف امرأة ولدت بعد الحرة من غير زوج ٢٧٤
ماذا فعل الصحابي سمرة بن جندب بأهل البصرة؟! ٢٧٤
فسق الوليد بن يزيد ٢٧٥
ذكر الوليد عند المنصور ٢٧٦
جئتكم برجل لو أمرته أن ينكح أمه لنكحها ٢٧٧

ظلم وسوء رعاية ٢٧٧
معنى قوله عليه السلام باكٍ يبكي لدينه ٢٧٨
معنى قوله عليه السلام وباكٍ يبكي لدنياه ٢٧٨
وصية الحجاج لإبنه ٢٧٩
بايعوا على أنكم خول ليزيد ٢٧٩
خلع عبد الملك من قبل أهل العراق ٢٧٩
النجاة للمقتحم والهلكة للمتَلوِّم ٢٨١
استبطاؤه عليه السلام من قعد عن نصرته ٢٨١
وُصِفُوا بالضب لعقوقهم ٢٨٢
في وصف الضب ٢٨٣
أوعدنا الله يا زياد خيراً مما أوعدت ٢٨٣
الهلكة للمتلوّم ٢٨٤
الحجاج ينزل الجند في بيوت غيرهم ٢٨٤
عائشة تلوم معاوية في قتل حجر ٢٨٤
شهادة القاضي شريح ٢٨٥
يومي منك يا حجر طويل ٢٨٥
قتل سعيد بن جبير ٢٨٥
يا أعداء الله قد هلكتم ٢٨٦
زهير بن القين يخطب في أهل الكوفة ٢٨٦
مظالم بني أُميّة ٢٨٧
شرح قوله عليه السلام ٢٨٧
الإمام الحسن عليه السلام يتحدّث عن معاوية ٢٨٨
عودة إلى تفسير قوله عليه السلام ٢٨٨
رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم ٢٨٩
انتقام السّفاح من بني أُمية ٢٨٩
عبدالله بن مروان يقص قصته وقصة ملك النوبة ٢٩١

إن لله جنوداً من عسل ٢٩٢

نهاية الأمويين على يد العباسيين ٢٩٤
الخطبة برواية ثانية في روضة الكليني ٢٩٤
الخطبة برواية ثالثة في إرشاد المفيد ٢٩٥
الشيعة بعده عليه السلام بين ثابت على الحق ومشتتين بين غلاة ومنحرفين ٢٩٥
جواب الإمام الصادق عليه السلام على رسالة أبي سلمة الخلّال ٢٩٦
انصرف عبد الله من عنده عليه السلام مغضباً ٢٩٧
لا تكلموا الناس إلا رمزاً ٢٩٧
عودة لشرح كلامه عليه السلام ٢٩٨
بدء الدعوة العبّاسية في خراسان ٢٩٩
أبو مسلم في خراسان ٣٠٠
نصر يوجه يزيد لمحاربة أبي مسلم ٣٠٣
سياسة أبي مسلم في جمع الأنصار ٣٠٤
نصر يكتب إلى مروان يعلمه حال أبي مسلم ٣٠٤
أبو مسلم والكرماني في طلب نصر ٣٠٦
إبراهيم الإمام ينعى نفسه إلى أهل بيته ٣٠٨
وصية إبراهيم الإمام لأخيه أبي العباس السفّاح ٣٠٩
أوّل خطبة لأبي العباس السفّاح ٣٠٩
عبدالله بن علي يفتتح الشام ويقتل مروان بن محمد ٣١١
شدة انتقام العباسيين من الأمويين ٣١١
المنصور في بغداد يسمع من ولد عمرو بن حزم ٣١٢
ما قاله ابن عياش للسّفاح ٣١٢
المهدي العباسي يمحو اسم الوليد ٣١٣
ما حصل عند المنصور ٣١٣

ملك بني أمية لذّة عاجلة ونهاية ماحقة ٣١٥
تفسير قوله عليه السلام ٣١٥

ثوب ابنة عبد الملك بن مروان ٣١٦
حُلُم سليمان بن هشام بن عبد الملك ٣١٧
كان ملك بني أمية ألف شهر ٣١٧

فتنة بني أمية فتنة عمياء مظلمة ٣١٨
خطبته عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ٣١٨
شدّة بغض بني أمية لعلي عليه السلام ٣١٩
كتاب معاوية إلى عمّاله ٣٢٠
لتجدنّ بني أُمية لكم أرباب سوء بعدي ٣٢٠
أخذ البيعة ليزيد ٣٢٢
الوليد بن عبد الملك جبار عنيد ٣٢٣
أللهم أره حرمة أوليائك عندك ٣٢٤
علي بن الحسين عليه السلام وحمله إلى الشام ٣٢٤
إخبار عن انقراض بني أمية ٣٢٥
إخبار بالقائم عليه السلام ٣٢٦
العباسيّون ينبشون قبور خلفاء بني أمية ٣٢٨
الكلاب في البصرة تأكل أجساد بني أمية ٣٢٨
مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ٣٢٨

لبني أميّة مدّة لابُدَّ منها وبعدها هلاكهم باختلافهم ٣٣٠
ما رواه ابن الأشعث ٣٣٠
رؤيا النبي صلى الله عليه وآله في بني أمية وأفعالهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله ٣٣١
ها هم بنو أمية وأفعالهم ٣٣٢
اختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية ٣٣٢
عِتَّابُ المنصور لأبي مسلم ٣٣٣
وصية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ٣٣٤

مصير أصحابه عليه السلام من بعده بمخالفهم له ٣٣٦
مخاطبة أصحابه عليه السلام ممن أسلموا نواحيهم إلى جيوش معاوية ٣٣٦

لم تحفظ وصية النبي ﷺ بابن بنته الحسين عليه السلام ٣٣٧
قيس بن سعد بن عبادة يأنف من نقض عهد أبيه ٣٣٨
الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه ٣٣٨
لا تردّن أبياتنا بأخيك هذا ٣٣٩
بنو أمية يصلّون بالناس سكارى ٣٤٠
سَنُّوا زيارة قبر مصعب لما أمر البويهيون بإقامة مراسم عزاء الحسين عليه السلام ٣٤٠
إنما الموالي علوج ٣٤١
إشارة لقيام دولة بني العباس وهزيمة مروان ٣٤١
الفتنة المتصلة من بعده عليه السلام ٣٤٣
شرح قوله عليه السلام ٣٤٤
استخلاف معاوية ليزيد ٣٤٥
مواقف متعددة وغريبة إلا على يزيد ٣٤٦
مكاتبة بين محمد بن أبي بكر ومعاوية ٣٤٧
عودة لمضمون الخطبة ٣٤٧
إختلاف الأهواء بين الزيدية والعباسية ٣٤٨
عودة إلى تفسير قوله عليه السلام ٣٤٩
غاض الكرام وفاض اللئام ٣٥٠
خروج المعتصم إلى القاطول ٣٥١
كيف بنى المنصور العباسي سور الكوفة؟! ٣٥٢
أيسر الأبناء ٣٥٢
ما قاله الكاظم عليه السلام لصفوان الجمّال ٣٥٣
وفاء الأعوان للظالمين؟! ٣٥٣
المنصور أول ناصبي في العباسيين ٣٥٣
المنصور يخطب في أهل خراسان ٣٥٤
وصية المنصور لما عزم على الحج لولده المهدي ٣٥٤
قيام الحرب بين الأمين والمأمون ٣٥٥

عودة إلى شرح الخطبة ٣٥٧
عفة البطن وعفة الفرج ٣٥٨
من همّ بالسيئة فلا يعملها ٣٥٩

من علامات آخر الزمان ٣٦٠
كان عليه السلام كطبيب دوّار لعلاج أمراض النفوس ٣٦١
من مواعظه عليه السلام العامة نهاراً ٣٦١
من مواعظه عليه السلام في الليل ٣٦١
تجواله عليه السلام في الأسواق ٣٦٢
يأتي الطبيب المرضى ٣٦٣
النبي المنذر صلى الله عليه وآله والهادي علي عليه السلام ٣٦٣
الإمام عليه السلام يصف دواء الذنوب ٣٦٣
جوابه عليه السلام لعبد الرحمن بن أبي ليلى ٣٦٤
من قال: لا إلّه إلا الله مخلصاً دخل الجنة ٣٦٥
حديث الإمام الرضا عليه السلام لأهل نيسابور ٣٦٦
ثواب التسبيح بـ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ٣٦٦
من شروحات خطبته عليه السلام ٣٦٦
في كلامه عليه السلام إشارة إلى فتن آخر الزمان ٣٦٧
في علامات ظهور القائم عليه السلام ٣٦٨
السّفياني ٣٦٩
مهدي أهل البيت أمرُهُ أبين من الشمس ٣٧٠
لكل غيبة إياب ٣٧١
المقصود هو ظهور المهدي عليه السلام ٣٧٢
علي عليه السلام ربّاني هذه الأمّة ٣٧٣
إن علياً عليه السلام مني وأنا من علي ٣٧٣
علي عليه السلام هادٍ مهدي ٣٧٤
عودة لشرح قوله عليه السلام ٣٧٤

قصة الذمّي مع محمد بن منتشر الهمداني ٣٧٦
الشاعر المهزمي وابن ثوابة ٣٧٦
عندما تصبح الناس ذئاباً ٣٧٧
زمان الذئب ٣٧٧
زمان الكبش ٣٧٨
زمان الميزان ٣٧٨
الصّدّيق والكذّاب ٣٧٩
قاتل عمّار بالباب ٣٧٩
التهتك في عصرنا الحاضر ٣٨٠
رؤياك تدل على آخر الزمان يا جابر ٣٨٠

يأتي زمان يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ٣٨٢
زمان تسلط النساء والإماء وتأمير الصبيان ٣٨٢
زمان الماحل مقرّب، والفاجر مظرّف، والمنصف مضعّف ٣٨٢
البحتري ينشد المتوكل ٣٨٣
كان حماري أعقل من القضاة ٣٨٤
لهو المتوكِّل ٣٨٥
المجون في قصر المتوكل ٣٨٥
لا أستحل هجاء آل أبي طالب ٣٨٦
مجون الوليد بن يزيد ٣٨٦
إمارة الصبيان ٣٨٨

حين يصبح الرأي والهوى مكان القرآن والهدى يظهر إمام الورى ٣٨٩
قائم أهل البيت «عج» يقسّم بالسويّة ويعدل في الرعيّة ٣٩٠
أصحاب الرأي لبني أمية وبني العباس ٣٩٠
ما معنى: قامت الحرب على ساق ٣٩١
ظهور النواجذ هو المبالغة في الضحك ٣٩١
ليلى الأخيلية وعبد الملك ٣٩٢

لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد واختلاف بين الناس ٣٩٢
الحرب في تعريف عمرو بن معد يكرب ٣٩٢
إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها ٣٩٣
كرامته عليه السلام عند الله وعدله ٣٩٤
خروج القائم عليه السلام من مكة ٣٩٥
يصنع كما صنع النبي صلى الله عليه وآله ٣٩٥
يدعو الناس إلى نفسه ويسير فيهم بسنة النبي صلى الله عليه وآله ٣٩٦
يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ٣٩٦
يهدم في الكوفة أربعة مساجد ويهدم الشُّرف ٣٩٦
إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمهدي عليه السلام ٣٩٧

ذكر شيءٍ مِنْ اخْتِيَارِ غَرِيْبِ كَلَامِهِ عليه السلام المُحْتَاجِ إِلَى التَّفْسِيْرِ ٣٩٩
هو يعسوب الدين ٣٩٩
صحابة الإمام المهدي «عج» ٤٠٠
المتوكل يستفسر عن غريب اللغة ٤٠٢

لا تستعجلوا الخروج فإنه كائن مُرصد ٤٠٣
ذكر الملاحم ٤٠٣
يا مهزم كذب الوقاتون ٤٠٤
راية النبي صلى الله عليه وآله لا ينشرها بعد علي عليه السلام إلا المهدي (عج) ٤٠٥
قول كثير من الناس: لو كان من آل محمد صلى الله عليه وآله لرحم ٤٠٥
دنوّ يوم القيامة وظهور الفتن التي تظهر أمامها ٤٠٦
الفتن التي تحدث بعده عليه السلام قبل قيام القائم عليه السلام ٤٠٧
انتظروا الفرج من ثلاث ٤٠٨
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ٤٠٨
وينادي المنادي من السماء باسم القائم عليه السلام ٤٠٨
ما حدّث به الربيع حاجب المنصور ٤١٠
الإمام الصادق عليه السلام يحكم في قضية عصت على المنصور ٤١٠

أنفذ أمرك فالقول قوله ٤١١
مبايعة المأمون بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ٤١٢
وفاة الرضا عليه السلام ودفنه ٤١٤
إستتار المهدي عليه السلام ٤١٤
الإمامة أجل قدراً من أن يقيمها الناس باختيارهم ٤١٤
فتنة لا يبقى فيها إلا نحن وشيعتنا ٤١٥
ها هم شيعتنا ٤١٦
في معنى اخلولق ٤١٦
إجلسوا في بيوتكم ٤١٧
المهادنة في الحرب ٤١٨
نزول هذه الآية بالقائم عليه السلام وأصحابه ٤١٩

لو تعلمون ما أعلم مما طُوِي عنكم غيبُه ٤٢١
تفسير قوله عليه السلام ٤٢١
إنهم أرباب سوء ٤٢٢
ألحقني بمن هو أحق بي منكم ٤٢٣
أتاكم القطار يحمل النار ٤٢٣

مخاطباً معاوية ٤٢٥
المسببون لقتل عثمان ٤٢٥
حيلة قصير مع الزبّاء ٤٢٦
في ذكر ليلة الهرير ٤٢٦
رفع المصاحف على أطراف الرماح ٤٢٧
يابن حرب أولياؤك أولياء الشيطان ٤٢٨

جهل أهل العراق بقدره وعَدْله وإمامته ٤٣٠
تحذيره عليه السلام لأهل الكوفة من بني أُمية ٤٣٠
مخاطبته عليه السلام أهل العراق ٤٣١
كيف استقام الرويّ للشاعر ابن هرمة ٤٣٢

جئت إليكم سوقاً لا اختياراً ٤٣٢
إن أمرنا صعب مستصعب ٤٣٣
دنا خراب العراق ٤٣٣
سلوني قبل أن تفقدوني ٤٣٤
ما روي عن أبي العالية في سماعه علياً عليه السلام ٤٣٥
دعا عليه لتكذيبه فذهب بصره ٤٣٥
هي لهجة النبي صلى الله عليه وآله شهدت وغبتم ٤٣٦
واهاً لك أيها التربة ٤٣٦
أحوال النساء في آخر الزمان ٤٣٧